النبيُّ محمد ﷺ

كأنك تراه!!!

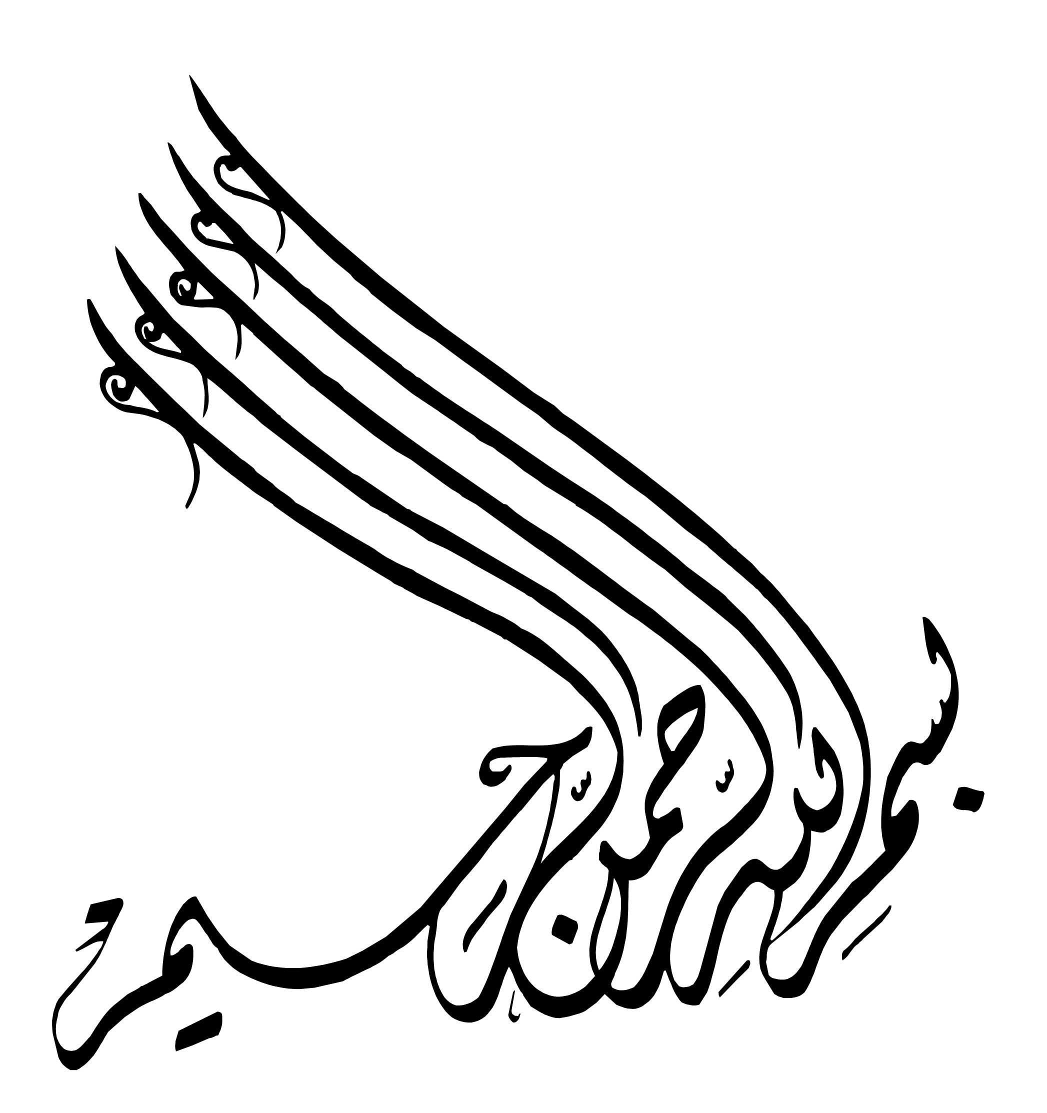
قيم إنسانية وحضارية من حياة الرسول ﷺ

تأليف الشيخ الدكتور

سيد أحمد جمعة سلام

مكتبة الإيمان - المنصورة
ت: ٢٢٥٧٨٨٢

الطبعة الأولى
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م


بسم الله الرحمن الرحیم

{وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}[1]

المقدمــة:

وتشتمـل علـى:

١- أهمية الموضوع.

٢- قيمته العلمية.

٣- سبب اختياره.

٤- منهج إعداد البحث.

* * * * *

(١) القلم: ٤.

أهمية الموضوع

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأشهد أن لا إله إلا الله خصنا بخير كتاب أنزل، وأكرمنا بخير نبي أرسل، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ}(1).

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}(2).

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}(3).

بعث الرسول ﷺ للناس جميعاً، عندما نقرأ التاريخ ماذا نرى قبل بعثته ﷺ.

نرى الأوقات تُقْتضى فى التفاخر بالأنساب.. والأيام تقضى فى الحروب والمعارك جاء ﷺ فبين لنا أن كل دقيقة تمر من حياة الإنسان تقربه من نهايته فعلينا أن نعمر زماننا بالقول الطيب والعمل الصالح.. أوضح لنا الرسول أن لكل منا نهاية وطالب الناس بأن يقوم كل واحد منهم بمحاسبة نفسه قبل أن يحاسب... لقد جاء بدين وحضارة وختم الله بدينه الرسالات السماوية جميعاً.

كانت رسالته ونبوته عامة لجميع الخلق وكان يقول: **«بعثت إلى الناس كافة»**.

لابد أن نتأمل سيرته ونسير على نهجها لقد أرسله الله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين لكل الناس فى شتى أنحاء الأرض فهل يرحم بعضنا بعضا كما كان يفعل هو ﷺ.. أول ما نزل عليه من الوحى خمس آيات هي:**{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}** هذه الآيات فيها الإشادة بالعلم والقلم والإنسان.. فالإسلام دين العلم والعمل.. والله سبحانه وتعالى كفل لهذه الأمة أن تكون أمة العلم.. المسلمون اليوم فى ذيل العلم على المستوى العالمى والقرآن والرسول يأمران المسلم أن يكون فى المقدمة، علينا أن ننفذ هذه الأوامر

---

(1) آل عمران /102.
(2) النساء/ 1.
(3) الأحزاب /70.

حتى نرضي الله سبحانه وتعالى ونرضي رسوله محمداً ﷺ أول من أجرى حواراً دينياً عندما وفد على مسجده فى المدينة المنورة وفد من نصارى نجران، أول ما وصلوا مسجد الرسول بدأوا فى الصلاة مما استفز بعض الصحابة فقال لهم الرسول: **«اتركوهم حتى ينتهوا من صلاتهم»** وبعد ذلك أجرى معهم حواراً دينياً على أرقى مستوى عرضوا عليه دينهم وعرض عليهم دينه.. ثم عادوا إلى نجران وتفكروا فيما قاله الرسول ثم جاء الواحد منهم تلو الآخر لإعلان إسلامه أمام الرسول.. هذا هو الأسلوب الذى اتبعه الرسول من منطلق **{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ}**.

هناك أمثلة كثيرة وأشياء كثيرة ودروس عظيمة نستطيع أن نستفيد منها فى سيرة الرسول.. عندما دخل مكة فاتحاً منتصراً لو جمع كل الذين عذبوه وأمر بقتلهم قصاصاً لكن ذلك جزاءً عادلاً.. لم يتعلم الانتقام، سألهم: **«ماذا تظنون أنى فاعل بكم؟»**.. قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال لهم: **«اذهبوا فأنتم الطلقاء»، عفا عنهم جميعا** لأن الله سبحانه وتعالى أرسله رحمة للعالمين.

فالنبي ﷺ جاء بالنور من عند ربه ليخرج الناس من الظلمات إلى النور فآمن به من آمن وكفر به من كفر.. ترقى عليه أفضل الصلاة والسلام عند ربه فى أعلى درجات الترقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، أمر الله المؤمنين أن يصلوا على النبى ليس هناك أحد من البشر إذا ذكر عظيم سوى رسول الله ﷺ، والصلاة على النبي بداية الطريق مع الله لقد أعلى الله ذكره فهو الأسوة الحسنة للعالمين، وهو باب الهداية، وهو المحمود فى الآخرة بالشفاعة ومحمود فى الدنيا بما هدى إليه ونفع به من العلم والحكمة.

ولد ﷺ يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين، ورفع الحجر يوم الاثنين؛ لقد أعظم الله قدره وقال ﷺ : **«إن الله خلق الخلق فجعلنى فى خير فرقهم وخير الفريقين ، ثم تخير القبائل فجعلنى فى خير القبيلة ، ثم تخير البيوت فجعلنى من خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا»** وقال: **«لى أسماء: أنا محمد وأنا أحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله به الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب»** تفرد الرسول بأشياء كثيرة من عند ربه.

علينا المحافظة على سنة رسول الله وعلينا أن نحبه ونعلم أولادنا حبه وأن نقوم بالعمل على سنته المطهرة.

.. لقد ترك فينا سيرة عطرة امتلأت بصور ومواقف وذكريات خالدة تنير لنا الطريق وتفتح أمامنا أبواب الأمل والرجاء. ترك لنا تاريخاً سطرت على كل صفحة من

صفحاته حكمة بالغة وعبرة دامغة ومنهج قويم غرس فى أصحابه المثل العليا وكريم الأفعال.. وجلائل الأعمال؛ والتاريخ يا سيدي يا رسول الله أصدق شاهد على صبرك.. ومثابرتك واحتمال الأذى فى سبيل دعوتك فكنت الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة فى الثبات على الحق ومواجهة جحافل الظلم والشر بشجاعة وإقدام وأمانة وصدق.. إنه أول من دافع عن حقوق الإنسان وقدم مشروعاً متكاملاً فى وثيقة المدينة سبق به كل الذين يتشدقون الآن بالحضارة والاستنارة والدفاع عن حقوق الإنسان.

كان ﷺ يحذر جنوده وأصحابه فى الحروب من قتل النساء والشيوخ واحترام الأسرى ومعاملتهم معاملة إنسانية وحضارية.. أنصف ﷺ المرأة ومنحها حقوقها ورفع مكانتها وحررها من ميراث الجاهلية أقام دولته على العدل والمساواة ورفض الظلم والمحاباة وطهر المجتمع من الأغلال والفساد... فكان لابد من وقفة... نعرض من خلالها الجانب الإنسانى والأخلاقى والحضارى لنبى الرحمة، بل الرحمة المهداة ﷺ...

جزاك الله عنا يا رسول الله أفضل ما جزى نبياً ورسولاً عن أمته، اللهم احشرنا تحت رايته وارزقنا شفاعته... آمين.

* * * * *

قيمته العلمية

كان النبي ﷺ قد جمع في نشأته خير ما في طبقات الناس من ميزات، وكان طرازًا رفيعًا من الفكر الصائب، والنظر السديد، ونال حظًا وافرًا من حسن الفطنة وأصالة الفكرة وسداد الوسيلة والهدف، وكان يستعين بصمته الطويل على طول التأمل، وطالع بعقله الخصب وفطرته الصافية صحائف الحياة وشئون الناس وأحوال الجماعات، فعاف ما سواها من خرافة، ونأى عنها، ثم عاشر الناس على بصيرة من أمره وأمرهم، فما وجد حسنًا شارك فيه وإلا عاد إلى عزلته العتيدة، فكان لا يشرب الخمر، ولا يأكل مما ذبح على النصب، ولا يحضر للأوثان عيدًا ولا احتفالاً، بل كان من أول نشأته نافراً من هذه المعبودات الباطلة، حتى لم يكن شيء أبغض إليه منها، وحتى كان لا يصبر على سماع الحلف باللات والعزى.

ولا شك أن الله حاطه بالحفظ، فعندما تتحرك نوازع النفس لاستطلاع بعض متع الدنيا، وعندما يرضى باتباع بعض التقاليد غير المحمودة - تتدخل العناية الربانية للحيلولة بينه وبينها، قال رسول الله ﷺ : **«ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون غير مرتين ، كل ذلك يحول الله بيني وبينه ، ثم ما هممت به حتى أكرمنى برسالته ، قلت ليلة للغلام الذي يرعى معي الغنم بأعلى مكة: لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب، فقال: أفعل ، فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفًا ، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: عرس فلان بفلانة ، فجلست أسمع ، فضرب الله على أذنى فنمت ، فما أيقظني إلا حر الشمس . فعدت إلى صاحبي فسألني ، فأخبرته ، ثم قلت ليلة أخرى مثل ذلك ، ودخلت بمكة فأصابني مثل أول ليلة ... ثم ما هممت بسوء».**

وروى البخاري عن جابر بن عبد الله قال: لما بنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ والعباس ينقلان الحجارة، فقال العباس للنبي ﷺ : اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة، فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم أفاق، فقال: **«إزاري ، إزاري»** فشد عليه إزاره. وفي رواية: **«فما رؤيت له عورة بعد ذلك»**.

وكان النبي ﷺ يمتاز في قومه بخلال عذبة وأخلاق فاضلة، وشمائل كريمة، فكان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقًا، وأعزهم جوارًا، وأعظمهم حلمًا، وأصدقهم حديثًا، وألينهم عَرِيكة، وأعفهم نفسًا وأكرمهم خيرًا، وأبرهم عملاً، وأوفاهم عهدًا، وآمنهم أمانة حتى سماه قومه: [الأمين] لما جمع فيه من الأحوال الصالحة والخصال المرضية، وكان كما قالت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها يحمل الكل، ويكسب المعدوم، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق.

كان النبي ﷺ يمتاز بفصاحة اللسان، وبلاغة القول، وكان من ذلك بالمحل الأفضل، والموضع الذي لا يجهل، سلامة طبع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف، أوتي جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم، وعلم ألسنة العرب، يخاطب كل قبيلة بلسانها، ويحاورها بلغتها، اجتمعت له قوة عارضة البادية وجزالتها، ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها، إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي.

وكان الحلم والاحتمال، والعفو عند المقدرة، والصبر على المكاره، صفاتٍ أدبه الله بها، وكل حليم قد عرفت منه زلة، وحفظت عنه هَفْوَة، ولكنه ﷺ لم يزدد مع كثرة الأذى إلا صبراً، وعلى إسراف الجاهل إلا حلماً، وقالت عائشة: ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها. وكان أبعد الناس غضباً، وأسرعهم رضاً.

وكان من صفة الجود والكرم على ما لا يقادر قدره، كان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر، قال ابن عباس: كان النبي ﷺ أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة. وقال جابر: ما سئل شيئاً قط فقال: لا.

وكان من الشجاعة والنجدة والبأس بالمكان الذي لا يجهل، كان أشجع الناس، حضر المواقف الصعبة، وفر عنه الكماة والأبطال غير مرة، وهو ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر، ولا يتزحزح، وما شجاع إلا وقد أحصيت له فَرَّة، وحفظت عنه جولة سواه، قال علي: كنا إذا حمي البأس واحمرت الحَدَقُ، اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه. قال أنس: فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قِبَلَ الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عُرْي، في عنقه السيف، وهو يقول: **«لم تُرَاعوا ، لم تُرَاعوا»**.

وكان أشد الناس حياءً وإغضاءً، قال أبو سعيد الخدري: كان أشد حياءً من العذراء في خِدْرها، وإذا كره شيئاً عرف في وجهه. وكان لا يثبت نظره في وجه أحد، خافض الطرف. نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جُلُّ نظره الملاحظة، لا يشافه أحداً بما يكره حياء وكرم نفس، وكان لا يسمي رجلاً بلغ عنه شيء يكرهه، بل يقول: **«ما بال أقوام يصنعون كذا»**.

وكان أحق الناس بقول الفرزدق:

يغضي حياء ويغضي من مهابته ::: فلا يكلم إلا حين يبتسم

وكان أعدل الناس، وأعفهم، وأصدقهم لهجة، وأعظمهم أمانة، اعترف له بذلك مجاوروه وأعداؤه، وكان يُتَحاكم إليه في الجاهلية قبل الإسلام، روى الترمذي عن علي أن أبا جهل قال له:

إنا لا نكذبك، ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله تعالى فيهم: **{فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ}**(١) وسأل هرقل أبا سفيان، هل تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا.

وكان أشد الناس تواضعاً، وأبعدهم عن الكبر، يمنع عن القيام له كما يقومون للملوك، وكان يعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد، ويجلس في أصحابه كأحدهم، قالت عائشة: كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل بيده كما يعمل أحدكم في بيته، وكان بشراً من البشر يَفْلِي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه.

وكان أوفى الناس بالعهود، وأوصلهم للرحم، وأعظمهم شفقة ورأفة ورحمة بالناس، أحسن الناس عشرة وأدباً، وأبسط الناس خلقاً، أبعد الناس من سوء الأخلاق، لم يكن فاحشاً، ولا متفحشاً، ولا لعاناً، ولا صخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، وكان لا يدع أحداً يمشي خلفه، وكان لا يترفع على عبيده وإمائه في مأكل ولا ملبس، ويخدم من خَدَمَه، ولم يقل لخادمه أف قط، ولم يعاتبه على فعل شيء أو تركه، وكان يحب المساكين ويجالسهم، ويشهد جنائزهم، ولا يحقر فقيراً لفقره. كان في بعض أسفارة فأمر بإصلاح شاة، فقال رجل: عليَّ ذبحها، وقال آخر: عليَّ سلخها، وقال آخر عليَّ طبخها، فقال ﷺ : **«وعليَّ جمع الحطب»**، فقالوا: نحن نكفيك. فقال:

---

(١) الأنعام: ٣٣.

«قد علمت أنكم تكفوني ولكني أكره أن أتميز عليكم ، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه»، وقام وجمع الحطب.

ولنترك هند بن أبي هالة يصف لنا رسول الله ﷺ؛ قال هند فيما قال: كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست لـه راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه - لا بأطراف فمه - ويتكلم بجوامع الكلم، فصلاً، لا فضول فيه ولا تقصير، دمثاً ليس بالجافي ولا بالمهين، يعظم النعمـة وإن دقت، لا يذم شيئاً، ولم يكن يذم ذواقاً - ما يطعم - ولا يمدحه، ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر لـه، لا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها - سماحة - وإذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام.

كان لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يوطن الأماكن - لا يميز لنفسه مكاناً - إذا انتهى إلى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، وقد وسع الناس بسطه وخلقه، فصار لهم أبا، وصاروا عنده في الحق متقاربين، يتفاضلون عنده بالتقوى، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم - لا تخشى فلتاته - يتعاطفون بالتقوى، يوقرون الكبير، ويرحمون الصغير، ويرفدون ذا الحاجة، ويؤنسون الغريب.

كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صَخَّاب، ولا فحاش، ولا عتاب، ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يقنط منه. قد ترك نفسه من ثلاث: الرياء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: لا يذم أحداً، ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه، كأنما على رءوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا. لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا لـه حتى يفرغ، حديثهم حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويعجب مما يعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق، يقول: إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فأرفدوه، ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ.

وقال خارجة بن زيد: كان النبي ﷺ أوقر الناس في مجلسه، لا يكاد يخرج شيئاً من أطرافه، وكان كثير السكوت، لا يتكلم في غير حاجة، يعرض عمن تكلم بغير جميل، كان ضحكه تبسماً، وكلامه فصلاً لا فضولاً ولا تقصيراً، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيراً لـه واقتداء به.

وعلى الجملة، فقد كان النبي ﷺ محلى بصفات الكمال المنقطعة النظير، أدبه ربه فأحسن تأديبه، حتى خاطبه مثنياً عليه فقال: **{وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}**(١) ، وكانت هذه الخلال مما قرب إليه النفوس، وحببه إلى القلوب، وصيره قائداً تهوى إليه الأفئدة، وألان من شكيمة قومه بعد الإباء، حتى دخلوا في دين الله أفواجاً.

وكان يخزن لسانه إلا عما يعنيه، يؤلف أصحابه ولا يفرقهم، يكرم كريم كل قوم، ويوليه عليهم، ويحذر الناس، ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره.

يتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويصوبه، ويقبح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر، غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا، لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحق، ولا يجاوزه إلى غيره.

الذين يلونه من الناس خيارهم، وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة.

وهذه الخلال التي أتينا على ذكرها خطوط قصار من مظاهر كماله وعظيم صفاته، ومن هنا تبلورت قيمة الموضوع العلمية، وأما حقيقة ما كان عليه من الأمجاد والشمائل فأمر لا يدرك كنهه، ولا يسبر غوره، ومن يستطيع معرفة كنه أعظم بشر في الوجود بلغ أعلى قمة من الكمال، استضاء بنور ربه، حتى صار خلقه القرآن؟

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صلَّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنَّك حَميد مجيد.

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنَّك حميد مجيد.

* * * * *

---

(١) القلم: ٤.

سبب اختياره

كان النبي ﷺ يمتاز من جمال خَلْقه وكمال خُلُقه بما لا يحيط بوصفه البيان، وكان من أثره أن القلوب فاضت بإجلاله، والرجال تفانوا في حياطته وإكباره، بما لا تعرف الدنيا لرجل غيره، فالذين عاشروه أحبوه، ولم يبالوا أن تندق أعناقهم ولا يخدش له ظُفْر، وما أحبوه كذلك إلا لأن أنصبته من الكمال الذي يحبب عادة لم يرزق بمثلها بشر.

لقد أصبح الاستهزاء بالله وآياته ورسوله أمراً عادياً في هذا الزمن، ومعظم هذه الاستهزاءات تأتي من الخارج، حيث يدعي الملحدون أن الإسلام هو دين التخلف والإرهاب والجهل. ولذلك فقد دأب أعداء الإسلام على السخرية من تعاليمه بحجّة أنها أصبحت بالية ولا تناسب هذا العصر!

وإن الذي يتأمل مواقع الإنترنت يجدها تزخر بالتعليقات والصور التي تعبّر عن حقد هؤلاء على الإسلام، وتراهم ينشرونها تحت اسم "حرية التعبير عن الرأي"، ومن هؤلاء أحد الرسامين في الدانمرك رسم صوراً يسخر فيها من سيدنا محمد ﷺ.

وسبحان الله! هل أصبحت حرية التعبير عندهم في أن يستهزئوا بأعظم خلق الله عليه الصلاة والسلام؟ ولكن وعلى ما يبدو أن هؤلاء لم يجدوا شيئاً علمياً ينقدون به الإسلام فلجأوا لمثل هذه الصور اليائسة. لقد فشلوا في إخراج أي خطأ علمي أو لغوي من القرآن الكريم أو أحاديث الرسول الأعظم يقنعون به أتباعهم، إلا هذه الرسوم التي تعبر عن إفلاس هؤلاء.

ونحن من حقنا التعبير عن رأينا في مثل هذه الأشياء، ولكن نحن لا نستهزئ بأحد من أنبيائهم موسى وعيسى عليهما السلام، فهم بريئون منهم ومن أفعالهم، لأننا لا نفرّق بين هؤلاء الأنبياء الكرام، فهم جميعاً رسل من عند الله تعالى.

ولكن قبل ذلك لنستمع قول الله تعالى في حق هؤلاء وأمثالهم:**{إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}**[1]. إن هذه الرسوم هي إيذاء لله واستهزاء برسوله، وإيذاء شديد لكل مؤمن ومؤمنة، ولذلك نبشر أمثال هؤلاء بعذاب أليم يوم القيامة إن لم ينتهوا عن مثل هذا الفعل.

---

(١) الأحزاب: ٥٧ - ٥٨.

إن أسلوبنا في التعبير سيكون أشد وأبقى من أسلوبهم الذي هو مجرد رسوم لا تعبر إلا عن أوهام لا وجود لها إلا في خيال مؤلفها. سوف نخاطب هؤلاء بلغة العلم التي فشلوا في استخدامها لخطابنا! وسوف نخبر هؤلاء بحقيقة هذا النبي الرحيم عليه الصلاة والسلام.

وسأتحدث عن الأخلاق العالية والصفات الرائعة التي كان يحملها خاتم النبيين، وهؤلاء لا يتمتعون بهذه الأخلاق ولا يعترفون بها، وأقول لهؤلاء الذين يفتخرون بالعلم والعدل، فهم دول متطورة تقنياً، وهم دول ديمقراطية تؤمن بالعدل والحقوق، نقول: إن القرآن الذي تستهزئون به هو أول كتاب يدعو للعلم والعدل، وهما المقياس لنجاح واستمرار أي حضارة.

إن أول كلمة نزلت على هذا النبي الكريم هي**{اقْرَأْ}**، وهذا دليل على أن الإسلام دين العلم. وإن آخر كلمة نزلت من القرآن هي**{لاَ يُظْلَمُونَ}** وهذا دليل على أن الإسلام دين العدل. إذن ما تفاخرون به اليوم قد سبقكم إليه نبينا ﷺ قبل قرون طويلة.

فهل لكم أن تقرأوا شيئاً منها قبل أن تتصوروا من هو هذا النبي الذي وصفه الله بأنه رحمة للعالمين؟ وكوني استخرت الله عز وجل فى اختياري لأتكلم عن كريم الشمائل ﷺ الذى لا تعرفون قدره، وإنه لشرف لى عظيم...

لذلك أرجو من كل من لديه صَمَمٌ في أذنيه ألا ينتقد الأصوات الجميلة! وأرجو من كل من لديه عمًى في بصره ألا يهاجم الصور الرائعة! وكذلك أرجو من كل من لديه زَكَم في أنفه ألا يعترض على الرائحة العطرة!!!

فصورة سيدنا محمد ﷺ ستبقى مشرقة بهية ورائعة مهما حاول المشككون تشويهها، وسيبقى كلام سيدنا محمد ﷺ أجمل وأعذب كلام مهما حاول الملحدون أن يفعلوا، وكذلك سيبقى نور القرآن ونور الله مضيئاً برّاقاً مهما حاول المبطِلون إطفاءه بأفواههم. يقول تعالى:**{يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}**(١).

اللهم أنت أقوى من هؤلاء جميعاً، وأنت القادر على الردّ عليهم وعلى إيقافهم ومحاسبتهم هم ومن يقف وراءهم، فأنت القائل في كتابك العظيم:**{إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا}**(٢).

---

(١) التوبة: ٣٢ - ٣٣.

(٢) الأحزاب: ٥٧.

ونقول كما قال الله تعالى:**{قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ...}**.

اللهم ارزقنا حب نبيك محمد ﷺ وحب من أحبه... آمين.

* * * * *

منهج إعداد البحث

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ﷺ :

لقد اتبعت هذا المنهج فى هذا البحث الموسوم بقيم إنسانية وحضارية من حياة الرسول ﷺ البحث عبارة عن ثلاثة أبواب فى كل باب فصلان وفى كل فصل من الفصول عدة مباحث تحتوى على مطالب.

المقدمة:

وتشتمل على:

- أهمية الموضوع.
- قيمته العلمية.
- سبب اختياره.
- منهج إعداد البحث.

وقفة قبل دخول الباب لنتعرف على:

١ - نسب النبي ﷺ.

٢ - الأسرة النبوية:

- هاشم.
- عبد المطلب.
- عبد الله والد رسول الله ﷺ.

٣ - مولد النبى ﷺ.

الباب الأول: النبى ﷺ كأنك تراه!!!

الفصل الأول: خصائص الرسول ﷺ وفضائله.

المبحث الأول: وصف النبى ﷺ وكمال خلقه.

- كمال الخَلْقِ.

❋ المطلب الأول: صفات النبي ﷺ.

❋ المطلب الثانى: وصف جامع للرسول ﷺ.

❋ المطلب الثالث: صفة لون رسول الله ﷺ.

❋ المطلب الرابع: صفة وجه رسول الله ﷺ وأعضائه.

❋ المطلب الخامس: صفة رأس رسول الله ﷺ وصفة لحيته ﷺ.

❋ المطلب السادس: صفة شعر رأس رسول الله ﷺ.

المبحث الثانى:

❋ المطلب الأول: صفات أخرى لرسول الله ﷺ.

❋ المطلب الثانى: الكلام على صفة خاتم النبوة.

❋ المطلب الثالث: خاتم النبوة ليس أثراً لشق الصدر.

❋ المطلب الرابع: أقوال بعض الصحابة عن جمال خَلْق رسول الله ﷺ.

الفصل الثانى: كمال أخلاقه ﷺ.

المبحث الأول: الكمالات والخصائص التي انفرد بها رسول الله.

❋ المطلب الأول: كمال الخلق.

المبحث الثانى:

❋ المطلب الأول: في فضائل أقواله ﷺ خصال عديدة، منها.

❋ المطلب الثانى: وصف الله لأخلاق النبي ﷺ.

❋ المطلب الثالث: الرسول ﷺ يعتق من أرادوا قتله.

الباب الثانى: المعجـزات

الفصل الأول: معجزات ونبوءات

المبحث الأول: المعجزة الكبرى القرآن الكريم

المبحث الثانى: الإسراء والمعراج

المبحث الثالث: انشقاق القمر

المبحث الرابع: نبوءات تحققت في زمن النبي ﷺ

- النبـي ﷺ يخبـر وهـو فـي مكـة فـي فئـة مستضـعفة أن دينـه سـيعم الجزيرة كلها
- إخباره ﷺ بفتح جزيرة العرب ثم فارس ثم الروم، ووقوع الأمر كما حدث به تماماً
- النبي ﷺ يخبر وهو في المدينة أن أمته ستفتح كنوز كسرى
- إخباره ﷺ بفتح الحيرة وهبته الشيماء بنت نفيلة لخريم بن أوس
- إخباره ﷺ بحسن إسلام الفرس بعد الفتح
- بشر الرسول المسلمين بغزو قريش
- إخباره ﷺ بمصارع القوم يوم بدر
- موضعه إخباره ﷺ بخراب خيبر
- إخباره ﷺ بأنه هو الذي يقتل أبيًا
- إخباره ﷺ بإسلام أبي الدرداء قبل أن يسلم
- إعلامه ﷺ بعدم غزو المشركين المسلمين بعد الخندق
- إخباره ﷺ عن إسلام أبي طلحة قبل أن يسلم
- المسلمون يفتحون فارس موقنين بخبر الرسول ﷺ
- إخباره ﷺ بأنه إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر

فلا قيصر بعده

- إخباره ﷺ بفساد بعض أحوال المسلمين وقتالهم بعضهم بعضاً بعد فتح فارس والروم
- النبي ﷺ يخبر بفتح القسطنطينية
- فتح بيت المقدس
- طاعون عمواس
- استفاضة المال والاستغناء عن الصدقة
- ظهور الفتن

المبحث الخامس: معجزات

❋ المطلب الأول: تكثيره الطعام والشراب ﷺ

❋ المطلب الثانى: ثمانون رجلاً يأكلون بعض أرغفة الخبز وتكفيهم

- قصعة الثريد يأكل منها المئات:
- البركة في الشعيرالبركة في السمن:
- البركة في مزود أبي هريرة رضي الله عنه:
- البركة في شطر الشعير:
- قصة البعير وسجوده وشكواه لرسول الله ﷺ.

❋ المطلب الثالث: إخبار الذئب بنبوته ﷺ

- الوحش يوقر الرسول ﷺ.
- وافد الذئاب يرضى بأوامر الرسول ﷺ
- عصمته ﷺ من الناس
- الأمثلة على عصمة الله لرسوله وكف الأعداء عنه
- جالس أمامها ولا تراه:

- مر ﷺ عليهم وألقى على رءوسهم التراب ولا يرونه:
- أراد قتل الرسول ﷺ فخذله الله
- حاول اغتيال النبي ﷺ فنزلت عليه أُسود فهالته
- إخباره ﷺ عن الذي غل في سبيل الله
- كن أبا خيثمة فكان
- أخبر أنه من أهل النار فكان كذلك
- إجابة النبي ﷺ السائل قبل أن يسأله
- إخباره ﷺ أن غلامه غل شملة
- وقوف الكفار أمام باب الغار
- نزول المطر الشديد يوم تبوك بدعاء النبي ﷺ
- سعد مُجاب الدعوة بسبب دعاء الرسول ﷺ
- زاد أولاده عن المائة وزاد عمره عن المائة وزاد ماله عن المائة ألف بسبب دعاء النبي ﷺ.
- دعا لـه فطال عمره وهو شاب
- ابن عباس حبر الأمة بسبب دعاء النبي ﷺ
- دعا ﷺ عليه فاختلج لسانه
- ثبوت جرير على الفرس بعد أن كان لا يثبت
- شلت يده
- لا يشبع أبدًا

❋ المطلب الرابع: إجابة دعائه ﷺ

❋ المطلب الخامس: بشارات لبعض الأصحاب أم حرام بنت ملحان

- عكاشة بن محصن أم ورقة بنت نوفل

- تفل النبي ﷺ في يد الصحابي فاجتمعت وبرأت
- رُزقا عشرة أولاد ببركة دعاء النبي ﷺ
- برأ ببصاق النبي ﷺ
- برأ بمسح النبي ﷺ رجله
- عصمته ﷺ من الناس
- أراد قتل النبي ﷺ فنزل عليه شواظ من نار
- منع الله تعالى نبيه ﷺ من القتل في غزوة ذات الرقاع

❋ المطلب الثامن: دعاؤه ﷺ لعبد الرحمن بن عوف

- تذكر!!!
- هذا هو حبيبى رسول الله ﷺ

الفصل الثانى: آداب الإسلام والنهي عن المحرمات

المبحث الأول: أمور حذر النبي ﷺ منها:

❋ المطلب الأول: التحذير من السبع الموبقات

- أولا: الشرك بالله
- ثانيا: السحر
- ثالثا: قتل النفس
- رابعا: أكل الربا
- خامسا: أكل مال اليتيم
- سادسا: التولي يوم الزحف
- سابعا: قذف المحصنات الغافلات المؤمنات
- التحذير من الغش
- ١- غش الإمام الرعية
- ٢- الغش في البيع والشراء والميزان

الباب الثالث: التدافع لا الصراع هو فلسفة الإسلام

الفصل الأول: الفتوحات الإسلامية نموذج للارتقاء الحضاري للإسلام

* * * * *

وقفة قبـل دخـول البـاب لنتعـرف على:

١ - نسب النبي ﷺ

نسب نبينا محمد ﷺ ينقسم إلى ثلاثة أجزاء: جزء اتفق عليه كافة أهل السير والأنساب، وهو الجزء الذي يبدأ منه ﷺ وينتهي إلى عدنان.

وجزء آخر كثر فيه الاختلاف، حتى جاوز حد الجمع والائتلاف، وهو الجزء الذي يبدأ بعد عدنان وينتهي إلى إبراهيم عليه السلام فقد توقف فيه قوم، وقالوا: لا يجوز سرده، بينما جوزه آخرون وساقوه. ثم اختلف هؤلا المجوزون في عدد الآباء وأسمائهم، فاشتد اختلافهم وكثرت أقوالهم حتى جاوزت ثلاثين قولاً، إلا أن الجميع متفقون على أن عدنان من صريح ولد إسماعيل عليه السلام.

أما الجزء الثالث فهو يبدأ من بعد إبراهيم عليه السلام وينتهي إلى آدم عليه السلام، وجُل الاعتماد فيه على نقل أهل الكتاب، وعندهم فيه من بعض تفاصيل الأعمار وغيرها ما لا نشك في بطلانه، بينما نتوقف في البقية الباقية.

وفيما يلى الأجزاء الثلاثة من نسبه الزكى ﷺ بالترتيب :

الجزء الأول : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب - واسمه شَيْبَة - بن هاشم - واسمه عمرو - بن عبد مناف - واسمه المغيرة - بن قُصَىّ - واسمه زيد - بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فِهْر - وهو الملقب بقريش وإليه تنتسب القبيلة - بن مالك بن النَّضْر - واسمه قيس - بن كِنَانة بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكة - واسمه عامر - بن إلياس بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدّ بن عدنان.

الجزء الثانى : ما فوق عدنان، وعدنان هو ابن أُدَد بن الهَمَيْسَع بن سلامان بن عَوْص ابن بوز بن قموال بن أبي بن عوام بن ناشد بن حزا بن بلداس بن يدلاف بن طابخ بن جاحم بن ناحش بن ماخى بن عيض بن عبقر بن عبيد بن الدعا بن حَمْدان بن سنبر بن يثربى بن يحزن بن يلحن بن أرعوى بن عيض بن ديشان بن عيصر بن أفناد بن أيهام بن مقصر بن ناحث بن زارح بن سمى بن مزى بن عوضة بن عرام بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

الجزء الثالث : ما فوق إبراهيم عليه السلام، وهو ابن تارَح - واسمه آزر - بن ناحور بن ساروع - أو ساروغ - بن رَاعُو بن فَالَخ بن عابر بن شَالَخ بن أرْفَخْشَد بن سام ابن نوح عليه السلام بن لامك بن مَتوشَلَخَ بن أَخْنُوخ - يقال : هو إدريس النبي عليه السلام - بن يَرْد بن مَهْلائيل بن قينان بن أنُوش بن شِيث بن آدم - عليهم السلام.

٢ - الأسرة النبوية

تعرف أسرته ﷺ بالأسرة الهاشمية - نسبة إلى جده هاشم بن عبد مناف - وإذن فلنذكر شيئًا من أحوال هاشم ومن بعده :

١ - هاشم :

هاشم هو الذي تولى السقاية والرفادة من بني عبد مناف حين تصالح بنو عبد مناف وبنو عبد الدار على اقتسام المناصب فيما بينهما، وكان هاشم موسرًا ذا شرف كبير، وهو أول من أطعم الثريد للحجاج بمكة، وكان اسمه عمرو فما سمى هاشمًا إلا لهشمه الخبز، وهو أول من سن الرحلتين لقريش، رحلة الشتاء والصيف، وفيه يقول الشاعر :

عمـرو الـذي هَشَـمَ الثريـدَ لقومـه ::: قَـومٍ بمكـة مُسْنِتِـين عِجَـافِ

سُـنَّتْ إليـه الرحلتـان كلاهمـا ::: سَـفَرُ الشـتاء ورحلـة الأصـياف

٢ - عبد المطلب :

السقاية والرفادة بعد هاشم صارت إلى أخيه المطلب بن عبد مناف [وكان شريفًا مطاعًا ذا فضل في قومه، كانت قريش تسميه الفياض لسخائه] لما صار شيبة - عبد المطلب - وصيفًا أو فوق ذلك ابن سبع سنين أو ثماني سنين سمع به المطلب. فرحل في طلبه، فلما رآه فاضت عيناه، وضمه، وأردفه على راحلته فامتنع حتى تأذن له أمه، فسألها المطلب أن ترسله معه، فامتنعت، فقال : إنما يمضي إلى ملك أبيه وإلى حرم الله فأذنت له، فقدم به مكة مردفه على بعيره، فقال الناس: هذا عبد المطلب، فقال: ويحكم، إنما هو ابن أخي هاشم، فأقام عنده حتى ترعرع، ثم إن المطلب هلك بـ [دمان] من أرض اليمن، فولي بعده عبد المطلب، فأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون لقومهم، وشرف في قومه شرفًا لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبه قومه وعظم خطره فيهم.

وكان لعبد المطلب عشرة بنين، وهم: الحارث، والزبير، وأبو طالب، وعبد الله، وحمزة، وأبو لهب، والغَيْدَاق، والمُقَوِّم، وضِرَار، والعباس. وقيل: كانوا أحد عشر، فزادوا ولدًا اسمه: قُثَم، وقيل : كانوا ثلاثة عشر، فزادوا: عبد الكعبة وحَجْلاً، وقيل: إن عبد الكعبة هو المقوم، وحجلا هو الغيداق، ولم يكن من أولاده رجل اسمه قثم، وأما البنات فست وهن : أم الحكيم - وهي البيضاء - وبَرَّة، وعاتكة، وصفية، وأرْوَى، وأميمة.

٣ – عبد الله والد رسول الله ﷺ :

أمه فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يَقَظَة بن مرة، وكان عبد الله أحسن أولاد عبد المطلب وأعفهم وأحبهم إليه، وهو الذبيح؛ وذلك أن عبد المطلب لما تم أبناؤه عشرة، وعرف أنهم يمنعونه أخبرهم بنذره فأطاعوه، فقيل : إنه أقرع بينهم أيهم ينحر ؟ فطارت القرعة على عبد الله، وكان أحب الناس إليه. فقال: اللهم هو أو مائة من الإبل. ثم أقرع بينه وبين الإبل فطارت القرعة على المائة من الإبل، وقيل: إنه كتب أسماءهم في القداح، وأعطاها قيم هبل، فضرب القداح فخرج القدح على عبد الله، فأخذه عبد المطلب، وأخذ الشفرة، ثم أقبل به إلى الكعبة ليذبحه، فمنعته قريش، ولاسيما أخواله من بني مخزوم وأخوه أبو طالب. فقال عبد المطلب : فكيف أصنع بنذري؟ فأشاروا عليه أن يأتي عرافة فيستأمرها، فأتاها، فأمرت أن يضرب القداح على عبد الله وعلى عشر من الإبل، فإن خرجت على عبد الله يزيد عشرًا من الإبل حتى يرضى ربه، فإن خرجت على الإبل نحرها، فرجع وأقرع بين عبد الله وبين عشر من الإبل، فوقعت القرعة على عبد الله، فلم يزل يزيد من الإبل عشرًا عشرًا ولا تقع القرعة إلا عليه إلى أن بلغت الإبل مائة فوقعت القرعة عليها، فنحرت ثم تركت، لا يرد عنها إنسان ولا سبع، وكانت الدية في قريش وفي العرب عشرًا من الإبل، فجرت بعد هذه الوقعة مائة من الإبل، وأقرها الإسلام، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: **«أنا ابن الذبيحين»** يعنى إسماعيل، وأباه عبد الله.

واختار عبد المطلب لولده عبد الله آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وهي يومئذ تعد أفضل امرأة في قريش نسبًا وموضعًا، وأبوها سيد بني زهرة نسبًا وشرفًا، فزوجه بها، فبني بها عبد الله في مكة، وبعد قليل أرسله عبد المطلب إلى المدينة يمتار لهم تمرًا، فمات بها، وقيل : بل خرج تاجرًا إلى الشام، فأقبل في عير قريش، فنزل بالمدينة وهو مريض فتوفي بها، ودفن في دار النابغة الجعدى، وله إذ ذاك خمس وعشرون سنة، وكانت وفاته قبل أن يولد رسول الله ﷺ.

٣ – مولد النبي ﷺ :

لقد كان ميلاد النبى محمد ﷺ إيذاناً ببدء ثورة شاملة، حررت الإنسان والزمان والمكان، ورفعت عنها إصر عبوديات وأغلال كثيرة كانت تعيق انطلاقها جميعاً، فأخذ الإنسان حريته بيده، وصاغ هوية زمانه ومكانه صياغة جديدة، فجرت عناصر الخير في كل شيء، كان احتجاجاً قبلياً على كل عناصر الخير، فوقف الإنسان على ربوة

التاريخ يسدّد خطواته نحو الأشرف والأفضل، ووقف المكان ليُلهم ويحتضن وينبت الأروع والأنصع، ووقف الزمان ليفسح ويتيح للأكمل والأشمل!

ولـد الهـدى فالكائنـات ضـياء ::: وفـم الزمـان تبسّـم وثنـاء

ولد سيد المرسلين ﷺ بشعب بني هاشم بمكة في صبيحة يوم الاثنين التاسع من شهر ربيع الأول، لأول عام من حادثة الفيل، ولأربعين سنة خلت من ملك كسرى أنوشروان، ويوافق ذلك عشرين أو اثنين وعشرين من شهر أبريل سنة ٥٧١ م حسبما حققه العالم الكبير محمد سليمان - المنصورفوري - رحمه الله.

وروى ابن سعد أن أم رسول الله ﷺ قالت : لما ولدته خرج من فرجي نور أضاءت له قصور الشام. وروى أحمد والدارمي وغيرهما قريبًا من ذلك.

وقد روي أن إرهاصات بالبعثة وقعت عند الميلاد، فسقطت أربع عشرة شرفة من إيوان كسرى، وخمدت النار التي يعبدها المجوس، وانهدمت الكنائس حول بحيرة ساوة بعد أن غاضت، روى ذلك الطبري والبيهقي وغيرهما. وليس له إسناد ثابت، ولم يشهد له تاريخ تلك الأمم مع قوة دواعي التسجيل.

ولما ولدته أمه أرسلت إلى جده عبد المطلب تبشره بحفيده، فجاء مستبشرًا ودخل به الكعبة، ودعا الله وشكر له. واختار له اسم محمد - وهذا الاسم لم يكن معروفًا في العرب - وخَتَنَه يوم سابعه كما كان العرب يفعلون.

وأول من أرضعته من المراضع - وذلك بعد أمه ﷺ بأسبوع - ثُوَيْبَة مولاة أبي لهب بلبن ابن لها يقال له: مَسْرُوح، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب، وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي (١).

* * * * *

(١) الرحيق المختوم: صفي الرحمن المباركفوري /٤٠ بتصرف.

الباب الأول:

النبي ﷺ كأنك تراه!!!

الفصل الأول:
خصائص الرسول ﷺ وفضائله

ذكر الماوردي - رحمه الله - في ذكر خصائص الرسول ﷺ وفضائله وشرف أخلاقه وشمائله المؤيدة لنبوته والمبرهنة علي عموم رسالته: فالكمال المعتبر في البشر يكون من أربع أوجه: كمال الخلق وكمال الخلق وفضائل الأقوال وفضائل الأعمال.

المبحث الأول:
وصف النبي ﷺ وكمال خلقه

كمال الخلق:

كمال خلقه ﷺ بعد اعتدال صورته يكون بأربعة أوصاف:

١- السكينة الباعثة علي الهيبة والتعظيم الداعية إلى التقديم والتسليم:

وكان أعظم مهيب في النفوس حتى ارتاعت رسل كسرى من هيبته حين أتوه مع اعتيادهم لصولة الأكاسرة ومكاثرة الملوك الجبابرة فكان ﷺ في نفوسهم أهيب وفي أعينهم أعظم، وإن لم يتعاظم بأبهة ولم يتطاول بسطوة، بل كان بالتواضع موصوفاً وبالوطأة - أي السهولة - معروفاً.

٢- في الطلاقة الموجبة للإخلاص والمحبة الباعثة على المصافاة والمودة:

وقد كان صلوات الله عليه محبوباً استحكمت محبة طلاقته في النفوس حتى لم يقله - أي لم يبغضه أو يجافه - مصاحب ولم يتباعد منه مقارب وكان أحب إلى أصحابه من الآباء والأبناء وشرب الماء البارد على الظمأ.

٣- حسن القبول الجالب لممايلة القلوب حتى تسرع إلى طاعته وتذعن بموافقته:

وقد كان قبول منظره ﷺ مستولياً على القلوب ولذلك استحكمت مصاحبته في النفوس حتى لم ينفر منه معاند ولا استوحش منه مباعد، إلا من ساقه الحسد إلى شقوته وقاده الحرمان إلى مخالفته.

٤- ميل النفوس إلى متابعته وانقيادها لموافقته وثباته على شدائده ومصابرته:

فما شذ عنه معها من أخلص ولا ند عنها فيها إلا من حرم الخير كله.

وهذه الأربعة من دواعي السعادة وقوانين الرسالة قد تكاملت فيه فكمل لما يوازيها واستحق ما يقتضيها.

المطلب الأول:
صفات النبي ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ، وكان كأن الشمس تجري في جبهته وما رأيت أحدًا أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ كأنما الأرض تطوى لـه، إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث.

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ في ليلة أضحيان وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فلهو عندي أحسن من القمر.

وعن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر رضي الله عنهم قال: قلت للربيع بنت معوذ: صفي لي رسول الله ﷺ، قالت: يا بني لو رأيته رأيت الشمس طالعة.

* * * * *

المطلب الثاني:
وصف جامع للرسول ﷺ

وصف الرسول ﷺ لابن أبي هالة: عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: سألت خالي هند بن أبي هالة التميمي - وكان وصافًا - عن صفة رسول الله ﷺ، وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئًا أتعلق به، فقال: كان ﷺ فخمًا مفخمًا، يتلألأ وجهه كتلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رجل الشعر، إن انفرقت عقيصته فرق، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذ هو وفره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب، سوابغ من غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب، أقنى العرنين، لـه نور ويعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، أدعج سهل الخدين.

ضليع الفم أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة، كأن عنقه كجيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادن متماسك سواء، موصول البطن والصدر، عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، خمصان الإخمصين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء.

إذا زال زال تقلعًا، ويخطو تكفأ، ويمشي هونًا سريع المشية، إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت معًا، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره لملاحظة، يسوق أصحابه، ويبدأ من لقيه بالسلام.

قلت: صف لي منطقه:

قال: كان ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست لـه راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم، فضلاً لا فضول فيه ولا تقصير، دمثًا، ليس بالجافي ولا بالمهين، يعظم النعمة، وإن دقت لا يذم ذواقًا ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا، ولا ما كان لها، فإذا تعرض للحق لم يعرف أحدًا، ولم يقم لغضبه شيء، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كله، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها فضرب بباطن راحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب وأعرض أشاح، وإذا ضحك غض طرفه، جل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام

قال الحسن: فكتمتها الحسين زمانًا ثم حدثته، فوجدته قد سبقني إليه، فسأله عما سألته عنه، ووجدته قد سأل أباه عن مدخله ومجلسه ومخرجه وشكله، فلم يدع منه شيئًا.

قال الحسين: لقد سألت أبي عن دخول رسول الله ﷺ فقال: كان دخوله لنفسه مأذونًا لـه في ذلك، فكان إذا أوى إلى منزلـه جزأ نفسه ثلاثة أجزاء: جزء لله وجزء لأهله وجزء لنفسه، ثم جزأ نفسه بينه وبين الناس، فيرد ذلك العامة بالخاصة، فلا يدخر عنهم شيئًا، فكان من سيرته في جزء الأمة: إيثار أهل الفضل بأذنه، وقسمتهم على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم فيما يصلحهم ويلائمهم ويخبرهم بالذي ينبغي لهم ويقول: ليبلغ الشاهد الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغها إياي؛ فإنه من أبلغ سلطانًا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة، لا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحد غيره، يدخلون روادًا ولا يتفرقون إلا عن ذواق ويخرجون أدلة، يعني على الخير.

قال: فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟

فقال: كان ﷺ يخزن لسانه إلا ما يعنيه، ويؤلفهم ولا يفرقهم، أو قال: ولا ينفرهم، فيكرم كريم كل قوم، ويوليه عليهم، ويحذر الناس، ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره ولا خلقه، يتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويصوبه، ويقبح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر، غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا، لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة.

فسألته عن مجلسه فقال: كان ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحدًا أكرم عليه منه، من جالسه أو قاومه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبًا وصاروا عنده في الحق سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم، ولا تنثى فلتاته، متعادلين متواصين فيه بالتقوى، متواضعين، يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير، ويؤثرون ذوي الحاجة، ويحفظون الغريب.

قال: قلت: كيف كانت سيرته في جلسائه؟

قال: كان ﷺ دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب ولا فاحش، ولا عياب ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يوئس منه ولا يخيب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء (الجدال) والإكثار (أي الإكثار من الكلام أو المال) وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحدًا ولا يعيبه، ولا يطلب عورته (أي لا يكشف عورة أحد أو لا يظهر ما يريد الشخص ستره ويخفيه عن الناس) ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه.

إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم.

يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة (أي الجفاء والغلظة) في منطقه ومسألته، حتى إذا كان أصحابه ليستجلبونهم ويقول: إذا رأيتم طالب الحاجة فأرشدوه، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ (أي مقتصد في المدح غير متجاوز اللائق به)، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز (أي يجاوز الحق ويتعداه) فيقطعه بنهي أو قيام).

قال: قلت: كيف كان سكوته؟ قال: كان سكوته ﷺ على أربع: على الحلم والحذر والتقدير والتفكر. فأما تقديره: ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس، وأما تذكره أو قال تفكره: ففيما يبقى ويفنى.

وجمع له الحذر في أربع: أخذه بالحسن ليقتدى به، وتركه القبيح لينتهى عنه، واجتهاد الرأي فيما أصلح أمته، والقيام لهم بما جمع لهم في الدنيا والآخرة. رواه الترمذي في الشمائل، والطبراني في الكبير.

المطلب الثالث:
صفة لون رسول الله ﷺ

عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن: قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يصف النبي ﷺ قال: كان ربعة من القوم لا بالطويل ولا بالقصير، أزهر اللون، ليس بأبيض أمهق ولا آدم، ليس بجعد قط ولا سبط رَجِل.

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أبيض مشربًا بياضه بحمرة.

وقال ابن أبي خيثمة رحمه الله في صفته ﷺ : كان أزهر اللون، والأزهر الأبيض الناصع البياض الذي لا تشوبه حمرة ولا صفرة ولا شئ من الألوان.

وقد نعته بعض من نعته بأنه كان مشرب حمرة، وقد صدق من نعته بذلك ولكن إنما كان المشرب منه حمرة ما ضحا للشمس والرياح؛ فقد كان بياضه من ذلك قد أشرب حمرة، وما تحت الثياب فهو الأبيض الأزهر لا يشك فيه أحد ممن وصفه بأنه أبيض أزهر.

* * * * *

المطلب الرابع:
صفة وجه رسول الله ﷺ وأعضائه

كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا، فكان وجهه كالقمر والشمس مستديرًا وكان صلوات الله وسلامه عليه عظيم العينين أهدب الأشفار، مشرب العينين حمرة، أشكل أسود الحدقة، أدعج، أكحل العينين، دقيق الحاجبين، سابغهما، أزج، أقرن، أبلج واسع الجبين، أغر، أجلى كأنه يتلألأ، وكان العرق في وجهه كاللؤلؤ، وكان أسيل الخدين سهلهما، أقنى الأنف، ضليع الفم، حسن الثغر، براق الثنايا، إذا ضحك كاد يتلألأ.

وفيما يلي باقة عطرة من وصف الواصفين لرسول الهدى ﷺ ممن حضره وشاهده تدلل على ما ذكرناه:

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا وأحسنهم خلقًا ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير.

وعن أبي إسحاق قال: سئل البراء: أكان وجه النبي ﷺ مثل السيف؟ قال: لا، بل كان مثل الشمس والقمر وكان مستديرًا.

وعن على بن أبي طالب رضي الله عنه في نعت رسول الله ﷺ قال:... كان أسود الحدقة أهدب الأشفار.

وعن على بن أبي طالب رضي الله عنه في صفة رسول الله ﷺ : كان رسول الله ﷺ أبيض اللون مشرباً حمرة أدعج العين، سهل الخد.

وعن سماك بن حرب قال: سمعت جابر بن سمرة قال: كان رسول الله ﷺ : ضليع الفم أشكل العين منهوس العقبين.

قال: قلت لسماك: ما ضليع الفم؟

قال: عظيم الفم.

قال: قلت: ما أشكل العين؟

قال: طويل شق العين.

قال: قلت: ما منهوس العقب؟

قال: قليل لحم العقب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، في وصفه رسول الله ﷺ : كان رسول الله ﷺ حسن الثغر.

* * * * *

المطلب الخامس:
صفة رأس رسول الله ﷺ وصفة لحيته ﷺ

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في صفة رسول الله ﷺ قال: لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل ولا بالقصير، ضخم الرأس

وعنه رضي الله عنه في وصف رسول الله ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ عظيم اللحية.

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ كثير شعر اللحية.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه في وصف رسول الله ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ أسود اللحية.

* * * * *

المطلب السادس:
صفة شعر رأس رسول الله ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ شديد سواد الشعر.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان شعر رسول الله ﷺ إلى أنصاف أذنيه.

وعنه رضي الله عنه قال: كان شعر رسول الله ﷺ شعرًا رجلاً، ليس بالجعد ولا البسط، بين أذنيه وعاتقه.

عن ابن العباس رضي الله عنهما قال: كان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، وكان رسول الله ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر به، فسدل رسول الله ﷺ ناصيته ثم فرق بعد.

ذكر شيب النبي ﷺ وخضابه:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: توفي رسول الله ﷺ وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء، قال ربيعه: فرأيت شعرا من شعر رسول الله ﷺ فإذا هو أحمر فسألت فقيل: من الطيب.

وعن ثابت رضي الله عنه قال: سئل أنس بن مالك عن خضاب رسول الله ﷺ؟

فقال: لو شئت أن أعد شمطات كن في رأسه فعلت.

وقال: لم يختضب، وقد اختضب أبو بكر بالحناء والكتم، واختضب عمر بالحناء بحتا.

عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ قد شمط مقدم رأسه ولحيته، وكان إذا دهن ومشط لم يتبين وإذا شعث رأسه تبين.

عن إياد بن أبي رمثة رضي الله عنهما قال: انطلقت مع أبي نحو رسول الله ﷺ فلما رأيته قال لي: هل تدري من هذا؟

قلت: لا

قال: إن هذا رسول الله ﷺ، فاقشعررت حين قال ذلك، وكنت أظن رسول الله ﷺ شيئا لا يشبه الناس، فإذا هو بشر ذو وفرة بها ردع من حناء، وعليه بردان أخضران.

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كان يلبس النعال السبتية ويصفر لحيته بالورس والزعفران، وكان ابن عمر يفعل ذلك.

عن عبد الله بن عقيل قال: قدم أنس بن مالك المدينة وعمر بن عبد العزيز وال

عليها، فبعث إليه عمر.

وقال للرسول: سله هل خضب رسول الله ﷺ؛ فإني رأيت شعراً من شعره قد لون.

قال أنس: إن رسول الله ﷺ كان قد متع بالسواد، ولو عددت ما أقبل عليه من شيبة في رأسه ولحيته ما كنت أزيدهن على إحدى عشرة شيبة، وإنما هذا الذي لون من الطيب الذي كان يطيب به شعر رسول الله ﷺ، هو الذي غير لونه.

فائدة:

يلحظ مما تقدم من الأحاديث ما يدل على أن رسول الله ﷺ قد خضب، مثل حديث أبي رمثة وحديث ابن عمر رضي الله عنهم، ومنها ما ينفي ذلك مثل حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، ومن الأحاديث أيضا ما حدد عدد شيب رسول الله ﷺ مثل حديث أنس الآنف الذكر؛ فإنه حدد الشيب بإحدى عشرة شيبة، بينما وردت أحاديث أخر دلت على أن الشيب أزيد من هذا العدد، مثل حديث ابن عمر.

وقد جمع العلماء رحمهم الله بين هذه الأحاديث ورجحوا ما يأتي:

أولاً: أن رسول الله ﷺ قد خضب.

قال ابن كثير، رحمه الله: ونفي أنس للخضاب معارض بما تقدم عن غيره من إثباته، والقاعدة المقررة أن الإثبات مقدم على النفي، لأن المثبت معه زيادة علم ليست مع النافي.

ثانياً: أن إثبات غير أنس من الصحابة لأزيد مما ذكر من الشيب مقدم لا سيما ما جاء عن ابن عمر الذي يظن أنه تلقى ذلك عن أخته أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها.

* * * * *

المبحـــث الثانـــي:
المطلب الأول:
صفات أخرى لرسول الله ﷺ

١- المنكبان:

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ بعيد ما بين المنكبين.

٢- الذراعان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه في نعت النبي ﷺ قال: كان شبح الذراعين.

٣- الكفان:

عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ ضخم اليدين، حسن الوجه، لم أر بعده ولا قبله مثله وكان بسط الكفين

عن على بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ شثن الكفين والكراديس، طويل المسربة.

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أزهر اللون كان عرقه اللؤلؤ، إذا مشى تكفأ ولا مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله ﷺ.

٤- الساقان:

عن سراقة بن مالك رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ فلما دنوت منه وهو على ناقته جعلت أنظر إلي ساقه كأنها جمارة.

عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: دفعت إلي النبي ﷺ وهو بالأبطح في قبة كان بالهاجرة، فخرج بلال فنادى بالصلاة، ثم دخل فأخرج فضل وضوء رسول الله ﷺ فوقع الناس عليه يأخذون منه، ثم دخل فأخرج العنزة، وخرج رسول الله ﷺ، كأني أنظر إلي وبيص ساقيه، فركز العنزة ثم صلى الظهر ركعتين، والعصر ركعتين، يمر بين يديه الحمار والمرأة.

عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ لا يضحك إلا تبسما وكان في ساقيه حموشة.

٥- القدمان:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ ضخم القدمين.

وعنه رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ شثن القدمين

عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ منهوس العقبين.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، في صفة رسول الله ﷺ قال: كان يطأ بقدميه جميعاً ليس له أخمص.

٦- ريقه الشريف ﷺ:

عن سهل بن سعد: أن علي بن أبي طالب اشتكى عينيه يوم خيبر، فبصق فيها رسول الله ﷺ فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع

ومج رسول الله ﷺ في بئر ففاح منها رائحة المسك، وبزق في بئر في دار أنس فلم يكن بالمدينة بئر أعذب منها

ومسح بيديه الشريفة ﷺ، بعد أن نفث فيها من ريقه على ظهر عينيه وبطنه وكان به شري، فما كان يشم أطيب منه رائحة.

٧- فصاحة لسانه ﷺ:

كان ﷺ يقول: أنا أفصح العرب، وإن أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد ﷺ

وقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله لقد طفت في العرب، وسمعت فصحاءهم، فما سمعت أفصح منك قال: أدبني ربي، ونشأت في بني سعد بن بكر.

٨- صفة صوته الشريف ﷺ:

كان صوته ﷺ يبلغ حيث لا يبلغه صوت غيره

فعن البراء قال: خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العوائق في خدورهن

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة على المنبر فقال للناس اجلسوا، فسمعه عبد الله بن رواحه وهو في بني غم فجلس مكانه.

٩- صفة يده الشريفة ﷺ:

قال يزيد بن الأسود: ناولني رسول الله ﷺ يده، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب ريحاً من المسك.

وعن أنس رضي الله عنه: مامسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله ﷺ.

قال ابن بطال: كانت كفه ﷺ ممتلئة لحماً، غير أنها مع ضخامتها كانت لينة.

وعن أبي زيد الأنصاري قال: مسح رسول الله ﷺ بيده على رأسي ولحيتي ثم قال: اللهم جمله

قال الراوي عنه: فبلغ بضعاً ومائة سنة وما في لحيته بياض، ولقد كان منبسط الوجه ولم ينقبض وجهه حتى مات [١].

١٠- بياض إبطيه ﷺ:

عن أنس رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يرفع يديه في الدعاء حتى رأيت بياض إبطيه.

١١- صفة صدره وبطنه وظهره ﷺ:

وصفه علي رضي الله عنه فقال: ذو مسربة وفسر بخيط الشعر بين الصدر والسرة.

وصفت بطنه أم هانئ فقالت: ما رأيت بطن رسول الله ﷺ إلا ذكرت القراطيس المثني بعضها على بعض.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: كان ﷺ أبيض كأنما صبغ من فضة، رجل الشعر، فضاض البطن، عظيم مشاش المنكبين مفاض البطن واسعه.

المشاش: رؤوس العظام.

وعن محرش الكعبي قال: اعتمر النبي ﷺ من الجعرانة ليلاً، فنظرت إلي ظهره كأنه سبيكة فضة.

وروى البخاري: كان ﷺ بعيد ما بين المنكبين.

وعن أبي هريرة: رحب الصدر.

١٢- صفة قلبه الشريف ﷺ:

قد صح أن جبريل عليه السلام شقه، واستخرج منه علقة، فقال له هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه فأعاده في مكانه قال أنس: فلقد كنت أرى أثر المخيط في صدره[٢].

---

(١) رواه البيهقي وغيره.

(٢) رواه مسلم.

١٣- صفة قدمه الشريف ﷺ:

وعن ميمونة بنت كردم قالت: رأيت رسول الله ﷺ فما نسيت طول إصبع قدمه السبابة على سائر أصابعه [١].

وقال أبن أبي هالة: خمصان الأخمصين مسيح القدمين.

والأخمص من القدم: الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء.

والخمصان: البالغ منه.

ومسيح القدمين: أي ملساوتان لينتان ليس فيهما تكسر ولا شقاق.

وعن عبد الله بن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس قدماً.

١٤- صفة طوله ﷺ:

قال علي رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ لا قصير ولا طويل وهو على الطول أقرب[٢].

وقال أبن أبي هالة: أطول من المربوع وأقصر من المشذب.

والمشذب: البائن الطول في نحافة، وهو مثل قوله في الحديث الآخر: لم يكن بالطول المغط، أي المتناهي في الطول.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد، وكان ينسب إلي الربعة إذا مشي وحده، ولم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله ﷺ، ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما رسول الله ﷺ، فإذا فارقاه نسب رسول الله ﷺ إلى الربعة - رواه البيهقي وعلي وزاد ابن سبع في (الخصائص): أنه كان إذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين ﷺ، ووصفه ابن أبي هالة: بأنه معتدل الخلق بادن متماسك.

١٥- صفه شعره الشريف ﷺ:

عن قتادة رضي الله عنه قال: سألت أنس عن شعر رسول الله ﷺ، فقال: كان شعر رسول الله ﷺ شعراً بين شعرين، لا رجل سبط ولا جعد قطط، وكان بين أذنيه وعاتقه.

وفي رواية: كان رَجِلاً ليس بالسبط ولا الجعد بين أذنيه وعاتقه.

---

(١) رواه الإمام أحمد.

(٢) رواه البيهقي.

وفي أخرى: كان شعر رسول الله ﷺ إلى أنصاف أذنيه.

وفي حديث البراء: يضرب إلى منكبيه، وفي حديث أنس: كان إلى أذنيه.

وعن عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ فوق الوفرة ودن الجمة.

والجمة: (هي مجتمع الشعر الذي نزل إلى المنكبين).

والوفرة: ما نزل إلى شحمة الأذن.

واللمة: التي ألمت بالمنكبين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كان يسدل شعره وكان المشركون يفرقون رءوسهم وكان أهل الكتاب يسدلون شعورهم وكان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء ثم فرق ﷺ رأسه [١].

وسدل الشعر: إرساله، والمراد هنا إرساله على الجبين، واتخاذه كالقصة، وأما الفرق: فهو فرق الشعر بعضه عن بعض.

قال العلماء: والفرق سنة لأنه هو الذي رجع إليه ﷺ.

والصحيح جواز الفرق والسدل، يكون الفرق أفضل - والقصة: شعر الناصية يقص حول الجبهة.

وعن أم هانئ رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله ﷺ مكة وله أربع غدائر[٢].

الغدائر: هي الذوائد، والمفرد: غديرة.

وعن أنس رضي الله عنه: كان في لحيته ﷺ شعرات بيض[٣]، وعنه رضي الله عنه: ما كان في رأسه ﷺ ولا لحيته إلا سبع عشرة أو ثماني عشرة شعرة بيضاء وعن ابن عمر: نحو عشرين.

وفي الصحيحين: أن ابن عمر رأى النبي ﷺ يصبغ بالصفرة.

قال الثوري: المختار أنه صبغ في وقت وتركه في أوقات كثيرة، فأخبر كل بما رأى، وهو صادق.

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه سلم.

وعن أنس رضي الله عنه: كان ﷺ يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته، ولم يرو أنه ﷺ حلق شعره الشريف في غير نسك حج أو عمرة فتكون تبقية الشعر في الرأس سنة، ومن لم يستطع التبقية يباح له إزالته.

وأما العانة: ففي حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان لا يتنور، وكان إذا كثر شعره حلقه.

١٦ - طيب ريحه وعرقه وفضلاته ﷺ:

قال أنس رضي الله عنه: ما شممت ريحاً قط ولا مسكاً ولا عنبر أطيب من ريح رسول الله ﷺ [١].

وعنه رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا مر في طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطيب، وقالوا: مر رسول الله ﷺ من هذا الطريق[٢].

١٧ - كلمات في وصفه ﷺ:

قال عمر رضي الله عنه: بأبي وأمي لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ.

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وأجمل منك لم تر قط عيني ::: وأكمل منك لم تلد النساء

خلقت مبرءاً من كل عيب ::: كأنك قد خلقت كما تشاء

وقال حسان أيضا:

فما ولدت حواء من صلب آدم ::: ولا في جنان الخلد مثلك أخر

وقال آخر

أن جاء الحسن كي يقاس به ::: ينكس الحسن رأسه خجلا

وقال القرطبي: لم يظهر لنا تمام حسنه ﷺ لأنه لو ظهر لنا تمام حسنه لما أطاقت أعيننا رؤيته ﷺ.

* * * * *

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه أبو ليلى وغيره.

المطلب الثاني:
الكلام على صفة خاتم النبوة

عن عاصم عن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ وأكلت معه خبزاً ولحماً، أو قال ثريداً قال: فقلت استغفر لك النبي ﷺ ؟ قال: نعم ولك ثم تلا هذه الآية:{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}(١).

قال: ثم درت خلفه فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه، عند ناغض كتفيه اليسرى جمعا عليه خيلان كأمثال الثاليل.

عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال:.. كان وجه رسول الله ﷺ مثل الشمس والقمر مستديراً، ورأيت الخاتم عند كتفيه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده.

عن السائب بن يزيد قال: ذهبت بي خالتي إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله إن ابن أخي وقع، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة، وتوضأ فشربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه، مثل زر الحجلة(٢)، ووقع في رواية ابن حبان من طريق سماك بن حرب: كبيضة النعامة. ونبه على أنها غلط.

وعند ابن حبان من حديث ابن عمر: مثل الناتئة من اللحم.

وعند الترمذي: كبضعة ناشزة من اللحم.

وأما ورد من أنها كانت كأثر المحجم، أو كالشامة السوداء أو الخضراء، أو مكتوب عليها: محمد رسول الله، أو سر فإنك المنصور، أو نحو ذلك فلم يثبت منها شئ. وقال القرطبي: اتفقت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئاً بارزا أحمر عند كتفه ﷺ الأيسر، إذا قلل قدر بيضة الحمامة، وإذا كبر قدر جمع اليد، والله أعلم.

السر في خاتم النبوة كان عند كتفه الأيسر:

وقال: وقع في حديث عبد الله بن سرجس عند مسل أن خاتم النبوة كان بين كتفيه عن نغض كتفه اليسرى.

ثم قال العلماء: السر في ذلك أن القلب في تلك الجهة، وقد ورد في خبر مقطوع أن رجلاً سأل ربه أنه يريه موضع الشيطان، فرأى الشيطان في صورة ضفدع عند نغض

---

(١) سورة محمد: ١٩.

(٢) رواه البخاري.

كتفه الأيسر حذاء قلبه، لــه خرطوم كالبعوضة [١] - وأورد ابن أبي دواد في كتاب (الشريعة) من طريق عروة بن رويم أن عيسى عليه السلام سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من ابن آدم، وقال فإذا برأسه مثل الحية، وأضع رأسه على تمرة القلب، فإذا ذكر العبد ربه خنس، وإذا غفل وسوس.

وقال السهيلي: موضع خاتم النبوة عند نغض كتفه ﷺ الأيسر لأنه معصوم من وسوسة الشيطان، وذلك الموضع يدخل منه الشيطان ليوسوس لابن آدم.

* * * * *

المطلب الثالث:
خاتم النبوة ليس أثراً لشق الصدر

قال الحافظ في (الفتح): وداعي عياض هنا أن الخاتم هو أثر شق الملكين لما بين كتفيه وتعقبه النووي قال: هذا باطل لأن الشق إنما كان في صدره وبطنه، وقال القرطبي: أثره إنما كان خطاً واضحاً من صدره إلى مراق بطنه كما في الصحيح، ولم يثبت قط أنه بلغ الشق حتى نفذ من وراء ظهره ولو ثبت مسربته إلى مراق بطنه قال: بهذه غفلة من هذا الإمام، ولعله ذلك وقع من بعض نساخ كتابه، فإنه لم يسمع عليه فيما علمت، كذا قال.

وقد وقفت على مستند القاضي وهو حديث عتبة بن عبد السلمي الذي أخرجه أحمد والطبراني وغيرهما عنه أنه سأل رسول الله ﷺ : كيف كان بدأ أمرك؟ فذكر القصة في ارتضاعه في بني سعد، وفيه أن الملكين لما شقا صدره ﷺ قال أحدهما للآخر: "خطه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة" انتهى.

فلما ثبت أن خاتم النبوة كان بين كتفيه حمل ذلك عياض على أن الشق لما وقع في صدره ثم خيط حتى التأم كما كان وقع الختم بين كتفيه كان ذلك أثر الشق

وفهم النووي وغيره أن قوله: (بين كتفيه) متعلق بالشق وليس كذلك بل هو متعلق بأثر الختم، ويؤيده ما في حديث شداد بن أوس عند أبي يعلى في (الدلائل) لأبي نعيم أن

---

(١) أخرجه ابن عبد البر بسند قوي إلى ميمون بن مهران عن عمر بن عبد العزيز فذكره، وذكره أيضاً صاحب (الفائق) في مصنفه.
وله شاهد مرفوع عن أنس عند أبي يعلى وابن عدي ولفظه: أن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم: الحديث.

الملك لما أخرج قلبه وغسله ثم أعاده ختم عليه بخاتم في يده من نور فامتلأ نوراً وذلك نور النبوة، فيحتمل أن يكون ظهر من وراء ظهره عند كتفه الأيسر لأن القلب في تلك الجهة.

وفي حديث عائشة عند أبي دواد الطيالسي وأبن أبي أسامة في (الدلائل) لأبي نعيم أيضاً: أن جبريل وميكائيل لما تراءيا لـه عند المبعث (هبط جبريل فسلق لحلاوة القفا ثم شق عن قلبي فاستخرجه ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم أعاده مكانه ثم لأمه ثم ألقاني، وخيم في ظهري حتى وجدت برد الخاتم في قلبي، وقال: أقرا) الحديث هذا من مستند القاضي فيما ذكره وليس بباطل.

الخاتم لم يكن موجوداً حين ولد ﷺ:

ثم قال الحافظ: ومقتضي هذه الأحاديث أن الخاتم لم يكن موجودا حين ولادته ﷺ، ففيه تعقيب على من ذهب وزعم أنه ولد به، وهو قول نقله أبو الفتح اليعمري بلفظ: قيل ولد به وقيل حين وضع، والذي تقدم أثبت.

احتمال أن الخاتم وقع في موضعين من جسده:

ثم قال: ووقع مثله في حديث أبي ذر عند أحمد والبيهقي في (الدلائل) وفيه: وجعل خاتم النبوة بين كتفيه كما هو الآن.

وفي حديث شداد بن أوس في المغازي لابن عائذ في قصة شق صدره وهو في بلاد بني سعد بن بكر: وأقبل وفي يده الخاتم لـه شعاع فوضعه بين كتفيه وثدييه" الحديث. وهذا قد يؤخذ منه أن الخاتم وقع في موضعين من جسده، والله أعلم.

هل كان للنبي ﷺ ظل؟:

قال ابن سبع: كان من خصائص النبي ﷺ أنه كان نوراً، وكان إذا مشى في الشمس أو القمر لا يظهر لـه ظل والله أعلم بالحقيقة

قال القاري: وسمى الله النبي ﷺ نورا فقال:**{قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ}** قيل المراد بالنور محمد ﷺ، وقال فيه:**{وَسِرَاجاً مُّنِيراً}** أي شمساً مضيئا، سمي بذلك لوضوح أمره، وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به، وما ظهر من الأنوار والأسرار بسببه.

قال الحلبي: ولعل ابن سبع استنبط من هذا ومن الحديث الذي سأل فيه النبي ﷺ ربه أنه يجعل في جميع أعضائه وجهاته نوراً، وقولـه: واجعلني نوراً، ما قاله من أنه ﷺ كان من خصائصه أنه كان نوراً.

وقال العلامة علي بن محمد القاري: وفي حديث ابن عباس: لم يكن لرسول الله ﷺ ظل، ولم يقم مع الشمس قط إلا غلب ضوؤه ضوء الشمس، ولم يقم مع سراج قط إلا غلب ضوؤه ضوء السراج ذكره ابن الجوزي وذكره المناوي في (شرح الشمائل) وقال: ذكره في الوفاء بأسانيده.

* * * * *

المطلب الرابع:
أقوال بعض الصحابة عن جمال خَلْق رسول الله ﷺ

قالت أم مَعْبَدٍ الخزاعية:

عن رسول الله ﷺ وهي تصفه لزوجها، حين مر بخيمتها مهاجراً: ظاهر الوَضَاءة، أبْلَجُ الوجه، حسن الخُلُق، لم تعبه ثُجْلَة، ولم تُزْرِ به صَعْلَة، وسِيم قَسِيم، في عينيه دَعَج، وفي أشفاره وَطَف، وفي صوته صَهَل، وفي عنقه سَطَع، أحْوَر، أكْحَل، أزَجّ، أقْرَن، شديد سواد الشعر، إذا صمت علاه الوقار، وإن تكلم علاه البَهَاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنه وأحلاه من قريب، حلو المنطق، فَضْل، لا نَزْر ولا هَذَر، كأن منطقه خَرَزَات نظمن يَتَحدَّرن، رَبْعَة، لا تقحمه عين من قِصَر، ولا تشنؤه من طول، غُصْن بين غُصْنَيْن، فهو أنْظَر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قدْرًا، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر تبادروا إلى أمره، مَحْفُود، مَحْشُود، لا عَابِس ولا مُفَنَّد.

وقال علي بن أبي طالب: وهو ينعت رسول الله ﷺ : لم يكن بالطويل المُمَغَّطِ، ولا القصير المتردد، وكان رَبْعَة من القوم، ولم يكن بالجَعْد القَطِطِ، ولا بالسَّبْط، رَجِلاً، ولم يكن بالمُطَهَّم، ولا بالمُكَلْثَم، وكان في الوجه تدوير، وكان أبيض مُشْرَبًا، أدْعَج العينين، أهْدَب الأشْفَار، جَلِيل المُشَاش والكَتَدِ، دقيق المسْرُبَة، أجْرَد، شَثْنُ الكفين والقدمين، إذا مشي تَقَلّع كأنما يمشي في صَبَب، وإذا التفت التفت معاً، بين كتفيه خاتم النبوة، وهو خاتم النبيين، أجود الناس كفاً، وأجرأ الناس صدراً، وأصدق الناس لَهْجَة، وأوفي الناس ذمة، وألينهم عَريكَة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله، ﷺ.

وفي رواية عنه: أنه كان ضَخْم الرأس، ضخم الكَرَادِيس، طويل المَسْرُبَة، إذا مشى تَكَفَّأ تَكَفُّيًا كأنما يَنْحَطُّ من صَبَب.

وقال جابر بن سَمُرة: كان ضَلِيع الفم، أشْكَل العينين، مَنْهُوس العقبين.

وقال أبو الطفيل: كان أبيض، مَلِيح الوجه، مُقَصَّدًا.

وقال أنس بن مالك: كان بِسْطَ الكفين. وقال: كان أزْهَر اللون، ليس بأبيض أمْهَقَ، ولا آدَم، قُبض وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء.

وقال: إنما كان شيء - أي من الشيب - في صُدْغَيْه، وفي رواية: وفي الرأس نَبْذٌ.

وقال أبو جُحَيْفة: رأيت بياضاً تحت شفته السفلى، العَنْفَقَة.

وقال عبد الله بن بُسْر: كان في عنفقته شعرات بيض.

وقال البراء: كان مَرْبُوعًا، بَعِيدَ ما بين المَنْكِبَيْن، لـه شَعْر يبلـغ شَحْمَة أذنيـه، رأيتـه في حُلَّة حمراء، لم أر شيئاً قط أحسن منه.

وكان يُسْدِل شعره أولاً لحبه موافقة أهل الكتاب، ثم فَرَق رأسه بعد.

قال البراء: كان أحسن الناس وجهًا، وأحسنهم خُلُقًا.

وسئل: أكان وجه النبي ﷺ مثل السيف؟ قال: لا بل مثل القمر. وفي رواية: كان وجهه مستديراً.

وقالت الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ: لو رأيته رأيت الشمس طالعة.

وقال جابر بن سَمُرَة: رأيته في ليلة إضْحِيَانٍ، فجعلت أنظر إلى رسول الله ﷺ وإلى القمر - وعليه حلة حمراء - فإذا هو أحسن عندي من القمر.

وقال أبو هريرة: ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ، كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله ﷺ، كأنما الأرض تُطْوَى له، وإنا لنجهد أنفسنا، وإنه لغير مكترث.

وقال كعب بن مالك: كان إذا سُرَّ استنار وجهه، حتى كأنه قطعة قمر.

وعرق مرة وهو عند عائشة رضي الله عنها يَخْصِفُ نعلاً، وهي تغزل غزلاً، فجعلت تبرق أسارير وجهه، فلما رأته بُهِتَتْ وقالت: والله لو رآك أبو كَبِير الهُذَلي لعلم أنك أحق بشعره من غيرك:

وإذا نظـرت إلـى أسـرة وجهـه ::: برقـت كبـرق العـارض المتهلـل

وكان أبو بكر إذا رآه يقول:

أمـين مصـطفى بـالخير يـدعو ::: كضـوء البـدر زايلـه الظـلام

وكان عمر ينشد قول زهير في هَرِم بن سِنَان:

لـو كنـت مـن شـيء سـوى البشـر ::: كنـت المضـيء لليلـة البـدر

ثم يقول: كذلك كان رسول الله ﷺ.

وكان إذا غضب احمر وجهه، حتى كأنما فقئ في وجنتيه حَبُّ الرمان.

وقال جابر بن سَمُرَة: كان في ساقيه حُمُوشة، وكان لا يضحك إلا تَبَسُّماً. وكنت إذا نظرت إليه قلت: أَكْحَل العينين، وليس بأكحل.

وقال عمر بن الخطاب: وكان من أحسن الناس ثَغْراً.

قال ابن عباس: كان أَفْلَجَ الثنيتين، إذا تكلم رؤي كالنور يخرج من بين ثناياه.

وأما عُنُقه فكأنه جِيدُ دُمْيَةٍ في صفاء الفضة، وكان في أَشْفَاره عَطَف، وفي لحيته كثافة، وكان واسع الجبين، أزَجّ الحواجب في غير قرن بينهما، أقْنَى العِرْنِين، سَهْل الخَدَّيْن، من لُبَّتِه إلى سُرَّتِه شعر يجري كالقضيب، ليس في بطنه ولا صدره شعر غيره، أشْعَر الذراعين والمنكبين، سَوَاءُ البطن والصدر، مَسِيح الصدر عريضه، طويل الزَّنْد، رَحْب الراحة، سَبْط القَصَب، خُمْصَان الأخْمَصَيْن، سَائِل الأطراف، إذا زَالَ زَالَ قَلْعاً، يخطو تَكَفِّياً ويمشي هَوْناً.

وقال أنس: ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف النبي ﷺ، ولا شممت ريحاً قط أو عَرْفاً قط، وفي رواية: ما شممت عنبراً قط ولا مِسْكاً ولا شيئاً أطيب من ريح أو عرف رسول الله ﷺ.

وقال أبو جُحَيْفة: أخذت بيده، فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب رائحة من المسك.

وقال جابر بن سمرة: وكان صبيا: مسح خَدِّي فوجدت ليده برداً أو ريحاً كأنما أخرجها من جُونَةِ عَطَّار.

وقال أنس: كأن عرقه اللؤلؤ. وقالت أم سليم: هو من أطيب الطيب.

وقال جابر: لم يسلك طريقاً فيتبعه أحد إلا عرف أنه قد سلكه من طيب عَرْفِه. أو قال: من ريح عرقه.

وكان بين كتفيه خاتم النبوة مثل بيضة الحمامة، يشبه جسده.

* * * * *

تذكر!!! هذا هو حبيبي رسول الله ﷺ:

- كان أبغض الخُلق إليه الكذب.
- كان أبيض، كأنما صيغ من فضة، رجِل الشعر، مشرباً بحمرة، ضخم الهامة، وكان أسود الحدقة، أهدب الأشفار.
- كان أحب الألوان إليه الخضرة، كان أحب الثياب إليه الحبرة، كان أحب الثياب إليه القميص.
- كان أحب الدين ما داوم عليه صاحبه، كان أحب الشراب إليه الحلو البارد، كان أحب الشهور إليه إن يصومه شعبان [ثم يصله برمضان]، كان أحب العرق إليه ذراع الشاه.
- كان أحب العمل إليه ما دووم عليه وإن قل، كان أحسن الناس خلقاً، وكان أحسن الناس ربعة، إلى الطول ما هو، بعيد ما بين المنكبين، أسيل الخدين، شديد سواد الشعر، أكحل العينين، أهدب الأشفار، إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها، ليس له أخمص، إذا وضع رداءه عن منكبيه فكأنه سبيكة فضة.
- كان أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، كان أحسن الناس وجها، وأحسنهم خلقاً، ليس بالطول البائن، ولا بالقصير.
- كان أخف الناس صلاة على الناس، وأطول الناس صلاة لنفسه، كان أخف الناس صلاة في تمام.
- كان إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، ويقول: **«السلام عليكم ، السلام عليكم»**.
- كان إذا أتى مريضاً، أو أتي به قال: **«أذهب البأس رب الناس ، اشف وأنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما»**.
- كان إذا أتاه الأمر يسره قال: **«الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات»**، وإذا أتاه الأمر يكرهه قال: **«الحمد لله على كل حال»**.
- كان إذا أتاه الرجل وله اسم لا يحبه حوله، كان إذا أتاه الفيء قسمه في يومه، فأعطى الأهل حظين، وأعطى العرب حظاً.
- كان إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: **«اللهم صل على آل فلان»**، كان إذا أتى بباكورة الثمرة وضعها على عينيه ثم على شفتيه، ثم يعطيه من يكون عنده من

الصبيان.

- كان إذا أُتي بطعام سأل عنه أهديه: أم صدقه؟ فإن قيل: صدقه، قال لأصحابه: كلوا ولم يأكل وإن قيل: هدية، ضرب بيده فأكل معهم.
- كان إذا أخذ أهله الوعك أمر بالحساء فصنع، ثم أمرهم فحسوا، وكان يقول: انه ليرتو فؤاد الحزين، ويسرو عن فؤاد السقيم، كما تسرو إحداكن الوسخ بالماء عن وجهها.
- كان إذا أخذ مضجعه جعل يده اليمنى تحت خده الأيمن، كان إذا أخذ مضجعه قرا**{قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ}** حتى يختمها.
- كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال: «**بسم الله وضعت جنبي ، اللهم اغفر لي ذنبي واخسأ شيطاني ، وفك رهاني ، وثقل ميزاني ، واجعلني في الندى الأعلى**».
- كان إذا أخذ مضجعه من الليل، وضع يده تحت خده ثم يقول: «**باسمك اللهم أحيا ، وباسمك أموت**» وإذا استيقظ قال (الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور كان إذا أراد أن يحرم تطيب بأطيب ما يجد).
- كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع، كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول: «**اللهم قني عذابك ، يوم تبعث عبادك**» (ثلاث مرات) كان إذا أراد إن يستودع الجيش قال: «**أستودع الله دينكم ، وأمانتكم ، وخواتيم أعمالكم**».
- كان إذا أراد أن يعتكف صلى الفجر ثم دخل معتكفه، كان إذا أراد أن ينام وهو جنب توضأ وضوءه للصلاة، وإذا أراد أن يأكل أويشرب وهو جنب غسل يديه، ثم يأكل ويشرب.
- كان إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، كان إذا أراد غزوة ورّى بغيرها.
- كان إذا استجد ثوباً سماه باسمه قميصاً أو عمامة أو رداء ثم يقول: «**اللهم لك الحمد ، وأنت كسوتنيه ، أسألك من خيره ، وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره ، وشر ما صنع له**».
- كان إذا استراث الخبر تمثل ببيت طرفة: ويأتيك بالأخبار من لم تزود، كان إذا استسقى قال: «**اللهم اسق عبادك وبهائمك ، وانشر رحمتك ، وأحيي بلدك**

الميت».

- كان إذا استفتح الصلاة قال: **«سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك»**، كان إذا استن أعطى السواك الأكبر، وإذا شرب أعطى الذي عن يمينه.
- كان إذا اشتد البرد بكر بالصلاة، وإذا اشتد الحر أبرد بالصلاة، كان إذا اشتدت الريح قال: اللهم لقحاً لا عقيماً.
- كان إذا اشتكى أحد رأسه قال: اذهب فاحتجم، وإذا اشتكى رجله قال: اذهب فاخضبها بالحناء.
- كان إذا اشتكى رقاه جبريل قال: **«بسم الله يبريك ، من داء يشفيك ، ومن شر حاسد إذا حسد ، ومن شر كل ذي عين»**.
- كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده.
- كان إذا اصبح وإذا أمسى قال: **«أصبحنا على فطرة الإسلام ، وكلمة الإخلاص ، ودين نبينا محمد ، وملة أبينا إبراهيم ، حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين»**.
- كان إذا اطلع على أحد من أهل بيته كذب كذبه، لم يزل معرضاً عنه حتى يحدث توبة، كان إذا اعتم سدل عمامته بين كفتيه.
- كان إذا أفطر عند قوم قال: **«أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وتنزلت عليكم الملائكة»**، كان إذا أفطر قال: **«ذهب الظمأ ، وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله»**.
- كان إذا أفطر عند قوم، قال: **«أفطر عندكم الصائمون ، وصلت عليكم الملائكة»**، كان إذا اكتحل اكتحل وتراً، وإذا استجمر استجمر وتراً.
- كان إذا أكل أو شرب قال: **«الحمد لله الذى أطعم وسقى ، وسوغه وجعل له مخرجاً»**، كان إذا أكل طعاماً لعق أصابعه الثلاث، كان إذا أكل لم تعد أصابعه بين يديه.
- كان إذا أنزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد وجهه، كان إذا أنزل عليه الوحي نكس رأسه ونكس أصحابه رؤوسهم، فإذا اقلع عنه رفع رأسه.
- كان إذا انصرف انحرف، كان إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً، ثم قال: **«اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام»**.

- كان إذا أوى إلى فراشه قال: «**الحمد لله الذى أطعمنا ، وسقانا ، وكفانا ، وآوانا فكم ممن لا كافي له ، ولا مؤوي له**»، كان إذا بايعه الناس يلقنهم: فيما استطعت.
- كان إذا بعث أحدا من أصحابه في بعض أمره قال: «**بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا**».
- كان إذا بلغه عن الرجل شيء لم يقل: ما بال فلان يقول؟ ولكن يقول: «**ما بال أقوام يقولون كذا وكذا**».
- كان إذا تضور من الليل قال: «**لا إله إلا الله الواحد القهار ، رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار**».
- كان إذا تكلم بكلمه أعادها ثلاثاً، حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم، سلم عليهم ثلاثاً، كان إذا تهجد يسلم بين كل ركعتين.
- كان ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم.
- كان ﷺ دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب ولا فاحش، ولا عياب ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يوئس منه ولا يخيب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء (الجدال) والإكثار (أي الإكثار من الكلام أو المال) وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحدًا ولا يعيبه، ولا يطلب عورته (أي لا يكشف عورة أحد أو لا يظهر ما يريد الشخص ستره ويخفيه عن الناس) ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه.
- كان ربعة من القوم لا بالطويل ولا بالقصير، أزهر اللون، ليس بأبيض أمهق ولا آدم، ليس بجعد قط ولا سبط رجل.
- لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد، وكان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده، ولم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله ﷺ، ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما رسول الله ﷺ، فإذا فارقاه نسب رسول الله ﷺ إلي الربعة - رواه البيهقي وعلي وزاد ابن سبع في (الخصائص): أنه كان إذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين ﷺ.
- كان وجه رسول الله ﷺ مثل الشمس والقمر مستديراً، والخاتم عند كتفيه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده.

الفصل الثاني:
كمـــال أخلاقـــه ﷺ

المبحث الأول:
الكمالات والخصائص التي انفرد بها رسول الله

المطلب الأول: كمـــال الخلـــق

أما كمال أخلاقه ﷺ فيكون بست خصال:

الخصلة الأولى:

رجاحة عقله وصدق فراسته، وقد دل على وفور ذلك فيه صحة رأيه وصواب تدبيره وحسن تألفه على الناس وأنه ما استغفل في مكيدة ولا استعجز في شديدة بل كان يلحظ الإعجاز في المبادئ فيكشف عيوبها ويحل خطوبها وهذا لا ينتظم إلا بأصدق حدس وأوضح رؤية.

الخصلة الثانية:

ثباته في الشدائد وهو مطلوب، وصبره علي البأساء والضراء، وهو مكروب ومحروب (المحروب من فقد ماله) ونفسه في اختلاف الأحوال ساكنة لا يخور في شديدة ولا يستكين لعظيمة وقد لقي بمكة من قريش ما يشيب النواصي ويهد الصياصي وهو مع الضعف يصابر صبر المستعلي ويثبت ثبات المستولي أي الممسك بمقاليد الأمور المسيطر عليها.

الخصلة الثالثة:

زهده في الدنيا وإعراضه عنها وقناعته منها فلم يمل إلى غضارتها ولم يله لحلاوتها وقد ملك من أقصى الحجاز إلى عذار العراق ومن أقصى اليمن إلى شحر عمان

وهو أزهد الناس فيها يقتني ويدخر وأعرضهم عما يستفاد ويحتكر، لم يخلف عيناً ولا دينا ولا حفر نهراً ولا شيد قصراً ولم يورث ولده وأهله متاعاً ولا مالاً ليصرفهم عن الرغبة في الدنيا كما صرف نفسه عنها فيكونوا علي مثل حاله في الزهد فيها.

وحقيق بمن كان في الدنيا بهذه الزهادة أن لا يتهم بطلبها أو يكذب على الله تعالى في ادعاء الآخرة ويقنع في العاجل وقد سلب الآجل بالميسور النزر ويرضى بالعيش الكدر.

الخصلة الرابعة:

تواضعه للناس وهم اتباع، وخفض جناحه لهم وهو مطاع يمشي في الأسواق ويجلس على التراب ويمتزج بأصحابه وجلسائه فلا يتميز عنهم إلا بإطراقه وحيائه، فصار بالتواضع متميزا، وبالتذلل متعززاً.

ولقد دخل عليه بعض الأعراب فارتاع من هيبته فقال خفض عليك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة وهذا من شرف أخلاقه وكريم شيمه فهي غريزة فطر عليها وجبلة طبع بها لم تندر فتعد، ولم تحصر فتحد.

الخصلة الخامسة:

حلمه ووقاره عن طيش يهزه أو خرق يستفزه فقد كان أحلم في النفار من كل حليم وأسلم في الخصام من كل سليم وقد مني بجفوة الأعراب فلم يوجد منه نادرة ولم يحفظ عليه بادرة، ولا حليم غيره إلا ذو عثرة ولا وقور سواه إلا ذو هفوة، فإن الله تعالى عصمه من نزع الهوى وطيش القدرة (النفار أو المنافرة) ليكون بأمته رؤوفاً وعلى الخلق عطوفاً لقد تناولته قريش بكل كبيرة وقصدته بكل جريرة وهو صبور عليهم ومعرض عنهم.

وما تفرد بذلك سفهاؤهم عن حلمائهم ولا أراذلهم دون عظمائهم، بل تمالأ عليه الجلة والدون، فكلما كانوا عليه ألح، كان عنهم أعرض وأصفح، حتى قدر فعفا، وأمكنه الله منهم فغفر.

وقال لهم حين ظفر بهم عام الفتح وقد اجتمعوا إليه: **«ما ظنكم بي؟»** قالوا: ابن عم كريم، فإن تعف فذلك الظن بك وإن تنتقم فقد أسأنا فقال: بل أقول كما قال يوسف لأخوته**{قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}** [(١)].

وقال: **«اللهم قد أذقت أول قريش نكالاً فأذق آخرهم نوالاً»** وأتته هند بنت عتبة، وقد بقرت بطن عمه حمزة، ولاكت كبده فصفح عنها، وكانت ممن بايعه ﷺ.

فإن قيل: فقد ضرب رقاب بني قريظة صبراً في يوم واحد وهم نحو سبعمائة، فأين موضع العفو والصفح قيل: إنما فعل ذلك في حقوق الله تعالى.

---

(١) سورة يوسف آية ٩٢.

وقد كانت بنو قريظة رضوا بتحكيم سعد بن معاذ عليهم فحكم أن من جرت عليه الموسي أي بلغ مبلغ الرجال فحلق ذقنه - قتل ومن لم تجر عليه استرق فقال رسول الله ﷺ : **«هذا حكم الله من فوق سبع سنوات فلم يجز أن يعفو عن حق وجب لله تعالى عليهم وإنما يختص عفوه بحق نفسه»**.

الخصلة السادسة:

حفظه للعهد ووفاؤه بالوعد فإنه ما نقض لمحافظ عهداً، ولا أخلف لمراقب وعداً، يرى الغدر من كبائر الذنوب، والأخلاق من مساوئ الشيم فيلتزم فيهما الأغلظ ويرتكب فيهما الأصعب حفظا لعهده ووفاء بوعده حتى يبتدئ معاهدوه بنقضه فيجعل الله تعالى له مخرجاً كفعل اليهود من بني قريظة وبني النضير وكفعل قريش بصلح الحديبية إذ جعل الله تعالى له في نكثهم الخيرة، فهذه ست خصال تكاملت في خُلُقه، فضله الله تعالى على جميع خلقه حبيبي رسول الله ﷺ.

* * * * *

المبحث الثاني:

المطلب الأول: في فضائل أقواله ﷺ خصال عديدة، منها

الخصلة الأولى:

ما أوتي من الحكمة البالغة، وأعطي من العلوم من الجمة الباهرة، وهو أمي من أمة أمية لم يقرأ كتاباً ولا درس علماً ولا صحب عالماً ولا معلماً فأتى بما بهر العقول وأذهل الفطن من إتقان ما أبان وإحكام ما أظهر ولم يتعثر فيه بزلل في قول أو عمل، وقد شرع من تقدم من علماء الفلاسفة سننا حملوا الناس على التدين بها حين علموا أنه لا صلاح للعالم إلا بدين ينقادون لـه ويعملون به فما راق لها أثر ولا فاق لها خبر.

الخصلة الثانية:

حفظه لما أطلعه الله تعالى عليه من قصص الأنبياء مع الأمم وأخبار العالم في الزمن الأقدم حتى لم يعرب عنه منها صغير ولا كبير ولا شذ عنه منها قليل ولا كثير.

وهو لا يضبطها بكتاب يدرسه ولا يحفظها بعين تحرسه، وما ذاك إلا من ذهن صحيح وصدر فسيح وقلب شريح، وهذه الثلاثة آلة ما استودع من الرسالة وحمل من أعباء النبوة فجدير أن يكون بها مبعوثاً وعلى القيام بها محثوثاً.

الخصلة الثالثة:

إحكامه لما شرع بأظهر دليل وبيانه بأوضح تعليل حتى لم يخرج منه ما يوجبه معقول ولا دخل فيه ما تدفعه العقول

ولذلك قال ﷺ : **«أوتيت جوامع الكلم واختصرت لي الحكمة اختصارا»**، لأنه نبه بالقليل على الكثير فكف عن الإطالة وكشف عن الجهالة وما تيسر ذلك إلا وهو عليه معان وإليه مقاد.

الخصلة الرابعة:

ما أمر به من محاسن الأخلاق ودعا إليه من مستحسن الآداب وحث عليه من صلة الأرحام وندب إليه من التعاطف على الفقراء والأيتام ثم ما نهى عنه من التباغض والتحاسد وكف عنه من التقاطع والتباعد لتكون الفضائل فيهم أكثر، ومحاسن الأخلاق بينهم أنشر، ومستحسن الآداب عليهم أظهر، وتكون إلي الخير أسرع ومن الشر امنع فيتحقق فيه قول الله تعالى:**{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ}** فلزموا أمره واتقوا زواجره فتكامل بهم صلاح دينهم ودنياهم حتى عز بهم

الإسلام بعد ضعفه وذل بهم الشرك بعد عزه فصاروا أئمة أبراراً وقادة أخياراً.

الخصلة الخامسة:

وضوح جوابه إذا سئل وظهور حجاجه إذا جادل لا يحصره عي ولا يقطعه عجز ولا يعارضه خصم في جدال إلا كان جوابه أوضح وحجاجه أرجح.

الخصلة السادسة:

أنه محفوظ اللسان من تحريف في قول واسترسال في خبر يكون إلى الكذب منسوباً وللصدق مجانباً، فإنه لم يزل مشهوراً بالصدق في خبره كان فاشياً وكثيراً حتى صار بالصدق مرقوماً، وبالأمانة موسوماً.

وكانت قريش بأسرها تتيقن صدقه قبل الإسلام فجهروا بتكذيبه في استدعائهم إليه فمنهم من كذبه حسداً ومنهم من كذبه عناداً ومن كذبه استبعاداً أن يكون نبياً أو رسولاً، ولو حفظوا عليه كذبة نادرة في غير الرسالة لجعلوها دليلاً على تكذيبه في الرسالة، ومن لزم الصدق في صغره كان له في الكبر الزم ومن عصم منه في حق نفسه كان في حقوق الله تعالى أعصم وحسبك بهذا دفعاً لجاحد ورداً لمعاند!

الخصلة السابعة:

تحرير كلامه في التوخي به إبان حاجته والاقتصار منه على قدر كفايته فلا يسترسل فيه هذراً ولا يحجم عنه حصراً وهو فيما عدا حالتي الحاجة والكفاية أجمل الناس صمتاً وأحسنهم سمتا، ولذلك حفظ كلامه حتى لم يختل وظهر رونقه حتى لم يعتل واستعذبته الأفواه حتى بقي محفوظاً في القلوب مدوناً في الكتاب فلن يسلم الإكثار من الزلل ولا الهذر من الملل.

الخصلة الثامنة:

أنه أفصح الناس لساناً وأوضحهم بياناً وأوجزهم كلاماً وأجزلهم ألفاظاً وأصحهم معاني لا يظهر فيه هجنة التكلف ولا يتخلله فيهقة التعسف وقد دون كثير من جوامع كلمه ومن كلامه الذي لا يشاكل في فصاحته وبلاغته ومع ذلك فلا يأتي عليه إحصاء ولا يبلغه استقصاء، ولو مزج كلامه بغيره لتميز بأسلوبه ولظهر فيه آثار التنافر فلم يلتبس حقه من باطله ولبان صدقه من كذبه هذا ولم يكن متعاطياً للبلاغة ولا مخالطاً لأهلها من خطباء أو شعراء أو فصحاء وإنما هو من غرائز طبعه وبداية جبلته وما ذاك إلا لغاية تراد وحادثة تشاد.

المطلب الثاني:
وصف الله لأخلاق النبي ﷺ

قال تعالى:{**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**}(١) عن عطاء رضي الله عنه قال قلت لعبد الله بن عمرو أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن{**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً**} وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا (٢).

كان خلقه القرآن:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان خلق رسول الله ﷺ القرآن (٣).

دفع السيئة بالحسنة:

لما أراد الله هدي زيد بن سعنة، قال زيد لم يبق شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ إلا اثنتين يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا.

قال زيد فقلت يا محمد، هل لك أن تبيعني ثمرًا - معلومًا لي - فباعني فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب، فلما حل الأجل أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه وهو في جنازة مع أصحابه ونظرت إليه بوجه غليظ وقلت له يا محمد ألا تقضيني حقي؟ فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب إلا مطلاً.

ونظرت إلى عمر وعيناه تدوران في وجهه ثم رماني ببصره فقال: يا عدو الله أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع وتصنع به ما أرى؟ فلولا ما أحاذر لومه لضربت بسيفي رأسك.

ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة، وقال: «**أنا وهو كنا أحوج إلى غير ذلك منك يا عمر ، أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التباعة ، اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزد عشرين صاعًا من تمر مكان ما روعته**».

---

(١) سورة القلم: ٤.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أحمد ومسلم وأبو داود، وزاد مسلم يغضب لغضبه ويرضى لرضاه.

فذهب بي عمر فأعطاني حقي وزادني عشرين صاعًا، وقال لي: ما دعاك إلى أن فعلت ما فعلت وقلت ما قلت؟

قلت: يا عمر لم يكن من علامات النبوة شيء إلا عرفته في وجه النبي ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، وقد خبرتهما، فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا، وأشهدك أن شطر مالي صدقة على أمة محمد. ثم توفي في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر (١).

المطلب الثالث:
الرسول ﷺ يعتق من أرادوا قتله

عن أنس رضي الله عنه قال: إن ثمانين نزلوا على النبي ﷺ وأصحابه من جبل التنعيم عند صلاة الصبح، يريدون أن يقتلوه، فأخذوا فأعتقهم النبي ﷺ فأنزل الله تعالى**{وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً}**(٢).

كان أحسن الناس خلقًا:

عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقًا(٣).

وعن صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت ما رأيت أحسن خلقًا من رسول الله ﷺ(٤).

* * * * *

---

(١) رواه الطبراني في (الكبير) ورجاله ثقات، ورواه أيضًا ابن حبان والحاكم والبيهقي ورواه أبو نعيم في الدلائل.

(٢) سورة الفتح آية ٢٤ - رواه مسلم والترمذي وأبو داود.

(٣) الحديث رواه الشيخان وأبو داود والترمذي.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن.

المطلب الرابع:
أخلاقه ﷺ مع الملائكة

فإن الملائكة عالم غير عالم الإنس وعالم الجن، وهو عالم كريم، كله طهر وصفاء ونقاء، وهم كرام أتقياء، يعبدون الله حق العبادة، ويقومون بتنفيذ ما يأمرهم، ولايعصون الله أبداً.

الإيمان بالملائكة أصل من أصول الإيمان، لا يصح إيمان عبد ما لم يؤمن بهم، قال تعالى:**{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ}**(١).

وقال تعالى:**{لَيْسَ البِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ...}**(٢).

فجعل الله الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة. قال تعالى**{... ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً}**(٣).

وقد أنكر بعضُ الفلاسفة وأهل البدع هذا العالم الغيبي المخلوق. فمذهبهم في ذلك: "أنه ليس في الخارج ذات منفصلة تصعد وتنزل وتذهب وتجيء وترى وتخاطب الرسول. وإنما ذلك عندهم أمور ذهنية لا وجود لها في الأعيان"(٤).

سنتكلم عن خُلُق النبي ﷺ مع هذا العالم (الملائكة) فنبرز جوانب مِن أخلاقه عليه الصلاة والسلام مع الملائكة ولا يخفى على أحد ما كان عليه الحبيب صلوات الله وسلامه عليه من أخلاق عالية ورفيعة. فقد قال تعالى في هذا:**{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}**(٥)

ومعنى الآية الشريفة، وإنك لعلى أدب رفيع جم، وخلق سني فاضل، فقد اجتمعت فيك مناقب وكمالات وسمات حسنة من الحلم والوقار والسكينة والحياء وكثرة العبادة، والصبر على المكاره، والزهد والرحمة، وحسن العشرة وطيب

---

(١) البقرة: ٢٨٥.
(٢) البقرة: ١٧٧.
(٣) النساء: ١٣٦.
(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٢٩٧.
(٥) القلم ٤.

الخلال.

فهذه الآية الكريمة تدل على المستوى الرفيع الذي حازه عليه السلام في الأخلاق، فما من شيء يتعلق بجانب الأخلاق إلا وكان النبي هو القدوة فيه، كيف لا، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**» (١) فهو القدوة الوحيدة الذي يجب الإقتداء به واتباع سنته، وإن جانب الأخلاق هو من أفضل الأعمال التي تقرب العبد المسلم من الله ورسوله يوم القيامة كما قال المصطفى ﷺ : «**إن أقربكم مني منزلاً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا**».

لهذه المكانة العالية لصاحب الخلق الحسن، ولما كان عليه أفضل الصلاة والسلام من خلق عظيم، رأينا أن نكتب وبعبارة أخرى أن نبرز هذا الخلق العظيم مع الملائكة، لما له من أهمية كبيرة، ولكي يقتدي به الناس فيحسنون التعامل مع الملائكة في الأماكن التي يتواجدون فيها كالمساجد، وعند قراءة القرآن، والصلاة وغيرها من المواطن، فلا يؤذي الملائكة بالرائحة الكريهة، أو بالصور في البيوت أو المزامير أو إدخال الكلاب إلى البيوت، أو رفع الصوت وغير ذلك من الأعمال التي تتأذى منها الملائكة. فهو جانب مهم وخطير غفل عنه أناس كثيرون، فلا يراعون هذا العالم من تجنب أذيتهم. فإليك أخي القارئ بعض هذه الأخلاق.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**أتاني جبريل فقال لي أتيتك البارحة فلم يمنعني أن أكون دخلت إلا أنه كان على الباب تماثيل ، وكان في البيت قرام ستر فيه تماثيل ، وكان في البيت كلب . فَمُر برأس التمثال الذي في البيت يُقطع فيصير كهيئة الشجرة ، ومُرْ بالستر فليقطع فليجعل منه وسادتان منبوذتان تُوطئان ، وُمرْ بالكلب فليخرج ، ففعل رسول الله ﷺ ...**» (٢).

روى الشيخان من طريق أبي عثمان النهدي قال نبئت أن جبريل أتى النبي ﷺ وعنده أم سلمة فجعل يتحدث، ثم قام، فقال النبي ﷺ : «**من هذا؟**» قالت: هذا دحية الكلبي، قالت: ما حسبته إلا إياه حتى سمعت خطبة النبي ﷺ يخبر

---

(١) مسند أحمد، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ص(٤٥).

(٢) سنن الترمذي رقم(٢٨٠٦)، كتاب الأدب، باب ما جاء أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة. وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم (٣٥٠٤)(٧٨٣/٢).

خبر جبريل قلت لأبي عثمان: ممن سمعت هذا؟ قال: من أسامة بن زيد[1]..

وعن أبي هريرة رضي الله عنه - قال كان النبي ﷺ يوماً بارزاً للناس فأتاه رجل فقال: ما الإيمان؟ قال: **«أن تؤمن بالله وملائكته وبكتابه ورسله وتؤمن بالبعث»**، قال: ما الإسلام؟ قال: **«أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤدي الزكاة ، وتصوم رمضان»**، قال: ما الإحسان؟ قال: **«أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»** قال: متى الساعة؟ قال: **«ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، وسأخبرك عن أشراطها؟ إذا ولدت المرأة ربتها وإذا تطاول رعاء الإبل البهم (في البنيان) وفي خمس لا يعلمهن إلا الله»** ثم أدبر فقال: **«ردُّوه»** فلم يروا شيئاً فقال: **«هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم»** [2].

في هذا الحديث العظيم يتبين لنا الخلق الرفيع والسامي الذي كان عليه رسول الله ﷺ مع الملائكة الكرام، حيث حادث جبريل عليه السلام بالإجابة عن الأسئلة وهو يعلم (عليه الصلاة والسلام) أن جبريل أعرف منه بهذه الأسئلة، فلم يخبره بأنه (أي جبريل) أعلم منه وهو الذي علمه هذا فكيف يسأله وهو أعلم بالإجابة، ولكنه عرف أن جبريل يريد أن يعلم الصحابة رضوان الله عليهم دينهم كما جاء في آخر الحديث ثم تتجلى أخلاقه (عليه الصلاة والسلام) في الجلوس مع جبريل حيث أتى إليه فوضع ركبتيه على ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه. فهذا الخلق السامي والرفيع منه عليه الصلاة والسلام مع جميع المخلوقات ومنهم الملائكة عليهم السلام، يبين الخلق العظيم الذي كان عليه رسول الله ﷺ.

وهذه قصة ملك الجبال عندما أتى إلى رسول الله ليأمره أن يطبق عليهم الأخشبين.

فقد روى البخاري تفصيل القصة. بسنده - عن عروة بن الزبير، أن عائشة - رضي الله عنها - حدثته أنها قالت للنبي ﷺ هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال: **«لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت**

---

(١) البخاري، الفتح، (٦١٩/٨) رقم(٤٩٨٠) كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل.

(٢) البخاري، الفتح، (٣٧٣/٨) رقم(٤٧٧٧)، كتاب تفسير القرآن، باب قوله إن الله عنده علم الساعة.

وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب – وهو المسمى بقرن المنازل – فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني ، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك . وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . فناداني ملك الجبال ، فسلم علي ، ثم قال: يا محمد ، لك ما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين» أي لفعلت والأخشبان: هما جبلا مكة أبو قبيس والذي يقابله وهو قعيقان، قال رسول الله ﷺ : **«بل أرجو أن يخرج الله عزوجل من أصلابهم من يعبد الله عزوجل وحده لا يشرك به شيئاً»** [١].

وفي هذا الجواب الذي أدلى به الرسول ﷺ تتجلى شخصيته الفذة، وما كان عليه من الخلق العظيم الذي لا يدرك غوره[٢].

ومن أخلاقه عليه الصلاة والسلام:

أنه ﷺ أُتى بقدر فيها بقول فوجد لها ريحاً فقربها إلى بعض أصحابه وقال له كُلْ فإني أناجي من لا تناجي[٣].

ومن أخلاقه عليه السلام دعاؤه: **«اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»** [٤] وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ : كان جالساً كاشفاً فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على حاله، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على حاله، ثم استأذن عثمان فأرخى عليه ثوبه، فلما قاموا، قالت: يا رسول لله استأذن أبو بكر وعمر فأذنت لهما، وأنت على حالك، فلما استأذن عثمان أرخيت عليك ثيابك فقال: **«يا عائشة ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»** [٥].

---

(١) البخاري (٦/ ٣٦٠). رقم (٣٢٣١)كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة.

(٢) "الرحيق المختوم" ١١٤ - ١١٥.

(٣) حديث صحيح.

(٤) صحيح مسلم، (٥٣٤/١)رقم(٧٧٠)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

(٥) صحيح مسلم، (١٨٦٦/٤)رقم(٢٤٠١)، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عثمان بن عفان.

وقــال (عليــه الصـــلاة والســـلام): **«مـن أكـل الثـوم والبصـل والكـراث فـلا يقـربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه ابن آدم»** [١].

وقال عليه الصلاة والسلام: **«إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة»** [٢].

وعـن زيـد بـن خالـد، عـن أبـي طلحـة مرفوعـا قـال: **«لا تـدخل الملائكة بيتـا فيـه كلب ولا تماثيل»** [٣]..

وفــي صــحيح البخــاري، عــن ابــن عمــر - رضـــي الله عنهمــا - عــن النبـــي ﷺ: أن جبريل عليه السلام قال: **«إنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة»** [٤].

* * * * *

---

(١) سنن النسـائي، كتـاب المسـاجد، بـاب مـن يمنـع مـن المسـاجد. وصـححه الألبـاني فـي صـحيح النسـائي ص٦٨٣.

(٢) صـحيح مسـلم، (١٦٦٥/٣)رقـم(٢١٠٦) كتـاب اللبـاس والزينـة، بـاب تحـريم تصـوير صـورة الحيـوان وتحريم اتخاذ ما فيه.

(٣) صـحيح مسلم، (١٦٦٦/٣) رقـم (٢١٠٦) كتـاب اللبـاس والزينـة، بـاب تحـريم تصـوير صـورة الحيـوان وتحريم اتخاذ ما فيه.

(٤) البخاري، الفتح، (٣٥٩/٦) رقم(٣٢٢٧)، كتاب بدء الوحي، باب ذكر الملائكة.

المطلب الخامس:
إمامة جبريل عليه السلام للرسول ﷺ

وقد أم جبريل الرسول ﷺ كي يعلمه الصلاة كما يريدها الله تعالى: ففي صحيح البخاري أن الرسول ﷺ قال: **«نزل جبريل فأمني فصليت معه ، ثم صليت معه ، ثمَّ صليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، يحسب بأصابعه خمس صلوات»**[(١)].

عن ابن عباس - أن الرسول ﷺ قال: **«أمني جبريل عند البيت مرتين ، فصلى بي الظهر حين زالت الشمس ، وكانت قدر الشراك ، وصلى بي العصر حين ، كان ظلُّ الشيء مثله ، وصلى بي المغرب حين أفطر الصائم ، وصلى بي العشاء حين غاب الشفق ، وصلى بي الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم ، فلما كان الغد صلى بى الظهر حين كان ظل الشيء مثله ، وصلى بي العصر حين كان ظل الشيء مثليه ، وصلى بي المغرب حين أفطر الصائم . وصلى بي العشاء إلى ثلث الليل ، وصلى بي الفجر فأسفر . ثمَّ التفت إليَّ وقال: يا محمد: هذا وقت الأنبياء من قبلك ، والوقت ما بين هذين الوقتين»** [(٢)]. ولم يعلمه كيفية الصلاة عملياً وأوقاتها فحسب بل علمه الوضوء[(٣)].

ففي مسند أحمد عن زيد بن حارثة أن الرسول ﷺ قال: **«أتاني جبريل في أول ما أوحي إلي ، فعلمني الوضوء والصلاة ، فلما فرغ من الوضوء ، أخذ غرفة من الماء فنضح بها فرجه»** [(٤)].

رقيته للرسول ﷺ:

عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ : **«أتاني جبريل فقال: يا محمد اشتكيت؟ قلت: نعم ، قال: بسم الله أرقيك ، من كل شيءٍ يؤذيك ، من شرّ كل**

---

(١) البخاري، الفتح، (٣٥٢/٦) رقم(٣٢٢١) كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب في المواقيت. وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم(٣٧٧)(٧٩/١).

(٣) راجع عالم الملائكة الأبرار/ لفضيلة الدكتور عمر سليمان الأشقر/دار النفائس/ الطبعة السادسة ١٤١٢هـ.

(٤) مسند أحمد، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم(٨٤١) (٢/ ٤٦٩).

نفس ، أوعين حاسد ، الله يشفيك ، بسم الله أرقيك» (١).

حمايتهم لرسول الله ﷺ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي يزعم ليطأ على رقبته، قال فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، قال: فقيل له مالك، فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهول وأجنحة. فقال رسول الله ﷺ : **«لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً»** (٢).

مشي الملائكة من ورائه ﷺ:

عن جابر رضي الله عنه قال: كان أصحاب النبي ﷺ يمشون أمامه إذا خرج ويدعون ظهره للملائكة(٣).

لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا:

عن عبد الله بن عمرو قال: لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا (٤).

من مكارم أخلاقه ﷺ في المصافحة والمحادثة والمجالسة :

عن أنس رضي الله عنه قال كان النبي ﷺ إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده، ولا يصرف وجهه من وجهه حتى يكون الرجل هو يصرفه، ولم ير مقدمًا ركبتيه بين يدي جليس له (٥).

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال كان ﷺ يقبل بوجهه وحديثه على أشر القوم يتألفهم بذلك (٦).

وروى مسلم: وما سئل رسول الله ﷺ قط فقال لا.

---

(١) صحيح مسلم، (١٧١٨/٤) رقم (٢١٨٦)، كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى.

(٢) صحيح مسلم، (٢١٥٤/٤) رقم(٢٧٩٧)، كتاب صفة القيامة الجنة والنار، باب إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى.

(٣) رواه أحمد وابن ماجة والحاكم.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه أبو داود والترمذي بلفظه.

(٦) رواه الطبراني والترمذي.

كان الرسول ﷺ يدعو بحسن الخلق:

عن عائشة رضي الله عنها قالت كان ﷺ يقول: **«اللهم كما أحسنت خَلْقي فأحسن خُلُقي»** [١].

وقال ﷺ : **«إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا»** [٢].

وروي عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ، فلما رآه قال: **«بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة»**، فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله، حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه، فقال رسول الله ﷺ : **«يا عائشة متى عهدتني فحاشًا ، إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس – أو ودعه الناس – اتقاء شره»** [٣].

كان ﷺ يستعيذ من سوء الأخلاق وينهى عن اللعن:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان ﷺ يدعو فيقول: **«اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق»** [٤].

وقال ﷺ : **«لا ينبغي لصديق أن يكون لعانًا»** [٥].

وقال ﷺ : **«لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»** [٦].

وعندما قيل له ادع على المشركين قال ﷺ : **«إني لم أبعث لعانًا ، وإنما بعثت رحمة»** [٧].

أما من لعنه الرسول ﷺ أو سبه أو دعا عليه، وليس هو أهلاً لذلك، كان ذلك له زكاة وأجرًا ورحمة؛ لأن الرسول ﷺ شارط ربه على ذلك كما في الحديث: **«اللهم إنما أنا بشر ، فأي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة**

---

(١) رواه أحمد ورواته ثقات.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه أبو داود والنسائي.
(٥) رواه مسلم.
(٦) رواه مسلم.
(٧) رواه مسلم.

وأجرًا»[١].

خلقه ﷺ مع الخدم:

عن أنس رضي الله عنه قال خدمت النبي ﷺ عشر سنين، والله ما قال أف قط، ولا قال لشيء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا[٢].

وعنه قال كان النبي ﷺ من أحسن الناس خلقًا، فأرسلني يومًا لحاجة، فقلت له والله لا أذهب وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به ﷺ، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا النبي ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، فنظرت إليه وهو يضحك فقال: **«يا أنس أذهبت حيث أمرتك؟»**. قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله - فذهبت [٣].

خلقه ﷺ مع أهله:

قال ﷺ : **«خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي ، وما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم»** [٤].

ومن دلائل شدة احترامه وحبه لزوجته خديجة رضي الله عنها، إن كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلى خلائلها (صديقاتها)، وذلك بعد مماتها وقد أقرت عائشة رضي الله عنها بأنها كانت تغير من هذا المسلك منه [٥].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان ﷺ إذا خلا بنسائه ألين الناس وأكرم الناس ضحاكًا بسامًا [٦].

وروى مسلم أن عائشة رضي الله عنها كانت إذا شربت من الإناء، أخذه ﷺ فوضع فمه على موضع فمها وشرب، وإذا تعرقت عرقًا وهو العظم الذي عليه اللحم أخذه فوضع فمه على موضع فمها.

وقد روي أنه ﷺ وضع ركبته لتضع عليها زوجه صفية رضي الله عنها

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه الشيخان وأبو داود والترمذي.
(٣) رواه مسلم وأبو داود.
(٤) رواه ابن عساكر عن علي، والترمذي عن عائشة، وابن ماجة عن ابن عباس.
(٥) رواه البخاري.
(٦) رواه ابن عساكر بسند ضعيف.

رجلها حتى تركب على بعيرها [(١)].

وأوصى ﷺ بالمرأة الزوجة، فقال: **«استوصوا بالنساء خيرًا ، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيرًا»** [(٢)].

وقال ﷺ : **«بم يضرب أحدكم امرأته ضرب الفحل ثم لعله يعانقها»** وفي رواية: **«جلد العبد»** [(٣)].

وقال ﷺ : **«أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا ، وخياركم خياركم لنسائهم»** [(٤)]. وقال ﷺ : **«إن من أعظم الأمور أجرًا النفقة على الأهل»** [(٥)].

ملاعبته ومفاكهته لأهله :

عن عائشة رضي الله عنها قالت خرجت مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: **«اقدموا»** فتقدموا، ثم قال لي: **«تعالي حتى أسابقك»** فسبقته، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: **«تقدموا»** فتقدموا، ثم قال لي: **«تعالي أسابقك فسبقني»**، فجعل يضحك وهو يقول: **«هذا بتلك»** [(٦)].

حلم النبي ﷺ :

كان مما يحبه ﷺ من الصفات صفتا الحلم والأناة وقد قال ﷺ لأشج عبد القيس: **«إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة»** [(٧)].

وعن أنس رضي الله عنه قال كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذبة شديدة، فنظرت إلى صفحة عنق النبي، وقد أثر بها حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء.

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه الشيخان.
(٣) رواه البخاري.
(٤) أخرجه أحمد بإسناد حسن، والترمذي وقال حديث حسن صحيح.
(٥) رواه مسلم.
(٦) رواه أحمد.
(٧) أخرجه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان النبي ﷺ يجلس معنا في المسجد يحدثنا، فإذا قام قمنا قيامًا حتى نراه قد دخل بعض بيوت أزواجه، فحدثنا يومًا فقمنا حين قام، فنظرنا إلى أعرابي قد أدركه، فجبذه بردائه فحمر رقبته، وكان رداؤه خشنًا، فالتفت إليه، فقال له الأعرابي احملني على بعيري هذين، فإنك لا تحملني من مالك ولا مال أبيك.

فقال ﷺ : **«لا وأستغفر الله ، لا وأستغفر الله ، لا أحملك حتى تقيدني من جذبتك التي جبذتني»**، وبعد ذلك يقول له الأعرابي والله لا أقيد لها فذكر الحديث، ثم دعا رجلاً فقال له: **«احمل له على بعيريه هذين ، على بعير شعيرًا ، وعلى الآخر تمرًا»**، ثم التفت إلينا فقال: **«انصرفوا على بركة الله»** [١].

ما انتقم لنفسه وما ضرب خادمًا ولا امرأة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت ما خُير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه وما انتقم ﷺ لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم.

وفي رواية ما ضرب رسول الله شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله[٢].

* * * * *

(١) رواه أبو داود والنسائي.

(٢) رواه مالك والشيخان وأبو داود.

المطلب السادس:
تواضع النبي ﷺ

من أقواله ﷺ في الثناء على التواضع وذم الاستكبار:

«ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضاعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر» [1].

«ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» رواه مسلم وظاهر الحديث يعني الرفعة في الدنيا والآخرة.

عن أنس رضي الله عنه قال: إن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله فتنطلق به حيث شاءت [2].

وعنه أن امرأة كان في عقلها شيء، فقالت يا رسول الله، إن لي إليك حاجة فقال: **«يا أم فلان انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك»**، فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها[3].

وقال رسول الله ﷺ : **«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله»** [4].

وقال ﷺ : **«لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت ، ولو أهدي إلي ذراع أو كراع لقبلت»**[5].

وعن ابن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ كان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضي له حاجته [6].

وعن أنس رضي الله عنه قال كان ﷺ يمر بالصبيان فيسلم عليهم[7].

---

(١) رواه البخاري.

(٢)البخاري.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه البخاري.

(٦) رواه النسائي والحاكم وقال على شرطهما وأقره الذهبي، ورواه الترمذي في العلل عنه، وذكر أنه سأل عنه البخاري فقال هو حديث تفرد به الحسين بن واقد.

(٧) رواه البخاري واللفظ له ومسلم.

وعن سهل بن حنيف قال كان ﷺ يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم (١).

وذكر الطبري أنه ﷺ كان في سفر وأمر أصحابه بإصلاح شاة، فقال رجل: يا رسول الله، علي ذبحها، وقال آخر: يا رسول الله، علي سلخها، وقال آخر: يا رسول الله، علي طبخها، فقال رسول الله ﷺ : **«وعلي جمع الحطب»**، فقالوا: يا رسول الله نكفيك العمل، فقال ﷺ : **«قد علمت أنكم تكفونني ، ولكن أكره أن أتميز عليكم»**.

وعن أبي أمامة الباهلي قال خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئًا على عصا، فقمنا إليه، فقال: **«لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضًا»** (٢).

من مظاهر تواضعه ﷺ :

أولاً : كان ﷺ في مهنة أهله :

عن الأسود قال سألت عائشة ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قال كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج إلى الصلاة (٣) - وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم (٤).

ثانياً : كان ﷺ يركب الحمار:

عن أنس رضي الله عنه قال كان ﷺ يعود المريض ويشهد الجنازة ويأتي دعوة المملوك ويركب الحمار، ولقد رأيته يومًا على حمار خطامه ليف (٥).

---

(١) رواه الطبراني بسند ضعيف.
(٢) رواه أبو داود وابن ماجة وإسناده حسن.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه أحمد.
(٥) رواه أبو داود والطيالسي ونحوه عند الترمذي وابن ماجة.

ثالثاً: كان ﷺ يجيب الدعوة ولو إلى خبز الشعير[1]:

عن أنس رضي الله عنه قال كان ﷺ يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب.

الإهالة السنخة أي الدهن الجامد المتغير الريح من طوال المكث.

رابعاً: كان ﷺ لا يدفع عنه الناس:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان ﷺ لا يدفع عنه الناس ولا يضربوا عنه - رواه الطبراني في الكبير وحسنه السيوطي وذلك لشدة تواضعه ﷺ وبراءته من الكبر والتعاظم.

وعن الحسن قال: والله ما كانت تغلق دونه الأبواب، ولا تقوم دونه الحجاب، ولا يغدى عليه بالجفان، ولا يراح عليه بها، ولكنه كان بارزًا، من أراد أن يلقى نبي الله لقيه.

* * * * *

---

(١) رواه الترمذي في الشمائل.

المطلب السابع:
رحمة النبي ﷺ

قال تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}وقال تعالى:{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} وقال ﷺ عن نفسه: **«إنما أنا رحمة مهداه»** [١].

وقال ﷺ : **«إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذابًا»** [٢].

نماذج من رحمته ﷺ :

أولاً : رحمته ﷺ بالأطفال:

عن عائشة رضي الله عنها قالت كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم ويدعو لهم[٣].

يبرك عليهم أي يدعو لهم ويمسح عليهم.

يحنكهم، التحنيك أن يمضغ التمر أو نحوه ثم يدلك به حنك الصغير.

وعن أنس رضي الله عنه قال ما رأيت أحدًا أرحم بالعيال من النبي ﷺ الحديث رواه الأربعة.

وعنه أن النبي ﷺ أخذ ولده إبراهيم فقبله وشمه - وجعل الرسول ﷺ الجنة لمن يموت وله ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث، بفضل رحمته إياه[٤].

الحنث أي الإثم، والمعنى أنهم ماتوا قبل أن يبلغوا.

وكانت تفيض عيناه لموتهم، وقد سأله مرة سعد بن عبادة يا رسول الله ما هذا؟ فقال ﷺ هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء[٥].

وخرج على الصحابة رضي الله عنهم وأمامة بنت الربيع، ابنة زينب، على عاتقه،

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات، والحكم في النوادر عن أبي صالح مرسلاً، والحاكم عن أبي هريرة وقال على شرطهما وأقره الذهبي.

(٢) رواه البخاري في التاريخ عن أبي هريرة.

(٣) رواه الشيخان وأبو داود.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه البخاري.

فصلى، فإذا ركع وضعها وإذا رفع رفعها [١].

وقبل الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس، فقال الأقرع إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: **«من لا يرحم لا يرحم»**[٢].

وجاءه أعرابي فقال تقبلون الصبيان؟ فما نقبلهم، فقال النبي ﷺ : **«أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة»** [٣].

ثانياً: رحمته ﷺ بالإناث:

شبه الرسول ﷺ النساء بالقوارير، إشارة إلى ما فيهن من الصفاء والنعومة والرقة، وإلى ضعفهن وقلة تحملهن؛ ولذا فإنهن يحتجن إلى الرفق وله توجيهات كثيرة ومواقف عملية في هذا المجال، ومن أبرز الأمثلة على ذلك:

كان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وكانت معه نساء منهن أم سليم، وغلام أسود يقال له أنجشة يحدو، فقال له النبي ﷺ : **«يا أنجشة رويدك ، سوقًا بالقوارير»** [٤].

وقد عثرت ناقته ذات مرة، ومعه عليها زوجته صفية، فطرحا على الأرض، فلحق بهما أبو طلحة رضي الله عنه، فقال له النبي ﷺ : **«عليك بالمرأة»** [٥].

وروى أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«من عال جاريتين حتى تبلغا ، جاء يوم القيامة أنا وهو ، وضم أصابعه»** [٦].

وقال ﷺ : **«من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن ، كن له سترًا من النار»**[٧].

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه البخاري.
(٥) رواه البخاري.
(٦) رواه مسلم.
(٧) رواه الشيخان.

وقال ﷺ : **«أفضل الصدقة إعالتك ابنتك الفقيرة التي رفضها زوجها ، وليس لها غيرك»**(١).

وكان ﷺ يحب بناته حبًا جمًا، فقد روي أن ابنته فاطمة كانت عندما تأتيه يقوم لها، ويأخذ بيدها ويقبلها ويجلسها في مكانه الذي كان يجلس فيه (٢).

وقال ﷺ : **«إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها ، فأسمع بكاء الصبي ، فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه»** (٣).

ثالثاً: رحمته ﷺ بالحيوانات:

عن عائشة رضي الله عنها قالت كان ﷺ يصفي للهرة الإناء فتشرب الحديث رواه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم والحاكم وصححه، والدار قطني وحسنه، لكن قال ابن حجر ضعيف، وقال ابن جماعة ضعيف لكن له طرق تقوية.

وقال ﷺ : **«ما من مسلم غرس غرسًا فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له به صدقة»**(٤).

وقال ﷺ : **«بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرًا ، فنزل فيها فشرب ، ثم خرج فإذا كلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي ، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له»** قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرًا؟ فقال: **«في كل ذات كبد رطبة أجر»** (٥).

رابعاً: رحمته ﷺ بالضعفاء عمومًا:

لقد حث ﷺ على كفالة الأيتام لضعفهم وحاجتهم للرعاية، فقال: **«أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»** وقال بإصبعيه السبابة والوسطى وحث ﷺ على إعالة الأرامل والمساكين، فقال: **«الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل»** (٦).

---

(١) رواه البخاري وابن ماجة.
(٢) رواه أبو داود.
(٣) رواه الشيخان.
(٤) رواه البخاري.
(٥) رواه البخاري.
(٦) رواه البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«اللهم إني أحرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة»** [(١)].

الحرج، وهو الإثم، بمن ضيع حقهما، وأحذر من ذلك وأزجر عنه بشدة.

وقال ﷺ : **«ابغوني الضعفاء ، فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم»** [(٢)].

ولقد شملت رحمته ﷺ الخدم والأرقاء فقال ﷺ : **«من كانت له أمة فأدبها ثم أعتقها وتزوجها أوتى أجره مرتين»** [(٣)].

وروى أبو ذر رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: **«هم إخوانكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فأطعموهم مما تأكلون ، وألبسوهم مما تلبسون ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم»** [(٤)].

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«إذا صنع لأحدكم خادمه طعامه ثم جاء به ، وقد ولى حره ودخانه ، فليقعد معه فليأكل ، فإن كان الطعام قليلاً فليضع في يده منه أكلة أو أكلتين»** (أي لقمة أو لقمتين)[(٥)].

وروى أبو بكر الصديق رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: **«من أساء معاملة من هم تحت يديه فلن يدخل الجنة»** [(٦)].

وقال ﷺ : **«من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه»** [(٧)].

وقال ﷺ لأبي مسعود، عندما رآه يضرب مملوكًا لـه: **«اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام»**، فانتهى عن ضربه وأعتقه حتى لا يمسه الله بعذاب نتيجة هذا الفعل [(٨)].

وأمر ﷺ بأن يعامل المماليك مثل معاملة الأبناء، وكان ﷺ يوصي - وهو في فراش الموت - بحسن معاملة الأرقاء.

---

(١) رواه أحمد بإسناد حسن.
(٢) رواه أبو داود، وأحمد وإسناده صحيح، وأخرج البخاري نحوه.
(٣) فله أجران رواه الشيخان.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه مسلم.
(٦) رواه الترمذي وابن ماجة.
(٧) رواه مسلم.
(٨) رواه مسلم.

خامساً: رحمته ﷺ بالأعداء في الحرب والسلم:

كان الرسول ﷺ يصلي الفجر مع المسلمين في الحديبية، فنزل سبعون أو ثمانون رجلاً من التنعيم يريدون الفتك بالمسلمين، فأخذوا، فأعتقهم رسول الله دون عوض عقاب[1].

وقد قبل الفداء من أسرى بدر، وعفا عن قريش وأهل مكة يوم فتح مكة، وأطلق سراح أسرى حنين.

وعفا عن غورث بن الحارث على الرغم من محاولته قتل الرسول ﷺ، فجاء غورث إلى قومه بعد هذا فقال لهم جئتكم من عند خير الناس[2].

عن جابر رضي الله عنه مر بنا جنازة، فقام لها النبي ﷺ وقمنا، فقلنا إنها جنازة يهودي فقال ﷺ : «**إذا رأيتم الجنازة فقوموا**» [3] وفي الصحيحين عن سهل بن حنيف فقال ﷺ : «**أليست نفسًا؟**».

ونهى ﷺ عن قتل النساء والصبيان والأجير، ما داموا غير مشاركين في قتال المسلمين.

وكان ﷺ إذا بعث بعثًا أو جيشًا أوصاهم قائلاً: «**لا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدًا**» [4].

وكان ﷺ له خادم يهودي، فكان إذا مرض عاده، فعاده مرة فعرض عليه الإسلام وأبوه حاضر، فقال له أطع أبا القاسم، فأسلم، فقال الرسول ﷺ : «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**» [5].

سادساً: رحمته ﷺ بأمته:

قال تعالى:**{لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}** عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم:**{رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ**

---

(١) البخاري.
(٢) البخاري.
(٣) رواه الشيخان، وزاد مسلم إن الموت فزع.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه البخاري.

مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} وقول عيسى عليه السلام:{إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} فرفع يديه وقال: **«اللهم أمتي ، وبكى . فقال الله عز وجل يا جبريل ، اذهب إلى محمد وربك أعلم ، فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه السلام ، فسأله ، فأخبره رسول الله ﷺ بما قاله وهو أعلم ، فقال الله يا جبريل ، اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك»** [١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا»** [٢].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتي الجنة ، فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى ، أترونها للمؤمنين المتقين؟ لا ، ولكنها للمذنبين المتلوثين الخاطئين»** رواه ابن ماجة ورواه أحمد عن ابن عمر ورواه عنه أيضًا الطبراني، قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح غير النعمان بن قراد وهو ثقة.

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«أعطيت سبعين ألفًا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر ، قلوبهم على قلب رجل واحد ، فاستزدت ربي عز وجل ، فزادني مع كل واحد سبعين ألفًا»** [٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«إذا أم أحدكم الناس فليخفف ، فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض وذا الحاجة ، وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء»** رواه مالك والجماعة إلا ابن ماجة لكنه رواه عن حديث عثمان بن أبي العاص، مع اختلاف في الألفاظ.

* * * * *

---

(١) رواه مسلم في كتابه الإيمان.

(٢) رواه الشيخان والترمذي وأحمد.

(٣)رواه أحمد وأبو يعلى.

المطلب الثامن:
تيسير النبي ﷺ ورفقه

قال ﷺ : **«يسروا ولا تعسروا ، وسكنوا ولا تنفروا»** رواه البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيًا بال في المسجد، فثار إليه الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله ﷺ : **«دعوه ، وأهرقوا على بوله ذنوبًا من ماء ، أو سجلاً من ماء ، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»** رواه البخاري.

وقال ﷺ في الرفق: **«من يحرم الرفق يحرم الخير»** رواه مسلم.

وقال ﷺ : **«إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه»** (١).

وقال ﷺ : **«وإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه»** (٢).

* * * * *

المطلب التاسع:
حياء النبي ﷺ

قال تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ}**.

وقال ﷺ : **«الحياء لا يأتي إلا بخير»** (٣).

وقال ﷺ : **«إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت»** (٤).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كان ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئًا عرفناه في وجهه (٥).

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه البخاري.
(٥) رواه الشيخان.

وعنـه أن النبـي ﷺ كـان عنـده رجـل بـه أثـر صـفرة، وكـان ﷺ لا يكـاد يواجـه أحدًا بشـيء يكرهـه، فلمـا قـام الرجـل، قـال النبـي ﷺ للقـوم: **«لو قلتم لـه يدع هـذه الصفرة»** أخرجـه أبـو داود والترمـذي وأحمـد وإسـناده صـحيح وذلـك لأن الصـفرة مـن أثـر طيـب النساء، ويكره للرجل أن يتطيب بما لـه لون، بل يتطيب بما لـه رائحة فقط.

وقالت عائشة رضي الله عنها كان النبي ﷺ إذا بلغه عن رجل شيء لم يقل لـه قلت كذا وكذا، قال ما بال أقوام يقولون كذا وكذا[١].

أما الحق فلم يكن الرسول ﷺ يستحي منـه؛ لأن ذلك من التفقه في الدين وروت أم سلمة رضي الله عنها أن أم سليم جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت يـا رسـول الله، إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة غسل إذا احتلمت؟ فقال: **«نعم ، إذا رأت الماء»** [٢].

الوصية بالجار:

قال ﷺ : **«ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»** [٣].

وقال ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: **«يا أبا ذر ، إذا طبخت مرقة ، فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك»** [٤].

وفي رواية: **«ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف»** [٥].

وقال ﷺ : **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره»** [٦].

وفي رواية: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره»** [٧].

حثه ﷺ على صلة الأرحام:

لقد أخبر الرسول ﷺ أصحابه بأن من أحب الأعمال إلى الله تعالى بر الوالدين.

---

(١) رواه أبو داود، وأخرجه النسائي بمعناه، وهو صحيح.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه مسلم.
(٥) البخاري.
(٧) رواه ابن ماجة.

قال رجل من الصحابة لرسول الله ﷺ يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أبوك**» (١).

وقال رجل للنبي ﷺ أجاهد؟ قال: «**ألك أبوان؟**» قال نعم، قال: «**ففيهما فجاهد**» (٢).

وجعل ﷺ عقوق الوالدين من أكبر الكبائر.

قال ﷺ لأصحابه: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» قالها ثلاثًا، فقال: الصحابة بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين**» (٣).

وقال ﷺ إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات وحث ﷺ على صلة الوالدين المشركين والأقارب المشركين، وجعل صلة الرحم من أسباب دخول الجنة والبسط في الرزق، وقطعها من أسباب دخول النار.

قال ﷺ : «**لا يدخل الجنة قاطع**» (أي قاطع رحم) (٤).

وقال رجل للنبي ﷺ : يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي. فقال: «**لئن كنت كما قلت ، فإنما تسفهم المل ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك**» (٥). المل أي الرماد الحار.

* * * * *

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه البخاري.
(٥) رواه مسلم.

المبحث الثالث:
المطلب الأول:
فضائل الأعمال في فضائل أفعاله ﷺ

الخصلة الأولى:

حسن سيرته، وصحة سياسته في دين نقل به مألوف، وصرفهم به عن معروف إلى غير معروف فأذعنت به النفوس طوعاً، وانقادت خوفاً وطمعاً.

الخصلة الثانية:

أن جمع بين رغبة من استمال ورهبة من استطاع حتى اجتمع الفريقان على نصرته وقاموا بحقوق دعوته رغباً في عاجل وآجل، ورهبا من زائل ونازل، لاختلاف الشيم والطباع في الانقياد الذي لا ينتظم بأحدهما، ولا يستديم إلا بهما، فلذلك صار الدين بهما مستقراً، والصلاح بهما مستمراً.

الخصلة الثالثة:

أنه عدل فيما شرعه من الدين عن اللغو والتقصير إلى التوسط، وخير الأمور أوسطها، وليس لما جاوز العدل حظ من رشد، ولا نصيب من سداد.

الخصلة الرابعة:

أنه لم يمل بأصحابه إلى الدنيا ولا إلى رفضها، وأمرهم فيها بالاعتدال، وقال: (خيركم من لم يترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه) وهذا صحيح، لأن الانقطاع إلى أحدهما اختلال، والجمع بينهما اعتدال.

وقال ﷺ : «**نعم المطية الدنيا فارتحلوها تبلغكم الآخرة**»، وإنما كان كذلك لأن من يتزود لآخرته، ويستكثر فيها من طاعته وأنه لا يخلو تاركها من أن يكون محروما مضاعا أو مرحوما مراعى وهو في الأول كَلّ وفي الثاني مستذل.

الخصلة الخامسة:

تصديه لمعالم الدين ونوازل الأحكام حتى أوضح للأمة ما كلفوه من العبادات، وبين لهم ما يحل وما يحرم من مباحات ومحظورات، وفصل لهم ما يجوز ويمتنع من عقود ومناكح ومعاملات.

حتى احتاج أهل الكتاب في كثير من معاملتهم ومواريثهم لشرعه ولم يحتج شرعه إلى شرع غيره ثم مهد لشرعه أصولا تدل على الحوادث المغفلة ويستنبط لها الأحكام

المعللة فأغنى عن نص بعد ارتفاعه وعن التباس بعد إغفاله ثم أمر الشاهد أن يبلغ الغائب ليعلم بإنذاره ويحتج بإظهاره فقال ﷺ : **«بلغوا عني ولا تكذبوا علي فرب مبلغ أوعى من سامع ورب حامل فقه ألى من هو أفقه منه»**.

الخصلة السادسة:

انتصابه لجهاد الأعداء وقد أحاطوا بجهاته وأحدقوا بجنباته وهو في قطب مهجور، وعدد محقور، فزاد به من قل وعز به من ذل وصار بإثخانه في الأعداء محذورا وبالرعب منه منصورا فجمع بين التصدي لشرع الدين حتى ظهر وانتشر وبين الانتصاب لجهاد العدو حتى قهر وانتصر.

الخصلة السابعة:

ما خص به من الشجاعة في حروبه والنجدة في مثابرة عدوه فإنه لم يشهد حرباً في فزاع إلا صابر حتى انجلت عن ظفر أو دفاع وهو في موقفه لم يزل عنه هرباً ولا حاز فيه رغباً، بل ثبت بقلب آمن وجأش ساكن قد ولى عنه أصحابه يوم حنين حتى بقى بإزاء جمع كثير وجم غفير في تسعة من أهل بيته وأصحابه على بغلة مسبوقة إن طلبت غير مستعدة لهرب ولا طلب وهو ينادي أصحابه ويظهر نفسه ويقول إلي عباد الله: **«أنا النبي لا أكذب أنا ابن عبد المطلب»** فعادوا أشذاذاً وأرسالاً وهوازن تراه وتحجم عنه فما هاب حرب من كاثره ولا انكفأ عن مصاولة من صابره.

الخصلة الثامنة:

ما منح من السخاء والجود حتى جاد بكل موجود وآثر بكل مطلوب ومحبوب ومات ودرعه مرهونة عند يهودي على آصع من شعير لطعام أهله.

وقد ملك جزيرة العرب وكان فيها ملوك وأقيال لهم خزائن وأموال يقتنوها ذخراً ويتباهون بها فخراً ويستمتعون بها أشراً وبطراً وقد حاز ملك جميعهم فما اقتنى دينارا ولا درهماً، لا يأكل إلا الخشن ولا يلبس إلا الخشن، وكان يقول: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن ترك ديناً أو ضياعا فعلي ومن ترك مالاً فلورثته فهل مثل هذا الكرم والجود كرم وجود؟ أم هل لمثل هذه الأعراض والزهادة إعراض وزهد؟ هيهات

إنا لم نرى ولم نسمع لأحد قط كصبره ولا كحلمه ولا كوفائه ولا كزهده ولا كجوده ولا كنجدته ولا كصدق لهجته ولا ككرم عشرته ولا كتواضعه ولا كحفظه ولا كصمته إذا صمت ولا كقوله إذا قال ولا كعجيب منشئه ولا كعفوه ولا كدوام طريقته وقله امتنانه.

المطلب الثاني:
الخصائص

القسم الأول: خصائص اختص بها رسول الله ﷺ دون غيره من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام:

القسم الثاني: ما اختص به ﷺ من الخصائص والأحكام دون أمته وقد يشاركه في بعضها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

القسم الأول: وقد قسم العلماء رحمهم الله الخصائص التي انفرد بها رسول الله ﷺ عن بقية الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام إلى عدة أنواع:

النوع الأول: ما اختص به لذاته في الدنيا

النوع الثاني: ما اختص به لذاته في الآخرة

النوع الثالث: ما اختص به لأمته في الدنيا

النوع الرابع: ما اختص به لأمته في الآخرة

* * *

النوع الأول: ما اختص به لذاته في الدنيا:

اختص الله تبارك وتعالى نبيه محمداً ﷺ دون غيره من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام بخصائص في الدنيا لذاته منها ما يلي:

أولاً: عهد وميثاق:

أخذ الله عز وجل العهد والميثاق علي جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم إلى عيسى عليهما السلام لما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمه وبلغ أي مبلغ ثم بعث محمد بن عبد الله ﷺ ليؤمن به ولينصرنه ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباعه ونصرته، كما أمرهم أن يأخذوا هذا الميثاق على أممهم لئن بعث محمد ﷺ وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه.

قال الله تعالى:{وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ}(١).

قال على بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم: ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه ميثاق لئن بعث الله محمداً وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث الله محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه.

ثانياً: رسالة عامة:

كان الأنبياء والرسل السابقين عليهم الصلاة والسلام يرسلون إلى أقوامهم خاصة كما قال الله تعالى:{إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ} (٢).

وقال الله تعالى:{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً}(٣).

وقال الله تعالى:{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً}(٤).

وأما نبينا ﷺ، فرسالته عامة لجميع الناس عربهم وعجمهم وإنسهم وجنهم، وهذا من خصائصه ﷺ.

قال العز بن عبد السلام رحمه الله: ومن خصائصه: أن الله تعالى أرسل كل نبي إلى قومه خاصة، وأرسل نبينا محمداً ﷺ إلى الجن والأنس، ولكل نبي من الأنبياء ثواب تبليغه إلى أمته.

ولنبينا ﷺ ثواب التبليغ إلى كل من أرسل إليه تارة لمباشرة البلاغ وتارة بالنسبة إليه ولذلك تمنن عليه بقوله تعالى{وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً}(٥).

ووجه التمنن: أنه لو بعث في كل قرية نذيراً لما حصل لرسول الله ﷺ إلا أجر إنذاره لأهل قريته وقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تشير إلى هذه الخصوصية قال الله تعالى:

---

(١) سورة آل عمران: ٨١.
(٢) سورة نوح ١.
(٣)سورالأعراف٦٥.
(٤) سورة الأعراف ٧٣.
(٥) سورة الفرقان ٥١.

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}(١).

قال الله تعالى:**{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}**(٢).

ثالثاً: نبوة خاتمة:

من رحمة الله تعالى بعباده إرسال محمد ﷺ إليهم، ومن تشريفه لـه ختم الأنبياء والمرسلين به وإكمال الدين الحنيف لـه وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ليعلم العباد أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال قال الله تعالى:**{مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً}**(٣).

ومما يدل على هذه الخصوصية من السنة ما يأتي:

عن أبي هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: **«إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين».**

عن أبي هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: فضلت على الأنبياء بست: **«أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون»**، وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **«إن لي أسماء: أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد».**

رابعاً: رحمة مهداة:

أرسل الله تبارك وتعالى رسوله محمداً ﷺ رحمة للخلائق عامة مؤمنهم وكافرهم وإنسهم وجنهم، وجعله رؤوفا رحيماً بالمؤمنين خاصة فمن قبل الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة ومن ردها وجحدها خسر الدنيا والآخرة.

---

(١)سورةسبأ٢٨.

(٢) سورة الأنبياء إية ١٠٦.

(٣) سورة الأحزاب آية ٤٠.

ويؤيد هذه الخصوصية:

عن أبي هريرة رضى الله عنه: قيل: يا رسول الله ﷺ ادع الله على المشركين قال: **«إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة»**.

وعنه رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ : **«يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة»**.

وعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«... أيما رجل من أمتي سببته سبة أو لعنته لعنة في غضبي فإنما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون وإنما بعثني رحمة للعالمين فأجعلها عليهم صلاةً يوم القيامة»**.

خامساً: أمنة لأصحابه:

أكرم الله تبارك وتعالى نبيه محمداً ﷺ فجعل وجوده بين أصحابه أمنة لهم من العذاب، بخلاف ما حصل لبعض الأمم السابقة حيث عذبوا في حياة أنبيائهم، وكان ﷺ أمنة لأصحابه كذلك من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحاً ووقع بعد وفاته.

قال العز بن عبد السلام رحمه الله: ومن خصائصه ﷺ أن الله تعالى أرسله (رحمة للعالمين) فأمهل عصاة أمته ولم يعجلهم إبقاء عليهم بخلاف من تقدمه من الأنبياء فإنهم لما كذبوا عوجل مكذبهم.

وقد جاء النص على هذه الخصوصية من القرآن الكريم والسنة المطهرة وآثار السلف الصالح، فمن ذلك ما روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فنزلت:**{وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}**(١).

وعن أبي موسى رضى الله عنه: قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا، لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء. قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: **«ما زلتم هاهنا؟»** قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: **«أحسنتم أو أصبتم»** قال فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء فقال: **«النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت**

---

(١) سورة الأنفال آيات ٣٣، ٣٤.

أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتي أمتي ما يوعدون».

سادساً : القسم بحياته :

أقسم الله تبارك وتعالى بأشياء كثيرة من مخلوقاته الدالة على كماله وعظمته ليؤكد المعنى في نفوس المخاطبين، فأقسم تعالى بالشمس والقمر والسماء وغير ذلك. بينما نجده سبحانه وتعالى لم يقسم بأحد من البشر إلا بالرسول الكريم ﷺ حيث يقول جل شأنه:**{لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ}** والأقسام بحياة المقسم يدل على شرف حياته وعزتها عند المقسم بها، وإن حياته ﷺ لجديرة أن يقسم بها لما فيها من البركة العامة والخاصة، ولم يثبت هذا لغيره ﷺ.

سابعاً : نداؤه بوصف النبوة والرسالة :

خاطب الله عز وجل رسوله ﷺ في القرآن الكريم بالنبوة والرسالة ولم يناده باسمه زيادة في التكريم والتشريف أما سائر الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام فخوطبوا بأسمائهم قال الله تعالى:**{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ}**(١) .

قال الله تعالى:**{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ}**(٢) .

قال الله تعالى:**{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}**(٣) .

بينما قال تعالى لأنبيائه:

قال الله تعالى:**{وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ}**(٤) قال الله تعالى:**{قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ}**(٥) .

قال العز بن عبد السلام رحمه الله: ولا يخفى على أحد أن السيد إذا دعى أحد عبيده بأفضل ما وجد فيهم من الأوصاف العلية والأخلاق السنية، ودعا الآخرين بأسمائهم الأعلام لا يشعر بوصف من الأوصاف ولا بخلق من الأخلاق، أن منزلة من دعاه بأفضل الأسماء والأوصاف أعز عليه وأقرب إليه ممن دعاه باسمه العلم. وهذا معلوم بالعرف أن من دعي بأفضل أوصافه وأخلاقه كان ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه.

---

(١) سورة المائدة آية ٤١.
(٢) سورة المائدة آية ٦٧.
(٣) سورة الأنفال آية ٦٤.
(٤) سورة البقرة آية ٣٥.
(٥) سورة هود آية ٤٨.

ثامناً: نهي المؤمنين عن مناداته باسمه:

أدب الله عز وجل عباده المؤمنين في مخاطبة نبيه ﷺ والكلام معه تشريفاً وتعظيماً وتقديراً لـه، فأمرهم أن لا يخاطبونـه باسمه بل يخاطبوه: يا رسول الله، يا نبي الله وإذا كان الله تبارك وتعالى خاطبه في كتابه العزيز بالنبوة والرسالة ولم يناده باسمه زيادة في التكريم والتشريف كما مر ذكره. فمن باب أولى وأحرى أهل الإيمان. واختص رسول الله ﷺ بذلك بخلاف سائر الأنبياء والمرسلين فإن أممهم كانت تخاطبهم بأسمائهم قال الله جل ذكره**{لاَ تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}** (١).

بخلاف ما خاطبت به الأمم السابق أنبياءها فقال تعالى حكاية عنهم:**{قَالُواْ يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ}**(٢).**{قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}**(٣).

تاسعاً: كلم جامع:

فضل الله عز وجل نبيه ﷺ على غيره من الأنبياء عليهم السلام بأن أعطاه جوامع الكلم، فكان ﷺ يتكلم بالقول الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني أعطاه مفاتيح الكلام وهو ما يسره لـه من البلاغة والفصاحة، والوصول إلى غوامض المعاني وبدائع الحكم ومحاسن العبارات والألفاظ التي أغلقت على غيره وتعذرت عليه قال العز بن عبد السلام رحمه الله: ومن خصائصه أنه بعث بجوامع الكلم، واختصر لـه الحديث اختصارا، وفاق العرب في فصاحته.

عاشراً: نصر بالرعب:

اختص نبينا ﷺ، بأن الله عز وجل نصره بالرعب، وهو الفزع والخوف، فكان سبحانه يلقيه في قلوب أعداء رسوله ﷺ، فإذا كان بينه وبينهم مسيرة شهر أو شهرين هابوا وفزعوا منه، فلا يقدمون على لقائه، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وهذه الخصوصية حاصلة لـه على الإطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر.

---

(١) سورة النور آية ٦٣.

(٢) سورة الأعراف آية ١٣٤.

(٣) سورة الأعراف آية ١٣٨.

وعن السائب بن يزيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«فضلت على الأنبياء بخمس: بعثت إلي الناس كافة ، وادخرت شفاعتي لأمتي ، ونصرت بالرعب شهراً أمامي ، وشهراً خلفي ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي»**.

الحادي عشر : مفاتيح خزائن الأرض بيده :

أكرم الله عبده ورسوله محمداً ﷺ واختصه على غيره من الأنبياء بأن أعطاه مفاتيح خزائن الأرض وهي ما سهل الله تعالى لـه ولأمته من بعده من افتتاح البلاد المتعذرات والحصول على كنوزها وذخائرها ومغانمها واستخراج الممتنعات من الأرض كمعادن الذهب والفضة وغيرها.

عن عقبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف على المنبر فقال: **«إني فرط لكم ، وأنا شهيد عليكم ، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها»**.

الثاني عشر : ذنوب مغفورة :

اختص الله تعالى عبده ورسوله محمداً ﷺ تشريفاً لـه وتكريماً بأن غفر لـه ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأخبره بهذه المغفرة وهو حي صحيح يمشي على الأرض.

قال العز بن عبد السلام: من خصائصه أنه أخبره الله بالمغفرة ولم ينقل أنه أخبر أحداً من الأنبياء بذلك وقال تعالى:**{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ}**[1].

وفي حديث أنس رضي الله عنه في الشفاعة وفيه:

«... فيأتون عيسى فيقول ... اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ ، فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر».

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

قال: أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً فلما كثر لحمه صلى جالساً، فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع.

---

(١) سورة الشرح آيات من ١ الى ٤.

الثالث عشر: كتابٌ خالدٌ محفوظٌ:

أعطى الله تبارك وتعالى كل نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الآيات والمعجزات الدالة على صدقه وصحة ما جاء به عن ربه فيه كفاية وحجة لقومه الذين بعث إليهم، وهذه المعجزات كانت وقتية انقرض زمانها في حياتهم ولم يبق منها إلا الخبر عنها.

وأما نبينا ﷺ فكانت معجزته العظمى التي أختص بها دون غيره هي القرآن العظيم الحجة المستمرة الدائمة القائمة في زمانه وبعده إلى يوم القيامة. كتاب خالد لا ينضب معينه ولا تنقضي عجائبه ولا تنتهي فوائده محفوظ بحفظ الله من التغيير والتبديل والتحريف، قال العز بن عبد السلام: من خصائصه أن معجزة كل نبي تصرمت وانقرضت ومعجزة سيد الأولين والآخرين وهي القرآن العظيم باقية إلى يوم الدين وقال:... ومنها حفظ كتابه، فلو اجتمع الأولون والآخرون على أن يزيدوا فيه كلمة أو ينقصوا منه لعجزوا عن ذلك، ولا يخفى ما وقع من التبديل في التوراة والإنجيل.

قال الله تعالى:**{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا له لَحَافِظُونَ}**(١).

وقوله تعالى:**{وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ}**(٢).

وعن يحيى بن أكثم قال: دخل يهودي على المأمون فتكلم فأحسن الكلام، فدعاه المأمون إلى الإسلام، فأبي فلما كان بعد سنة جاءنا مسلماً، فتكلم عن الفقه فأحسن الكلام، فقال له المأمون: ما كان سبب إسلامك؟ قال: انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الأديان فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الكنيسة، فاشتريت مني، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها البيعة، فاشتريت مني، وعمدت إلى القرآن فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الوارقين فتصفحوها، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها، فعلمت أن هذا الكتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامي.

---

(١) سورة الحجر آية ٩.

(٢) سورة فصلت آيات ٤١، ٤٢.

الرابع عشر: إسراء ومعراج:

ومما اختص به رسول الله ﷺ عن غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معجزة الإسراء والمعراج فقد أسري به ببدنه وروحه يقظة من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس بإيلياء في جنح الليل، ثم عرج به إلى سدرة المنتهى ثم إلى حيث شاء الله عز وجل ورجع مكة من ليلته، وأكرم ﷺ في هذه الآية العظيمة بكرامات كثيرة، منها: تكليمه ربه عز وجل، وفرض الصلوات عليه، وما رأى من آيات ربه، وإمامته للأنبياء في بيت المقدس. فدل ذلك على أنه هو الإمام الأعظم والرئيس المقدم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

وقد ثبت الإسراء بالقرآن، كما ثبت المعراج بالمتواتر من الحديث، وإليه أشار القرآن قال الله تعالى**{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حوله لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}**(١).

وقال تعالى:**{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}**(٢).

النوع الثاني: ما اختص به ﷺ لذاته في الآخرة:

ما اختص به ﷺ من الخصائص والأحكام دون أمته وقد يشاركه في بعضها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

أولاً: وسيلة وفضيلة:

الوسيلة أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا عبد واحد من عباد الله وهو رسولنا ﷺ قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (الوسيلة) علم على أعلى منزلة في الجنة وهي منزلة رسول الله ﷺ وداره في الجنة، وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه به عشراً ، ثم سلوا**

(١) سورة الإسراء: ١.

(٢) سورة النجم الآيات من ٣ - ١٨.

الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة».

ثانياً : مقام محمود :

لرسول الله ﷺ يوم القيامة، تشريفات وتكريمات لا يشركه ولا يساويه فيها أحد الأنبياء فمن دونهم ومن ذلك المقام المحمود، الذي يقومه ﷺ فيحمده الخالق عز وجل والخلائق من بعده قال تعالى:**{وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً}**(١) قال ابن جرير الطبري رحمه الله: قال أكثر أهل العلم ذلك هو المقام الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم.

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: المقام المحمود: مقام الشفاعة.

ثالثاً : شفاعة عظمى وشفاعات :

«يجمع الله عز وجل الأولين والآخرين يوم القيامة في صعيد واحد ، وتدنو منهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها ويعرق الناس حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين باعاً ويلجمهم ويبلغ آذانهم في يوم مقداره خمسين ألف سنة ، قياماً على أقدامهم شاخصة أبصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر في أمورهم . فإذا بلغ الكرب والجهد منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضاً في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم ، فلم يتعلقوا بنبي إلا دفعهم ، قال: نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ فينطلق فيشفع حتى يقضي الله تبارك وتعالى بين الخلق وبعد هذه الشفاعة يكون له ولغيره شفاعات أخرى . فهذه هي الشفاعة العظمى ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتي رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال: أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون . فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم . فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول أدم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن

(١) سورة الإسراء آية ٧٩.

يغضب بعده مثله ، إنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد سماك الله عبداً شكوراً ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، إنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي ، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى إبراهيم ، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم إنك نبي الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات ، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى ، فيأتون موسى فيقولون: يا موسى ، أنت رسول الله ، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد قتلت نفساً لم أومر بقتلها ، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى عيسى ، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وكلمت الناس في المهد صبياً ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذنباً ، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد فيأتون محمد ﷺ فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فأنطلق ، فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي عز وجل ، ثم يفتح الله عليّ من محامده ومحاسنه وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال: يا محمد ، أرفع رأسك سل تعطه ، واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب ، أمتي يا رب ، فيقال: يا محمد ، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب . ثم قال: والذي نفسي بيدي إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير ، أو كما بين مكة وبصرى».

هذا، ولرسول الله ﷺ شفاعات أخرى غير الشفاعة العظمى، منها ما اختص بها وحده، ومنها ما شاركه فيها غيره ممن أذن الله تعالى لـه من الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين وغيرهم.

* * * * *

المطلب الثالث:
شفاعته ﷺ

نقتصر على ذكر الأدلة في ما اختص به منها دون غيره:

الشفاعة في استفتاح باب الجنة.

الشفاعة في تقديم من لا حساب عليهم في دخول الجنة.

الشفاعة فيمن استحق النار من الموحدين أن لا يدخلها.

الشفاعة في إخراج عصاة الموحدين من النار.

الشفاعة في رفع درجات ناس في الجنة.

الشفاعة في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب.

أولاً: الشفاعة في استفتاح باب الجنة:

ينتقل الناس في عرصات القيامة من كرب إلى كرب فأهوال قبل فصل القضاء، فشفاعة عظمى ثم يحاسب الناس، وعند ذلك ينصب الميزان، وتطاير الصحف ويكون التميز بين المؤمنين والمنافقين ثم يؤذن في نصب الصراط والمرور عليه ويوقف بعض من نجا عند القنطرة للمقاصصة بينهم، فإذا انتهى ذلك كله يقوم المؤمنون وتقرب لهم الجنة فيطلبون من يكرم على مولاه ليشفع لهم في استفتاح باب الجنة، فيأتون آدم فإبراهيم فموسى فعيسى عليهم السلام وكل منهم يعتذر عن ذلك المقام العظيم، فيأتون رسول الله ﷺ فيشفع لهم الله تعالى.

فعن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ : **«يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف (تقرب) لهم الجنة ، فيأتون آدم ، فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة ، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله ، قال: فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلاً من وراء وراء ، اعمدوا إلى موسى الذي كلمه الله تكليماً ، فيأتون موسى فيقول: لست بصاحب ذلك ، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه ، فيقول عيسى: لست بصاحب ذلك ، فيأتون محمداً ﷺ ، فيقوم فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرق؟ ، قال قلت بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق؟ ، قال: (ألم تروا إلى البرق كيف يمر**

ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً قال وفى حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به ، فمخدوش ناج ومكدوس في النار) والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفاً».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«آتي باب الجنة يوم القيامة ، فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد ، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك».**

ثانياً : شفاعته في تقديم من لا حساب عليهم في دخول الجنة :

ومما اختص به رسولنا ﷺ من الشفاعات أنه يشفع في تعجيل دخول الجنة لمن لا حساب عليهم من أمته وهذا من عظيم قدره ﷺ ورفعة منزلته عند ربه تبارك وتعالى.

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل في الشفاعة... يا محمد أرفع رأسك سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقول: يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«سألت ربي عز وجل فوعدني أن يدخل من أمتي سبعين ألفاً على صورة القمر ليلة البدر ، فاستزدت فزادني مع كل ألف سبعين ألفا ، فقلت أي رب ، إن لم يكن هؤلاء مهاجري أمتي قال: إذن أكملهم لك من الأعراب».**

ثالثاً : شفاعته في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب :

كـان أبـو طالـب يحـوط ابـن أخيـه رسـول الله ﷺ، وينصـره ويقـوم فـي صـفه ويبـالغ فـي إكرامـه والـذب عنـه، ويحبـه حبـاً شـديداً طبعيـاً لا شـرعياً، فلمـا حضـرته الوفـاة وحـان أجلـه دعـاه رسـول الله ﷺ إلـى الأيمـان والـدخول فـي الإسـلام، فسـبق القـدر فيـه فاستمر علـى مـا كـان عليـه مـن الكفـر ولله الحكمـة البالغـة. ونظـراً لمـا قـام بـه أعمـال جليلـة مـع رسـول الله ﷺ جـوزي علـى ذلـك بتخفيـف العـذاب خصوصـية لـه مـن عمـوم الكفـار الـذين لا تـنفعهم شـفاعة الشـافعين. وذلـك إكرامـاً وتطيبـاً لقلـب رسول الله ﷺ.

فعـن العبـاس بـن عبـد المطلـب رضـي الله عنـه أنـه قـال: يـا رسـول الله، هـل نفعـت أبـا طالـب بشـيء، فإنـه كـان يحوطـك ويغضـب لـك؟ قـال: **«نعـم ، هـو فـي ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»**.

ضحضاح بمعنى: ما رق من الماء على وجه الأرض.

* * * * *

المطلب الرابع:
ضيق عيشه ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما شبع آل محمد ﷺ من طعام ثلاثة أيام تباعًا حتى قبض وفي رواية: والذي نفس أبي هريرة بيده ما شبع نبي الله ﷺ ثلاثة أيام تباعًا من خبز حنطة حتى فارق الدنيا [(١)].

وعن ابن عباس رضـي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يبيت الليـالي المتتابعة طاويًا هو وأهله، لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز شعير [(٢)].

وعـن عائشـة رضـي الله عنهـا قالـت: مـا شـبع آل محمـد مـن خبـز الشـعير يـومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ [(٣)].

وفي رواية لمسلم: قالت: لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين.

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه أحمد والترمذي وابن ماجة.

(٣) رواه الشيخان.

وفي رواية للترمذي عن عائشة: والله ما شبع من خبز ولحم مرتين في اليوم.

وفي رواية للبيهقي قالت: ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متوالية ولو شئنا لشبعنا ولكنه كان يؤثر على نفسه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: إن فاطمة رضي الله عنها ناولت النبي ﷺ كسرة من خبز شعير. فقال لها: «**هذا أول طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيام**» (١) - وعنه قال: قال ﷺ : «**ولقد أتت علي ثلاثون من يوم وليلة ، وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ بطعام سخن فأكل، فلما فرغ قال: «**الحمد لله ، ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذا**» (٣).

وعن أنس رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ لم يجتمع عنده غداء ولا عشاء من خبز ولحم إلا على ضفف(٤).

ومعنى على ضفف: أي عندما ينزل عليه الضيوف، فيشبع حينئذ لضرورة الإيناس والمجاملة، وعن النعمان بن بشير قال: ذكر عمر ما أصاب الناس من الدنيا، فقال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوي، ما يجد من الدقل ما يملأ بطنه "(٥). الدقل: التمر الرديء.

وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: والله يا ابن أخي، إنا كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار.

قلت يا خالة: فما كان عيشكم؟

قالت: الأسودان، التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران وكانت لهم منائح، فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناه.

---

(١) رواه أحمد والطبراني، وزاد: فقال: ما هذه؟ فقالت: قرص خبزته فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة - ورواتها ثقات.

(٢) رواه أحمد الترمذي وابن حبان، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) رواه ابن ماجة بإسناد حسن، والبيهقي بإسناد صحيح.

(٤) أخرجه الترمذي في الشمائل.

(٥) رواه مسلم.

وعن أبي طلحة قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع ورفعنا ثيابنا عن حجر على بطوننا، فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين[1].

ضيق عيشه ﷺ كان باختياره:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ : **«اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا»**، وفي رواية: **«كفافًا»** [2].

الكفاف: ما لا يفضل عن الشيء ويكون بقدر الحاجة.

القوت: ما يسد به الريق سمي قوتًا لحصول القوة به.

وعن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: **«عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبًا ، فقلت: لا يا رب ، ولكني أشبع يومًا وأجوع يومًا ، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك»** [3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ ذات يوم وجبريل عليه السلام على الصفا، فقال رسول الله ﷺ : **«يا جبريل ، والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق ، فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفزعته ، فقال رسول الله ﷺ : أمر الله القيامة أن تقوم؟ قال: لا ، ولكن أمر إسرافيل فنزل إليك حين سمع كلامك فأتاه إسرافيل فقال: إن الله سمع ما ذكرت فبعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض ، وأمرني أن أعرض عليك أن أسير معك جبال تهامة زمردًا وياقوتًا وذهبًا وفضة ، فإن شئت نبيًا ملكًا ، وإن شئت نبيًا عبدًا فأومأ إليه جبريل أن تواضع ، فقال: بل نبيًا عبدًا ... ثلاثًا»** [4].

عدم ذكره عيب الطعام واستحباب مدحه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما عاب رسول الله ﷺ طعامًا قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه[5].

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه الشيخان والترمذي وابن ماجة.

(٣) رواه أحمد والترمذي بسند ضعيف.

(٤) رواه الطبراني بإسناد حسن والبيهقي وغيرهما.

(٥) رواه البخاري.

وعن جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ سأل أهله إدامًا، فقالوا: ما عندنا إلا خل، فدعا به، فجعل يأكل ويقول: **«نعم الأدم الخل ، نعم الأدم الخل»** [(١)].

صفة مأكله ومشربه ﷺ:

كان ﷺ يأكل بأصابعه الثلاثة ثم يلعقها.

روى الترمذي: أنه ﷺ كان يأكل بأصابعه الثلاث، وكان يلعق أصابعه إذا فرغ ثلاثًا روى مسلم: أنه كان يلعقها قبل أن يمسحها.

وقال كعب بن عجرة: رأيت رسول الله ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث، بالإبهام والتي تليها والوسطى، وأكل ﷺ أيضًا بخمسة.

كان ﷺ لا يأكل متكئًا.

روى البخاري أنه ﷺ قال: **«لا آكل متكئًا»**.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال ﷺ : **«إني آكل كما يأكل العبد ، وأشرب كما يشرب العبد»** [(٢)]. كان ﷺ يشرب ثلاثًا.

روى السبعة: أنه ﷺ كان إذا شرب تنفس ثلاثًا، ويقول: **«هو أهنأ وأمرأ وأبرأ»**.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه ﷺ كان يشرب في ثلاثة أنفاس، إذا أدنى الإناء إلى فيه سمى الله تعالى، فإذا أخره حمد الله، يفعل ذلك ثلاثًا[(٣)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه ﷺ كان إذا شرب تنفس مرتين[(٤)].

قال المناوي: أي تنفس في أثناء الشرب مرتين، فيكون قد شرب ثلاث مرات، وسكت عن التنفس الأخير لكونه من ضرورة الواقع، فلا تعارض بينه وبين ما قبله من الثلاث.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن عدي والديلمي وابن أبي شيبة بإسناد ضعيف.

(٣) رواه الطبراني.

(٤) رواه الترمذي وابن ماجة بسند ضعيف.

كان ﷺ يشرب قاعداً:

روى مسلم: أنه ﷺ كان يشرب قاعدًا، وكان ذلك عادته ﷺ.

وروى مسلم أيضًا: أنه ﷺ نهى عن الشرب قائمًا.

وعن علي رضي الله عنه: أنه شرب قائمًا، وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ، فقال: كما رأيتموني فعلت[١].

فشربه ﷺ كان لبيان الجواز.

لباس النبي ﷺ:

كان ﷺ يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غيرها.

عن عائشة رضي الله عنها: أنها أخرجت إزارًا مما يصنع باليمن وكساء من هذه اللبدة، فقالت: في هذا قبض النبي ﷺ "[٢].

وعن أنس رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية "[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يلبس قميصًا قصير اليدين والطول[٤].

وعنه قال: كان النبي ﷺ يلبس قميصًا فوق الكعبين مستوي الكمين بأطراف أصابعه[٥].

وقال دحية الكلبي: أهدى لرسول الله ﷺ جبة من الشام[٦].

وقال المغيرة بن شعبة: لبس النبي ﷺ جبة رومية ضيقة الكمين[٧].

---

(١) رواه البخاري وأبو داود والنسائي.

(٢) أخرجه الشيخان.

(٣) أخرجه الشيخان.

(٤) أخرجه ابن ماجة بسند ضعيف.

(٥) أخرجه ابن ماجة وابن عساكر والحاكم وابن حبان وصححاه.

(٦) ابن حبان.

(٧) أخرجه الشيخان.

وقال عبد الله مولى أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما: أخرجت إلينا أسماء جبة طيالسة كسروانية، لها لينة ديباج، وفرجاها مكفوفان بالديباج، فقالت: هذه كانت عند عائشة حتى قبضت فلما قبضت قبضتها، وكان النبي ﷺ يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها[١].

وعن سهل بن سعد قال: توفي رسول الله ﷺ وله جبة صوف في الحياكة[٢].

وقال أنس رضي الله عنه: أهدى ملك الروم إلى رسول الله ﷺ مستقة من سندس فلبسها.

قال أنس: فكأني أنظر إلى يديه تذبذان من طولهما، فجعل القوم يقولون: يا رسول الله أنزلت عليك من السماء؟ فقال: **«وما تعجبون منها؟! والذي نفسي بيده إن منديلاً من مناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها»**.

ثم بعث بها إلى جعفر بن أبي طالب فلبسها فقال رسول الله ﷺ : **«إني لم أعطكها لتلبسها»** قال: فما أصنع بها؟ قال: **«ابعث بها إلى أخيك النجاشي»** أخرجه ابن سعد وأحمد وأبو داود مختصرًا.

وعن ابن داود: أن قيصرًا أهدى لرسول الله ﷺ جبة من سندس، فاستشار أبا بكر وعمر، فقالا: يا رسول الله، نرى أن تلبسها، يكبت الله بها عدوك ويسر المسلمون، فلبسها وصعد المنبر فخطب، وكان جميلاً يتلألأ وجهه فيها، ثم نزل فخلعها، فلما قدم عليه جعفر وهبها له - أخرجه قانع بن قانع.

وإنما لبس النبي ﷺ المستقة أو الجبة من سندس قبل تحريم الحرير، ثم نزعها بعد التحريم.

وفي رواية لمسلم والنسائي أن النبي قال حين نزعه: نهاني عنه جبريل.

وأمر النبي ﷺ جعفر بإهداء المستقة لملك الحبشة لينتفع بها بطريق حلال بأن يكسوها النساء.

---

(١) أخرجه مسلم والنسائي وابن سعد.

(٢) أخرجه أبو داود والطيالسي.

ويحتمل أن النبي ﷺ لبس المستقة بعد تحريم الحرير؛ لكونها مكفوفة بالسندس، وليس جميعها حريرًا خالصًا لأن نفس الفروة لا تكون سندسًا، ومع ذلك ترك لبسها بعد ورعًا.

ولبس النبي ﷺ الحبرة، وهي كعنبه نوع من البرود اليمنية، وكانت من أحب الثياب إليه، ولبس القباء والفروج، وهو القباء الذي شق من خلفه.

وقال الواقدي: كان رداؤه وبرده طول ستة أذرع في ثلاثة وشبر، وإزاره من نسج عمان طول أربعة أذرع وشبر في عرض ذراعين وشبر، ولبس حلة حمراء. والحلة: إزار ورداء، ولا تكون الحلة إلا اسمًا للثوبين معًا.

وغلط من ظن أنها كانت حمراء بحتة لا يخالطها غيرها؛ إنما الحلة الحمراء بردان يمنيان منسوجان بخطوط حمر مع الأسود كسائر البرود اليمنية، وهي معروفة بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط الحمر، فالأحمر البحت منهي عنه أشد النهي.

ولبس ﷺ الخميصة المعلمة والساذجة، ولبس ثوبًا أسود، ولبس الفروة المكفوفة بالسندس.

وكان ﷺ يلبس العمامة وتحتها قلنسوة، وكان يلبسها بلا قلنسوة، وكان إذا اعتم أرخى عمامته بين كتفيه، وكان يتلحى بالعمامة تحت الحنك.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي كان إذا استجد ثوبًا سماه باسمه عمامة أو قميصًا أو رداء ثم يقول: **«اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه ، أسألك خيره وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له»** أخرجه أحمد والحاكم والثلاثة وحسنه الترمذي، وصححه النووي.

وكان النبي ﷺ إذا لبس ثوبًا أو غيره بدأ بيمناه، وإذا لبس شيئًا من الثياب بدأ بالأيمن، وإذا نزع بدأ بالأيسر.

فراش النبي ﷺ:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وهو نائم على حصير قد أثر في جنبه فبكيت فقال: **«ما يبكيك؟»** قلت: كسرى وقيصر على الخز والديباج، وأنت نائم على هذا الحصير. فقال ﷺ : **«ما لي وللدنيا ، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»** [1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إنما كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه أدمًا حشوه ليف.

وفي رواية: كان وساد رسول الله ﷺ الذي يتكئ عليه من أدم حشوه ليف[2].

وعن حفصة رضي الله عنها قالت: كان فراشه ﷺ مسحًا يثنيه ثنيتين فينام عليه، فلما كان ذات ليلة قلت: لو ثنيته أربع ثنيات لكان أوطأ، فثنيناه بأربع ثنيات فلما أصبح قال: **«ما فرشتموه الليلة؟»** قلنا: هو فراشك إلا أنا ثنيناه بأربع ثنيات، قلنا هو أوطأ لك. قال: **«ردوه لحاله الأولى ؛ فإنه منعني وطاؤه صلاتي الليلة»** [3].

* * * * *

---

(١) - رواه أحمد، وابن ماجة بإسناد صحيح عن عمر بن الخطاب بلفظ آخر والترمذي وقال: حسن صحيح، والحاكم والطبراني، وقال الحاكم على شرط البخاري وأقره الذهبي، وقال الهيثمي: ورجال أحمد رجال الصحيح غير هلال بن حيان وهو ثقة.

(٢) رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي وابن ماجة.

(٣) رواه الترمذي.

المطلب الخامس:
عظمة النبي ﷺ في القلوب

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: صحبت رسول الله ﷺ ما ملأت عيني منه قط حياء منه وتعظيمًا له، ولو قيل لي صفه لما قدرت[١].

ولما رأته ﷺ قيلة بنت مخرمة في المسجد وهو قاعد القرفصاء أرعدت من الفرق، أي الخوف[٢].

وجاء رجل إليه ﷺ فقام بين يديه، فأخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له: **«هون عليك فإني لست بملك ولا جبار ، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة ، فنطق الرجل بحاجته»**.

خوف النبي ﷺ من الله عز وجل:

روى البخاري: أن النبي ﷺ قال: **«إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية»**.

وروى أيضًا أنه ﷺ قال: **«لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا»**.

وعن عبد الله بن الشخير قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلي وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء[٣].

اكتحال النبي ﷺ:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان ﷺ له مكحلة يكتحل منها كل ليلة ثلاثة في هذه وثلاثة في هذه[٤].

جماع النبي ﷺ:

عن أنس رضي الله عنه قال: كان ﷺ يطوف على جميع نسائه في ليلة بغسل واحد[٥].

وزاد في رواية: وله يومئذ تسع، وقال البخاري: وهم إحدى عشرة قال المناوي: ولا منافاة، لأنه ضم مارية وريحانة إليهن، وأطلق عليهن لفظ نسائه تغليبًا.

---

(١) مسلم.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه أحمد وأبو داود واللفظ له، والنسائي بسند حسن، والترمذي وصححه، وابن حبان وابن خزيمة.

(٤) رواه الترمذي وابن ماجة وحسنه الترمذي وروى أحمد نحوه، وقال المناوي: فيه عباد بن منصور ضعفه الذهبي.

(٥) رواه السبعة.

قال الراوي: قلت لأنس: أو كان يطيقه؟

قال: كنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين - هذا لفظ البخاري وعن معاذ: قوة أربعين، وعن مجاهد: كل رجل من رجال أهل الجنة وعن أنس مرفوعًا: يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في الجماع. قلت: يا رسول الله، أو يطيق ذلك؟ قال: **«يعطى قوة مائة»**.

نوم النبي ﷺ:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله تنام قبل أن توتر؟ قال: **«تنام عيني ولا ينام قلبي»** [(١)].

قال المناوي: وذلك لأن النفوس الكاملة القدسية لا يضعف إدراكها بنوم العين واستراحة البدن، ومن ثم كان سائر الأنبياء مثله لتعلق أرواحهم بالملأ الأعلى، ومن ثم كان إذا نام لم يوقظ لأنه يدري ما هو فيه، ولا ينافيه نومه بالوادي عن الصبح لأن رؤيتها وظيفة بصرية.

ضحك النبي ﷺ:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعًا قط ضاحكًا حتى أرى منه لهواته وإنما كان يبتسم[(٢)].

اللهوات: جمع لهاة، وهي اللحمة التي بأعلى الحنجرة من أقصى الفم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه في قصة المواقع أهله في رمضان فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه[(٣)].

النواجذ: الأضراس

وقال ابن أبي هالة في حديثه: جل ضحكه التبسم.

وعن جابر بن سمرة قال: كان ﷺ لا يضحك إلا تبسمًا[(٤)].

وعنه قال: كان ﷺ طويل الصمت قليل الضحك[(٥)].

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه أحمد والترمذي والحاكم.

(٥)رواه أحمد، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير شريك وهو ثقة.

وعن عبد الله بن الحارث قال: ما رأيت أحدًا أكثر تبسمًا من رسول الله ﷺ [(١)].

قال الحافظ بن حجر: والذي يظهر من مجموع الأحاديث أنه ﷺ كان في معظم أحواله لا يزيد على التبسم، وربما زاد على ذلك فضحك.

سرور النبي ﷺ:

عن كعب بن مالك قال: كان ﷺ إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر[(٢)].

بكاء النبي ﷺ:

وكان بكاؤه ﷺ من جنس ضحكه، لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة، ولكن تدمع عيناه حتى تهملا، ويسمع لصدره أزيز حين يبكي رحمة لميت، وخوفًا على أمته، وشفقة من خشية الله عند سماع القرآن، وأحيانًا في صلاة الليل.

بكاؤه ﷺ عند المريض:

عندما اشتكى سعد بن عبادة ذات مرة، عاده فوجده في غشاية أهله، فقال: «**قد قضى؟**» قالوا: لا يا رسول الله، فبكى النبي ﷺ، فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا، فقال: «**إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا**» وأشار إلى لسانه أو يرحم [(٣)].

كلام النبي ﷺ:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم[(٤)].

وعنها قالت: كان النبي يحدث حديثًا لو عده العاد لأحصاه [(٥)].

وعنها قالت: كان كلامه كلامًا فصلاً يفهمه كل من سمعه [(٦)].

وعن جابر رضي الله عنه قال: كان في كلام الرسول ﷺ ترتيل وترسيل [(١)].

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه الشيخان.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه الشيخان والترمذي.

(٥) رواه الشيخان وأبو داود والترمذي.

(٦) رواه أبو داود والنسائي بلفظ: يحفظه كل من سمعه، قال العراقي: إسناده حسن.

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان الرسول ﷺ يعيد الكلمة ثلاثًا لتعقل منه[٢].

شجاعة النبي ﷺ:

عن أنس رضي الله عنه قال: كان ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم النبي ﷺ راجعًا، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة، في عنقه السيف وهو يقول: لم تراعوا لم تراعوا، وقال عن الفرس: وجدناه بحرًا، أو إنه لبحر [٣].

وقال علي رضي الله عنه: لما حضر البأس يوم بدر اتقينا برسول الله ﷺ وكان من أشد الناس ما كان، ولم يكن أحد أقرب إلى المشركين منه.

وعنه من طريق ثان قال: رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو وكان من أسد الناس بأسًا [٤].

وعن البراء: أن رجلاً من قيس سأله: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟.

فقال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر، كان هوازن رماة، وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلنا بالسهام، وفرت الأعراب ومن تعلم من الناس، ولقد رأيت النبي ﷺ على بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان بن الحارث آخذ بزمامها، والنبي ﷺ يقول:

أنا النبي لا كذب ::: أنا ابن عبد المطلب

وفي حديث: كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله ﷺ.

وقال ابن عمر: ما رأيت أشجع ولا أنجد من رسول الله ﷺ.

* * * * *

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه أحمد والبخاري والترمذي.

(٣) رواه الشيخان والترمذي وابن ماجة.

(٤) رواه أحمد.

المطلب السادس:
قوة النبي ﷺ

مصارعته ﷺ ليزيد بن ركانة وغيره:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن يزيد بن ركانة صارع النبي ﷺ، فصرعه النبي ﷺ ثلاث مرات، كل مرة على مائة من الغنم، فلما كان في الثالثة.

قال: يا محمد ما وضع ظهري إلى الأرض أحد قبلك، وما كان أحد أبغض إلي منك، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

فقام عنه رسول الله ﷺ ورد عليه غنمه (١).

وقد صارع ﷺ جماعة غير ركانة منهم: أبو الأسود الجمحي، كما قاله السهيلي ورواه البيهقي، وكان شديدًا بلغ من شدته أنه كان يقف على جلد البقرة ويجاذب أطرافه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتفرى الجلد ولم يتزحزح عنه.

فدعا رسول الله ﷺ إلى المصارعة وقال: إن صرعتني آمنت بك، فصرعه رسول الله ﷺ فلم يؤمن.

مشية النبي ﷺ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما رأيت أحدًا أسرع في مشيه منه ﷺ لكأنما الأرض تطوى لـه كنا إذا مشينا معه نجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث (٢) - وعن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا مشى تكفأ تكفؤًا كأنما ينحط من صبب (٣).

تبرك الصحابة بآثاره ﷺ:

عن أنس رضي الله عنه: أن أم سليم كانت تبسط للنبي ﷺ نطعًا فيقيل عندها على ذلك النطع، فإذا قام أخذت من عرقه وشعره فجمعته في قارورة ثم جعلته في مسك، فلما حضر أنسًا الوفاة أوصى أن يجعل في حنوطه من ذلك المسك فجعل في حنوطه(٤).

---

(١) رواه أبو بكر الشافعي بإسناد جيد، ورواه أبو داود والترمذي عن محمد بن ركانة بلفظ آخر، وقال الترمذي غريب.

(٢) رواه الترمذي وقال: حسن غريب.

(٣) رواه الترمذي وغيره.

(٤) رواه الشيخان والنسائي.

وعنه قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل [١].

وعن أبي جحيفة قال: أتيت النبي ﷺ فخرج بلال بوضوئه، فرأيت الناس يبتدرون ذلك الوضوء، فمن أصابه منه شيء تمسح به، ومن لم يصب أخذ من بلل يد صاحبه وخرج النبي ﷺ وقام الناس فجعلوا يأخذون يده فيمسحون بها وجوههم، فأخذت يده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب من المسك[٢].

الحذر من الغضب:

قال الله تعالى:**{وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ}** وقال ﷺ : **«ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»** [٣].

وعندما قال رجل للنبي ﷺ : أوصني، قال: **«لا تغضب»** ورددها مرارًا.

* * * * *

المطلب السابع:
أسماء النبي ﷺ

وكلها نعوت ليست أعلاماً محضة لمجرد التعريف بل أسماء مشتقة من صفات قائمة به توجب لـه المدح والكمال.

فمنها محمد وهو أشهرها وبه سمي في التوراة صريحاً كما بيناه بالبرهان الواضح في كتاب "جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام" وهو كتاب فرد في معناه لم يسبق إلى مثله في كثرة فوائده وغزارتها بينا فيه الأحاديث الواردة في الصلاة والسلام عليه وصحيحها من حسنها ومعلولها وبينا ما في معلولها من العلل بياناً شافياً ثم أسرار هذا الدعاء وشرفه وما اشتمل عليه من الحكم والفوائد ثم مواطن الصلاة عليها ومحالها ثم الكلام في مقدار الواجب منها واختلاف أهل العلم فيه وترجيح الراجح وتزييف المزيف ومخبر الكتاب فوق وصفه.

والمقصود أن اسمه محمد في التوراة صريحاً بما يوافق عليه كل عالم من مؤمني أهل الكتاب.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الشيخان.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

ومنها أحمد وهو الاسم الذي سماه به المسيح لسر ذكرناه في ذلك الكتاب.

ومنها المتوكل ومنها الماحي والحاشر والعاقب والمقفي ونبي التوبة ونبي الرحمة ونبي الملحمة والفاتح والأمين.

ويلحق بهذه الأسماء الشاهد، والمبشر، والبشير، والنذير، والقاسم، والضحوك، والقتال، وعبد الله، والسراج المنير، وسيد ولد آدم، وصاحب لواء الحمد، وصاحب المقام المحمود، وغير ذلك من الأسماء لأن أسماءه إذا كانت أوصاف مدح فله من كل وصف اسم لكن ينبغي أن يفرق بين الوصف المختص به أو الغالب عليه ويشتق لـه منه اسم وبين الوصف المشترك فلا يكون لـه منه اسم يخصه.

وقال جبير بن مطعم: سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء فقال: أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي والعاقب الذي ليس بعده نبي.

وأسماؤه ﷺ نوعان:

أحدهما: خاص لا يشاركه فيه غيره من الرسل كمحمد وأحمد والعاقب والحاشر والمقفي ونبي الملحمة.

والثاني: ما يشاركه في معناه غيره من الرسل ولكن لـه منه كماله فهو مختص بكماله دون أصله كرسول الله ونبيه وعبده والشاهد والمبشر والنذير ونبي الرحمة ونبي التوبة.

وأما إن جعل لـه من كل وصف من أوصافه اسم تجاوزت أسماؤه المائتين كالصادق والمصدوق والرءوف الرحيم إلى أمثال ذلك.

وفي هذا قال من الناس إن لله ألف اسم وللنبي ﷺ ألف اسم قاله أبو الخطاب ابن دحية ومقصوده الأوصاف.

شرح معاني أسمائه ﷺ:

محمد ﷺ:

أما محمد فهو اسم مفعول من حمد فهو محمد إذا كان كثير الخصال التي يحمد عليها ولذلك كان أبلغ من محمود فإن محمودا من الثلاثي المجرد ومحمد من المضاعف للمبالغة فهو الذي يحمد أكثر مما يحمد غيره من البشر ولهذا - والله أعلم - سمي به في التوراة لكثرة الخصال المحمودة التي وصف بها هو ودينه وأمته في التوراة حتى تمنى

موسى عليه الصلاة والسلام أن يكون منهم وقد أتينا على هذا المعنى بشواهده هناك وبينا غلط أبي القاسم السهيلي حيث جعل الأمر بالعكس وأن اسمه في التوراة أحمد.

أحمد ﷺ:

وأما أحمد فهو اسم على زنة أفعل التفضيل مشتق أيضا من الحمد.

وقد اختلف الناس فيه هل هو بمعنى فاعل أو مفعول؟

فقالت طائفة هو بمعنى الفاعل أي حمده لله أكثر من حمد غيره له فمعناه أحمد الحامدين لربه ورجحوا هذا القول بأن قياس أفعل التفضيل أن يصاغ من فعل الفاعل لا من الفعل الواقع على المفعول.

قالوا: ولهذا لا يقال ما أضرب زيدا ولا زيد أضرب من عمرو باعتبار الضرب الواقع عليه ولا: ما أشربه للماء وآكله للخبز ونحوه.

قالوا: لأن أفعل التفضيل وفعل التعجب إنما يصاغان من الفعل اللازم ولهذا يقدر نقله من فعل وفعل المفتوح العين ومكسورها إلى فعل المضموم العين.

قالوا: ولهذا يعدى بالهمزة إلى المفعول فهمزته للتعدية كقولك: ما أظرف زيدا وأكرم عمرا وأصلهما: من ظرف وكرم.

قالوا: لأن المتعجب منه فاعل في الأصل فوجب أن يكون فعله غير متعد.

قالوا: وأما نحو ما أضرب زيدا لعمرو فهو منقول من فعل المفتوح العين إلى فعل المضموم العين ثم عدي والحالة هذه بالهمزة.

قالوا: والدليل على ذلك مجيئهم باللام فيقولون ما أضرب زيدا لعمرو ولو كان باقيا على تعديه لقيل ما أضرب زيدا عمرا لأنه متعد إلى واحد بنفسه وإلى الآخر بهمزة التعدية فلما أن عدوه إلى المفعول بهمزة التعدية عدوه إلى الآخر باللام فهذا هو الذي أوجب لهم أن قالوا: إنهما لا يصاغان إلا من فعل الفاعل لا من الفعل الواقع على المفعول.

ونازعهم في ذلك آخرون وقالوا: يجوز صوغهما من فعل الفاعل ومن الواقع على المفعول وكثرة السماع به من أبين الأدلة على جوازه تقول العرب: ما أشغله بالشيء وهو من شغل فهو مشغول وكذلك يقولون ما أولعه بكذا وهو من أولع بالشيء فهو مولع به مبني للمفعول ليس إلا وكذلك قولهم ما أعجبه بكذا فهو من أعجب به ويقولون ما أحبه إلي فهو تعجب من فعل المفعول وكونه محبوباً لك وكذا: ما أبغضه إلي وأمقته إلي.

وهاهنا مسألة مشهورة ذكرها سيبويه وهي أنك تقول ما أبغضني له وما أحبني له وما أمقتني له إذا كنت أنت المبغض الكاره والمحب الماقت فتكون متعجبا من فعل الفاعل وتقول ما أبغضني إليه وما أمقتني إليه وما أحبني إليه إذا كنت أنت البغيض الممقوت أو المحبوب فتكون متعجباً من الفعل الواقع على المفعول فما كان باللام فهو للفاعل وما كان ب إلى فهو للمفعول. وأكثر النحاة لا يعللون بهذا.

والذي يقال في علته والله أعلم إن اللام تكون للفاعل في المعنى نحو قولك: لمن هذا؟ فيقال لزيد فيؤتى باللام. وأما إلى فتكون للمفعول في المعنى فتقول إلى من يصل هذا الكتاب؟ فتقول إلى عبد الله وسر ذلك أن اللام في الأصل للملك والاختصاص والاستحقاق إنما يكون للفاعل الذي يملك ويستحق وإلى لانتهاء الغاية والغاية منتهى ما يقتضيه الفعل فهي بالمفعول أليق لأنها تمام مقتضى الفعل ومن التعجب من فعل المفعول قول كعب بن زهير في النبي ﷺ :

فلهو أخوف عندي إذ أكلمه ::: وقيل إنك محبوس ومقتول

من خادر من ليوث الأسد مسكنه ::: ببطن عثر غيل دونه غيل

فأخوف هاهنا من خيف فهو مخوف لا من خاف وكذلك قولهم ما أجن زيدا من جن فهو مجنون هذا مذهب الكوفيين ومن وافقهم.

قال البصريون: كل هذا شاذ لا يعول عليه فلا نشوش به القواعد ويجب الاقتصار منه على المسموع.

قال الكوفيون: كثرة هذا في كلامهم نثراً ونظماً يمنع حمله على الشذوذ لأن الشاذ ما خالف استعمالهم ومطرد كلامهم وهذا غير مخالف لذلك قالوا: وأما تقديركم لزوم الفعل ونقله إلى فعل فتحكم لا دليل عليه وما تمسكتم به من التعدية بالهمزة إلى آخره فليس الأمر فيها كما ذهبتم إليه والهمزة في هذا البناء ليست للتعدية وإنما هي للدلالة على معنى التعجب والتفضيل فقط كألف فاعل وميم مفعول وواوه وتاء الافتعال والمطاوعة ونحوها من الزوائد التي تلحق الفعل الثلاثي لبيان ما لحقه من الزيادة على مجرده فهذا هو السبب الجالب لهذه الهمزة لا تعدية الفعل.

قالوا: والذي يدل على هذا أن الفعل الذي يعدى بالهمزة يجوز أن يعدى بحرف الجر وبالتضعيف نحو جلست به وأجلسته وقمت به وأقمته ونظائره وهنا لا يقوم مقام الهمزة غيرها فعلم أنها ليست للتعدية المجردة أيضاً فإنها تجامع باء التعدية نحو أكرم به وأحسن به ولا يجمع على الفعل بين تعديتين.

وأيضا فإنهم يقولون ما أعطاه للدراهم وأكساه للثياب وهذا من أعطى وكسا المتعدي ولا يصح تقدير نقله إلى عطو: إذا تناول ثم أدخلت عليه همزة التعدية لفساد المعنى فإن التعجب إنما وقع من إعطائه لا من عطوه وهو تناوله والهمزة التي فيه همزة التعجب والتفضيل وحذفت همزته التي في فعله فلا يصح أن يقال هي للتعدية.

قالوا: وأما قولكم إنه عدي باللام في نحو ما أضربه لزيد... إلى آخره فالإتيان باللام هاهنا ليس لما ذكرتم من لزوم الفعل وإنما أتى بها تقوية له لما ضعف بمنعه من التصرف وألزم طريقة واحدة خرج بها عن سنن الأفعال فضعف عن اقتضائه وعمله فقوي باللام كما يقوى بها عند تقدم معموله عليه وعند فرعيته وهذا المذهب هو الراجح كما تراه.

فلنرجع إلى المقصود فنقول تقدير أحمد على قول الأولين أحمد الناس لربه وعلى قول هؤلاء أحق الناس وأولاهم بأن يحمد فيكون كمحمد في المعنى إلا أن الفرق بينهما أن محمدا هو كثير الخصال التي يحمد عليها وأحمد هو الذي يحمد أفضل مما يحمد غيره فمحمد في الكثرة والكمية وأحمد في الصفة والكيفية فيستحق من الحمد أكثر مما يستحق غيره وأفضل مما يستحق غيره فيحمد أكثر حمد وأفضل حمد حمده البشر. فالاسمان واقعان على المفعول وهذا أبلغ في مدحه وأكمل معنى.

ولو أريد معنى الفاعل لسمي الحماد أي كثير الحمد فإنه ﷺ كان أكثر الخلق حمداً لربه فلو كان اسمه أحمد باعتبار حمده لربه لكان الأولى به الحماد كما سميت بذلك أمته.

وأيضا: فإن هذين الاسمين إنما اشتقا من أخلاقه وخصائصه المحمودة التي لأجلها استحق أن يسمى محمدا ﷺ وأحمد وهو الذي يحمده أهل السماء وأهل الأرض وأهل الدنيا وأهل الآخرة لكثرة خصائله المحمودة التي تفوق عد العادين وإحصاء المحصين وقد أشبعنا هذا المعنى في كتاب الصلاة والسلام عليه ﷺ وإنما ذكرنا هاهنا كلمات يسيرة اقتضتها حال المسافر وتشتت قلبه وتفرق همته والله المستعان وعليه التكلان.

تفسير معنى المتوكل:

وأما اسمه المتوكل ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو قال قرأت في التوراة صفة النبي ﷺ محمد رسول الله عبدي ورسولي سميته المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة بل يعفو ويصفح ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله.

وهو ﷺ أحق الناس بهذا الاسم لأنه توكل على الله في إقامة الدين توكلاً لم يشاركه فيه غيره.

تفسير الماحي:

وأما الماحي والحاشر والمقفي والعاقب فقد فسرت في حديث جبير بن مطعم فالماحي: هو الذي محا الله به الكفر ولم يمح الكفر بأحد من الخلق ما محي بالنبي ﷺ فإنه بعث وأهل الأرض كلهم كفار إلا بقايا من أهل الكتاب وهم ما بين عباد أوثان ويهود مغضوب عليهم ونصارى ضالين وصابئة دهرية لا يعرفون ربا ولا معادا وبين عباد الكواكب وعباد النار وفلاسفة لا يعرفون شرائع الأنبياء ولا يقرون بها فمحا الله سبحانه برسوله ذلك حتى ظهر دين الله على كل دين وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار وسارت دعوته مسير الشمس في الأقطار.

تفسير الحاشر:

وأما الحاشر فالحشر هو الضم والجمع فهو الذي يحشر الناس على قدمه فكأنه بعث ليحشر الناس.

تفسير العاقب:

والعاقب الذي جاء عقب الأنبياء فليس بعده نبي فإن العاقب هو الآخر فهو بمنزلة الخاتم ولهذا سمي العاقب على الإطلاق أي عقب الأنبياء جاء بعقبهم.

تفسير المقفي:

وأما المقفي فكذلك وهو الذي قفى على آثار من تقدمه فقفى الله به على آثار من سبقه من الرسل وهذه اللفظة مشتقة من القفو يقال قفاه يقفوه إذا تأخر عنه ومنه قافية الرأس وقافية البيت فالمقفي: الذي قفى من قبله من الرسل فكان خاتمهم وآخرهم.

نبي التوبة:

وأما نبي التوبة فهو الذي فتح الله به باب التوبة على أهل الأرض فتاب الله عليهم توبة لم يحصل مثلها لأهل الأرض قبله.

وكان ﷺ أكثر الناس استغفاراً وتوبة حتى كانوا يعدون له في المجلس الواحد مائة مرة رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور وكان يقول: **«يا أيها الناس توبوا إلى الله ربكم فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة»** وكذلك توبة أمته أكمل من توبة سائر الأمم وأسرع قبولاً وأسهل تناولاً وكانت توبة من قبلهم من أصعب الأشياء حتى كان من توبة

بني إسرائيل من عبادة العجل قتل أنفسهم وأما هذه الأمة فلكرامتها على الله تعالى جعل توبتها الندم والإقلاع.

نبي الملحمة:

وأما نبي الملحمة فهو الذي بعث بجهاد أعداء الله فلم يجاهد نبي وأمته قط ما جاهد رسول الله ﷺ وأمته والملاحم الكبار التي وقعت وتقع بين أمته وبين الكفار لم يعهد مثلها قبله فإن أمته يقتلون الكفار في أقطار الأرض على تعاقب الأعصار وقد أوقعوا بهم من الملاحم ما لم تفعله أمة سواهم.

نبي الرحمة:

وأما نبي الرحمة فهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين فرحم به أهل الأرض كلهم مؤمنهم وكافرهم أما المؤمنون فنالوا النصيب الأوفر من الرحمة وأما الكفار فأهل الكتاب منهم عاشوا في ظله وتحت حبله وعهده وأما من قتله منهم هو وأمته فإنهم عجلوا به إلى النار وأراحوه من الحياة الطويلة التي لا يزداد بها إلا شدة العذاب في الآخرة.

الفاتح:

وأما الفاتح فهو الذي فتح الله به باب الهدى بعد أن كان مرتجا وفتح به الأعين العمي والآذان الصم والقلوب الغلف وفتح الله به أمصار الكفار وفتح به أبواب الجنة وفتح به طرق العلم النافع والعمل الصالح ففتح به الدنيا والآخرة والقلوب والأسماع والأبصار والأمصار.

الأمين:

وأما الأمين فهو أحق العالمين بهذا الاسم فهو أمين الله على وحيه ودينه وهو أمين من في السماء وأمين من في الأرض ولهذا كانوا يسمونه قبل النبوة الأمين.

الضحوك القتال:

وأما الضحوك القتال فاسمان مزدوجان لا يفرد أحدهما عن الآخر فإنه ضحوك في وجوه المؤمنين غير عابس ولا مقطب ولا غضوب ولا فظ قتال لأعداء الله لا تأخذه فيهم لومة لائم.

البشير:

وأما البشير فهو المبشر لمن أطاعه بالثواب والنذير المنذر لمن عصاه بالعقاب وقد سماه الله عبده في مواضع من كتابه منها:

قولـه:{وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ}[١].

وقولـه:{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ}[٢].

وقولــه:{فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى}[٣] - وقولــه:{وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا}[٤].

وثبت عنه في الصحيح أنه قال أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وسماه الله سراجاً منيراً وسمى الشمس سراجاً وهاجاً.

المنير:

والمنير هو الذي ينير من غير إحراق بخلاف الوهاج فإن فيه نوع إحراق وتوهج [٥].

* * * * *

---

(١) سورة الجن٢٠.

(٢) سورة الفرقان آية ١.

(٣) سورة النجم١٠.

(٤) سورة البقرة آية ٢٣.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي المشهور بـ ابن قيم الجوزية.

المطلب الثامن:
مزاح النبي ﷺ

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إني لأمزح ولا أقول إلا حقًا - رواه الطبراني، قال الهيثمي: إسناده حسن

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رجلاً كان مخبلاً، قال: يا رسول الله، احملني.

فقال: أحملك على ابن الناقة.

فقال: يا رسول الله، ما عسى أن يغني عني ابن الناقة.

فقال له رسول الله ﷺ : ويحك، وهل يلد الجمل إلا الناقة! رواه الترمذي.

وعن الحسن رضي الله عنه قال: أتته ﷺ عجوز، فقالت: يا رسول الله، ادع الله لي أن يدخلني الجنة.

فقال: يا أم فلان، إن الجنة لا يدخلها عجوز.

قال: فولت تبكي.

فقال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول:**{إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً}**(١).

صفة مزاح النبي ﷺ:

إن الإسلام دين واقعي لا يحلق فى أجواء الخيال والمثالية الواهمة، ولكنه يقف مع الإنسان على أرض الحقيقة والواقع.. ولا يعامل الناس كأنهم ملائكة، ولكنه يعاملهم كبشر يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق.

لذلك لم يفرض الإسلام على الناس أن يكون كل كلامهم ذكراً، وكل سماعهم قرآناً، وكل فراغهم فى المسجد، وإنما اعترف بهم وبفطرتهم وغرائزهم التى خلقهم الله عليها، وقد خلقهم - سبحانه - يفرحون ويمرحون ويضحكون ويلعبون، ولقد كانت حياة النبي ﷺ مثالاً رائعاً للحياة الإنسانية المتكاملة، فهو في خلوته يصلي ويطيل الخشوع والبكاء، ويقوم حتى تتورم قدماه، وهو فى الحق لا يبالي بأحد في جنب الله، ولكنه مع الحياة والناس بشر سوى، يحب الطيبات ويبش ويبتسم ويداعب ويمزح ولا يقول إلا حقاً.

---

(١) سورة الرحمن آيات: ٣٥، ٣٦.

ولذا فلا عجب أنه ﷺ كان يتفكه حيناً ويطرف للفكاهة والمزاح - الذى لا يحمل إثماً - أحيانـاً، فلـم يكـن النبـى ﷺ فـى حياتـه جافـاً ولا قاسـياً ولا فظـاً ولا غليظـاً، وإننـا عنـد استعراض سيرته وحياته ﷺ نجدها قد تخللها نوع من الدعابة والمزاح.

وهذا ما سوف نذكره - إن شاء الله - فى هذا الفصل.

كان ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً:

كان رسول الله ﷺ يمزح ولا يقول فى مزاحه إلا الحق، ووردت لنا أحاديث كثيرة فى ذلك منها:

١ - ما جاء عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: قالوا (أي الصحابة): "يا رسول الله إنك تداعبنا! قال ﷺ : «**لا أقول إلا حقاً**»، وفى رواية: «**إنى وإن داعبتكم فلا أقول إلا حقاً**».

وفى رواية ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ : «**إنى لأمزح ولا أقول إلا حقاً**».

ويطيب لنا أن نذكر بعض آراء علماء المسلمين في هذه المسألة: فنجد أن الإمام الغزالي - رحمه الله - قد تكلم فى هذه المسألة، وهى صفة مزاحه ﷺ ويشرحها بقوله: "فإن قلت: قد نقل المزاح عن رسول الله ﷺ وأصحابه، فكيف ينهى عنه؟ فأقول: إن قدرت على ما قدر عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وهو أن تمزح ولا تقول إلا حقاً، ولا تؤذي قلباً، ولا تفرط فيه، وتقتصر أحياناً على الندور فلا حرج عليك، ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة يواظب عليه ويفرط فيه، ثم يتمسك بفعل الرسول ﷺ فلا ينبغي أن يغفل عن هذا... ".

وقال الإمام ابن حجر الهيثمى: "إن المداعبة لا تنافي الكمال؛ بل هى من توابعه ومتمماته إذا كانت جارية على القانون الشرعي، بأن تكون على وفق الصدق والحق، ويقصد - بها - تأليف قلوب الضعفاء وجبرهم، وإدخال السرور عليهم والرفق بهم، ومزاحه ﷺ سالم من جميع هذه الأمور، يقع على جهة الندرة لمصلحة تامة، من مؤانسة بعض أصحابه، فهو بهذا القصد سنة، وما قيل: إن الأظهر أنه مباح لا غير فضعيف، إذ الأصل من أفعاله ﷺ وجوب أو ندب للتأسى به فيها إلا لدليل يمنع من ذلك ولا دليل هنا يمنع منه، فتعين الندب كما هو مقتضى كلام الفقهاء والأصوليين".

وكان ﷺ يعرف بذلك ويقر به ويبيح المزاح بحضرته ﷺ، ومن ذلك أنه كان عائشة - رضى الله عنها - تمزح، والنبى ﷺ جالس ولا ينكر ما تقولـه، بل كان يوافقها.

فعن ابن أبي مليكة قال: "مزحت عائشة - رضي الله عنها - عند رسول الله ﷺ، فقالت أمها: يا رسول الله! بعض دعابات هذا الحي من كنانة"، فقال النبى ﷺ : **«بل بعض مزاحنا هذا الحي»**.

صور من مزاح النبي ﷺ :

١ - مزاحه ﷺ بالأفعال:

كان النبي ﷺ يمازح صحابته بأفعاله وأقواله، فمن نماذج مزاحه بأفعاله:

مزاح النبي ﷺ وزاهر بن حرام – رضي الله عنه:

تحكي كتب السنة لنا ما دار بين النبي ﷺ وزاهر بن حرام، وكان من الصحابة الذين يبعثون الهدايا للنبى ﷺ، ولندع أنساً - رضى الله عنه - يروي لنا هذه الدعابة:

عن أنس - رضى الله عنه -: "أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهر بن حرام وكان يهدي للنبى ﷺ الهدية من البادية، وكان النبي ﷺ يحبه وكان دميماً فأتاه النبى ﷺ يوماً وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره، فقال: أرسلنى من هذا؟ فالتفت، فعرف النبى ﷺ فجعل لا يألو ما ألزق ظهره بصدر النبى ﷺ حين عرفه، وجعل النبى ﷺ يقول: **«من يشتري العبد؟»** فقال: يا رسول الله إذاً والله تجدني كاسداً، فقال النبى ﷺ : **«لكن عند الله لست بكاسد أنت غال»**، وفى رواية: **«أنت عند الله رابح»**.

مع عائشة – رضى الله عنها:

كان ﷺ يقطع ملل الحياة الزوجية ببعض المزاح لترفيه عن أهله، فقد ورد أنه ﷺ كان يسابق بعض زوجاته:

فعن عائشة - رضى الله عنها -: "أنها كانت مع رسول الله ﷺ فى سفر، وهى جارية، فقال لأصحابه: **«تقدموا»**، ثم قال: **«تعالي أسابقك»**، فسابقته، فسبقته على رجلى، فلما كان بعد، خرجت معه فى سفر، فقال لأصحابه: **«تقدموا»**، ثم قال: تعالي أسابقك، ونسيت الذى كان وقد حملت اللحم، فقلت: كيف أسابقك يا رسول الله، وأنا على هذه الحال؟ فقال: **«لتفعلن»**، فسابقته فسبقني، فقال: **«هذه بتلك السبقة»**.

مع الأطفال:

حتى الأطفال كان ﷺ يمازحهم ويشاركهم لعبهم:

فروى عن عبد الله بن الحارث قال: كان رسول الله ﷺ يصف عبد الله وعبيد الله وكثير ابن العباس ثم يقول: "من سبق إلي فله كذا وكذا، قال: فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم".

مع رجل من الأنصار:

كان الأنصار - رضى الله عنهم - يتمازحون ويتضاحكون، ويحكي لنا أسيد بن حضير ما حدث بين النبى ﷺ ورجل منهم:

يقول أسيد: "بينما رجل من الأنصار يحدث القوم وكان فيه مزاح بيننا يضحكهم، فطعنه النبى ﷺ فى خاصرته بعود، فقال: أصبرني، فقال: أصطبر، قال: إن عليك قميصاً وليس على قميص، فرفع النبى ﷺ عن قميصه فاحتضنه وجعل الرجل يقبل كشحه، قال: إنما أردت هذا يا رسول الله".

مزاحه ﷺ بحيلة لغوية:

كان ﷺ يستخدم الحيل اللغوية فى دعابته، وذلك بأن يأتي بالكلام الذى يحتمل معنيين: معنى قريب متبادر إلى الذهن، ومعنى بعيد لا يفهمه إلا الخواص، ويقصد المعنى البعيد، وهو ما يسمى فى البلاغة بالتورية، وحدث ذلك منه ﷺ فى أكثر من موقف منها:

مع عجوز من الأنصار:

كان رسول الله ﷺ متواضعاً منبسطاً مع عامة المسلمين على اختلاف منازلهم، فتحكي السيدة عائشة - رضى الله عنها - ممازحته لعجوز من الأنصار فتقول:

"أتت عجوز إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة، فقال لها: **«يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز»**، قال: فولت - المرأة - تبكي، فقال رسول الله ﷺ : **«أخبروها أنها لا تدخلها وهى عجوز»**، إن الله يقول:**{إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً * عُرُباً أَتْرَاباً}**(١).

---

(١) الواقعة: ٣٥ - ٣٧.

مع الأعرابى الذى سأله جملاً:

يحكي لنا أنس - رضى الله عنه - مداعبة النبي ﷺ للأعرابي الذى طلب منه ناقة يحمل عليه متاعه فى سفره:

يقول أنس - رضى الله عنه -: استحمل رجل رسول الله ﷺ، فقال النبى ﷺ : «**إنى حاملك على ولد ناقة**»، فقال الرجل: يا رسول الله، وما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ : «**وهل تلد الإبل إلا النوق ...**».

دعابته ﷺ بحيلة لغوية ورد الصحابى عليه بالمثل:

قد يكون من يكلمه ﷺ متنبهاً فلا يقع فى خطأ، ولكن يستطيع أن يرد عليه متخلصاً من سؤاله أو كلامه، وهذا ما حدث مع صهيب وهو ما يسمى بالتشتيت اللغوى، إذ كان الصحابى الجليل صهيب - رضى الله عنه - مريض وكان النبى ﷺ يمازحه ويخفف عنه، وهذا ما جاء فى هذه الرواية وإليك نصها:

عن صهيب - رضى الله عنه - قال: "أنه كان يأكل التمر وبه رمد، فقال له رسول الله ﷺ : «**أتأكل وأنت أرمد؟**»، فقال: أنا آكل بالشق الآخر، فضحك رسول الله ﷺ، وفى رواية أخرى قال صهيب: "قدمت على النبى ﷺ وبين يديه خبز وتمر، فقال النبى ﷺ : «**ادن فكل**»، فأخذت آكل من التمر، فقال النبى ﷺ : «**تأكل تمراً وبك رمد؟**» قال: فقلت: إنى أمضغ من ناحية أخرى، فتبسم رسول الله ﷺ ".

نوادر ادعاء الغفلة معه ﷺ:

كان بعض الصحابة يمازح النبي ﷺ بتغافله بأن يقول قولاً لايصدر إلا من غافل ساه لكنه غير ذلك، ومن ذلك:

عوف بن مالك معه ﷺ:

كان ﷺ يداعب عوف بن مالك عندما يدخل عليه ﷺ وهو ما توضحه هذه الرواية:

عن عوف الأشجعي قال: "أتيت رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم، فسلمت فرد وقال: «**أدخل**»، فقلت: أكلي يارسول الله؟ قال: «**كلك**»، فدخلت. قال عثمان بن أبي العاتكة: إنما قال: أدخل كلي من صغر القبة. وقد يكون مزاحاً بين الصحابي والرسول ﷺ، إذ كيف يدخل بعض الإنسان أو يستأذن لبعضه، فلو أستأذن لرأس لكان إذناً له كله.

تعريضه ﷺ في الكلام:

وقد يعرض النبي ﷺ في تعليقه على موقف رآه فيعرض فيه بالشبه وغيره بما قد يفهم غير مراده:

مع سفينة مولى رسول الله ﷺ:

قال: ثقل علي القوم متاعهم، فقال رسول الله ﷺ : «**أبسط كساءك**»، فجعلوا فيه متاعهم، فقال رسول الله ﷺ : «**أحمل فإنما أنت سفينة**»، قال: فلو حملت من يومئذ وقر بعير أو بعيرين أو ثلاثة، حتي بلغ سبعة ما ثقل علي.

مع بريدة – رضي الله عنه:

عن أبي طيبة عبد الله بن مسلم، عن ابن بريدة، عن أبيه قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر فثقل علي القوم بعض متاعهم، فجعلوا يطرحونه علي، فمر بي النبي ﷺ، فقال: «**أنت زاملة**».

قوله ﷺ لرجل: أنت أبو الورد:

روي أن النبي ﷺ رأي رجلاً ذو بشرة مشوبة بحمرة فداعبه مداعبة لطيفة وهذا كما توضحه هذه الرواية:

عن حميد الطويل، عن ابن أبي الورد، عن أبيه قال: رآني النبي ﷺ، فرآني رجلاً أحمر، فقال: «**أنت أبو الورد**»، فقال جبارة: يعني يمازحه.

تعريض خاص به ﷺ:

وذلك بأن يقول كلاماً يفهم منه شيء وهو يريد شيئاً لايعرفة إلا هو وهو خاص به وحده، ومنه مما روي عن ابن حبان في صحيحه أن النبي ﷺ رأى جارية يتيمة في بيت أم سليم فمازحها النبي ﷺ.

وفي ذلك يقول أنس بن مالك - رضي الله عنه -: " رأى نبي الله ﷺ جارية يتيمة عند أم سليم، وهي أم أنس بن مالك، فقال لها النبي يا رسول الله علي يتيمتي أن لا يشب الله قرنها، فو الله لا يشب أبداً، فقال النبي: «**يا أم سليم ، أو ما علمت أني اتخذت عند ربي عهداً، أيما أحد من أمتي دعوت عليه ليس من أهلها أن يجعلها له طهور أو قربة يقربه بها يوم القيامة**».

أي أن هذا الذى ورد خاص به ﷺ، ولا يجوز أن يدعوا إنسان على غيره في أهله أو ماله، إذا كان غير مستحق أن يدعي عليه بحجة فعله ﷺ، فهذا شيء خاص به.

ذكره ﷺ حقيقة واقعة :

مع أنس بن مالك – رضي الله عنه:

وكـان ﷺ يلاطـف أنسـاً ويداعبـة، وفـي ذلـك يقـول عاصـم الأحـول: حـدثني أنـس - رضـي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: **«يا ذا الأذنين»**، قال أبو أسامة: يعني مازحه.

تذكيره ﷺ بحوادث طريفة سابقة:

وكان من كريم أخلاقة ﷺ ورحمته بالأطفال أنه كان يمـازحهم ويداعبهم، وفـي ذلـك يقول أنس بن مالك رضـي الله عنه.

كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً وكان لي أخ يقال لـه: أبو عمير فكـان إذا جـاء النبي ﷺ فرآه قال: **«يا أبا عمير ما فعل النغير؟»**.

وفي روايـة: " دخـل علـى أبـي طلحـة رضـي الله عنـه فـرأي ابنـاً لــه يكنـيَّ أبـا عميـر حزينـاً، قـال أنـس: وكـان النبـي ﷺ إذا راه مازحـه. فقـال رسـول الله ﷺ : **«ما لي أرى أبا عمير حزيناً؟»** قالوا: يارسول الله، مات نغره الذى كان يلعب به.

قال أنس: فجعل رسول الله ﷺ يقول: **«يا أبا عمير ما فعل النغير»**.

تـذكر!!! هذا هو حبيبي رسول الله ﷺ :

- رجاحـة عقلـه ﷺ وصـدق فراسـته، وقـد دل علـى وفـور ذلـك فيـه صـحة رأيـه وصـواب تدبيره وحسن تألفه على الناس وأنه ما استغفل فـي مكيدة ولا استعجز في شديدة.
- ثباته في الشدائد وهو مطلوب ﷺ، وصبره علي البأساء والضراء، وهو مكروب ومحروب.
- تواضـعه ﷺ للنـاس وهـم اتبـاع، وخفـض جناحـه لهـم وهـو مطـاع يمشــي فـي الأسـواق ويجلس علـي التـراب ويمتزج بأصـحابه وجلسـائه فلا يتميز عنهم إلا بإطراقه وحيائه، فصار بالتواضع متميزا، وبالتذلل متعززاً.
- حفظـه ﷺ للعهد ووفاؤه بالوعد فإنه مـا نقض لمحـافظ عهدا، ولا اخلـف لمراقب وعدا، يري الغدر من كبائر الذنوب.
- مـا أوتـي من الحكمـة البالغـة، ﷺ، وأعطـي من العلوم من الجمـة البـاهرة، وهو أمي من أمة أمية لم يقرأ كتابا ولا درس علما ولا صحب عالماً ولا معلماً.
- أنـه ﷺ كان محفوظ اللسان من تحريف في قول واسترسـال فـي خبـر يكـون إلـى

الكذب منسوباً وللصدق مجانباً، فأنه لم يزل مشهوراً بالصدق في خبره ﷺ كان فاشياً وكثيراً حتى صار بالصدق مرقوما، وبالأمانة موسوماً، وكان خلق رسول الله ﷺ القرآن، ولم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا.

- ما انتقم ﷺ لنفسه وما ضرب خادمًا ولا امراة، وكان ﷺ يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم، وقال ﷺ يسروا ولا تعسروا، وسكنوا ولا تنفروا وقال ﷺ وإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه.
- عدل فيما شرعه من الدين عن اللغو والتقصير إلى التوسط، وخير الأمور أوسطها، وليس لما جاوز العدل حظ من رشد، ولا نصيب من سداد.
- لم يمل ﷺ بأصحابه إلى الدنيا ولا إلى رفضها، وأمدهم فيها بالاعتدال، وقال: **«خيركم من لم يترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه ، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه»**.
- ما منح ﷺ من السخاء والجود حتى جاد بكل موجود وآثر بكل مطلوب ومحبوب ومات ودرعه مرهونة عند يهودي على آصع من شعير لطعام أهله.
- أن الله تعالى أرسل كل نبي إلى قومه خاصة، وأرسل نبينا محمداً ﷺ إلى الجن والأنس، ولكل نبي من الأنبياء ثواب تبليغه إلى أمته.
- أرسل الله تبارك وتعالى رسوله محمداً ﷺ رحمة للخلائق عامة مؤمنهم وكافرهم وإنسهم وجنهم، وجعله رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين خاصة فمن قبل الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة ومن ردها وجحدها خسر الدنيا والآخرة.
- شفاعته ﷺ في استفتاح باب الجنة، وفي تقديم من لا حساب عليهم في دخول الجنة وفيمن استحق النار من الموحدين أن لا يدخلها، وفي إخراج عصاة الموحدين من النار، وفي رفع درجات ناس في الجنة، وفي تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب.
- ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ، وقال ﷺ : **«اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا»**، وفي رواية: **«كفافًا»**.

- كـان النبـي ﷺ إذا لـبس ثوبًـا أو غيـره بـدأ بيمنـاه، وإذا لـبس شـيئًا مـن الثيـاب بـدأ بالأيمن، وإذا نزع بدأ بالأيسر.
- كان ﷺ إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر، وكان بكاؤه ﷺ من جنس ضحكه، لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة، ولكن تدمع عيناه حتى تهملا، ويسمع لصدره أزيز حين يبكي رحمة لميت، وخوفًا على أمته، وشفقة من خشية الله عند سماع القرآن، وأحيانًا في صلاة الليل.
- كـان ﷺ أحسـن النـاس وأشـجع النـاس، وكـان رسـول الله ﷺ إذا مشـى تكفأ تكفؤًا كأنما ينحط من صبب.
- كان رسول الله ﷺ يمزح ولا يقول فى مزاحه إلا الحق.

* * * * *

الباب الثاني:

المعجزات

الفصل الأول:
معجزات ونبوءات

والمعجزة على شقين شق هو من نوع قدرة البشر، فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل لله دل على صدق نبيه كتحدي اليهود أن يتمنوا الموت، وشق خارج عن قدرتهم، فلم يقدروا على الإتيان بمثله كانشقاق القمر، مما لا يمكن أن يفعله أحد إلا الله تعالى فيكون ذلك على يد النبي من الله وتحدى من يكذبه أن يأتي بمثله تعجيزا له، ومعجزات رسول الله ﷺ التي ظهرت على يديه تشمل كلا النوعين فهو ﷺ أكثر الرسل معجزات وأبهرهم آيات وأظهرهم برهاناً فله من المعجزات ما لا يحصى، وقد أُلفت في معجزاته ﷺ المؤلفات الكثيرة وتناولها العلماء بالشرح والبيان ممن اعتنى بجمعها من الأئمة أبو نعيم الأصبهاني والبيهقي.

ومعجزاته ﷺ منها ما نقل إلينا نقلاً متواتراً من طرق كثيرة تفيد القطع عند الأمة ومنها ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين:

أولاً: نوع مشتهر منتشر، رواه العدد وشاع الخبر به عند أهل العلم بالآثار، ونقلته السيرة والأخبار، كنبع الماء من بين أصابعه الشريفة ﷺ وتكثير الطعام.

ثانياً: نوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه إذا جمع إلى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الإتيان بالمعجز.

وبعد هذا التمهيد الموجز، نورد بإذن الله تعالى جملة من معجزات ودلائل نبوة سيد الأولين والآخرين ﷺ مما ساندها الدليل الصحيح.

* * * * *

المبحث الأول:
المعجزة الكبرى القرآن الكريم

أعطى الله عز وجل كل نبي من الأنبياء عليهم السلام معجزة خاصة به لم يعطيها بعينها غيره تحدى بها قومه، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه وأهل زمانه، فلما كان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة، بعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار، وحيرت كل سحار، فلما استيقنوا أنها من عند العزيز الجبار انقادوا للإسلام وصاروا من عباد الله الأبرار.

وأما عيسى عليه السلام فبعثه الله في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد، أو على مداواة الأكمه والأبرص، وكذلك نبينا بعث في زمان الفصحاء والبلغاء وتجاريد الشعراء، فأتاهم بكتاب من عند الله عز وجل، فاتهمه أكثرهم أنه اختلقه وافتراه من عنده فتحداهم ودعاهم أن يعارضوه ويأتوا بمثله وليستعينوا بمن شاءوا فعجزوا عن ذلك كما قال تعالى:**{قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً}**(١) وكما قال الله تعالى:**{أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ}**(٢).

ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه فقال فى سورة يونس: أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين، ثم تنازل إلى سورة فقال فى سورة يونس: أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين وكذلك في سورة البقرة وهي مدنية أعاد التحدي بسورة منه، وأخبر تعالى أنهم لا يستطيعون ذلك أبدا لا في الحال ولا في المآل فقال تعالى:**{وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}**(٣).

---

(١) سورة الإسراء آية ٨٨.

(٢) سورة الطور الآيتان ٣٣، ٣٤.

(٣) سورة البقرة: ٢٣ - ٢٤.

وهكذا وقع، فإنه من لدن رسول الله ﷺ وإلى زماننا هذا لم يستطع أحد أن يأتي بنظيره ولا نظير سورة منه، وهذا لا سبيل إليه أبداً؛ فإنه كلام رب العالمين الذي لا يشبهه شيء من خلقه لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فأنى يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق؟.

وقد انطوى كتاب الله العزيز على وجوه كثيرة من وجوه الإعجاز: ذلك أن القرآن الكريم معجز في بنائه التعبيري وتنسيقه الفني باستقماته على خصائص واحدة في مستوى واحد لا يختلف ولا يتفاوت ولا تختلف خصائصه معجز في بنائه الفكري وتناسق أجزائه وتكاملها، فلا فلتة فيه ولا مصادفة، كل توجيهاته وتشريعاته تتناسب وتتكامل وتحيط بالحياة البشرية دون أن تصطدم بالفطرة الإنسانية معجز في يسر مداخله إلى القلوب والنفوس ولمس مفاتيحها وفتح مغاليقها واستجاشة مواضع التأثر والاستجابة فيها وقد سرد هبة الدين الحسيني الشهرستاني **المزايا الإجمالية للقرآن ومنها:**

١- فصاحة ألفاظه الجامعة لكل شرائعها.

٢- أنباؤه الغيبية، وأخباره عن كوامن الزمان، وخفايا الأمور.

٣- قوانين حكيمة في فقه تشريعي، فوق ما في التوراة والإنجيل، وكتب الشرائع الأخرى.

٤- سلامته عن التعارض والتناقض والاختلاف.

٥- أسرار علمية لم تهتد العقول إليها بعد عصر القرآن إلا بمعونة الأدوات الدقيقة والآلات الرقيقة المستحدثة.

٦- ظهوره على لسان أمي لم يعرف القراءة ولا الكتابة.

٧- خطاباته البديعة، وطرق إقناعه الفذة.

٨- سلامته من الخرافات والأباطيل.

٩- تضمنه الأسس لشريعة إنسانية صالحة لكل زمان ومكان.

قال الحافظ بن كثير: إن الخلق عاجزون عن معارضة هذا القرآن، بعشر سور مثله، بل عن سورة منه، وأنهم لا يستطيعون كما قال تعالى:**{فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ}**(١)

---

(١) سورة البقرة أية ٢٤.

أي فإن لم تفعلوا في الماضي، ولن تستطيعوا ذلك في المستقبل، وهذا تحدٍ ثان، وهو أنه لا يمكن معارضتهم لـه في الحال ولا في المآل ومثل هذا التحدي إنما يصدر عن واثق بأن ما جاء به لا يمكن لبشر معارضته، ولا الإتيان بمثله، ولو كان من عند نفسه لخاف أن يعارض، فيفتضح ويعود عليه نقيض ما قصد من متابعة الناس لـه.

* * * * *

المبحث الثاني:
الإسـراء والمعـراج

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت بالبراق – وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه – قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس قال: فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن ، فقال جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من أنت؟ قال: جبريل ، قيل: ومن معك؟ ، قال: محمد ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما فرحبا ودعوا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من أنت؟ قال: جبريل ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام إذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل عليه السلام قيل: من هذا؟ قال: جبريل ، قيل: ومن معك؟ ، قال: محمد ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب ودعا لي بخير قال الله عز وجل: ورفعناه مكانًا عليًا ، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل عليه السلام قيل: من هذا؟ قال: جبريل ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بهارون عليه السلام فرحب ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل عليه السلام قيل: من هذا؟ قال: جبريل ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بموسى عليه السلام فرحب ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من هذا؟ قال: جبريل ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسندا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها ، فأوحى الله إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى عليه السلام فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة ، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ؛ فإن أمتك لا يطيقون

ذلك فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال: فرجعت إلى ربي ، فقلت: يا رب خفف على أمتي فحط عني خمسًا فرجعت إلى موسى فقلت: حط عني خمسًا ، قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرًا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئًا فإن عملها كتبت سيئة واحدة ، قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى عليه السلام فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فقال رسول الله ﷺ فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه» (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ مر على قوم يزرعون ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال لجبريل عليه السلام: **«ما هذا؟ قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة إلى سبعمائة ضعف وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ، ثم أتى على قوم ترضخ رءوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة ، ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام يأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم فقال: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم وما ظلمهم الله وما ربك بظلام للعبيد ، ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدر ولحم نيئ في قدر خبيث فجعلوا يأكلون من النيئ الخبيث ويدعون النضيج فقال: ما هؤلاء يا جبريل؟ قال جبريل: هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيبًا فتأتي رجلاً خبيثًا فتبيت عنده حتى تصبح ، ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل من أمتك تكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها ، ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاهم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء الفتنة ، ثم أتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها ، ثم أتى على واد فوجد فيه ريحًا طيبة**

---

(١) رواه مسلم.

باردة وريح مسك وسمع صوتًا فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا صوت الجنة تقول: رب آتني بما وعدتني فقد كثرت غرفي وإستبرقي وحريري وسندسي وعبقريي ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهبي وأكوابي وصحافي وأباريقي ومراكبي وعسلي ومائي ولبني وخمري فآتني بما وعدتني قال: لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بي وبرسلي وعمل صالحًا ولم يشرك بي شيئًا ولم يتخذ من دوني أندادًا ومن خشيني فهو آمن ومن سألني فقد أعطيته ومن أقرضني جازيته ومن توكل علي كفيته إنني أنا الله لا إله إلا أنا لا أخلف الميعاد قد أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين ، قالت: قد رضيت ثم أتى على واد فسمع صوتًا منكرًا ووجد ريحًا منتنة فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا صوت جهنم تقول: رب آتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسلي وأغلالي وسعيري وحميمي وضريعي وغساقي وعذابي وقد بعد قعري واشتد حري فآتني ما وعدتني ، قال: لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب ، قالت: قد رضيت فسار حتى أتى بيت المقدس» [١].

* * * * *

---

(١) رواه الطبراني والبزار.

المبحث الثالث:
انشقاق القمر

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما [(١)].

فكان هذا الانشقاق - كما قال الخطابي - آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء؛ وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجًا من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذه المعجزة في كتابه العزيز فقال عز من قائل:**{اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ * وَلَقَدْ جَاءهُم مِّنَ الأَنبَاء مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ* حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ}**[(٢)].

ونقل الحافظ بن كثير الإجماع على أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات وأن الأحاديث التي وردت بذلك متواترة من طرق متعددة تفيد القطع، ومع عظم هذه المعجزة فإن أهل مكة المعاندين لم يصدقوا ولم يذعنوا بل استمروا على كفرهم وإعراضهم وقالوا: سحرنا محمد فقال بعضهم لئن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم فسألوا من قدم عليهم من المسافرين فأخبروهم بنظير ما شاهدوه فعلموا صحة ذلك وتيقنوه.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) سورة القمر آيات من: ١ - ٥.

تكثيره الماء ونبعه من بين أصابعه الشريفة ﷺ :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة (إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء) فتوضأ فجهش الناس نحوه - والجهش: أن يفزع الإنسان إلى الإنسان وهو مع ذلك يريد أن يبكي كالصبي يفزع إلى أمه.

فقال: «ما لكم؟» قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا.

قلت: كم كنتم؟

قال: لو كنا مئة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مئة[١] - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر فالتمس الوضوء فلم يجدوه فأتي رسول الله ﷺ بوضوء فوضع رسول الله ﷺ يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضأوا منه فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه فتوضأ الناس حتى توضأوا من عند آخرهم"[٢].

قال المزنى - رحمه الله - نبع الماء من بين أصابعه ﷺ أبلغ فى المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسى عليه السلام بالعصا فتفجرت منه المياه لأن خروج الماء من الحجارة معهود، بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم.

* * * * *

---

(١) رواه البخاري ورواه مسلم مختصرًا.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

المبحث الرابع:
نبوءات تحققت في زمن النبي ﷺ

النبي ﷺ يخبر وهو في مكة في فئة مستضعفة أن دينه سيعم الجزيرة كلها:

فعن خباب بن الأرت قال: [شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو يومئذ متوسد بردة في ظل الكعبة.

فقلنا: ألا تستنصر لنا الله تبارك وتعالى، أو ألا تستنصر لنا؟

فقال: **«قد كان الرجل فيمن كان قبلكم يؤخذ فيحفر له في الأرض ، فيجاء بالمنشار على رأسه فيجعل بنصفين فما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب فما يصده ذلك ، والله ليتمن الله عز وجل هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله تعالى ، والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون»** (١).

وقد وقع هذا الأمر في حياته ﷺ فدانت الجزيرة كلها بالإسلام، وأمن الناس فيها من أقصاها إلى أقصاها... وكان تصور هذا ضرب من الخيال، فقد كان القتل وقطع الطريق، والإغارة والنهب والسلب في كل ركن من أركانها إلا المسجد الحرام فقط.

١- إخباره ﷺ بفتح جزيرة العرب ثم فارس ثم الروم، ووقوع الأمر كما حدث به تماماً:

قال مسلم رحمه الله: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن عبدالملك بن عمير عن جابر بن سمرة عن نافع بن عتبة قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة قال: فأتى النبي ﷺ قوم من قبل المغرب عليهم ثياب الصرف فوافقوه عند أكمة فإنهم لقيام ورسول الله ﷺ قاعد، قال: فقالت لي نفسي ائتهم فقم بينهم وبينه لا يغتالونه، قال: ثم قلت لعله نجى معهم فأتيتهم فقمت بينهم وبينه فحفظت منه أربع كلمات أعدهن في يدي، قال: **«تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ، ثم فارس فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها الله ، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله»**، قلت: ويبقى فتح الدجال، وسيقع الأمر فيه كما حدث ﷺ تماماً، وسيكون ذلك آية أخرى لمن يشهدها في وقتها.

٢- النبي ﷺ يخبر وهو في المدينة أن أمته ستفتح كنوز كسرى:

روى الإمام البخاري رحمه الله بإسناده إلى عدي بن حاتم قال: بينا أنا عند النبي ﷺ إذا أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: **«يا عدي ، هل**

---

(١) رواه أحمد.

رأيت الحيرة؟» قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها، قال: **«فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله»**، قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار (الدعار هو الخبث الشديد) طيء الذين قد سعروا البلاد؟ **«ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى»** قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: **«كسرى بن هرمز . ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه ، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له ، فيقولن ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك فيقول بلى ، فيقول: ألم أعطك مالاً وأفضل عليك؟ فيقول: بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم ، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم»**.

قال عدي: سمعت النبي ﷺ يقول: **«اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة»**.

قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ : يخرج ملء كفه [(١)].

وقد روى هذا الحديث أبو نعيم بإسناده في دلائل النبوة أن الشعبي رحمه الله دخل على عدي بن حاتم الطائي فقال: إنه بلغني عنك حديث كنت أحب أن أسمعه منك.

قال: نعم، بعث النبي ﷺ وكنت من أشد الناس له كراهية، وكنت بأقصى أرض العرب من الروم، فكرهت مكاني أشد من كراهيتي لأمري الأول، فقلت لآتين هذا الرجل، فإن كان صادقاً لا يخفى علي أمره، وإن كان كاذباً لا يخفى علي، أو قال: لا يضرني، قال: فقدمت المدينة، فاستشرفني الناس فقالوا: عدي بن حاتم.

فأتيت النبي ﷺ فقال: **«يا عدي أسلم تسلم»** قلت: إن لي ديناً، قال: **«أنا أعلم بدينك منك»** قلت: ما يجعلك أعلم بديني مني؟ قال: **«أنا أعلم بدينك منك . ألست ترأس قومك؟»** قلت: بلى، قال: **«ألست تأخذ المرباع – أي ربع الغنيمة»** قلت: بلى، قال: **«فإن ذلك لا يحل لك»** قلت: أجل، قال: فكان ذلك أذهب بعض ما في نفسي، قال: **«أنه يمنعك من أن تسلم خصاصة فقر من ترى حولنا ، وإنك ترى الناس علينا إلباً واحداً ، أو قال يداً واحدة»** قلت: نعم، قال: **«هل أتيت الحيرة؟»** قلت: لا، وقد علمت مكانها قال ﷺ : **«يوشك الظعينة أن تخرج من الحيرة حتى تطوف بالبيت بغير جوار ويوشك أن تفتح كنوز**

---

(١) رواه البخاري.

كسرى بن هرمز»، قال: قلت: كنوز كسرى بن هرمز، قال: **«كنوز كسرى بن هرمز ويوشك أن يخرج الرجل الصدقة من ماله فلا يجد من يقبلها منه»**.

قال عدي رضي الله عنه: فلقد رأيت الظعينة تخرج من الحيرة حتى تطوف بالبيت بغير جوار، وكنت في أول خيل أغارت على السواد، والله لتكونن الثالثة إنه لقول رسول الله ﷺ، وفي رواية أبي بكر بن خلاد ومحمد بن أحمد قال عدي فأنا سرت بالظعينة من الحيرة، قال: إلى البيت العتيق في غير جوار، يعني أنه حج بأهله، وكنت في أول خيل أغارت على المدائن، والله لتكونن الثالثة كما كانت هاتان إنه تحديث رسول الله ﷺ إياي.

وفي رواية أخرى:

قدم عدي بن حاتم الطائي الكوفة، فأتيته في أناس منا، من أهل الكوفة، قلنا: حدثنا بحديث سمعته من رسول الله ﷺ فقال: بعث رسول الله ﷺ بالنبوة ولا أعلم أحداً من العرب كان له أشد بغضاً مني، ولا أشد كراهية له مني، حتى لحقت بأرض الروم، فتنصرت فيهم، فلما بلغني ما يدعو إليه من الأخلاق الحسنة، وما اجتمع إليه من الناس ارتحلت حتى أتيته، فوقفت عليه وعنده صهيب وبلال وسلمان فقال: **«يا عدي بن حاتم أسلم تسلم»**، فقلت: أخ أخ فأنخت، فجلست وألزقت ركبتي بركبته، فقلت: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: **«تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، وحلوه ومره . يا عدي بن حاتم لا تقوم الساعة حتى تفتح خزائن كسرى وقيصر . يا عدي بن حاتم لا تقوم الساعة حتى تأتي الظعينة من الحيرة – ولم يكن يومئذ كوفة – حتى تطوف بالكعبة بغير خفير ، لا تقوم الساعة حتى يحمل الرجل جراب المال فيطوف به فلا يجد أحد يقبله ، فيضرب به الأرض فيقول: ليتك كنت تراباً»** (1).

٣ - إخباره ﷺ بفتح الحيرة وهبته الشيماء بنت نفيلة لخريم بن أوس:

قال أبو نعيم: حدثنا محمد بن معمر قال ثنا عبدالله بن محمد بن ناجية، قال: ثنا أبو السكين زكريا بن يحيى الطائي، قال حدثني عم أبي زخر بن حصن عن جده حميد بن منهب قال: قال جدي خريم بن أوس: هاجرت إلى النبي ﷺ، وقدمت عليه مُنْصَرَفَهُ من تبوك، فأسلمت فسمعته يقول: هذه الحيرة البيضاء قد رفعت لي، وهذه الشيماء بنت نفيلة الأزدية على بغله شهباء معتجرة بخمار أسود. فقلت: يا رسول الله إن نحن دخلنا الحيرة فوجدناها كما تصف فهي لي؟ قال: **«هي لك»** قلت: ثم كانت الردة، فما ارتد أحد من

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم ٦٩٣/٢ - ٦٩٦.

طيء، فأقبلنا مع خالد بن الوليد نريد الحيرة، فلما دخلناها كان أول من تلقانا الشيماء بنت نفيلة، كما قال رسول الله ﷺ على بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود فتعلقت بها، فقلت: هذه وصفها لي رسول الله ﷺ، فدعاني خالد بالبينة فأتيت بها، فكانت البينة محمد بن مسلمة ومحمد بن بشير الأنصاريان، فسلمها إليّ خالد، ونزل إليها أخوها عبد المسيح بن نفيلة يريد الصلح، فقال: بعينها، فقلت: لا أنقصها والله من عشر مائة فأعطاني ألف درهم وسلمتها إليه فقالوا لي: لو قلت مائة ألف لسلمها إليك، فقلت: ما كنت أحسب أن عدداً أكثر من عشر مائة، قلت: وهذا صحابي لا يعلم بعد الألف عدداً وهذا الحديث من أعلام نبوة الرسول ﷺ فإنه حدث عن أمر من الغيب لا يمكن تصوره بالظن ولا التخييل ولا التوقع فإن تصور انتصار العرب المسلمين على الفرس كان أبعد من الخيال ولقد حدث عنه النبي ﷺ بصفته حقيقة واقعة ووقع الأمر كما حدث به تماماً.

وقد روى هذا الحديث الإمام ابن حبان رحمه الله كما في الموارد: أخبرنا ابن أسلم حدثنا محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، حدثنا سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم بن عدي بن حاتم قال قال رسول الله ﷺ : **«مثلت لي الحيرة كأنياب الكلاب وإنكم ستفتحونها»** فقام رجل فقال: هب لي يا رسول الله ابنة نفيلة، فقال: **«هي لك فأعطوها إياه»**، فجاء أبوها فقال: أتبيعنها، فقال: نعم قال: بكم؟، قال: احتكم ما شئت، قال: بألف درهم، قال: قد أخذتها فقيل: لو قلت ثلاثين ألفاً، قال: وقال: وهل عدد أكثر من ألف؟.

قال الحافظ الهيثمي: قلت هكذا وقع في هذه الرواية أن الذي اشتراها أبوها وإن المشهور أن الذي اشتراها عبدالمسيح أخوها والله أعلم.

٤ – إخباره ﷺ بحسن إسلام الفرس بعد الفتح:

قال البخاري رحمه الله: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال حدثني سليمان بن بلال عن ثور عن أبي الغيث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فأنزلت عليه**{وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ}**[١] قال: قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثاً، وفينا سلمان الفارسي وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان ثم قال: **«لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء»**.

---

(١) سورة الجمعة.

حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب حدثنا عبد العزيز أخبرني ثور عن أبي الغيث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : «**لناله رجال من هؤلاء**» [1].

٥ - بشر الرسول المسلمين بغزو قريش :

ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق ؛ قال رسول الله ﷺ فيما بلغني: «**لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونهم . فلم تغزهم قريش بعد ذلك وكان هو الذي يغزوها ، حتى فتح الله عليه مكة**».

قال ابن إسحاق : وحُدثت عن سلمان الفارسي، أنه قال : ضربت في ناحية من الخندق، فغَلُظت علي صخرة، ورسول الله ﷺ قريب مني؛ فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان علي، نزل فأخذ المعول من يدي، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة؛ قال : ثم ضرب به ضربة أخرى، فلمعت تحته برقة أخرى؛ قال : ثم ضرب به الثالث، فلمعت تحته برقة أخرى. قال : قلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : «**أو قد رأيت ذلك يا سلمان ؟**» قال : قلت : نعم؛ قال : «**أما الأولى فإن الله فتح علي بها اليمن ؛ وأما الثانية فإن الله فتح علي بها الشام والمغرب ؛ وأما الثالثة فإن الله فتح على بها المشرق**».

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه كان يقول، حين فتحت هذه الأمصار في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده : افتتحوا ما بدا لكم، فوالذي نفس أبي هريرة بيده، ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله سبحانه محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك، ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق؛ قال رسول الله ﷺ فيما بلغني : «**لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونهم . فلم تغزهم قريش بعد ذلك ، وكان هو الذي يغزوها ، حتى فتح الله عليه مكة**».

٦ - إخباره ﷺ بمصارع القوم يوم بدر :

روى مسلم أن رسول الله ﷺ قام يوم بدر قبل قتال المشركين وقال: «**هذا مصرع فلان ، ووضع يده على الأرض ، ثم قال: هذا مصرع فلان ، ووضع يده عليها ، وذكرهم واحدًا واحدًا مشيرًا إلى مصارعهم ، فصرعوا كذلك**»، ما تجاوز أحد منهم الذي أشار إليه ﷺ.

---

(١) البخاري ٦٤١/٨.

٧ - إخباره ﷺ بخراب خيبر:

لما قدم رسول الله ﷺ خيبر صلى بهم الصبح وركب المسلمون، فخرج أهل خيبر بمساحيهم ومكاتلهم، ولا يشعرون، بل خرجوا لأرضهم، فلما رأوا الجيش قالوا: محمد والله، محمد والجيش، ثم رجعوا هاربين إلى حصونهم، فقال النبي ﷺ : **«الله أكبر خربت خيبر ، الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم ، فساء صباح المنذرين»** (١).

٨ - إخباره ﷺ بأنه هو الذي يقتل أُبيًا:

رام إمام الكفر أبي بن خلف - لعنه الله - قتل النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ : **«أنا أقتل أبيًا»**، وذلك الذي تم كما جاء في الحديث: أقبل أبي بن خلف يوم أحد إلى النبي ﷺ فخلوا سبيله، فاستقبله مصعب بن عمير، ورأى رسول الله ﷺ ترقوة أبي من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة، وطعنه بحربته فسقط عن فرسه ولم يخرج من طعنته الدم فكسر ضلعًا من أضلاعه، فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور، فقالوا له: ما أعجزك، إنما هو خدش.

فذكر لهم قول رسول الله ﷺ : **«بل أنا أقتل أبيًا»**، ثم قال: والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون، فمات أبي قبل أن يقدم مكة، فأنزل الله تعالى:**{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً}**(٢).

وكان أبي بن خلف الكافر الوحيد الذي قتله رسول الله ﷺ في غزوة أحد، وما سمع أنه قتل بعده أحدًا(٣).

٩ - إخباره ﷺ بإسلام أبي الدرداء قبل أن يسلم:

عن جبير بن نفير قال: كان أبو الدرداء رضي الله عنه يعبد صنمًا في الجاهلية، وإن عبد الله بن رواحة ومحمد بن مسلمة رضي الله عنهما دخلا بيته فسرقا صنمه، فرجع أبو الدرداء فجعل يجمع صنمه ذلك ويقول: ويحك، هل امتنعت، ألا دفعت عن نفسك؟ فقالت أم الدرداء: لو كان ينفع أحدًا أو يدفع عن أحد، دفع عن نفسه ونفعها، فقال أبو الدرداء: أعدي لي في المغتسل ماء، فجعلت له ماء فاغتسل وأخذ حلته فلبسها، ثم ذهب إلى النبي ﷺ، فنظر إليه ابن رواحة مقبلاً، فقال: هذا أبو الدرداء ما أراه جاء إلا

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) سورةالأنفال: ١٧.

(٣) أخرجه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

في طلبنا، فقال النبي ﷺ : «**لا ، إنما جاء ليسلم ؛ فإن ربي عز وجل وعدني بأبي الدرداء أن يسلم**» [١].

١٠ - إعلامه ﷺ بعدم غزو المشركين المسلمين بعد الخندق:

لما انصرف أهل الخندق، قال رسول الله ﷺ : «**الآن نغزوهم ولا يغزوننا**» [٢].

فلم تغز قريش بعد هذه الغزوة، وكان ﷺ يغزوهم حتى فتح الله عليه مكة.

١١ - إخباره ﷺ عن إسلام أبي طلحة قبل أن يسلم:

لما مات زوج أم سليم رضي الله عنها، جاءها أبو طلحة الأنصاري خاطبًا فكلمها في ذلك، فقالت: يا أبا طلحة، ما مثلك يرد، ولكنك امرؤ كافر وأنا امرأة مسلمة لا يصلح لي أن أتزوجك. فقال: ما ذاك دهرك! (ما هذه عادتك)، قالت: وما دهري؟ قال: الصفراء (الذهب) والبيضاء (الفضة)، قالت: فإني لا أريد صفراء ولا بيضاء، أريد منك الإسلام فإن تسلم فذاك مهري ولا أسألك غيره، قال: فمن لي بذلك؟ قالت: لك بذلك رسول الله ﷺ، فانطلق أبو طلحة يريد النبي ﷺ ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه، فلما رآه قال: «**جاءكم أبو طلحة غرة الإسلام بين عينيه**»، فأخبر رسول الله ﷺ بما قالت أم سليم، فتزوجها على ذلك.

قال ثابت البناني، راوي القصة عن أنس: فما بلغنا أن مهرًا كان أعظم منه أنها رضيت الإسلام مهرًا [٣].

١٢ - المسلمون يفتحون فارس موقنين بخبر الرسول ﷺ:

قال البخاري رحمه الله: حدثنا الفضل بن يعقوب حدثنا عبدالله بن جعفر الرقي حدثنا المعتمر بن سليمان حدثنا سعيد بن عبيد الله الثقفي حدثنا بكر بن عبد المزني وزياد بن جبير عن جبير بن حية قال: بعث عمر الناس في أفناء الأنصار، يقاتلون المشركين، فأسلم الهرمزان، فقال له عمر: إني مستشيرك في مغازي هذه، قال: نعم! مَثَلُها ومثل من فيها من الناس من عدو المسلمين مثل طائر له رأس، وله جناحان وله رجلان، فإن كسر أحد الجناحين نهضت الرجلان بجناح والرأس، فإن كسر الجناح الآخر نهضت الرجلان والرأس، وإن شدخ الرأس ذهبت الرجلان والجناحان والرأس، فالرأس كسرى،

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري وأحمد وابن إسحاق.

(٣) صحيح، رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود الطيالسي.

والجناح قيصر، والجناح الآخر فارس، فمر المسلمين فلينفروا إلى كسرى، وقال بكر بن زياد جميعاً عن جبير بن حية قال: فندبنا عمر واستعمل علينا النعمان بن مقرن حتى إذا كنا بأرض العدو، خرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفاً فقام ترجمان فقال: ليكلمني رجل منكم، فقال المغيرة بن شعبة: سل عما شئت، قال: ما أنتم؟ قال: نحن أناس من العرب، كنا في شقاء شديد وبلاء شديد، نمص الجلد والنوى من الجوع، ونلبس الوبر والشعر، ونعبد الشجر والحجر، فبينا نحن كذلك إذ بعث رب السماوات ورب الأرضين تعالى ذكره وجلت عظمته إلينا نبياً من أنفسنا نعرف أباه وأمه، فأمر نبينا رسول الله ﷺ أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية، وأخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا أن من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلها قط، ومن بقي منا ملك رقابكم.

وروى الحاكم رحمه الله هذا الحديث قال: حدثنا علي بن جمشاد العدل، ثنا علي بن عبد العزيز ثنا حجاج بن منهال ثنا حماد بن سلمة ثنا أبو عمران الجوني، عن علقمة بن عبد الله المزني عن معقل بن يسار أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شاور الهرمزان في أصبهان وفارس وآذربيجان.

فقال يا أمير المؤمنين: أصبهان الرأس وفارس وآذربيجان الجناحان، فابدأ بأصبهان فدخل عمر بن الخطاب بالمسجد فإذا هو بالنعمان بن مقرن يصلي فانتظره حتى قضى صلاته، فقال له: إني مستعملك، فقال: أما جابياً فلا!! وأما غازياً فنعم، قال: فإنك غاز.

فسرحه وبعث إلى أهل الكوفة أن يمدوه ويلحقوا به وفيهم حذيفة بن اليمان، والمغيرة ابن شعبة، والزبير بن العوام، والأشعث بن قيس وعمرو بن معدي كرب، وعبد الله بن عمرو، فأتاهم النعمان وبينه وبينهم نهر، فبعث إليهم المغيرة بن شعبة رسولاً وملكهم ذو الحاجبين فاستشار أصحابه فقال: ما ترون أقعد لهم في هيئة الحرب أو في هيئة الملك وبهجته؟

فجلس في هيئة الملك وبهجته على سريره، ووضع التاج على رأسه وحوله سماطين عليهم ثياب الديباج والقرط والأسورة، فجاء المغيرة بن شعبة فأخذ بضبعيه، وبيده الرمح والترس والناس حوله سماطين على بساط له، فجعل يطعنه برمحه فخرقه لك لي يتطيروا، فقال له ذو الحاجبين: إنكم يا معشر العرب أصابكم جوع شديد وجهد فخرجتم فإن شئتم مرناكم (من الميرة يعني الطعام) ورجعتم إلى بلادكم، فتكلم المغيرة فحمد الله وأثنى عليه وقال: إنا كنا معشر العرب نأكل الجيفة والميتة، وأنه قد وعدنا أن هاهنا سيفتح علينا، وقد وجدنا جميع ما وعدنا حقاً، وإني لأرى ها هنا بزة وهيئة ما أرى

من معي بذاهبين حتى يأخذوه.

فقال المغيرة: فقالت لي نفسي لو جمعت جراميزك فوثبت وثبة فجلست معه على السرير إذ وجدت غفلة فزجني وجعلوا يحثونه.

فقلت: أرأيتم إن كنت أنا استحمق فإن هذا لا يفعل بالرسل، وإنا لا نفعل هذا برسلكم إذا أتونا.

فقال: إن شئتم قطعتم إلينا وإن شئنا قطعنا إليكم.

فقلت: بلى نقطع إليكم، فقطعنا إليهم وصافقناهم فتسلسلوا كل سبعة في سلسلة، وخمسة في سلسلة حتى لا يفروا.

قال: فرامونا حتى أسرعوا فينا.

فقال المغيرة للنعمان: إن القوم قد أسرعوا فينا فاحمل.

فقال: إنك ذو مناقب وقد شهدت مع رسول الله، ولكني أنا شهدت رسول ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار، أخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الريح، وينزل النصر.

فقال النعمان: يا أيها الناس اهتز ثلاث هزات فأما الهزة الأولى فليقضي الرجل حاجته، وأما الثانية فلينظر الرجل في سلاحه وسيفه، وأما الثالثة فإني حامل فاحملوا فإن قتل أحد فلا يلوي أحد على أحد، وإن قتلت فلا تلووا علي، وإني داع الله بدعوة فعزمت على كل امرىء منكم لما أمن عليها فقال: اللهم ارزق اليوم النعمان شهادة تنصر المسلمين، وافتح عليهم، فأمن القوم... وهز لواءه ثلاث مرات، ثم حمل فكان أول صريع رضي الله عنه فذكرت وصيته فلم ألوي عليه، وأعلمت مكانه فكنا إذا قتلنا رجلاً منهم، شغل عنا أصحابه يجرونه ووقع ذو الحاجبين من بغلته الشهباء فانشق بطنه وفتح الله على المسلمين، وأتيت النعمان وبه رمق، فأتيته بماء فجعلت أصبه على وجهه أغسل التراب عن وجهه.

فقال: من هذا.

فقلت: معقل بن يسار.

فقال: ما فعل الناس.

فقلت: فتح الله عليهم.

فقال: الحمد لله اكتبوا بذلك إلى عمر.

وفاضت نفسه فاجتمع الناس إلى الأشعث بن قيس فقال: فأتينا أم ولده فقلنا: هل عهد

إليك عهداً قالت: لا إلا سفيط لـه فيه كتاب فقرأته فإذا فيه: إن قتل فلان ففلان، وإن قتل فلان ففلان ـ المستدرك ٢٩٣/٣.

قلت: فانظر كيف زحف المسلمون وهم قلة قليلة إلى الفرس وهم أضعاف أضعافهم ولكن المسلمين كانوا موقنين بالنصر لأن النبي ﷺ وعدهم بذلك، والرسول لايقول إلا حقاً.

١٣ – إخباره ﷺ بأنه إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده:

قال البخاري رحمه الله: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله»**.

وقال البخاري رحمه الله: حدثنا إسحاق سمع جريراً عن عبد الملك عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : **«إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله»**، وأخرجه أيضاً من حديث سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لتفتحن عصابة من المسلمين – أو من المؤمنين – كنز آل كسرى الذي في الأبيض»**، قلت: وقد وقع الأمر تماماً كما قال ﷺ فإنه لم يأت بعد كسرى كسرى غيره، ولما هدمت دولة القياصرة فلم تقم لهم دولة بعد ذلك وإلى يومنا هذا، فأي دليل أعظم من هذا الدليل على أن النبي ﷺ يحدث بالوحي الذي لا يعلمه إلا الله، فإنه لم يكن يتصور أحد أن دولة الأكاسرة التي استمرت نحو ألف عام أن يكون سقوطها وزوالها بأيدي المسلمين، وأن الأكاسرة لا يستطيعون، وإلى قيام الساعة أن يعيدوا ملكهم مرة ثانية.

١٤ – إخباره ﷺ بفساد بعض أحوال المسلمين وقتالهم بعضهم بعضاً بعد فتح فارس والروم:

قال مسلم رحمه الله: حدثنا عمرو بن سواد العامري أخبرنا عبدالله بن وهب أخبرني عمرو بن العاص حدثه عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم؟»** قال عبدالرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله قال رسول الله ﷺ : **«أو غير ذلك تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون أو نحو ذلك ، ثم تنطلقون في مساكن المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض»** (١) ـ قلت: وللأسف فقد حدث ما أخبر به الرسول ﷺ، وقتل المهاجرين والأنصار بعضهم بعضاً في الجمل وصفين!! فإنا لله وإنا إليه راجع.

---

(١) مسلم ٢٢٧٤/٤.

١٥ - النبي ﷺ يخبر بفتح القسطنطينية:

قال ﷺ : «**لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى**».

فقالت عائشة: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله{**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**}[١] أن ذلك تاماً.

قال: «**إنه سيكون من ذلك ما شاء الله**» [٢].

وقال ﷺ : «**إن الله زوى (أي جمع وضم) لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها**» [٣].

وقال ﷺ : «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز ، أو بذل ذليل عزاً يعز الله به الإسلام ، وذلاً يذل به الكفر**».

وعن أبي قبيل قال: كنا عند عبدالله بن عمرو بن العاص، وسئل أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبدالله بصندوق له خلق قال: فأخرج منه كتاباً قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سئل رسول الله ﷺ : أي المدينتين تفتح أولاً أقسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ : «**مدينة هرقل تفتح أولاً – يعني قسطنطينية**» [٤].

١٦ - فتح بيت المقدس:

فتح بيت المقدس فقد قال النبي ﷺ : «**اعدد ستاً بين يدي الساعة) وذكر منها (فتح بيت المقدس**» [٥].

وهذا الشرط قد حدث في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ٣٦هـ.

وإن شاء الله سيكون فتح بيت المقدس بين يدي الساعة مرة أخرى عندما نصطلح مع الله ونكون من عباده المؤمنين.

---

(١) سورة التوبة ٣٣.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أحمد والدارمي وغيرهما وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

(٥) رواه البخاري.

١٧ – طاعون عمواس:

طاعون عمواس وهي بلدة في فلسطين، قال النبي ﷺ : **«اعدد ستاً بين يدي الساعة) وذكر منها (ثم موتان يأخذ فيكم كقصاص الغنم»** [(١)]، قال ابن حجر: "إن هذه الآية ظهرت في طاعون عمواس في خلافة عمر وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس" أهـ. وكان ذلك عام ١٨هـ وبلغ عدد من مات فيه خمسة وعشرين ألفاً من المسلمين.

١٨ – استفاضة المال والاستغناء عن الصدقة:

قال ﷺ : **«لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبله منه صدقه ، ويدعى إليه الرجل فيقول: لا أرب لي فيه»** [(٢)]. وهذا تحقق كثير منه في عهد الصحابة رضي الله عنهم بسبب ما وقع من الفتوح، ثم فاض المال في عهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فكان الرجل يعرض المال للصدقة فلا يجد من يقبله، وسيكثر المال في آخر الزمان في زمن المهدي وعيسى عليه السلام إن شاء الله.

١٩ – ظهور الفتن:

ظهور الفتن، قال ﷺ : **«إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً»** [(٣)].

وقد حدث كثير من الفتن من عهد الصحابة رضي الله عنهم حتى الآن وأعظم الفتن جاءت من الشرق كما قال النبي ﷺ وهو مستقبل المشرق: **«ألا إن الفتنه ها هنا ألا إن الفتنه هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان»** [(٤)].

ومن الفتن التي حدثت: مقتل عثمان رضي الله عنه، وموقعة الجمل وصفين، وظهور الخوارج، وموقعة الحرة، وفتنة القول بخلق القرآن.

* * * * *

---

(١) روه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أحمد وأبو دواد وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٤) رواه البخاري.

المبحث الرابع:
المطلب الأول:
تكثيره الطعام والشراب ﷺ

فأما الطعام:

فقد وقع ذلك منه ﷺ مرات عديدة منها ما روي عن جابر بن عبد الله - رضي لله عنهما - في الخندق حيث يقول جابر: لما حفر الخندق رأيت برسول الله ﷺ خمصًا (الخمص: خلاء البطن من الطعام) فانكفأت (أي انقلبت ورجعت) إلى امرأتي فقلت لها: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصًا شديدًا فأخرجت لي جرابًا (أي وعاء من جلد) فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن قال: فذبحتها وطحنت ففرغت إلى فراغي فقطعتها في برمتها ثم وليت إلي رسول الله ﷺ فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ ومن معه قال: فجئته فساررته فقلت: يا رسول الله! إنا قد ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعًا من شعير كان عندنا فتعال أنت في نفر معك فصاح رسول الله ﷺ وقال: **«يا أهل الخندق! إن جابرًا قد صنع لكم سورًا»** وهو الطعام الذي يدعى إليه وقيل الطعام مطلقًا فحيهلا بكم ومعناه أعجل به، وقال: رسول الله ﷺ : **«لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينتكم ، حتى أجي»** فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتي فقالت: بك، وبك - أي ذمته ودعت عليه فقلت: قد فعلت الذي قلت لي - معناه أني أخبرت النبي بما عندنا فهو أعلم بالمصلحة فأخرجت له عجينتنا فبصق فيها ﷺ وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيها وبارك ثم قال: **«ادعى خابزة فلتخبز معك ، واقدحي من برمتكم»** (أي اغرفي والمقدح المغرفة) ولا تنزلوها، وهم ألف فأقسم بالله! لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا (أي شبعوا وانصرفوا) وإن برمتنا لتغظ (أي تغلي ويسمع غليانها) كما هي وإن عجينتنا - أو كما قال الضحاك - لتخبز كما هو (أي يعود إلى العجين) (١).

وأما الشراب:

فنأخذ من ذلك مثالاً واحداً وهو اللبن فمن أدلة تكثيره ﷺ اللبن ما أخرجه البخاري وغيره عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه كان يقول: الله الذي لا اله إلا هو، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر أبو بكر فسألته عن آية في كتاب

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

الله، ما سألته إلا ليشبعني فمر ولم يفعل ثم مر بي عمر فسألته عن آية في كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني فمر ولم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال: «**يا أبا هر**» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «**الحق**» ومضى فتبعته فدخل فاستأذن فأذن لـه، فوجد لبناً في قدح فقال: من أين هذا اللبن؟ قالوا: أهداه لك فلان - أو فلانة، قال: «**يا أبا هر**»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «**الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي**» قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهلٍ ولا مالٍ ولا على أحدٍ، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بد فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت، قال: «**يا أبا هر**» قلت: لبيك يا رسول الله قال: «**خذ فأعطهم**».

فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد روي القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر إلي فتبسم فقال: «**يا أبا هر** ، **قلت**: لبيك يا رسول الله، قال: «**بقيت أنا وأنت**» قلت: صدقت يا رسول الله، قال: «**اقعد فاشرب**» فقعدت فشربت فقال: «**اشرب**» فشربت، فما زال يقول: اشرب، حتى قلت: «**لا والذي بعثك بالحق ، ما أجد له مسلكاً**».

قال: «**فأرني**»، فأعطيته القدح، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة [(١)].

* * * * *

---

(١) البخارى.

المطلب الثاني:

ثمانون رجلاً يأكلون بعض أرغفة الخبز وتكفيهم

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟

قالت: نعم

فأخرجت أقراصًا من شعير ثم أخرجت خمارًا لها فلفت الخبز ببعضه ثم دستني تحت يدي ولاثتني ببعضه (أي لفتني به)، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ، قال: فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس، فقمت عليهم، فقال لي رسول الله ﷺ : أرسلك أبو طلحة؟ فقلت: نعم، قال: بطعام؟ قلت: نعم، فقال رسول الله ﷺ لمن معه: «**قوموا ، فانطلق**» وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم، قد جاء رسول الله ﷺ والناس وليس عندنا ما نطعمهم، فقلت: الله ورسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه، فقال رسول الله ﷺ : «**هلم يا أم سليم: ما عندك؟**» فاتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ، ففتّ وعصرت أم سليم عكة فأدمته، ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «**ائذن لعشرة**»، فأكل القوم كلهم والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً [١].

قصعة الثريد يأكل منها المئات:

عن سمرة بن جندب قال: بينما نحن عند النبي ﷺ إذ أُتي بقصعة فيها ثريد (الخبز المختلط باللحم والأرز) قال: فأكل وأكل القوم فلم يزالوا يتداولونها إلى قريب من الظهر؛ يأكل القوم ثم يقومون ويجئ قوم فيتعاقبونه، قال: فقال له رجل: هل كانت تُمد بطعام؟ قال: أما من الأرض فلا، إلا أن تكون كانت تمد من السماء [٢].

---

(١) صحيح، أخرجه البخاري في المناقب، وأخرجه مسلم في الأشربة، والترمذي في المناقب.

(٢) رواه أحمد.

البركة في الشعير:

عن جابر رضي الله عنه: أن رجلاً أتى النبي ﷺ يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير، فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله، فأتى النبي ﷺ فقال: «**لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم**» (أي لاستمر دائمًا أبدًا وما انقطع خيره)(١).

البركة في السمن:

عن جابر رضي الله عنه: أن أم مالك كانت تُهدي إلى رسول الله ﷺ في عكة لها سمنًا فيأتيها بنوها فيسألون الأدم وليس عندهم شيء، فتعمد إلى التي كانت تهدي فيه إلى رسول الله ﷺ فتجد فيه سمنًا فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرتها، فأتت رسول الله ﷺ فقال: «**أعصرتيها؟**» قالت: نعم، فقال: «**لو تركتيها ما زالت قائمة**» (٢).

البركة في مزود أبي هريرة رضي الله عنه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ يومًا بتمرات فقلت: ادع الله لي فيهن بالبركة، قال: فصفهن بين يديه ثم دعا، فقال لي: «**اجعلهن في مزود** (**الوعاء من الجلد وغيره ، ويجعل فيه الزاد**) **وأدخل يدك ولا تنثره**»، قال: فحملت منه كذا وكذا وسقًا (الوسق: ٥٠كيلة = ٤ أردب وكيلتان) في سبيل الله ونأكل ونطعم، وكان لا يفارق حقوي، فلما قتل عثمان رضي الله عنه انقطع حقوي فسقط(٣).

وفي رواية: أنه قال: أُصبت بثلاث مصيبات في الإسلام لم أُصب بمثلهن:

١- موت رسول الله ﷺ وكنت صويحبه.

٢- وقتل عثمان.

٣- والمزود.

قالوا: وما المزود يا أبا هريرة؟

قال: قلت تمر في مزود.

قال: جئ به، فأخرجت تمرًا فأتيته به.

قال: فمسه ودعا فيه ثم قال: «**ادع عشرة ، فدعوت عشرة فأكلوا حتى شبعوا ، ثم**

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفضائل.

(٢) رواه مسلم في كتاب الفضائل.

(٣) حسن، رواه أحمد، والترمذي في مناقب أبي هريرة.

كذلك حتى أكل الجيش كله وبقي من تمر معي في المزود».

فقال: **«يا أبا هريرة إذا أردت أن تأخذ منه شيئًا ، فأدخل يدك فيه ولا تكفه».**

قال: فأكلت منه حياة النبي ﷺ وأكلت منه حياة أبي بكر كلها، وأكلت منه حياة عمر كلها، وأكلت منه حياة عثمان كلها، فلما قتل عثمان انتهب ما في يدي، وانتهب المزود، ألا أخبركم كم أكلت منه، أكلت منه أكثر من مائتي وسق (الوسق: ٥٠كيلة = ٤ أردب وكيلتان)(١).

البركة في شطر الشعير:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لقد توفي رسول الله ﷺ وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير (أي نصف قدح من شعير أو شيء قليل من الشعير) في رف لي، فأكلت منه حتى طال علي، ثم كِلته ففني.

قصة البعير وسجوده وشكواه لرسول الله ﷺ:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أهل البيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره وأن الأنصار جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنه كان لنا جمل نسني عليه (أي نستقي عليه) أنه استصعب علينا ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: **«قوموا»** فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحيته، فمشى النبي ﷺ نحوه، فقالت الأنصار: يا رسول الله إنه قد صار مثل الكلب وإنا نخاف عليك صولته، فقال: **«ليس عليَّ منه بأس»**، فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خر ساجداً بين يديه، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط، حتى أدخله في العمل فقال له أصحابه: هذه البهيمة لا تعقل تسجد لك، ونحن أحق أن نسجد لك، فقال: **«لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ، والذي نفس محمد بيده لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تتفجر بالقيح والصديد ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه»** (٢).

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده.

وعن عبد الله بن جعفر - رضي الله عنهما قال: أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه فأسر إليَ حديثاً لا أخبر به أحداً أبداً وكان رسول الله ﷺ أحب ما استتر به في حاجته هدف أو حائش نخل(أي جماعة النخل) فدخل يوماً حائطاً من حيطان الأنصار فإذا جمل قد أتاه فجرجر (أي ردد صوته في حنجرته) وذرفت عيناه قال بهر وعفان: فلما رأى النبي ﷺ حنَ وذرفت عيناه فمسح رسول الله ﷺ سراته (الظهر وقيل السنام) وذفراه (العظم الشاخص خلف الأذن) سكن فقال: **«من صاحب هذا الجمل؟»** فجاء فتى من الأنصار فقال: هو لي يا رسول الله، فقال: **«أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملككها الله ، إنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه»** [١].

* * * * *

(١) رواه أبو داوود والإمام أحمد في مسنده والحاكم في المستدرك.

المطلب الثالث:
إخبار الذئب بنبوته ﷺ

عن أبي سعيد الخضري رضي الله عنه قال: عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعي فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه فقال: ألا تتقي الله؟ تنزع مني رزقاً ساقه الله إلي؟

فقال: يا عجبي ذئب يقعي على ذنبه يكلمني كلام الإنس، فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق، قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره.

فأمر رسول الله ﷺ فنودي: الصلاة جامعة ثم خرج فقال للراعي أخبرهم فأخبرهم فقال رسول الله ﷺ : **«صدق ، والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس ، ويكلم الرجل عذبة سوطه ، وشراك نعله ، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده»** (١).

وفى رواية من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عندما كلم الذئب راعي الغنم فقال الرجل: تالله إن رأيت كاليوم ذئباً يتكلم، فقال الذئب: أعجب من هذا الرجل في النخلات بين الحرتين (أي المدينة المنورة) يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم وكان الرجال يهودياً، فجاء النبي ﷺ فأسلم وخبَره فصدقه النبي ﷺ (٢).

الوحش يوقر الرسول ﷺ:

قالت عائشة رضي الله عنها: كان لآل رسول الله ﷺ وحش فإذا خرج رسول الله ﷺ لعب واشتد وأقبل وأدبر، فإذا أحس برسول الله ﷺ قد دخل ربض فلم يترمرم (أي سكن ولم يتحرك) ما دام رسول اله ﷺ في البيت كراهية أن يؤذيه(٣).

---

(١) رواه الأمام أحمد في المسند، والحاكم في المستدرك، وابن سعد في الطبقات.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند٣/٨٨.

(٣) صحيح، أخرجه أحمد، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد.

وافد الذئاب يرضى بأوامر الرسول ﷺ:

عن حمزة بن أبي أسيد قال: خرج رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار بالبقيع، فإذا الذئب مفترشًا ذراعيه على الطريق، فقال رسول الله ﷺ: **«هذا جاء يستفرض فافرضوا له»** قالوا: ترى رأيك يا رسول الله، قال: **«من كل سائمة شاة في كل عام»** قالوا: كثير، قال: **«فأشار إلى الذئب أن خالسهم»** فانطلق الذئب. حسن بشواهده - أخرجه البيهقي في الدلائل، ورواه البزار وأبو نعيم.

ورضي الذئب بأن يأخذ منهم الشياة خلسة كما عرض عليه رسول الله ﷺ [١].

نزول المطر الشديد يوم تبوك بدعاء النبي ﷺ:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قيل لعمر بن الخطاب، حدثنا عن شأن ساعة العسرة، فقال عمر: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد (أي قلة نزول المطر)، فزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع، حتى أن كان أحدنا ليذهب فيلتمس الرجل فلا يجده حتى يظن أن رقبته ستنقطع، حتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه (أي روثه وفضلاته) فيشربه، ثم يجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، إن الله قد عودك في الدعاء خيرًا، فادع الله لنا، فقال ﷺ: **«أو تحب ذلك؟»** قال: نعم، فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت السماء فأطلت ثم سكبت فملأوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر.

سعد مُجاب الدعوة بسبب دعاء الرسول ﷺ:

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«اللهم استجب لسعد إذا دعاك»**، فكان لا يدعو إلا استجيب [٢].

ومن هذا ما رواه جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: شكا أهل الكوفة سعدًا، يعني ابن أبي وقاص رضي الله عنه، إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فعزله واستعمل عليهم عمارًا، فشكوا (أي سعدًا رضي الله عنه) حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي، فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي! فقال: أما والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ لا أخرم عنها؛ أصلي صلاة العشاء فأركد في الأوليين وأخف في الأخريين، قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، وأرسل معه رجلاً أو

---

(١) البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه الترمذي، والحاكم صححه.

رجالاً إلى الكوفة يسأل عنه أهل الكوفة، فلم يدع مسجدًا إلا سأل عنه ويثنون معروفًا، حتى دخل مسجدًا لبني عبس فقام رجل منهم يقال لـه: أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة، فقال: أما إذا نشدتنا فإن سعدًا كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية.

قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا، قام رياءً وسمعة، فأطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن.

قال عبد الملك بن عمير الراوي عن جابر بن سمرة: فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكِبَر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق فيغمزهن، وكان بعد ذلك إذا سُئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد[١].

زاد أولاده عن المائة وزاد عمره عن المائة وزاد ماله عن المائة ألف بسبب دعاء النبي ﷺ:

إنه أنس بن مالك رضي الله عنه.. يحدثنا عن ذلك فيقول: جاءت أم سليم، وهي أم أنس، رضي الله عنهما، إلى رسول الله ﷺ وقد أزرتني بخمارها وردَّتني ببعضه، فقالت: يا رسول الله هذا أُنيس أتيتك به يخدمك فادع الله لـه، قال: **«اللهم أكثر ماله وولده»**. صحيح: أخرجه البخاري في الدعوات. وفي لفظ: **«اللهم أكثر ماله وولده وأطِل عمره واغفر له»**.

قال أنس: فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي يتعادون على نحو المائة. قال: وحدثتني ابنتي أُمَيْنة أنه قد دفن من صلبي إلى مقدم الحجاج البصرة: تسعة وعشرين ومائة.

وروى الترمذي وغيره أن أنس بن مالك رضي الله عنه خدم رسول الله ﷺ عشر سنين، ودعا لـه، وكان لـه بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين، وكان فيها ريحان يجيء منها ريح المسك. "[٢] وفي رواية قال: دفنت من صلبي مائة واثنتين، وإن ثمرتي لتحمل في السنة مرتين، ولقد بقيت حتى سئمت الحياة، وأرجو الرابعة.

فولده إذن يزيدون على المائة، وأما عمره فقد مات وعمره مائة عام وقيل: عشر ومائة، وكانت وفاته سنة ثلاث وتسعين على الراجح، وأما ماله فقد كانت السحابة تمطر في أول أرضه ولا تمطر في آخرها لعظم مساحة أرضه.

---

(١) صحيح، رواه البخاري ومسلم.

(٢) حسن: أخرجه الترمذي في المناقب، وقال: حديث حسن.

دعا لـه فطال عمره وهو شاب:

ثبت أنه ﷺ دعا للسائب بن يزيد ومسح بيده على رأسه، فطال عمره حتى بلغ أربعًا وتسعين سنة، وهو تم تمام القامة معتدل، ولم يشب منه موضع أصابت يد رسول الله ﷺ، ومُتِّع بحواسه قواه(١).

ابن عباس حبر الأمة بسبب دعاء النبي ﷺ:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتى رسول الله ﷺ الخلاء فوضع لـه وضوءًا، فلما خرج قال: «**من صنع هذا؟**» قالوا: ابن عباس، قال: «**اللهم فقهه في الدين**» (٢).

وعنه قال: إن رسول الله ﷺ وضع يده على كتفي ثم قال: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**» (٣).

وقد استجاب الله لرسوله ﷺ هذه الدعوة في ابن عمه؛ فكان إمامًا يُهتدى بهداه، ويُقتدى بسناه في علوم الشريعة، ولا سيما في علم التأويل وهو التفسير؛ فإنه انتهت إليه علوم الصحابة قبله، وما كان عقله من كلام ابن عمه رسول الله ﷺ.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لو أن ابن عباس أدرك أسناننا ما عاشره أحد منا، وكان يقول: نعم ترجمان القرآن ابن عباس(٤).

هذا وقد تأخرت وفاة ابن عباس عن وفاة عبد الله بن مسعود ببضع وثلاثين سنة، فما ظنك بما حصله بعده في هذه المدة؟!. وقيل: خطب الناس ابن عباس في عشية عرفة، ففسر لهم سورة البقرة تفسيرًا لو سمعه الروم والترك والديلم لأسلموا. - رضي الله عنه وأرضاه.

(١) صحيح: أخرجه البخاري كتاب المناقب، ومسلم في الفضائل.

(٢) صحيح، أخرجه البخاري في الوضوء، ورواه مسلم.

(٣) صحيح، أخرجه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح، ورواه البيهقي في الدلائل.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك.

دعا ﷺ عليه فاختلج لسانه:

عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال: كان فلان يجلس إلى النبي ﷺ، فإذا تكلم النبي ﷺ بشيء اختلج (ردد الكلام على هيئة المستهتر) بوجهه، فقال لـه النبي ﷺ: «**كن كذلك**»، فلم يزل يختلج حتى مات[١].

ثبوت جرير على الفرس بعد أن كان لا يثبت:

عن جرير البجلي رضي الله عنه قال: كنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فضرب بيده على صدري حتى رأيت أثر يده على صدري، وقال: «**اللهم ثبته واجعله هاديًا مهديًا ، فما سقطت عن فرسي بعد**» [٢].

وأخرجه الشيخان عنه بلفظ: قال لي رسول الله ﷺ: «**ألا تريحني من ذي الخَلَصة**»، صنم، فقلت: يا رسول الله، لا أثبت على الخيل، فضرب في صدري وقال: «**اللهم ثبته واجعله هاديًا مهديًا**»، فسرت إليها في مائة وخمسين فارسًا من أحمس، فأتيناها فحرقناها[٣].

ما منعه إلا الكبر فشلت يده:

رأى النبي ﷺ رجلا يأكل بشماله فقال لـه: «**كل بيمينك**» قال: لا أستطيع، قال: «**لا استطعت**». قال الراوي: فما رفعها إلى فيه (فمه)[٤].

وكذلك كان هديه ﷺ وسيرته في الطعام لا يرد موجوداً ولا إليه شيء من الطيبات إلا أكله إلا أن تعافه نفسه فيتركه من غير تحريم وما عاب طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه كما ترك أكل الضب لما لم يعتده ولم يحرمه على الأمة بل أكل على مائدته وهو ينظر. وأكل الحلوى والعسل وكان يحبهما وأكل لحم الجزور والضأن والدجاج ولحم الحبارى.

والأرنب وطعام البحر وأكل الشواء وأكل الرطب والتمر وشرب اللبن خالصاً ومشوباً والسويق والعسل بالماء وشرب نقيع التمر وأكل الخزيرة وهي حساء يتخذ من اللبن والدقيق وأكل القثاء بالرطب وأكل الأقط وأكل التمر بالخبز وأكل الخبز بالخل

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل.

(٢) رواه أبو نعيم.

(٣) أخرجه الشيخان.

(٤) رواه مسلم في الأشربة.

وأكل الثريد وهو الخبز باللحم وأكل الخبز بالإهالة وهي الودك وهو الشحم المذاب وأكل من الكبد المشوية وأكل القديد وأكل الدباء المطبوخة وكان يحبها وأكل المسلوقة وأكل الثريد بالسمن وأكل الجبن وأكل الخبز بالزيت وأكل البطيخ بالرطب وأكل التمر بالزبد وكان يحبه. ولم يكن يرد طيباً ولا يتكلفه بل كان هديه أكل ما تيسر فإن أعوزه صبر حتى إنه ليربط على بطنه الحجر من الجوع ويرى الهلال والهلال والهلال ولا يوقد في بيته نار.

وكان معظم مطعمه يوضع على الأرض في السفرة وهي كانت مائدته وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقها إذا فرغ وهو أشرف ما يكون من الأكلة فإن المتكبر يأكل بأصبع واحدة والجشع الحريص يأكل بالخمس ويدفع بالراحة.

وكان لا يأكل متكئا والاتكاء على ثلاثة أنواع أحدها: الاتكاء على الجنب والثاني: التربع والثالث الاتكاء على إحدى يديه وأكله بالأخرى والثلاث مذمومة.

وكان يسمي الله تعالى على أول طعامه ويحمده في آخره فيقول عند انقضائه الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا. وربما قال الحمد لله الذي يُطعِم ولا يُطعَم من علينا فهدانا وأطعمنا وسقانا وكل بلاء حسن أبلانا الحمد لله الذي أطعم من الطعام وسقى من الشراب وكسا من العري وهدى من الضلالة وبصر من العمى وفضل على كثير ممن خلق تفضيلا الحمد لله رب العالمين.

وربما قال الحمد لله الذي أطعم وسقى. وكان إذا فرغ من طعامه لعق أصابعه ولم يكن لهم مناديل يمسحون بها أيديهم ولم يكن عادتهم غسل أيديهم كلما أكلوا. وكان أكثر شربه قاعدا بل زجر عن الشرب قائماً وشرب مرة قائما.

فقيل هذا نسخ لنهيه وقيل بل فعله لبيان جواز الأمرين والذي يظهر فيه - والله أعلم - أنها واقعة عين شرب فيها قائما لعذر وسياق القصة يدل عليه فإنه أتى زمزم وهم يستقون منها فأخذ الدلو وشرب قائما. والصحيح في هذه المسألة النهي عن الشرب قائما وجوازه لعذر يمنع من القعود وبهذا تجمع أحاديث الباب والله أعلم.

وكان إذا شرب ناول من على يمينه وإن كان من على يساره أكبر منه.

لا يشبع أبدًا:

عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: كنت ألعب مع الغلمان فجاء رسول الله ﷺ فاختبأت منه، فجاءني فحطاني حطوة (أي قفدني يعني ضربه بيده وهي مبسوطة الكفين) أو حطوتين وأرسلني إلى معاوية في حاجة، فأتيته وهو يأكل، فقلت: أتيته وهو يأكل، فأرسلني الثانية فأتيته وهو يأكل، فقلت: أتيته وهو يأكل، فقال: **«لا أشبع الله بطنه»**. فما شبع بعدها.

قال ابن كثير: وقد كان معاوية، رضي الله عنه، لا يشبع بعدها، ووافقته هذه الدعوة في أيام إمارته فيقال: إنه كان يأكل في اليوم سبع مرات طعامًا بلحم وكان يقول: والله لا أشبع وإنما أعيي[١].

قلت: وهذا الأمر جاء لمعاوية على أنه استجابة لدعاء النبي ﷺ وابتلاء من الله تعالى لمعاوية، ولم يكن غضبًا ولا سخطًا من الرسول ﷺ على معاوية رضي الله عنه.

* * * * *

(١) البداية والنهاية (١٨٩/٦).

المطلب الرابع:
إجابة دعائه ﷺ

كان رسول الله ﷺ كما وصفه ربه عز وجل:**{بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}**(١) فكان ينظر إلى أصحابه نظرة الرحمة والشفقة فكلما ألم بأصحابه مكروه من عاهة أو مرض أو تفكير في أمر يشغل بالهم أسرع رسول الله ﷺ بالدعاء لهم للتخفيف عنهم ولكي ينالوا بركة دعوته ﷺ أما بالنسبة للكفار والمشركين والمعاندين فقد كان رسول الله ﷺ يدعو عليهم حيث تشتد شوكتهم ويكثر أذاهم وتارة كان يدعو لهم حيث تؤمن غائلتهم ويرجى تآلفهم.

وإذا دعا رسول الله ﷺ لأناس أو دعا عليهم فإنك تجد ما دعا به قد تحقق قطعًا وهذه بعض الأمثلة من دعواته المستجابة ﷺ.

سرعة الإجابة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلاً دخل المسجد يوم جمعة ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبل رسول الله ﷺ قائمًا ثم قال: يا رسول الله هلكت الأموال (المراد هنا المواشي خصوصًا الإبل وهلاكها من قلة الأقوات بسبب عدم المطر والنبات) وانقطعت السبل (أي انقطعت الطرق فلم تسلكها الإبل إما لخوف الهلاك أو الضعف بسبب قلة الكلأ أو عدمه) فادع الله يغثنا قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: **«اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا»**. قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة (القطعة من الغيم) وما بيننا وبين سلع (جبل قرب المدينة) من بيت ولا دار قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس (هو ما يتقي به السيف ووجه الشبه الاستدارة والكثافة لا القدر) فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت. قال: فلا والله ما رأينا الشمس سبتًا.

قال: ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبله قائمًا فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: **«اللهم حولنا ولا علينا اللهم على الآكام (جمع أكمة وهي الرابية المرتفعة من الأرض) والظراب (جمع ظرب وهي صغار الجبال والتلال) ومنابت الشجر فانقلعت وخرجنا نمشي في الشمس»** (٢).

---

(١) سورة التوبة آية ١٢٨.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

يمهل ولا يهمل:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس وقد نحرت جزور (أي ناقة) بالأمس فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا (هو اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان وهي من الآدمية المشيمة) جزور بني فلان فيأخذه فيضل في كتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم (وهو عقبة بن أبي معيط) فأخذه فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه قال: فاستضحكوا (أي حملوا أنفسهم على الضحك والسخرية) وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر لو كانت لي منعة (أي لو كان لي قوة تمنع أذاهم أو كان لي عشيرة بمكة تمنعني) طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية (تصغير جارية بمعنى شابة أي أنها إذ ذاك ليست بكبيرة) فطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تشتمهم فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم وكان إذا دعا دعا ثلاثًا وإذا سأل سأل ثلاثًا ثم قال: «**اللهم عليك بقريش**» (ثلاث مرات) فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته ثم قال: اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة (اتفق العلماء على أنه غلط وصوابه: الوليد بن عتبة) وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وذكر السابع فلم أحفظه فوالذي بعث محمدًا ﷺ بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب (القليب هي البئر التي لم تطو وإنما وضعوا في القليب تحقيرًا لهم ولئلا يتأذى الناس برائحتهم)(١).

* * * * *

---

(١) رواه مسلم.

المطلب الخامس:
بشارات لبعض الأصحاب

أم حرام بنت ملحان:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها رسول الله ﷺ يومًا فأطعمته ثم جلست تفلي رأسه فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: **«ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر** (هو ظهره ووسطه) **ملوكًا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة»** (يشك أيهما قال) قالت: فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: **«ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله»** كما قال في الأولى، قالت: فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، قال: **«أنت من الأولين»**.

فركبت أم حرام بنت ملحان البحر في زمن معاوية فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت [١].

عكاشة بن محصن:

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط** (تصغير رهط وهو: الجماعة دون العشرة) **والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي ليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي: هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس** (أي تكلموا وتناظروا) **في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب»** فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: **«ما الذي تخوضون فيه؟»** فأخبروه فقال: **«هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»** فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: **«أنت منهم»** ثم

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقال: **«سبقك بها عكاشة»** [١].

أم ورقة بنت نوفل:

عن أم ورقة بنت نوفل أن النبي ﷺ لما غزا بدرًا قالت: قلت لـه: يا رسول الله ائذن لي في الغزو معك أمرض مرضاكم لعل الله يرزقني الشهادة، قال: قري في بيتك فإن الله تعالى يرزقك الشهادة، قال: فكانت تسمى الشهيدة، قال: وكانت قد قرأت القرآن فاستأذنت النبي ﷺ أن تتخذ في دارها مؤذنًا فأذن لها، قال: وكانت دبرت غلامًا لها وجارية (أي علقت عتقهما على موتها وهو أن يقول السيد لعبده: أنت حر بعد موتي) فقاما إليها بالليل فغماها بقطيفة لها حتى ماتت وذهبا، فأصبح عمر فقام في الناس فقال: من كان عنده من هذين علم أو من رآهما فليجيء بهما فأمر بهما فصلبا فكانا أول مصلوب بالمدينة "[٢] - وفي رواية البيهقي في آخره: فقال عمر: صدق رسول الله ﷺ كان يقول: انطلقوا بنا نزور الشهيدة.

إفحام أهل الكتاب:

كان أهل الكتاب كثيرًا ما يسألون رسول الله ﷺ عن أشياء على سبيل الامتحان والتعجيز وليس على سبيل الهداية والانصياع للحق فسألوه عن أشياء كثيرة فكان رسول الله ﷺ يورد الجواب على وجهه ويأتي به على نصه كما هو معروف لديهم ومقرر في كتبهم، وقد علموا أنه ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولم يتلق العلم على أيديهم ومع هذا لم يحك عن واحد من اليهود والنصارى على شدة عداوتهم لـه وحرصهم على تكذيبه وكثرة سؤالهم لـه وتعنتهم في ذلك أنه أنكر على رسول الله ﷺ جوابه أو كذبه بل أكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته والمكابر منهم اعترف بعناده وحسده لرسول الله ﷺ.

وها هي بعض النماذج التي سئل فيها رسول الله ﷺ فأجاب بما طابق الحق المقرر عند أهل الكتاب:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي ﷺ المدينة فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، قال: ما أول أشراط الساعة (العلامات التي تتقدمها)؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه أبو داود والإمام أحمد في مسنده والبيهقي وحسنه الألباني.

أبيه (أي يجيء يشبهه) ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول الله ﷺ : **«خبرني بهن آنفًا جبريل»**.

قال فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة.

فقال رسول الله ﷺ : **«أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت ، وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها»**.

قال: أشهد أنك رسول الله، ثم قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت (أي يكذبون على الناس) إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت فقال رسول الله ﷺ : **«أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟»** قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله ﷺ : **«أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟»**.

قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه[١].

عن ثوبان رضي الله عنه قال: كنت قائمًا عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود - أي عالم من علمائهم، فقال: السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله، فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله فقال رسول الله ﷺ : **«إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي»** فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله ﷺ : **«أينفعك شيء إن حدثتك؟»** قال: أسمع بأذني فنكت رسول الله ﷺ بعود معه (أي يخط بالعود في الأرض ويؤثر به فيها) فقال: **«سل»**.

فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ : **«هم في الظلمة دون الجسر»** - المراد به: الصراط، قال: فمن أول الناس إجازة - المقصود: الجواز والعبور؟ قال ﷺ : **«فقراء المهاجرين»** قال اليهودي: فما تحفتهم (وهي ما يهدى إلى الرجل ويخص به) حين يدخلون الجنة؟ قال: **«زيادة كبد النون»** - أي الحوت، قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: **«ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها»** قال: فما شرابهم عليه، قال: **«عينا فيها تسمى سلسبيلا»**. قال: صدقت قال: أردت أن أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان، قال: **«ينفعك إن حدثتك»**، قال: أسمع بأذني، قال: جئت أسألك عن الولد قال:

---

(١) رواه البخاري.

«ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكر بإذن الله وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنثا بإذن الله تعالى» فقال: اليهودي لقد صدقت وإنك لنبي ثم انصرف.

فذهب فقال رسول الله ﷺ لقد سألني عن الذي سألني عنه ومالي علم بشيء منه حتى أتاني الله عز وجل به [١].

* * * * *

(١) صحيح مسلم.

المطلب السادس:
رؤيته ﷺ أصحابه من وراء ظهره

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ ذات يوم إذ أقيمت الصلاة، فقال: «**أيها الناس إني إمامكم ، فلا تسبقوني في الركوع ولا بالسجود ، ولا ترفعوا رءوسكم ؛ فإني أراكم من أمامي ومن خلفي ، وايم الذي نفس محمد بيده ، لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا**»، قالوا: يا رسول الله! وما رأيت؟ قال: «**رأيت الجنة والنار**» [(١)].

وفي رواية: أن رسول الله ﷺ قال: «**هل ترون قبلتي ها هنا؟ فوالله ما يخفى علي ركوعكم ولا سجودكم ، إني لأراكم وراء ظهري**» [(٢)].

كان صوت النبي ﷺ يبلغ ما لم يبلغه صوت أحد:

عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ جلس يوم الجمعة على المنبر، فقال للناس: «**اجلسوا**»، فسمع عبد الله بن رواحة فجلس في بني غنم، فقيل: يا رسول الله! ذاك ابن رواحة جالس في بني غنم، سمعك وأنت تقول للناس اجلسوا فجلس في مكانه[(٣)].

حطم الكدية القوية في أول ضربة:

عرضت على الصحابة، رضوان الله عليهم، يوم الخندق كدية أعيتهم (أعجزتهم)، فنسفها ﷺ في أول ضربة، أقال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كُدية (أي ما جمع من التراب) شديدة، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كُدية عرضت في الخندق، فقال: «**أنا نازل**»، ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب، فعاد كثيبًا (التل من الرمل) أهيل أهيم[(٤)].

---

(١) صحيح، أخرجه مسلم في الصلاة، والبيهقي في الدلائل.

(٢) صحيح، رواه البخاري ومسلم في الصلاة.

(٣) أخرجه أبو نعيم، وأخرجه البيهقي في الدلائل.

(٤) رواه البخاري وابن اسحق.

الرجال تصرع بدعاء سيد الرجال ﷺ :

عن أبي طلحة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة، فلقي العدو، فسمعته يقول: «**يا مالك يوم الدين: إياك نعبد وإياك نستعين**»، فلقد رأيت الرجال تصرع، تضربها الملائكة من بين أيديها ومن خلفها[١].

عرق النبي ﷺ طيب :

عن أنس رضي الله عنه قال: دخل علينا رسول الله ﷺ فقال عندنا (نام)، فعرق، وجاءت أمي بقارورة (زجاجة)، فجعلت تسلت(تجمع) العرق فيها، فاستيقظ رسول الله ﷺ فقال: «**يا أم سليم ، ما هذا الذي تصنعين؟**» قالت: هذا عرقك نجعله لطيبنا، وهو أطيب الطيب[٢].

كاد عليّ أن ينال أفق السماء بسبب حمل النبي ﷺ له :

عن عليّ رضي الله عنه قال: انطلق بي رسول الله ﷺ حتى أتى الكعبة فقال: اجلس فجلست إلى جنب الكعبة، فصعد رسول الله ﷺ لمنكبي، ثم قال: انهض فنهضت، فلما رأى ضعفي تحته قال لي: «**اجلس**» ثم قال لي: «**يا عليّ ، اجلس على منكبي**»، ففعلت، ثم نهض بي، فلما نهض بي خيل إلي أني لو شئت نلت أفق السماء، فصعدت فوق الكعبة، فقال لي: «**ألق صنمهم الأكبر ، صنم قريش**» وكان من نحاس موتدًا بأوتاد من حديد إلى الأرض، فقال لي رسول الله ﷺ : «**عالجه**»، ويقول لي: «**إيه إيه ، جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقًا**». فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه فقذفته فتكسر[٣].

العرجون يضيء في الليل :

عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري قال: كانت ليلة مطيرة فلما خرج رسول الله ﷺ لصلاة العشاء برقت برقة فرأى رسول الله ﷺ قتادة بن النعمان، فقال: «**يا قتادة إذا صليت فاثبت حتى آمرك**»، فلما انصرف من صلاته أتاه فأعطاه عرجونًا (عود عذق النخلة)، فقال: «**خذ هذا يُضاء لك أمامك عشرًا وخلفك عشرًا ، فأضاء له**» [٤].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الدلائل.

(٢) رواه مسلم في كتاب الفضائل، وأحمد.

(٣) أخرجه الحاكم.

(٤) رواه أبو النعيم في الدلائل.

حنين الجذع شوقاً إلى رسول الله ﷺ وشفقاً من فراقه :

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - إن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار - أو رجل - يا رسول الله، ألا نجعل لك منبراً؟ قال: **«إن شئتم»** فجعلوا له منبراً فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ فضمه إليه، يئن أنين الصبي الذي يسكن قال: **«كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها»** [١].

وفي رواية أخرى عن جابر رضي الله عنه قال: كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل، فكان النبي إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر فكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار (جمع عشراء، وهى الناقة التي أتى عليها عشرة أشهر من حملها)، حتى جاء النبي فوضع يده عليها، فسكنت[٢].

وفى رواية من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال ﷺ : **«ولو لم أحتضنه لحنَ إلى يوم القيامة»** [٣].

وكان الحسن البصري رحمه الله إذا حدث بحديث حنين الجذع يقول يا معشر المسلمين الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إلى لقائه فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه.

الشجرة تنتقل من مكانها ثم ترجع :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **«جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدماء** (أي ملأت الدماء رأسه) **من ضربة بعض أهل مكة فقال له: ما لك؟ قال: فعل بي هؤلاء وفعلوا: فقال له جبريل: أتحب أن أريك آية؟ فقال: نعم ، قال: فنظر إلى شجرة من وراء الوادي فقال: ادع تلك الشجرة ، فدعاها ، قال: فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه ، فقال: مرها فلترجع ، فأمرها ، فرجعت إلى مكانها».**

فقال رسول الله ﷺ : **«حسبي»** (أي يكفيني اطمئنانًا)[٤].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، وابن ماجه.

(٤) صحيح، أخرجه أحمد في مسنده، ورواه ابن ماجة في سننه.

الأربعون نخلة تثمر في عام زرعها:

عن بريدة رضي الله عنه قال: جاء سلمان الفارسي إلى رسول الله ﷺ حين قدم المدينة بمائدة عليها رطب، فوضعها بين يدي رسول الله ﷺ فقال: «**يا سلمان ، ما هذا؟**» فقال: صدقة عليك وعلى أصحابك، فقال: «**ارفعها ؛ فإنا لا نأكل الصدقة**»، قال: فرفعها، فجاء الغد بمثله، فوضعه بين يدي رسول الله ﷺ فقال: «**ما هذا يا سلمان؟**»، فقال: هدية لك، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**ابسطوا**» (يعني ابسطوا أيديكم وكلوا).

ثم نظر إلى الخاتم على ظهر رسول الله ﷺ فآمن به، وكان لليهود، فاشتراه رسول الله ﷺ بكذا وكذا درهمًا على أن يغرس نخلاً فيعمل سلمان فيه حتى تُطعِم، فغرس رسول الله ﷺ النخيل إلا نخلة واحدة غرسها عمر، فحملت النخل من عامها ولم تحمل النخلة التي زرعها عمر، فقال رسول الله ﷺ: «**ما شأن هذه النخلة؟**» فقال عمر: يا رسول الله، أنا غرستها، فنزعها رسول الله ﷺ فغرسها، فحملت من عامها [(١)].

وفي هذا الحديث أربعون معجزة؛ لأن كل نخلة تثمر في عامها معجزة وحدها؛ فالنخلة لا تثمر إلا بعد سبع سنوات على الأقل.

عذق النخلة ينزل منها ويمشي إلى النبي ﷺ:

جاء إعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: بما أعرف أنك رسول الله؟ قال: «**أرأيت إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله؟**» قال: نعم، قال: فدعا العذق فجعل العذق ينزل من النخلة حتى سقط في الأرض، فجعل ينقز حتى أتى رسول الله ﷺ ثم قال له: «**ارجع**»، فرجع حتى عاد إلى مكانه، فقال: أشهد أنك رسول الله، وآمن[(٢)].

انقياد الشجر لرسول الله ﷺ:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا واديًا أفيح (أي واسعًا) فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فاتبعته بإداوة من ماء فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئًا يستتر به فإذا شجرتان بشاطئ الوادي (أي جانبه) فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال: «**انقادي علي بإذن الله**» فانقادت معه كالبعير المخشوش (هو الذي يجعل في أنفه خشاش وهو عود يجعل في أنف البعير إذا كان صعبًا ويشد فيه حبل ليذل وينقاد وقد يتمانع لصعوبته فإذا اشتد عليه وآلمه انقاد

---

(١) حسن، أخرجه أحمد، والترمذي في الشمائل، وابن حبان، والحاكم.

(٢) صحيح، رواه البيهقي في الدلائل، والحاكم في المستدرك.

شيئًا) الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال: **«انقادي علي بإذن الله»** فانقادت معه كذلك حتى إذا كان بالمنصف (هو نصف المسافة) مما بينهما لأم بينهما (يعني جمعهما) فقال: **«التئما علي بإذن الله»** فالتأمتا قال جابر: فخرجت أحضر (أي أعدو وأسعى سعيًا شديدًا) مخافة أن يحس رسول الله ﷺ بقربي فيبتعد فجلست أحدث نفسي فحانت مني لفتة فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبلاً وإذا الشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فرأيت رسول الله ﷺ وقف وقفة فقال برأسه هكذا؟ وأشار أبو إسماعيل برأسه يمينًا وشمالاً ثم أقبل فلما انتهى إلي قال: **«يا جابر هل رأيت مقامي؟»** قلت: نعم يا رسول الله قال: **«فانطلق إلى الشجرتين فاقطع من كل واحدة منهما غصنًا فأقبل بهما حتى إذا قمت مقامي فأرسل غصنًا عن يمينك وغصنًا عن يسارك»** قال جابر: فقمت فأخذت حجرًا فكسرته وحسرته (أي أحددته بحيث صار مما يمكن قطع الأغصان به) فانذلق لي (أي صار حادًا) فأتيت الشجرتين فقطعت من كل واحدة منهما غصنًا ثم أقبلت أجرهما حتى قمت مقام رسول الله ﷺ أرسلت غصنًا عن يميني وغصنًا عن يساري ثم لحقته فقلت: قد فعلت يا رسول الله فعم ذاك؟ قال: **«إني مررت بقبرين يعذبان فأحببت بشفاعتي أن يرفه عنهما (أي يخفف) ما دام الغصنان رطبين»** (١).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأقبل أعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ : **«أين تريد؟»** قال: إلى أهلي، قال: **«هل لك في خير؟»** قال: وما هو؟، قال: **«تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله»** قال: ومن يشهد على ما تقول؟ قال: **«هذه السلمة»** (شجرة من أشجار البادية)

فدعاها رسول الله ﷺ وهي بشاطئ الوادي فأقبلت تخد (تشق) الأرض خدًا حتى قامت بين يديه فأشهدها ثلاثًا فشهدت ثلاثًا أنه كما قال ثم رجعت إلى منبتها ورجع الأعرابي إلى قومه وقال: إن اتبعوني آتك بهم وإلا رجعت فكنت.

أنطق الله عز وجل الشجرة له ﷺ:

عن معن قال: سمعت أبي قال: سألت مسروقًا: من آذن النبي ﷺ بالجن ليلة استمعوا القرآن؟ فقال: حدثني أبوك، يعني ابن مسعود: أنه آذنته بهم شجرة.

(١) رواه مسلم.

وكان ذلك ليلة الجن عندما غاب النبي ﷺ عن أصحابه، وجاءه داعي الجن فذهب معهم، وقرأ عليهم القرآن، وآمنوا به واتبعوا النور الذي أنزل معه[١].

من آذن النبي ﷺ : أي أعلمه بحضور الجن معك[٢].

تسليم الحجر عليه ﷺ :

عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن**» [٣].

قال الإمام النووي معلقًا على هذا الحديث: فيه معجزة لـه ﷺ وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات وهو موافق لقولـه تعالى في الحجارة:**{وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ}**[٤] وقولـه تعالى:**{وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ}**[٥].

* * * * *

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الطبراني في الكبير وأبو يعلى والبزار ورجال الطبراني رجال الصحيح.

(٣) رواه أحمد ومسلم والترمذي.

(٤) سورة البقرة آية ٧٤.

(٥) سورة الإسراء آية ٤٤.

المطلب السابع:
تسبيح الطعام بحضرته ﷺ

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفًا كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقال الماء فقال: «**اطلبوا فضلة من ماء**» فجاءوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال: «**حي على الطهور المبارك والبركة من الله**» فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل(١).

تسبيح الحصى:

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: كنت رجلاً ألتمس خلوات النبي الله ﷺ لأسمع منه أو لآخذ عنه، فهجرت يومًا من الأيام، فإذا النبي ﷺ قد خرج من بيته، فسألت عنه الخادم فأخبرني أنه في بيت، فأتيته وهو جالس ليس عنده أحد من الناس، وكأني حينئذ أرى أنه في وحي، فسلمت عليه، فرد علي السلام ثم قال: «**ما جاء بك؟**» فقلت: جاء بي الله ورسوله، فأمرني أن أجلس، فجلست إلى جنبه لا أسأله عن شيء لا يذكره لي، فمكثت غير كثير فجاء أبو بكر يمشي مسرعًا فسلم عليه فرد السلام ثم قال: «**ما جاء بك؟**» قال: جاء بي الله ورسوله، فأشار بيده أن أجلس فجلس إلى ربوة مقابل النبي ﷺ بينه وبينها الطريق، حتى إذا استوى أبو بكر جالسًا، فأشار بيده، فجلس إلى جنبي عن يميني، ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك، وقال له رسول الله ﷺ مثل ذلك، وجلس إلى جنب أبي بكر على تلك الربوة، ثم جاء عثمان فسلم فرد السلام وقال: «**ما جاء بك؟**» قال: جاء بي الله ورسوله، فأشار إليه بيده، فقعد إلى الربوة، ثم أشار بيده فقعد إلى جنب عمر، فتكلم النبي ﷺ بكلمة لم أفقه أولها غير أنه قال: «**قليل ما يبقين**»، ثم قبض على حصيات سبع أو تسع أو قريب من ذلك، فسبحن في يده حتى سمع لهن حنين كحنين النخل في كف النبي ﷺ، ثم ناولهن أبا بكر وجاوزني فسبحن في كف أبي بكر، ثم أخذهن منه فوضعهن في الأرض فخرسن فصرن حصى، ثم ناولهن عمر فسبحن في كفه كما سبحن في كف أبي بكر، ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن، ثم ناولهن عثمان فسبحن في كفه نحو ما سبحن في كف أبي بكر وعمر، ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه.

(٢) حسن: أخرجه البيهقي في الدلائل، ورواه السيوطي في الخصائص الكبرى، وعزاه للبزار والطبراني

أفاق جابر برش الوضوء النبوي عليه :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: عادني رسول الله ﷺ، وأبو بكر رضي الله عنه في بني سلمة، فوجدني لا أعقل، فدعا بماء فتوضأ فرش منه علي، فأفقت، فقلت: كيف أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزلت:**{يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ}**(١).

بصق في عين علي رضي الله عنه فبرأت :

في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأعطين هذه الراية غدًا رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه**»، فبات الناس يدوكون أيهم يُعطاها، فلما أصبح الناس، غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها، فقال: «**أين علي بن أبي طالب؟**» فقالوا: يا رسول الله، هو يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأُتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كان لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال: يا رسول الله! أقاتلهم، حتى يكونوا مثلنا؟ قال: «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير من أن يكون لك حمر النعم**» (٢).

بركة مسحه ﷺ على رأس حنظلة بن خديم :

قال والد حنظلة بن خديم لرسول الله ﷺ : بأبي وأمي، أنا رجل ذو سن، وهذا ابني حنظلة فسَمِّت عليه (أي ادع الله له)، فقال النبي ﷺ : «**يا غلام**»، فأخذ بيده فمسح رأسه، وقال له: «**بورك فيه**»، أو قال: «**بارك الله فيك**».

ورأيت حنظلة يؤتى بالشاة الوارم ضرعها والبعير والإنسان به الورم، فيتفل في يده ويمسح بصلعته ويقول: بسم الله على أثر يد رسول الله ﷺ، فيمسحه، فيذهب عنه. أخرجه أحمد والبخاري وابن سعد والطبراني والبيهقي، وغيرهم.

الأثر النبوي سبب في عدم نسيان أبي هريرة رضي الله عنه :

قال أبو هريرة رضي الله عنه: إنكم تقولون: أكثر أبو هريرة عن النبي ﷺ والله الموعد، وإنكم تقولون: ما بال المهاجرين والأنصار لا يحدثون عن رسول الله ﷺ بهذه

في الأوسط وأبي نعيم.

(١) سورة النساء: من الآية ١١ - أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) صحيح، أخرجه البخاري ومسلم.

الأحاديث؟ وإن أصحابي من المهاجرين كانت تشغلهم صفقاتهم في الأسواق، وإن أصحابي من الأنصار كانت تشغلهم أرضهم والقيام عليها، وإني كنت امرأ مسكينًا، وكنت أكثر مجالسة رسول الله ﷺ؛ أحضر إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا، وإن النبي ﷺ حدثنا يومًا فقال: **«من يبسط ثيابه حتى أفرغ من حديثي ثم يقبضه إليه ، فإنه لا ينسى شيئًا سمعه مني أبدًا»**، قال: فبسطت ثوبي أو قال: نمرتي، ثم حدثنا فقبضته إلي، فوالله ما نسيت شيئًا سمعته منه، وأيم الله، لولا أنه في كتاب الله ما حدثتكم بشيء أبدًا، ثم تلا **{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ}**(١).

ظهور آثار النبوة في عمرو بن أخطب:

عن أبي زيد عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ : **«ادن مني»**، قال: فمسح بيده على رأسي ولحيتي ثم قال: **«اللهم جمله ، وأدم جماله»**. قال: فبلغ بضعًا ومائة سنة، وما في لحيته بياض إلا نذر يسير، ولقد كان منبسط الوجه ولم يتقبَّض وجهه حتى مات(٢).

برأ الصبي المصروع بمسح النبي ﷺ صدره:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن به لممًا، وإنه يأخذه عند طعامنا فيفسد علينا طعامنا، قال: فمسح رسول الله ﷺ صدره ودعا لـه فثعَّ ثعَّة (تقيأ قيئًا) فخرج منه مثل الجرو الأسود يسعى(٣).

تفل النبي ﷺ في يد الصحابي فاجتمعت وبرأت:

عن خبيب بن أساف رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ أنا ورجل من قومي في بعض مغازيه فقلنا: إنا نشتهي أن نشهد معك مشهدًا، قال: **«أسلمتم؟»** قلنا: لا، قال: **«فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين»**، قال: فأسلمنا، وشهدت مع رسول الله ﷺ فأصابتني ضربة على عاتقي فجافتني، فتعلقت يدي، فأتيت رسول الله ﷺ فتفل فيها وألزقها، فالتأمت وبرأت، وقتلت الذي ضربني، ثم تزوجت ابنة الذي قتلته وضربني، فكانت تقول: لا عدمت رجلاً وشَّحك هذا الوشاح، فأقول: لا عدمت رجلاً أعجل أباك

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٩. صحيح، أخرجه مسلم، والبيهقي في الدلائل.

(٢) حسن، أخرجه الإمام أحمد، والترمذي، وحسنه البيهقي وقال: هذا إسناد صحيح موصول.

(٣) حسن، أخرجه أحمد.

إلى النار[١].

رُزقا عشرة أولاد ببركة دعاء النبي ﷺ:

لما تزوجت أم سليم أبا طلحة الأنصاري رُوقت بمولود محبوب، كان أبوه يحبه حبًا شديدًا، فمرض الطفل، فمات وكان أبوه في عمله، فلما رجع سأل عن ولده، فقالت له زوجته: هو أسكن ما كان، ووضعت العشاء، ثم تطيبت ولبست له خير لباس لها، فقضى حاجته، فلما كان آخر الليل قالت له: أبا طلحة، أرأيت لو أن قومًا أعاروا قومًا عارية (أمانة ووديعة) فسألوهم إياها أكان لهم أن يمنعوهم؟ قال: لا قالت: فإن الله عز وجل كان أعارك ابنك عارية، ثم قبضه إليه، فاحتسب واصبر... فاسترجع (قال: إنا لله وإنا إليه راجعون)، وذهب إلى رسول الله ﷺ صباحًا فأخبره، فقال: «**بارك الله لكما في غابر ليلتكما**» (سالف ليلتكما)، فحملت، ثم جئ بالمولود إلى النبي ﷺ، فأخذ النبي ﷺ بعض التمر فمضغهن ثم جمع بزاقه ثم فغر فاه وأوجره إليه، فجعل يحنك الصبي، وجعل الصبي يتلمَّظ، قالت: يا رسول الله سمِّه، فسماه عبد الله، فما كان في المدينة شاب أفضل منه، وخرج منه رجل (جمع راجل ضد الفارس، أي يجاهدون في سبيل الله على أرجلهم) كثير، واستشهد عبد الله بفارس.

وفي رواية: رزق أبو طلحة بعشرة أولاد كلهم يحفظون القرآن[٢].

برأ ببصاق النبي ﷺ:

عن يزيد بن أبي عبيد قال: رأيت أثر ضربة في ساق سلمة بن الأكوع فقلت: ما هذه الضربة؟ قال: ضربة أصابتني يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلمة، فأتيت رسول الله ﷺ فنفث فيها ثلاث نفثات، فما اشتكيت منها حتى الساعة[٣].

برأ بمسح النبي ﷺ رجله:

عن البراء رضي الله عنه أن عبد الله بن عتيك لما قتل أبا رافع ونزل من درجة بيته سقط إلى الأرض فانكسر ساقه، قال: فحدثت النبي ﷺ فقال: «**ابسط رجلك**» فبسطتها، فمسحها فكأنما لم أشكها قط[٤].

---

(١) حسن، أخرجه البيهقي في الدلائل، ورواه الإمام أحمد.

(٢) صحيح، رواه مطولاً أبو داود الطيالسي، ورواه البخاري، ومسلم، وأحمدن وابن حبان، والبيهقي.

(٣) صحيح، أخرجه البخاري.

(٤) صحيح، أخرجه البخاري.

عصمته ﷺ من الناس:

لقي رسول الله ﷺ من أعدائه كثير الأذى وعظيم الشدة منذ أن جهر بدعوته ولكن الله تبارك وتعالى حفظه ونصره وعصمه من الناس كما قال تعالى في كتابه العزيز:**{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}**(١).

وقد كان النبي ﷺ يحرس قبل نزول هذه الآية من قبل بعض أصحابه فلما نزلت هذه الآية قال: **«يا أيها الناس انصرفوا عني فقد عصمني الله عز وجل»**.

ومن الأمثلة على عصمة الله لرسوله وكف الأعداء عنه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ - أي يسجد ويلصق وجهه بالعفر وهو التراب، قال: قيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب.

قال: فأتى رسول الله رضي الله عنه وهو يصلي زعم ليطأ على رقبته قال فما فجئهم (أي بغتهم) منه إلا وهو ينكص على عقبيه (أي رجع يمشي إلى ورائه) ويتقي بيديه قال فقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ : **«لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا»** (٢).

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في قصة الهجرة النبوية قال: فارتحلنا بعد ما مالت الشمس واتبعنا سراقة بن مالك فقلت: أتينا يا رسول الله، فقال: **«لا تحزن إن الله معنا»** فدعا عليه النبي ﷺ فارتطمت به فرسه إلى بطنها، فقال: إني أراكما قد دعوتما علي فادعوا لي فالله لكما أن أرد عنكما الطلب، فدعا له النبي ﷺ فنجا فجعل لا يلقى أحدًا إلا قال: كفيتكم ما هنا فلا يلقى أحدًا إلا رده قال: ووفى لنا(٣).

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ حنينًا فولى صحابة النبي ﷺ فلما غشوا رسول الله ﷺ (أي أتوه من كل جانب) نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الأرض ثم استقبل به وجوههم فقال: **«شاهت الوجوه»** (أي قبحت) فما خلق الله منهم إنسانًا إلا ملأ عينيه ترابًا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم

---

(١) سورة المائدة آية ٦٧.

(٢) رواه البخاري مختصرًا ورواه مسلم واللفظ له.

(٣) رواه مسلم والبخاري مطولاً.

الله عز وجل وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين[١].

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: غزونا مع رسول الله ﷺ قبل نجد (أي ناحية نجد في غزوته إلى غطفان وهي غزوته ذي أمر موضع من ديار غطفان) فأدركنا رسول الله ﷺ في واد كثير العضاه (هي كل شجرة ذات شوك) فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر قال: فقال رسول الله ﷺ : «**إن رجلاً أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي فلم أشعر إلا والسيف صلتًا** (أي مسلولاً) **في يده**» فقال لي: من يمنعك مني؟ قال: قلت: «الله» ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟ قال: «**قلت: الله**». قال: فشام السيف (أي رده في غمده) فها هو ذا جالس ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ [٢].

جالس أمامها ولا تراه:

قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: لما نزلت**{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ}** جاءت العوراء أم جميل، ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول: مذممًا أبينا، ودينه قلينا، وأمره عصينا، ورسول الله ﷺ جالس، وأبو بكر إلى جنبه، فقال أبو بكر رضي الله عنه: لقد أقبلت هذه، وأنا أخاف أن تراك، فقال رسول الله ﷺ : «**إنها لن تراني**»، وقرأ قرآنًا اعتصم به منها:**{وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً}**.

قال: فجاءت حتى قامت على أبي بكر، فلم تر النبي ﷺ، فقالت: يا أبا بكر بلغني أن صاحبك هجاني، فقال أبو بكر: لا ورب هذا البيت ما هجاك (أي أنه حكى ما قاله ربه، وما كان هذا كلامه، وإنما كلام ربه تعالى فلم يكن هاجيًا له)، قال: فانصرفت وهي تقول: لقد علمت قريش أني بنت سيدها[٣].

مر ﷺ عليهم وألقى على رءوسهم التراب ولا يرونه:

لما أمر النبي ﷺ عليًا رضي الله عنه يوم الهجرة أن يبيت في مضجعه تلك الليلة، واجتمع أولئك النفر من قريش يتطلعون من صير الباب ويرصدونه، ويريدون بياته ويأتمرون أيهم يكون أشقاها، فخرج رسول الله ﷺ عليهم، فأخذ حفنة من البطحاء، فجعل

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه أبو يعلى.

يذره على رءوسهم، وهم لا يرونه وهو يتلو**{وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ}**.

ومضى رسول الله ﷺ إلى بيت أبي بكر فخرجا من خوخة في دار أبي بكر ليلاً، وجاء رجل ورأى القوم ببابه، فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: محمدًا، قال: خبتم وخسرتم، قال: والله مر بكم وذرّ على رءوسكم التراب، قالوا: والله ما أبصرناه، وقاموا ينفضون التراب عن رءوسهم، وهم: أبو جهل والحكم بن العاص وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وأمية ابن خلف وزمعة بن الأسود وطعيمة بن عدي وأبو لهب وأبي بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج.

أخرجه ابن سعد وابن هشام وأحمد، وقد حسنه ابن كثير وابن حجر في الفتح.

أراد قتل الرسول ﷺ فخذله الله :

عن جابر رضي الله عنه أن رجلاً من محارب يقال لـه غورث بن الحارث قال لقومه: أقتل لكم محمدًا، فقالوا: كيف تقتله؟ قال: أفتك به، فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس وسيفه في حجره، فقال: يا محمد، أنظر إلى سيفك هذا؟ قال: **«نعم»**، فأخذه واستله وجعل يهزه ويهم فيكبته الله (أي فيخذله الله) فقال: يا محمد، أنظر إلى سيفك هذا؟ قال: **«نعم»**، فأخذه واستله وجعل يهزه ويهم فيكبته الله، فقال: يا محمد أما تخافني؟ قال: **«لا ، وما أخاف منك»** قال: ألا تخافني وفي يدي السيف؟ قال: **«لا يمنعني الله منك»**.

ثم أغمد السيف ورده إلى رسول الله ﷺ، فأمزل الله عز وجل:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ}**[(١)].

حاول اغتيال النبي ﷺ فنزلت عليه أُسود فهالته :

عن عروة بن الزبير قال: كان النضر بن الحارث ممن يؤذي رسول الله ﷺ ويتعرض له، فخرج رسول الله ﷺ يومًا يريد حاجته في نصف النهار في حر شديد فبلغ أسفل من ثنية الحجون، وكان يبعد إذا ذهب لحاجته، فرآه النضر بن الحارث فقال: لا أجده أبدًا أخلى منه الساعة فأغتاله، قال: فدنا إلى رسول الله ﷺ ثم انصرف راجعًا مرعوبًا إلى منزله فلقيه أبو جهل فقال: من أين الآن؟ فقال النضر: اتبعت محمدًا رجاء أن أغتاله وهو وحده ليس معه أحد، فإذا أساود (أي أُسود) تضرب بأنيابها على رأسه

---

(١) سورة المائدة، من الآية: ١١ - أخرجه أبو نعيم.

فاتحة أفواهها، فهالتني فذعرت منها ووليت راجعًافقال أبو جهل: هذا بعض سحره[١].

أراد أن يدمغ النبي ﷺ بحجر فيبست يده على الحجر:

عن المعتمر بن سليمان عن أبيه: أن رجلاً من بني مخزوم قام إلى رسول الله ﷺ وفي يده فهر (حجر يملأ الكف) ليرمي به رسول الله ﷺ، فلما أتاه وهو ساجد رفع يده وفيها الفهر ليدمغ (أي ليرمي) به رسول الله ﷺ، فيبست يده على الحجر فلم يستطع إرسال الفهر من يده، فرجع إلى أصحابه فقالوا: أجبنت عن الرجل؟ قال: لم أفعل ولكن هذا في يدي لا أستطيع إرساله، فعجبوا من ذلك، فوجدوا أصابعه قد يبست على الفهر، فعالجوا أصابعه حتى خلصوها، وقالوا هذا شيء يراد[٢].

أراد قتل النبي ﷺ فنزل عليه شواظ من نار:

قال شيبة بن عثمان: لما غزا النبي ﷺ حنينًا، تذكرت أبي وعمي قتلهما علي وحمزة فقلت: اليوم أدرك ثأري في محمد، فجئت من خلفه فدنوت منه ودنوت حتى لم يبق إلا أن أسوره بالسيف، رُفع لي شواظ من نار كأنه البرق فخفت أن يحبسني فنكصت القهقرى فالتفت إلى النبي ﷺ فقال: **«يا شيبة!»** قال: فوضع رسول الله ﷺ يده على صدري فاستخرج الله الشيطان من قلبي، فرفعت إليه بصري وهو أحب إلي من سمعي وبصري ومن كذا"[٣].

منع الله تعالى نبيه ﷺ من القتل في غزوة ذات الرقاع:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة قبل نجد، فأدركنا رسول الله ﷺ في واد كثير العضاة (أي كثير الأشجار)، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها، قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر قال: فقال رسول الله ﷺ : **«إن رجلاً أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي فلم أشعر إلا والسيف صلتًا في يده»** فقال لي: من يمنعك مني؟ قال: **«قلت: الله»** ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟ قال: **«قلت: الله»** قال: فشام السيف (أي أغمده)، فها هو جالس، ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ[٤].

---

(١) أخرجه أبو نعيم.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الدلائل.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الدلائل.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل هذا الرجل اسمه غورث بن الحارث، وقيل: اسمه غويرث، وقيل:

إجابة النبي ﷺ السائل قبل أن يسأله:

عن وابصة الأسدي رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وأنا أريد أن لا أدع شيئًا من البر والإثم إلا سألته عنه، وحوله عصابة من المسلمين يستفتونه، فجعلت أتخطاهم، فقالوا: إليك وابصة عن رسول الله فقلت: دعوني فأدنو منه، فإنه أحب الناس إلي أن أدنو منه قال: **«دعوا وابصة ، ادن يا وابصة»**، مرتين أو ثلاثًا.

قال: فدنوت منه حتى قعدت بين يديه، فقال: **«يا وابصة أخبرك أم تسألني؟»** فقلت: لا، بل أخبرني، فقال: **«جئت تسأل عن البر والإثم»**، فقلت: نعم، فجمع أنامله فجعل ينكت بهن في صدري ويقول: **«يا وابصة استفت قلبك استفت نفسك** (**ثلاث مرات**) **البر ما اطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك في النفس وتردد في صدرك ، وإن أفتاك الناس وأفتوك»** (١).

وقوف الكفار أمام باب الغار:

جدت قريش في طلب الرسول ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه، واخذوا معهم القافة (متبعو الأثر) حتى انتهوا إلى باب الغار فوقفوا عليه، قال أبو بكر: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى ما تحت قدميه لأبصرنا، فقال ﷺ : **«يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما لا تحزن فإن الله معنا»**. صحيح: رواه البخاري ومسلم.

وكان النبي ﷺ وأبو بكر يسمعان كلامهم فوق رءوسهما، ولكن الله عمَّى عليهم أمرهما.

* * * * *

دعثورا.

(١) صحيح: أخرجه أحمد.

المطلب الثامن:
دعاؤه ﷺ لعبد الرحمن بن عوف

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعبد الرحمن بن عوف: بارك الله لك. رواه البخاري. قال عبد الرحمن: فلقد رأيتني ولو رفعت حجرًا لرجوت أن أصيب تحته ذهبًا أو فضة[١].

وفتح الله لـه أبواب الرزق، ومن عليه ببركات من السماء والأرض، وكان حين قدم المدينة فقيرًا لا يملك شيئًا، فآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه، فقال سعد لعبد الرحمن: إن لي زوجتين فاختر أجملهما أطلقها ثم تعتد ثم تتزوجها، وإن لي من المال كذا وكذا فخذ منه ما شئت. فقال عبد الرحمن: لا حاجة لي في ذلك، بارك الله لك في زوجتيك ومالك، ثم قال: دلوني على السوق. "[٢].

فصار يتعاطى التجارة، وفي أقرب زمن رزقه الله مالاً كثيرًا ببركة دعائه ﷺ، حتى أنه لما توفي بالمدينة سنة إحدى وثلاثين أو اثنتين وثلاثين، حُفِر الذهب من تركته بالفئوس، حتى جُرِحت الأيدي من كثرة العمل، وأخذت كل زوجة من زوجاته الأربع ربع الثمن ثمانين ألفًا. وقيل: إن نصيب كل واحدة كان مائة ألف، وقيل: بل صولِحت إحداهن على نيف وثمانين ألف دينار، وأوصى بألف فرس وخمسين ألف دينار في سبيل الله، وأوصى بحديقة لأمهات المؤمنين رضي الله عنهن، بيعت بأربعمائة ألف، وأوصى لمن بقي من أهل بدر لكل رجل بأربعمائة دينار، وكانوا مائة، فأخذوها وأخذ عثمان فيمن أخذ، وهذا كله غير صدقاته الفاشية في حياته، وعطاءاته الكثيرة، وصلاته الوفيرة؛ فقد أعتق في يوم واحد ثلاثين عبدًا، وتصدق مرة بعير: وهي الجمال التي تحمل الميرة، وكانت سبعمائة بعير، وردت عليه، وكان أرسلها للتجارة، فجاءت تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها من طعام وغيره بأحلاسها وأقتابها.

وجاء أنه تصدق مرة بشطر ماله، وكان الشطر أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألفًا، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم تصدق بخمسمائة فرس في سبيل

---

(١) أخرجه ابن سعد والبيهقي.

(٢) أخرجه البخاري.

الله ثم بخمسمائة راحلة.

تذكر!!! هذا هو حبيبي رسول الله ﷺ :

- معجزات رسول الله ﷺ التي ظهرت على يديه تشمل كلا النوعين فهو ﷺ أكثر الرسل معجزات وأبهرهم آيات وأظهرهم برهانا فله من المعجزات مالا يحصى، وقد ألفت في معجزاته ﷺ المؤلفات الكثيرة وتناولها العلماء بالشرح والبيان ممن اعتنى بجمعها من الأئمة أبو نعيم الأصبهاني والبيهقي.
- أعطى الله عز وجل كل نبي من الأنبياء عليهم السلام معجزة خاصة به لم يعطيها بعينها غيره تحدى بها قومه، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه وأهل زمانه.
- المزايا الإجمالية للقرآن ومنها:
- فصاحة ألفاظه الجامعة لكل شرائعها.
- أنباؤه الغيبية، وأخباره عن كوامن الزمان، وخفايا الأمور.
- قوانين حكيمة في فقه تشريعي، فوق ما في التوراة والإنجيل، وكتب الشرائع الأخرى.
- سلامته عن التعارض والتناقض والاختلاف.
- أسرار علمية لم تهتد العقول إليها بعد عصر القرآن إلا بمعونة الأدوات الدقيقة والآلات الرقيقة المستحدثة.
- ظهوره على لسان أمي لم يعرف القراءة ولا الكتابة.
- خطاباته البديعة، وطرق إقناعه الفذة.
- سلامته من الخرافات والأباطيل.
- تضمنه الأسس لشريعة إنسانية صالحة لكل زمان ومكان.
- نقل الحافظ بن كثير الإجماع على أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات وأن الأحاديث التي وردت بذلك متواترة من طرق متعددة تفيد القطع.
- النبي ﷺ يخبر وهو في المدينة أن أمته ستفتح كنوز كسرى وأخباره ﷺ بحسن إسلام الفرس بعد الفتح وكذلك بشر بغزو قريش وأخبرعن مصارع القوم يوم بدروإخباره ﷺ بفساد بعض أحوال المسلمين وقتالهم بعضهم بعضاً بعد فتح

فارس والروم وأخبر ﷺ بفتح القسطنطينية.

- تكثيره الطعام والشراب ﷺ وبسبب دعاء النبي ﷺ زاد أولاده عن المائة وزاد عمره عن المائة وزاد ماله عن المائة ألف إنه أنس بن مالك رضي الله عنه وأيضا ابن عباس حبر الأمة بسبب دعاء النبي ﷺ.
- كان أهل الكتاب كثيرًا ما يسألون رسول الله ﷺ عن أشياء على سبيل الامتحان والتعجيز وليس على سبيل الهداية والانصياع للحق فسألوه عن أشياء كثيرة فكان رسول الله ﷺ يورد الجواب على وجهه ويأتي به على نصه كما هو معروف لديهم ومقرر في كتبهم.
- تسبيح الطعام والحصى فى حضرته ﷺ.
- عصمته ﷺ من الناس وكف الأعداء عنه والأمثلة لذلك كثيرة.

* * * * *

الفصل الثاني:
آداب الإسلام والنهي عن المحرمات
المبحث الأول:
أمور حذر النبي ﷺ منها
المطلب الأول:
التحذير من السبع الموبقات

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**».

قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «**الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، واكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**».

وهذا حديث مهم، حذر النبي ﷺ فيه من الموبقات السبع، والموبقات: المهلكات. ونأتي على ذكر كل واحدة من هذه المعاصي باختصار فنقول:

أولاً: الشرك بالله:

فأكبر الكبائر " الشرك بالله تعالى " وهو نوعان:

أحدهما: أن يجعل لله ندا ويعبد معه غيره من حجر أو شجر أو شمس أو قمر أو نبي أو شيخ أو نجم أو ملك أو غير ذلك، وهذا هو الشرك الأكبر الذي ذكره الله تعالى.

قال الله عز وجل:**{إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ}**. ومن مات مشركا - والعياذ بالله -، حرم الله عليه الجنة ومأواه النار.

قال تعالى:**{إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ}**. والآيات في ذلك كثيرة. فمن أشرك بالله مات مشركا فهو من أصحاب النار قطعاً، كما أن من آمن بالله ومات مؤمنا فهو من أصحاب الجنة إن عذب بالنار.

ومن الشرك الأكبر: الذبح والنذر لغير الله.

ومن الشرك الأكبر: السحر والكهانة والعرافة.

ومن الشرك الأكبر: اعتقاد النفع في أشياء لم تشرع: كاعتقاد النفع في التمائم والعزائم ونحوها.

ومن الشرك الأكبر: الطواف حول القبور وعبادتها الاستعانة بأصحابها، باعتقاد أنهم ينفعونهم ويقضون لهم حاجاتهم. وهكذا دعائهم ونداءهم عند حصول الكربات

والمكروهات.

ومن الشرك الأكبر: تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله

والنوع الثاني من الشرك: الرياء بالأعمال كما قال تعالى:**{فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً}**. أي لا يرائي بعمله أحدا.

والرياء: هو طلب المنزلة في قلوب الناس، من غير صدق فى نفسه، والتكلف بفعل خصال الخير ليقال عليه كذا وكذا، فما لـه في الآخرة من ثواب، لأنه لم يقصد وجه الله.

قال رسول الله ﷺ : «**إياكم والشرك الأصغر**» قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: «**الرياء ، يقول الله تعالى يوم يجازى العباد بأعمالهم: أذهبوا إلى الذين كنتم تراءونهم بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء**».

وهذا النوع من الشرك لا يخرج من الملة.

ومن الشرك الأصغر: الطيرة وهي التشاؤم ويدخل فيه التشاؤم ببعض الشهور أو الأيام أو بعض الأسماء أو أصحاب العاهات.

ومن الشرك الأصغر – أيضاً –: الحلف بغير الله: كالحلف بالآباء أو الأمهات أو الأولاد، أو الحلف بالأمانة أو الحلف بالكعبة، أو الشرف، أو النبي، أو جاه النبي، أو الحلف بفلان، أو بحياة فلان، أو الحلف بالولي بغير ذلك كثير: فلا يجوز.

قال الفضيل بن عياض – رحمه الله تعالى –: (ترك العمل أجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما). اللهم عافينا منهما وأعف عنا.

ثانياً: السحر:

لأن الساحر لا بد وأن يكفر.

قال الله تعالى:**{وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ}**.

وما للشيطان الملعون غرض من تعليمه الإنسان السحر إلا ليشرك به. قال الله تعالى مخبراً عن " هاروت وماروت ":**{وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ}**. أي من نصيب. فترى خلقاً كثيراً من الضلال يدخلون في السحر ويظنونه حراماً فقط، وما يشعرون أنه الكفر فيدخلون في تعليم الكيمياء وعملها وهي محض السحر، وفي عقد

الرجل عن زوجته، وهو سحر، وفي محبة الرجل للمرأة وبغضها لـه، أشباه ذلك بكلمات مجهولة أكثرها شرك وضلال.

وحد الساحر: " القتل "، لأنه كفر بالله أو مضارع الكفر. فليتق العبد ربه ولا يدخل فيما يخسر به الدنيا والآخرة.

عن بجالة بن عبدة أنه قال: " أتانا كتاب عمر رضي الله عنه قبل موته بسنة أن اقتلوا كل ساحر وساحرة ".

ولقد أنتشر في هذا الزمان اللجوء إلى السحرة وهذا أمر محرم، لما يترتب عليه من أضرار تصيب عقيدة المسلم، وتصيب ماله، وقد يؤدي الذهاب إليهم إلى ضياع الشرف انتهاك العرض.

وفي كلام الله وسنة رسوله ﷺ غنية لمن أصابه السحر ونحوه، وعليه أن يطلب الشفاء من الله أولاً ثم يلجأ إلى الأسباب الشرعية: قال العلامة ابن باز - رحمه الله -: " لا يجوز للمريض أن يذهب إلى الكهنة الذين يدعون معرفة المغيبات... كما لا يجوز لـه أن يصدقهم فيما يخبرونه به فإنهم يتكلمون رجماً بالغيب...

وقد روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: **«من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»**.

وقال: **«من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»**. رواه أبو داود، ولا يجوز للمسلم أن يخضع لما يزعمونه علاجاً كنمنمتهم بالطلاسم أو صب الرصاص ونحو ذلك من الخرافات التي يعملونها فإن هذا من الكهانة والتلبيس عل الناس ومن رضي بذلك فقد ساعدهم على باطلهم وكفرهم. وقد شرع الله سبحانه لعباده ما يتقون به السحر قبل وقوعه وأوضح لهم سبحانه ما يعالجونه بعد وقوعه رحمة منه لهم وإحساناً منه إليهم وإتماماً لنعمته عليهم.

وفيما يلي بيان للأشياء التي يُتقى بها خطر السحر قبل وقوعه والأشياء التي يعالج بها بعد وقوعه من الأمور المباحة شرعا:

أما النوع الأول:

هو الذي يُتقى به خطر السحر قبل وقوعه فأهم ذلك وأنفعه هو التحصين بالأذكار الشرعية والدعوات والتعويذات المأثورة ومن ذلك قرأه آية الكرسي خلف كل صلاة مكتوبة بعد الأذكار المشروعة بعد السلام، ومن ذلك قراءتها عند النوم... ومن ذلك

قراءة قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، خلف كل صلاة مكتوبة وقراءة السور الثلاث (ثلاث مرات). في أول النهار بعد صلاة الفجر. وفي أول الليل بعد صلاة المغرب. ومن ذلك قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة في أول الليل.

النوع الثاني:

ومن الأدعية الثابتة عنه ﷺ في علاج الأمراض من السحر وغيره:

كان صلي الله عليه وسلم يرقي أصحابه: **«اللهم رب الناس أذهب البأس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما»**.

ومن ذلك الرقية التي رقى بها جبريل النبي ﷺ وهي قوله: **«بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك»**. وليكرر ذلك " ثلاث مرات ".

ومن علاج السحر بعد وقوعه - أيضاً - وهو علاج نافع للرجل إذا حبس من جماع أهله أن يأخذ سبع ورقات من السدر الأخضر فيدقها بحجر أو نحوه ويجعلها في إناء ويصيب عليه من الماء ما يكفيه للغسل ويقرأ فيها آية الكرسي، وسورة الكافرون، وسورة الإخلاص والمعوذتين، وآيات - إبطال السحر - التي في سورة "الأعراف " وهى الآيات رقم: (١١٧ -١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢).

والآيات التي في سورة "يونس" وهي الآيات رقم (٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢).

والآيات التي في سورة " طه " وهي الآيات رقم (٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩).

وبعد قراءة ما ذكر في الماء يشرب بعض الشيء ويغتسل بالباقي وبذلك يزول الداء إن شاء الله تعالى وإن دعت الحاجة لاستعماله مرتين أو أكثر فلا بأس ".

ثالثاً: قتل النفس:

وأما القتل: فالمراد به الاعتداء على المسلم بسفك دمه. وقد ورد الوعيد الشديد على قتل المسلم عمداً.

قال تعالى:**{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً}**.

وعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً ، أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا»**.

وقال رسول الله ﷺ : **«إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار»**.

قيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المتقول؟. قال: **«لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه»**.

قال الإمام الخطابي - رحمه الله تعالى -: " هذا إنما يكون كذلك إذا لم يكون يقتلان على تأويل، إنما يقتلان على عداوة بينهما وعصبية أو طلب دنيا أو رئاسة أو علو. فأما من قاتل أهل البغي على الصفة التي يجب قتالهم بها. أو دفع عن نفسه، أو حريمه، فإنه لا يدخل في هذا الوعيد، لأنه مأمور بالقتال للذب عن نفسه، غير قاصد به قتل صاحبه. ألا تراه يقول: **«إنه كان حريصاً على قتل صاحبه»**. ومن قاتل باغياً أو قاطع طريق من المسلمين، فإنه لا يحرص على قتله، أي يدفعه عن نفسه، فإن انتهى صاحبه كف عنه ولم يتبعه. فالحديث لم يرد في أهل هذه الصفة، فلا يدخلون فيه بخلاف من كان على غير هذه الصفة، فلا يدخلون فيه بخلاف من كان على غير هذه الصفة فإنهم المرادون منه، والله أعلم " وعلى ما تقدم فقد توعد الله القاتل بأنواع من العقوبات:

الأولى: **جزاؤه جهنم**: وهو اسم من أسماء النار.

الثانية: **الخلود فيها يعنى**: طول المقام إلى أجل لا يعلمه إلا الله.

الثالثة: **الغضب**: **أي**: غضب الله عليه.

الرابعة: **اللعن**: وهو الطرد والإبعاد من رحمة الله.

الخامسة: **العذاب**: على هذا الذنب الذي هو اعتداؤه على حرمة مسلم وإراقة دمه بغير حق.

رابعاً: أكل الربا:

قال الله تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**.

والربا: هو المال الذي يؤخذ بغير حق من المعاملات الربوية المحرمة شرعاً وهو من "كبائر الذنوب ".

قال تعالى:**{فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ}**.

وقال ﷺ : **«الربا اثنان وسبعون باباً أدناها مثل إتيان الرجل أمه ، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه»**.

وقال ﷺ : **«الربا سبعون حوباً أيسرها أن ينكح الرجل أمه»**.

ولا شك أن الربا متمكن في الأمة. فكثير من المعاملات يكون فيها ربا وأهلها لا يشعرون، ولكن يفعلون ذلك تقليداً أو يفعلونه ظناً منهم أنه لا إثم فيه. فالواجب أن نبتعد عنه وألا نتعامل بالربا يحارب الله ورسوله، ويا خيبه من أعلن حربه على الله ورسوله لأنه خاسر لا محالة. فيا أيها المرابي: اسمع إلى قول ربك وهو يناديك:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ}**. واسمع إلى قول رسولك وهو يحذرك وينذرك: عن عبد الله بن حنظلة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية!!**» فاللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، واغننا بفضلك عمن سواك.

خامساً: أكل مال اليتيم:

قال الله تعالى:**{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى}** بلا سبب، فإنما يأكلون ناراً تتأجج في بطونهم يوم القيامة.

قال السدى - رحمه الله تعالى -: " يحشر آكل مال اليتيم ظلما يوم القيامة، ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينه، كل من رآه يعرفه أنه آكل مال اليتيم ".

وقال تعالى: في شأن أموال اليتامى:**{وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُوا}**. مبادرة قبل بلوغهم.

ثم قال تعالى:**{وَمَن كَانَ غَنِياًّ فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ}**.

قال العلماء: " فكل ولي ليتيم إذا كان فقيرا فأكل من ماله بالمعروف بقدر قيامه عليه في مصالحة، وتنمية ماله فلا بأس عليه، وما زاد على المعروف أربعة أقوال:

أحدها: أنه الأخذ على وجه القرض.

والثاني: الأكل يقدر الحاجة من غير إسراف.

والثالث: أنه أخذ بقدر إذا عمل لليتيم عملاً.

والرابع: أنه الأخذ - عند الضرورة - فإن أيسر قضاه، وإن لم يوسر فهو في حل.

"حكي عن بعض السلف قال: كنت - في بداية أمري - مكبا على المعاصي وشرب الخمر، فظفرت يوما بصبي يتيم فقير فأخذته وأحسنت إليه وأطعمته وكسوته، وأدخلته الحمام، وأزلت شعثه: وأكرمته كما يكرم الرجل ولده بل أكثر، فبت ليلة بعد ذلك، فرأيت في النوم أن القيامة قامت، ودعيت إلى الحساب، وأمر بي إلى النار لسوء ما كنت عليه

من المعاصي. فسحبتني الزبانية ليمضوا بي إلى النار، وأنا بين أيديهم حقير ذليل يجرونني سحبا إلى النار. وإذا بذلك اليتيم قد اعترضني بالطريق، وقال: خلوا عنه يا ملائكة ربي حتى أشفع لـه إلى ربي، فإنه قد أحسن إلي وأكرمني.

فقالت الملائكة: إنا لم نؤمر بذلك.

وإذا النداء من قبل الله - تعالى - يقول: "خلوا عنه فقد وهب لـه ما كان منه بشفاعة اليتيم وإحسانه إليه، قال: فاستيقظت وتبت إلى الله عز وجل، وبذلت جهدي في إيصال الرحمة إلى الأيتام ".

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «**صنائع المعروف: تقي مصارع السوء وصدقة السر: تطفئ غضب الرب ، وصلة الحم: تزيد في العمر**».

سادساً: التولي يوم الزحف:

وهو الفرار من القتال عندما تتقابل الصفوف وتدور رحى المعارك، إذا لم يزد العدو على ضعف المسلمين إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة وإن بعدت. قال الله تعالى:**{وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ}**.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت:**{إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ}**. فكتب الله عليهم أن لا يفر عشرون من مائتين. ثم نزلت:**{الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}**. فكتب أن لا يفر مائة من مائتين ".

سابعاً: قذف المحصنات الغافلات المؤمنات:

قال الله تعالى:**{إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ الغَافِلاتِ المُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**.

وقال تعالى:**{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ}**.

بين الله تعالى في الآيتين الأوليين أن من قذف امرأة محصنة حرة عفيفة عن الزنا والفاحشة أنه ملعون في الدنيا والآخرة ولـه عذاب عظيم.

وعاقب الله من رمى مؤمناً أو مؤمنة بفاحشة - في الآية الثانية - بثلاث عقوبات:

الأولى: الجلد.**{ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً}**.

الثانية: رفض الشهادة**{وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً}**.

الثالثة: الحكم عليهم بأنهم فاسقون.**{وَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ}**.

قال الأمام الذهبي - رحمه الله تعالى -: " والقذف: أن يقول لامرأة أجنبية حرة عفيفة مسلمة: يا زانية، أو يا باغية، أو يا قحبة، أو يقول لزوجها: يا زوج القحبة، أو يقول لولدها: يا ولد الزانية أو يا ابن القحبة. أو يقول لبنتها: يا بنت الزانية أو يا بنت القحبة. فإن القحبة عبارة عن الزانية، فإذا قال ذلك أحد من رجل أو امرأة لرجل أو لامرأة كمن قال لرجل: يا زانى، أو قال لصبي حر: يا منكوح... وجب عليه الحد ثمانون جلدة، إلا أن يقيم بينة بذلك.

والبينة كما قال الله: أربعة شهود، يشهدون على صدقه فيما قذف به تلك المرأة أو ذاك الرجل، فإن لم يقم بينة جلد إذا طالبته بذلك التي قذفها أو إذا طالبه بذلك الذي قذفه، وكذلك إذا قذف مملوك أو جاريته بأن قال لمملوك: يا زاني أو لجاريته يا زانيه أو يا باغية أو يا قبحة، لما ثبت في " الصحيحين ".

عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من قذف مملوكاً بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال»**. وكثير من الجهال واقعون في هذا الكلام الفاحش الذي عليهم فيه العقوبة في الدنيا والآخرة، ولهذا ثبت في "الصحيحين " عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يدرى ما فيها يهوى بها في النار أبعد ما بين المشرق والغرب»**. وقانا الله شر ألسنتنا بمنه وكرمه.

فيا أيها العاصي: " المقيم على الخطايا والعصيان، التارك لما أمر به الرحمن، المطيع لغوى الشيطان، إلى متى أنت على جرمك مصر؟!، ومما يقربك إلى مولاك تفر؟!، تطلب من الدنيا ما لا تدركه؟! وتنبغي من الآخرة بما لا تملكه؟! لا أنت بما قسم الله لك من الرزق واثق، ولا أنت بما أمرك به لاحق؟! الموعظة لا تنفعك، والحوادث لا تردعك، ولا الدهر يردعك، لا داعي الموت يسمعك، كأنك يا مسكين لم تزل حيا موجودا، وكأنك لا تعود نسيا مفقودا، فاز والله - المخففون من الأوزار، وسلم المتقون من عذاب النار، وأنت مقيم على كسب الجرائم والأوزار.

التحذير من الغش:

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً فقال: «**ما هذا يا صاحب الطعام؟**» قال: أصابته السماء يا رسول الله.

قال: «**أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ، من غشنا فليس منا**».

الغش مرض ملعون.. إذا تخلل جسم مجتمع تآكلت أطرافه.. وتصدع بنيانه.. وكان عاقبة أمره خسرا. فالغش لا يظهر إلا في مجتمع أصابه اعتلال في الضمير.. وضمور في الإيمان؟ وحقيق بمن هذا حاله أن يطرد من صفوف المؤمنين: " من غشنا فليس منا ". إنه إعلان حرب على الضمائر الفاسدة.. والنفوس الغفنة.. التي لا تراقب ربها سرا ولا علانية. إنه تحذير لكل من تسول لـه نفسه الخبيثة غش المسلمين وخداعهم وأكل أموالهم بالباطل. فهل من عاقل؟!.**{أَلاَ يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ}**. إن المكر والخديعة، والخيانة في النار!

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**من غشنا فليس منا ، والمكر والخداع في النار**».

فأين يذهب هؤلاء.. والله رقيب عليهم.. وكتابهم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها..**{وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ}**.

أخي المسلم: ودائرة الغش واسعة.. ولها عدة أشكال وألوان، منها:

١ – غش الإمام الرعية:

عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد يسترعيه الله عز وجل رعية يموت يوم يموت ، وهو غاش رعيته إلا حرم الله تعالى عليه الجنة**».
وعن رواية: «**فلم يحطها بنصحه لم يرح رائحة الجنة**».

٢ – الغش في البيع والشراء والميزان:

ويشمل كل بيع وشراء.. ولا يتوقف على الطعام والشراب وفقط:

فعن أبي سباع، قال: اشتريت ناقة من دار " واثلة بن الأسقع رضي الله عنه "، فلما خرجت بها أدركني يجر إزاره، فقال: اشتريت؟ قلت: نعم. قال: بين لك ما فيها؟ قلت: وما فيها؟ إنها لسمينة ظاهرة الصحة. قال: أردت بها سفراً أو أردت بها لحماً. قلت: أردت بها الحج. قال: ارتجعها. فقال صاحبها: ما أردت إلى هذا أصلحك الله تفسد علي؟

قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحل لأحد أن يبيع شيئا إلا بين ما فيه ، ولا يحل لمن علم ذلك إلا بينه**».

نعم يا سيدي، فالمؤمنون، بعضهم لبعض نصحة وادون وإن بعدت منازلهم وأبدانهم، والفجرة بعضهم لبعض غششة متخاونون وإن اقتربت منازلهم وأبدانهم.

مر أبو هريرة رضي الله عنه بناحية " الحرة " فإذا إنسان يحمل لبناً يبيعه فنظر إليه أبو هريرة فإذا هو قد خلطه بالماء!! فقال له أبو هريرة: كيف بك إذا قيل لك يوم القيامة خلص الماء من اللبن؟!

وخرج النبي ﷺ إلى السوق فرأى طعاماً مصبراً فأدخل يده فيه فأخرج طعاما رطبا قد أصابته السماء فقال لصاحبه: «**ما حملك على هذا؟**» قال: والذي بعثك بالحق إنه لطعام واحد. قال: «**أفلا عزلت الرطب على حدته ، واليابس على حدته فتتبايعون ما تعرفون من غشنا فليس منا**».

وروى أحمد والبزار والطبراني: مر رسول الله ﷺ بطعام وقد حسنه صاحبه فأدخل يده فيه، فإذا الطعام رديء، فقال: «**بع هذا على حدة فمن غشنا فليس منا**».

وقال نافع: كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول: "اتق الله وأوف الكيل والوزن، فإن المطففين يوقفون حتى أن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم ".

وكان " بعض السلف " يقول: " ويل لمن بحبة يعطيها ناقصة جنة عرضها السماوات والأرض، وويح لمن يشترى الويل بحبة يأخذها زائدة ".

قال تعالى:**{وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوَهُمْ أَو وَزَنُوَهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلاَ يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ}**.

قال الإمام السدي: " قدم رسول الله ﷺ المدينة وبها رجل يقال له "أبو جهينة " ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر، فأنزل الله - تعالى - هذه الآية ".

قال بعضهم: " دخلت على مريض وقد نزل به الموت، فجعلت ألقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها فلما أفاق قلت له: يا أخي، ما لي ألقنك الشهادة ولسانك لا ينطق بها؟! قال: يا أخي لسان الميزان على لساني يمنعني من النطق بها! فقلت له: بالله أكنت تزن ناقصاً؟ قال: لا والله، ولكن ما كنت أقف مدة لأختبر صحة ميزاني! ".

عن "مالك بن دينار " قال: " دخلت على جار لي، وقد نزل به الموت، وهو يقول: جبلين من نار، جبلين من نار، قلت: ما تقول؟ قال: يا أبا يحيى، كان لي مكيالان أكيل بأحدهما وأكتال بالآخر. قال مالك: فقمت، فجعلت أضرب أحدهما بالآخر!. فقال: يا أبا يحيى، كلما ضربت أحدهما بالآخر ازداد الأمر عِظَماً وشدة، فمات في مرضه!! ".

أخي: ولو تأمل الغشاش الخائن الآكل أموال الناس بالباطل ما جاء في إثم ذلك في القرآن والسنة لربما انزجر عن ذلك أو عن بعضه، ولو لم يكن من عقابه إلا قوله ﷺ : **«إنه لا دين لمن لا أمانة له»**.

وقوله ﷺ : **«لا تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه»**.

وقوله ﷺ : **«من اكتسب في الدنيا مالاً من غير حله وأنفقه ، في غير حقه أورده دار الهوان ، ثم رب متخوض في مال الله ورسوله له النار يوم القيامة»**.

يقول الله:**{كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً}**.

وقوله : ﷺ في الحديث الذي رواه ثوبان: **«يؤتى يوم القيامة بأناس معهم من الحسنات كأمثال جبال تهامة حتى إذا جيء بهم جعلها الله هباء منثورا ثم يقذف بهم في النار»**. قيل: يا رسول الله كيف ذلك؟ قال: **«كانوا يصلون ويزكون ويصومون ويحجون غير أنهم كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام أخذوه فأحبط الله أعمالهم»**.

فتأمل ذلك أيها الماكر المخادع الغشاش الآكل أموال الناس بتلك البيوعات الباطلة. والتجارات الفاسدة تعلم أنه لا صلاة لك ولا زكاة ولا صوم ولا حج كما جاء عن الذي لا ينطق عن الهوى، وليتأمل الغشاش بخصوصه قوله ﷺ : **«من غشنا فليس منا»** يعلم أن الغش عظيم وأن عاقبته وخيمة، فإنه ربما أدى إلى الخروج عن الإسلام والعياذ بالله تعالى، فإن الغالب أنه ﷺ لا يقول ليس منا إلا في شيء قبيح جدا يؤدي بصاحبه إلى أمر خطير ويخشى منه الكفر. وليتأمل الغشاش - أيضا - لا سيما التجار والعطارون وغيرهم ممن يجعل في بضاعته غشا يخفي على المشترى حتى يقع فيه من غير أن يشعر ولو علم ذلك الغش فيه لما اشتراه بذلك الثمن أصلا.

والأحاديث في الغش والتحذير منه كثيرة مر منها جملة فمن تأملها ووفقه الله لفهمها والعمل بها انكف عن الغش وعلم عظيم قبحه وخطره، وأن الله تعالى لا بد وأن يمحق ما حصله الغاشون بغشهم. فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن رجلا حمل معه خمرا في سفينة ، ومعه قرد قال: فكان الرجل إذا باع الخمر شابه بالماء ثم باعه قال: فأخذ القرد الكيس ، فصعد به فوق الدقل . قال: فجعل يطرح دينارا في البحر ، ودينارا في السفينة حتى قسمه**».

فالسعيد من وعظ بغيره.. والعاقل من اتقى الله تعالى وعلم أن الدنيا فانية وأن الحساب واقع على النقير والفتيل والقطمير " ولا يظلم ربك أحدا ".

٣ - الغش في الامتحان:

الغش في الامتحان.. مرض العصر.. ووباء الوقت.. الذي عم وطم..

واعتقده الناس حلالا!! واستندوا لمعاذير أوهن من بيت العنكبوت، مع أن مفاسده لا تخفى على ذوى العقول القويمة.. والفطر السليمة، فمن مفاسده:

- إعانة الطالب على الانحراف، وتشجيعه على الإهمال، والاعتماد على الغير.
- فقدان الثقة في المدرس " القدوة " الذي سهل له طريق الغش.
- تخريج دفعات " فاشلة " لا ترفع للأمة رأساً.
- إعانة الطالب على التهاون بالمدرسة والدراسة والقائمين عليها.
- مساواة الطالب المجتهد بالطالب الفاشل.. وهذا يهز ميزان العدالة في الأرض.
- إعانة المدرس على إهمال الشرح طوال العام، معتمدا على غش الطالب آخر العام، وغير ذلك من المفاسد.

ولا يلتفت لقول بعض الجاهلين: " المساواة في الظلم عدل ".. فالمساواة في الظلم، أظلم الظلم.. وليت شعري، كيف يكون الظلم عدلا؟!!

وفي الحديث: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**».

وقال ابن مسعود: " لا يكن أحدكم إمعة، يقول: إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أساءت.. ولكن وطنوا أنفسكم، وإن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فاجتنبوا إساءتهم".

سئل فضيلته فضيلة الشيخ عطية صقر – رئيس لجنة الفتوى بالأزهر:

ما حكم الدين في محاولات الطلاب للغش أثناء الامتحانات، وهل يجوز للملاحظين أن يساعدوهم نظرا لصعوبة الامتحان؟.

الجواب:

" من المقرر أن الغش في أي شيء حرام، والحديث واضح في ذلك " من غشنا فليس منا " رواه مسلم، وهو حكم عام لكل شيء فيه ما يخالف الحقيقة، فالذي يغش ارتكب معصية والذي يساعده على الغش شريك لــه في الإثم، ولا يصح أن تكون صعوبة الامتحان مبررة للغش، فقد جعل الامتحان لتمييز المجتهد من غيره، والدين لا سوى بينهما في المعاملة، وكذلك العقل السليم لا يرضى بهذه التسوية. قال تعالى:**{أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ}**. وبخصوص العلم قال:**{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ}**. وانتشار الغش في الامتحانات وغيرها رذيلة من أخطر الرذائل على المجتمع، حيث يسود فيه الباطل وينحسر الحق، ولا يعيش مجتمع بانقلاب الموازين التي تسند فيه الأمور إلى غير أهلها وهو ضياع للأمانة، وأحد علامات الساعة كما صح في الحديث الشريف. والذي تولى عملا يحتاج إلى مؤهل يشهد بكفاءته، وقد نال الشهادة بالغش يحرم عليه ما كسبه من وراء ذلك، وكل لحم نبت من سحت فالنار أولى به، وقد يصدق عليه قول الله تعالى:**{لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ العَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}**.

وإذا كان قد أدى عملا فله أجر عمله كجهد بذله أي عامل، وليس مرتبطا بقيمة المؤهل، وهو ما يعرف بأجر المثل في الإجارة الفاسدة، وما وراء ذلك فهو حرام.

* * * * *

المطلب الثاني:
التحذير من الكذب

عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه، قال: دعتني أمي يوماً، ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ : **«ما أدرت أن تعطيه؟»**. فقال لها رسول الله ﷺ : **«أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة!»**.

أخي المسلم: اعلم أن الكذب من قبائح الذنوب، وفواحش العيوب. قال إسماعيل بن واسط: سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يخطب بعده وفاة رسول الله ﷺ فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي هذا عام أول - ثم بكى - وقال: **«إياكم والكذب فإنه مع الجور وهما في النار»**.

تعريف الكذب:

الكذب: هو الكلام على خلاف الحقيقة، وهو: الأصل الذي بني عليه النفاق!. وهو محرم بالكتاب والسنة وإجماع الأمة. هذا، والإسلام لاحترامه الشديد للحق، طارد الكذابين، وشدد عليهم بالنكير. عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب، ولا غرو فلقد كان السلف الصالح يتلاقون على الفضائل ويتعارفون بها، فإذا أساء السيرة وحاول أن ينفرد بمسلك خاطئ بدا بعمله هذا كالأجرب بين الأصحاب فلا يطيب له مقام بينهم حتى يبرأ من علته!!. وبالجملة: فالكذب رذيلة محضة تنبئ عن تمن الفساد في نفس صاحبها!!.

* * * * *

المطلب الثالث:
أنـــواع الكـــذب

اعلم - أخي الكريم - أن الكذب ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الكذب علي الله:

ويعد هذا النوع أفحش أنواع الكذب، وأعلاه:

(أ) أن يجعل الإنسان مع الله إلهاً آخر:

قال تعالى:**{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * الحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّنَ المُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الكَاذِبِينَ}**.

(ب) تكذيب الله تعالى فيما أخبر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«قال تعالى: كذبني ابن آدم ، ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك . فأما تكذيبه إياي ، فقوله: لن يعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته . وأما شتمه إياي ، فقوله: اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ، ولم يكن لي كفواً أحد»**.

(ج) تحريم ما أحل، أو تحليل ما حرم:

قال تعالى:**{قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ * وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ يَوْمَ القِيَامَةِ...}**.

النوع الثاني: الكذب علي الرسل:

قال رسول الله ﷺ : **«إن كذباً علي ليس ككذب على أحد فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعدة من النار»** ويدخل في نطاق هذا الافتراء، سائر ما ابتدعته الجهال، وأقحموه في دين الله من محدثات لا أصل لها، عدها العوام دينا، وما هي بدين**!!** وقد نبه النبي ﷺ أمته إلى مصادر هذه البدع المنكرة، وحذر من الانقياد إلى تيارها، وتمسك المسلمين بآي كتابهم وسنة سلفهم، قال: **«يكون في آخر أمتي أناس دجالون كذابون يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم ، لا يضلونكم ولا يفتنونكم»**.

قلت: رأينا بعضهم، وسمعنا أحاديثهم وهم يكذبون السنة الصحيحة وينكرون عذاب القبر ونعمته، والشفاعة، وحد الردة، ويقولون: (إن حجاب المرأة بدعة يهودية)**!**، ودولة الخلفاء الراشدين كانت علمانية**!!** وغير ذلك من الأضاليل والأباطيل.

النوع الثالث: الكذب علي الناس:

أحصى الشارع الحكيم مزالق الكذب، وأوضح سوء عقباها، حتى لا يبقى لا حد منفذ إلى الشرود عن الحقيقة، أو الاستهانة بتقريرها. فالمرء قد يستسهل الكذب حين يمزج حاسبا أن مجال الله لا خطر فيه**!!** هنا يقول النبي ﷺ : **«ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك منه القوم فيكذب ، ويل له ، ويل له ، ويل له»** ويدخل في نطاق الكذب على الناس: شهادة الزور، وإنفاق السلعة بالحلف الكاذب، والغش في البيع والشراء... إلخ.

قال ﷺ : **«كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له به كذب»** ونظرا لما يترتب على الكذب من أضرار، أوصى الإسلام بغرس الصدق في نفوس الأطفال حتى يثبوا عليها، وقد ألفوها في أقوالهم وأحوالهم كلها، لذا قال النبي ﷺ لأم عبد الله بن عامر: **«أما إنك لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كذبة»**.

* * * * *

المطلب الرابع:
النهي عن الإطراء

هناك فريق من الناس يتخذ المدائح الفارغة بضاعة يتملق بها الأكابر ويصوغ من الشعر القصائد المطولة، ومن النثر الخطب المرسلة، فيكيل الثناء جزافا ويهرف بما لا يعرف وربما وصف بالعدالة الحكام الجائرين.. ووصف بالشجاعة الأغبياء الخوارين، ابتغاء عرض من الدنيا عند هؤلاء وأولئك. هذا الصنف من الأذناب الكذابة، أوصى الرسول ﷺ بمطاردتهم، حتى يرجعوا من تزويدهم، بوجوه عفرها الخزى والحرمان.

عن أبي هريرة، قال: (أمرنا رسول الله أن نحثو في وجوه المداحين التراب). وقد ذكر شراح الحديث: أن المداحين المعنيين هنا: (هم الذين اتخذوا مدح الناس عادة، ستأكلون به الممدوح، فأما من مدح على الأمر الحسن والفعل المحمود - ترغيباً في أمثاله، وتحريضا للناس على الاقتداء به - فليس بمداح). والحدود التي يقف عندها المسلم، ويخرج بها من تبعة الملق والمبالغة، وينتفع بها ممدوحة، فلا يزله إلى العجب والكبرياء، قد بينها النبي ﷺ أثني رجل على رجل عند رسول الله، فقال له: **«ويحك قطعت عنق صاحبك»** - قالها ثلاثا - ثم قال: **«من كان مادحاً أخاه لا محالة فليقل: أحسب فلانا – والله حسيبه ولا يزكي على الله أحداً – أحسب فلانا كذا وكذا ، إن كان يعلم ذلك منه»**.

أخي المسلم: ويمتد التحذير من الكذب ليشمل كل أنواع المعاملات:

قال رسول الله ﷺ : **«البيعان بالخيار مالم يتفرقا ، فإن صدق البيعان وبينا بورك لهما في بيعهما ، وإن كذبا وكتما فعسى أن يرجا ربحا ما ، ويمحق بركة بيعهما ، اليمين الفاجرة منفقة للسلعة ممحقة للكسب»**.

وعن أبى ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم»**.

قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات، فقلت: خابوا وخسروا، ومن هم يا رسول الله؟ قال: **«المسبل ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»**.

ولا يجوز للبائع أن يغطي عيب بضاعته.

قال رسول الله ﷺ : **«لا يحل لا مرئ مسلم يبيع سلعته ، يعلم أن بها داء إلا أخبر به»**.

وكذلك الحلف في (الشهادة) من أشنع الكذب، وأضره على الإنسان.

قال تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِياًّ أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً}**.

إن التزوير كذب كثيف الظلمات، إنه لا يكتم الحق فحسب، بل يمحقه ليثبت مكانه الباطل، وخطره علي المجتمع شديد مبيد، وهو دليل على فساد الباطن.

قال تعالى:**{وَلاَ تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}**.

هذا وعلى المسلمين أن يجعلوا من كلمتهم قانونا مرعي الجانب، يقفون عنده ويستمسكون به، فإنه لمن المؤسف أن تكون الوعود المختلفة، والحدود المائعة عادة مأثورة عن كثير من المسلمين، مع أن دينهم جعل الوعود الكاذبة أمارة النفاق**!!**. وقد وصف الله نبياً من الأنبياء بأنه صادق الوعد...

عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: **«أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر»**.

* * * * *

المطلب الخامس:
آثار في النهي عن الكذب

يروى أن موسى عليه السلام قال: يا رب أي عبادك خير لك عملا؟

قال: (من لا يكذب لسانه، ولا يفجر قلبه، ولا يزني فرجه).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أحبكم إلينا ما لم نركم: أحسنكم اسما، فإذا رأيناكم فأحبكم إلينا أحسنكم خلقا فإذا اختبرناكم فأحبكم إلينا أصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة).

وقال علي رضى الله عنه: (أعظم الخطايا عند الله: اللسان الكذوب، وشر الندامة: ندامة يوم القيامة).

وقال الشعبي - رحمة الله تعالى - (ما أدرى أيهما أبعد غورا في النار الكذاب أو البخيل).

وقال مالك بن دينار - رحمه الله تعالى -: قرأت في بعض الكتب: (ما من خطيب إلا وتعرض خطبته على عمله فإذا كان صادقا صدق، وإن كان كاذبا قرضت شفتاه بماقريض من نار كلما قرضتا نبتتا!!)

وقال - رحمه الله -: (الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه).

ما رخص فيه من الكذب:

اعلم أن الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره، فإن أقل درجاته أن يعتقد المخبر الشيء علي خلاف ما هو عليه فيكون جاهلاً، وقد يكون الكذب مأذونا فيه وربما كان واجبا.

قال ميمون بن مهران - رحمه الله -: الكذب في بعض المواطن خير من الصدق، أريت لو أن رجلا سعى خلف إنسان بالسيف ليقتله فدخل دار فانتهى إليك فقال: أرأيت فلانا؟ ما كنت قائلا؟ ألست تقول: لم أره؟ وما تصدق به. وهذا الكذب الواجب.

قلت: وفي الحديث: عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من حمى مؤمنا من منافق أراه قال: بعث الله ملكا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جنهم...**» فمهما كان لا يتم مقصود الحرب أو إصلاح ذات البين أن استمالة قلب المجني عليه إلا بكذب فالكذب مباح، إلا أنه ينبغي أن يحترز منه ما أمكن، لأنه إذا فتح

باب الكذب على نفسه فيخشى أن يتداعى إلى ما يستغني عنه وإلى ما لا يقتصر على حد الضرورة، فيكون الكذب حراما في الأصل إلا لضرورة.

وعن أم كلثوم قالت: ما سمعت رسول الله ﷺ رخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث: الرجل يقول يريد به الإصلاح، والرجل يقول القول في الحرب، والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها. قلت: قوله: «**والرجل يحدث امرأته ...**» أي: من أجل أن يرضيها، أو يستميل قلبها إليه، وكذلك بالنسبة لها يجوز لها أن تنتقى من الكلام أحسنه، أو تضفي عليه أوصافا لم يصل إليها، تأليفا للقلوب، وترطيبا للحياة بين الزوجين.

أما ما عدا ما رخص فيه من الكذب فهو حرام يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار. ويكفي الكذب ذما أنه صفة متأصلة في اليهود!!.

قال تعالى:{**وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ**}.

وهو من ذنوب إبليس!. قال تعالى:{**وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ**}.

أخي الحبيب: عليك بالصدق وتأسى بالحبيب محمد ﷺ، واعلم أنك إذا طلبت الله بالصدق آتاك الله مرآة بيدك حتى تبصر كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة.{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**}. اللهم طهر قلوبنا من النفاق، وأعيننا من الخيانة، وألسنتنا من الكذب.

* * * * *

المطلب السادس:
التحذير من النميمة

عن ابن عباس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ مر بقبرين يعذبان، فقال: «**إنهما يعذبان ، وما يعذبان في كبير بلى إنه كبير: أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة ، وأما الأخر فكان لا يستتر من بوله**».

أخي الحبيب: في هذا (الحديث) تحذير شديد من عملين كبيرين تسبب كل واحد منهما في تعذيب صاحبه في قبره:

الأول: النميمة.

والثاني: عدم الاستتار من البول.

وحديثنا يدور - هنا - حول (النميمة) ما هي النميمة؟ وما أدلة تحريمها؟. وما الأسباب الباعثة عليها؟. ومتى تجوز؟. وما موقفنا من أهلها؟.

النميمة:

هي نقل الحديث بين الناس على جهة الإفساد بينهم.. فالنمام يعمل جاسوساً لحساب الشيطان!!. فإذا كان الشيطان يريد أن يوقع العداوة والبغضاء بين المسلمين.. فصاحب النميمة ذراعه في ذلك.. وسهمه الصائب في هذا المضمار. فكم من دماء سفكت بسبب وشاية كاذبة!. وكم من بيوت انهارت وأرحام قطعت بسبب كلمة فاجرة غادرة. لذا فالنميمة عند الله أشد من قتل النفس!!. قال تعالى:**{وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ القَتْلِ}**.

أدلة تحريمها:

النميمة حرام بإجماع المسلمين، وقد ظاهرت على تحريمها الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة:

قال تعالى:**{وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ}** قال عبد الله بن المبارك - رحمه الله -: الزنيم: ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث.

- وقال تعالى:**{وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ}** قيل: الهمزة: النمام.
- وقال تعالى:**{وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ}**. قيل: كانت نمامة حمالة للحديث.
- وقال ﷺ : «**لا يدخل الجنة نمام**». وفى رواية: (قتات). قال الحفظ المنذرى:

والقتات والنمام بمعنى واحد، وقيل النمام: الذي يكون مع جماعة يتحدثون حديثا فينم عليهم. والقتات: الذي يتسمع عليهم وهم لا يعلمون ثم ينم.

- وعن أبي هريرة قال: كنا نمشى مع رسول الله صلى لله عليه وسلم فمررنا على قبرين فقام فقمنا معه، فجعل لونه يتغير حتى رعد كم قميصه، فقلنا: ما لك يا رسول الله؟. فقال: «**أما تسمعون ما أسمع؟**». فقلنا: وما ذاك يا نبي الله؟ قال: «**هذان رجلان يعذبان في قبورهم عذابا شديدا في ذنب هين**». قلنا: فيم ذاك؟. قال: «**كان أحدهما لا يستنزه من البول ، وكان الآخر يؤذى الناس بلسانه ، ويمشى بينهم بالنميمة**». فدعا بجريدتين من جرائد النخل، فجعل في كل قبر واحدة، قلنا: وهل ينفعهم ذلك؟ قال: «**نعم يخفف عنهما ما دامتا رطبين**».

قال الإمام المنذري رحمه الله -: (قوله: في ذنب هين) أي هين عندهما، وفي ظنهما، لا أنه هين في نفس الأمر، فقد تقدم في حديث ابن عباس قوله ﷺ : **«بلى إنه كبير»**، وقد أجمعت الأمة على تحريم النميمة، وأنهما من أعظم الذنوب عند الله تعالى.

- وقال ﷺ : **«خيار عباد الله الذين إذا رؤوا ذكر الله ، وشرار عباد الله المشاءون بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة ، الباغون للبراء العنت»**.

الأسباب الباعثة علي النميمة :

الأسباب الباعثة على النميمة ، كثيرة نذكر منها سببين:

الأول: فساد القلب وظلمة السر وسوء الطوية.

والثاني: الحقد الدفين.

متى تجوز النميمة؟ :

تجوز النميمة لمصلحة شرعية.. كأن يكون هناك تآمر ضد الدولة مثلاً من جهة معادية، أو تأمر يستهدف عرض مسلم أو ماله أو أرضه أو دمه وسمعت عن هذا التآمر فواجب عليك (شرعاً) تحذير المستهدف من هذا الخطر. وفي الحديث: (من حمى مؤمنا من منافق بعث الله ملكا يحمى لحمة يوم القيامة من نار جهنم). وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه كان عبد الله بن أُبي يقول: (لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل). فذكرت ذلك لعمي - أو لعمر - فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه، فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي ما أردت إلى أن كذبك رسول اله ﷺ ومقتك، فأنزل الله تعالى:**{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ}** فبعث إلى النبي ﷺ فقرأ فقال: (إن الله صدقك يا زيد).

كيف نتعامل مع أهل النميمة؟

قال الأمام الغزالي - رحمه الله تعالى - ما مختصره: (كل من حملت إليه النميمة، وقيل له: إن فلانا قال فيك كذا وكذا، أو فعل في حقك كذا، أو هو يدبر في إفساد أمرك، أو في ممالأة عدوك أو تقبيح حالك أو ما يجرى مجراه، فعليه **ستة أمور**:

الأول: أن لا يصدقه لأن النمام فاسق، وهو مردود الشهادة. قال تعالى:**{إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ...}**.

والثاني: أن ينهاه عن ذلك وينصح لـه ويقبح عليه فعله. قال تعالى:**{وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ}**.

والثالث: أن يبغضه في الله تعالى فإنه بغيض عند الله تعالى ويجب بغض من يبغضه الله تعالى.

الرابع: أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقوله تعالى:**{اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ}**.

الخامس: أن لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتتحق، اتباعا لقوله تعالى:**{وَلاَ تَجَسَّسُوا}**.

السادس: أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عليه، ولا تحكي نميمته فتقول: فلان قد حكى لي كذا وكذا، فتكون به نماما ومغتابا، وقد تكون قد أتيت ما عنه نهيت.

وقد روى عن عمر بن عبد العزيز أنه دخل عليه رجل فذكر لـه عمر: إن شئت نظرنا في أمرك فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية**{إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا}**. وإن شئت عفونا عنك؟

فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبدا.

وقال الحسن: (من نم إليك، نم عليك).

وقال رجل لعمرو بن عبيد: إن الأسوارى ما يزال يذكرك في قصصه بشر، فقال لـه عمرو: يا هذا ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه، ولا أديت حقي حين أعلمتني عن أخي ما أكره، ولكن أعلمه أن يعمنا، والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين. وعلى الجملة: فشر النمام عظيم.

حكاية:

قال حماد بن سلمة: (باع رجل عبدا وقال للمشتري: ما فيه عيب إلا النميمة.

قال: رضيت. فاشتراه، فمكث الغلام أياما ثم قال لزوجة مولاه: إن سيدي لا يحبك وهو يريد أن (يتزوج عليك) أو يتسرى عليك فخذي الموسي واحلقي من شعر قفاه عند نومه شعرات حتى أسحره عليها فيحبك.

ثم قال للزوج: إن امرأتك اتخذت خليلا وتريد أن تقتلك، فتناوم لها حتى تعرف ذلك، فتناوم لها.. فجاءت المرأة بالموسى، أنها تريد قتله فقام إليها فقتلها، فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج، ووقع القتال بين القبيلتين!!).

فيا أيها المسلم: إذا عرفت هذا الخطر.. فكن منهم على حذر.. ولا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين.

وقفة مع: ضمائر الأبرار:

سطر الأنبياء والصالحون مواقف مشهودة في يقظة الضمير، والاستعلاء على الشهوات والشبهات:

- فها هو " سليمان عليه السلام " يرفض الرشوة في إباء واستعلاء، فعندما قالت "ملكة سبأ ":**{وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ}**. ماذا فعل "سليمان علية السلام "؟. قال الله تعالى:**{فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ}**. صمود مبارك أمام الإغراء.
- وعن سليمان بن يسار. أن النبي ﷺ كان يبعث ابن رواحه إلى خيبر فيخرص بينه وبين يهود، فجمعوا حليا من نسائهم، فقالوا: هذا لك وخفف عنا!!. قال: «**يا معشر يهود!** والله إنكم لمن أبغض خلق الله إلى، وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم، والرشوة سحت». فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض.

فيا أخا الإسلام: كن حارسا على دينك وضميرك، واحرص على آخرتك ومصيرك، "ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ". " اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واكنفنا بركنك الذي لا يرام، فلا نهلك وأنت رجاؤنا ".

قال الحسن - رحمه الله تعالى - في هذه الآية: بلغني أن النبي ﷺ قال: «**قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم بنفسه ثم لم يصدقوه!**».

قال الله تعالى:**{فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ}**.

وقال الأصمعي: " أقبلت ذات مرة من مسجد البصرة فطلع أعرابي جاف على قعود لـه متقلداً سيفه وبيده قوسه فدنا وسلم وقال: ممن الرجل؟ قلت: من بني أصمع. قال: أنت الأصمعي؟ قلت: نعم. قال: ومن أين أقبلت؟ قلت: من موضع يتلى فيه كلام الرحمن. قال: وللرحمن كلام يتلوه الآدميون؟ قلت: نعم. قال: فاتل على منه شيئا. فقرأت " والذاريات ذروا " إلى قولـه**{وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ}**.

فقال: يا أصمعي حسبك!!.

ثم قام إلى ناقته فنحرها وقطعها بجلدها، وقال: أعني على توزيعها، ففرقناها على من أقبل وأدبر، ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما ووضعها تحت الرحل وولى نحو

البادية وهو يقول:**{وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ}**.

فمقت نفسي ولمتها، ثم حججت مع " الرشيد "، فبينما أنا أطرف إذا أنا بصوت رقيق، فالتفت فإذا أنا بالأعرابي وهو ناحل مصفر، فسلم علي وأخذ بيدي وقال: اتل على كلام الرحمن، وأجلسني من وراء المقام فقرأت: " والذاريات " حتى وصلت إلى قوله تعالى:**{وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ}**.

فقال الأعرابي: لقد وجدنا ما وعدنا الرحمن حقا، وقال: وهل غير هذا؟

قلت: نعم، يقول الله تبارك وتعالى:**{فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ}**.

قال: فصاح الأعرابي وقال: يا سبحان الله! من الذي أغضب الجليل حتى حلف! ألم يصدقوه في قوله حتى ألجئوه إلى اليمين؟ فقالها ثلاثا وخرجت بها نفسه!!!.

وقوله تعالى:**{وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ}**. أخبر - سبحانه وتعالى - في هذه الآية برزق الجميع، والدابة كل حيوان يدب والرزق حقيقة ما يتغذى به الحي، ويكون فيه بقاء روحه ونماء جسده. قيل لحاتم الأصم: من أين تأكل؟

فقال: من عند الله.

فقيل له: الله ينزل لك دنانير ودراهم من السماء؟

فقال: كأن ماله إلا السماء! يا هذا الأرض له والسماء له، فإن لم يؤتني رزقي من السماء ساقه لي من الأرض.

وذكر الترمذى الحكيم في " نوادر الأصول " بإسناده عن زيد بن أسلم: أن الأشعريين أبا موسى وأبا ومالك وأبا عامر في نفر منهم، لما هاجروا وقدموا على رسول الله ﷺ في ذلك وقد أرملوا من الزاد، فأرسلوا رجلا منهم إلى رسول الله ﷺ يسأله، فلما انتهى إلى الباب رسول الله ﷺ سمعه يقرأ هذه الآية:**{وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ}**.

فقال الرجل: ما الأشعريون بأهون الدواب على الله بأهون الدواب على الله. فرجع ولم يدخل على رسول الله ﷺ فقال لأصحابه: أبشروا أتاكم الغوث، ولا يظنون إلا أنه قد كلم رسول الله ﷺ فوعده، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجلان يحملان قصعة بينهما مملوءة خبزا ولحما فأكلوا منها ما شاءوا، ثم قال بعضهم لبعض: لو أنا رددنا هذا الطعام إلى

رسول الله ﷺ ليقضي به حاجته. فقالوا للرجلين: اذهبا بهذا الطعام إلى رسول الله ﷺ فإنا قد قضينا منه حاجتنا، ثم إنهم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ما رأينا طعاماً أكثر ولا أطيب من طعام أرسلت به. قال: **«ما أرسلت إليكم طعاما»**. فأخبروه أنهم أرسلوا صاحبهم، فسأله رسول الله ﷺ فأخبره ما صنع، وما قال لهم. فقال رسول الله ﷺ : **«ذلك شيء رزقكموه الله»**.

فيا من طويت فسيح الأرض ملتمسا ::: مالا وأنت بالأموال موعود
قد تحرم الأسد قسرا عن فريسة ::: وفي صخور الفيافي يرزق الدود
لا شيء أعجب في الأنام من رجل ::: يرجو الخلائق والخلاق موجود

حكاية:

قيل: إن حاتم الأصم - رحمه الله قال لأولاده: إني أريد الحج. فبكوا وقالوا إلى من تكلنا؟ فقالت ابنته لهم: اسكتوا دعوه فليس هو برازق إن الله هو الرازق. فباتوا جياعا وجعلوا يوبخون البنت، فقالت: " اللهم لا تخجلني بينهم ".

فمر أمير البلد وطلب ماء فناوله أهل حاتم كوزا جديدا فيه ماء بارد فشرب، وقال: دار من هذه؟ فقالوا: حاتم الأصم. فرمى فيها منطقة من ذهب. وقال لأصحابه: من أحبني فعل مثلي، فرمى من حوله كلهم مثله!! فجعلت بنت حاتم تبكي! فقالت لها أمها: ما يبكيك وقد وسع الله علينا؟!. فقالت: مخلوق نظر إلينا فاستغنينا، أي: فما ظنك بالخالق جل وعلا الذي سخر لنا هذا المخلوق فعطفه علينا. قلت: وهذا مقام جليل من مقامات التوكل، والثقة في الله تعالى.

قال عامر بن عبد قيس: أربع آيات في كتاب الله إذا ذكرتهن لا أبالي على ما أصبحت أو أمسيت:

١ -**{مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ}**.

٢ -**{وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ}**.

٣ -**{سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً}**.

٤ -**{وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}**، ومعنى حسبه: أي كافيه وهاديه.

والنبي ﷺ يقول: **«لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا وتروح بطانا»**.

وعن أبى ذر رضي الله عنه قال: جعل رسول الله ﷺ يتلو هذه الآية:**{وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ}**. فجعل يرددها حتى نعست، فقال: **«يا أبا ذر لو أن الناس أخذوا بها لكفتهم»**.

يقين أطفال الصحابة:

روى أن صحابيا رأى طفلا في " المسجد " يصلى بخشوع وإتقان فقال لـه بعد صلاته: ابن من أنت؟ فقال: إني يتيم فقدت أبي وأمي!. فقال: أترضى أن تكون لي ولدا؟ فقال: هل تطعمني إذا جعت؟ قال: نعم قال: وهل تكسوني إذا عريت؟ قال: نعم قال: وهل تحييني إذا مت؟ فدهش الصحابي وقال: هذا ليس إليه سبيل، فأشاح الصبي بوجهه وقال: إذن اتركني للذي خلقني ثم رزقني ثم يحييني، فقال الصحابي: لعمري من توكل على الله كفاه.

الربط بين الأسباب والمسببات:

وفي " الوصية " إثبات الأسباب والمسببات، وإبطال قول من أنكرها، فالرواية تقول: عن حبة وسواء ابني خالد - رضي الله عنهما - أنهما أتيا رسول الله ﷺ وهو يعمل عملا يبني بناء!! وهذا من الأسباب.

ثم تقول الرواية:

فلما فرغ دعانا فقال: " لا تنافسا في الرزق ما تهزهزت رءوسكما، فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر، ثم يعطيه الله ويرزقه ". وهذا من التوكل. فدل على أن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع داء الجوع، والعطش، والحر، والبرد بأضدادها.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى -: " لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا، وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل، كما يقدح في الأمر والحكمة، ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى في التوكل، فإن تركها عجزا ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولابد مع هذا الاعتماد على مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلا للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلا، ولا توكله عجزا " وقد ثبت أن النبي ﷺ قال لأحد أصحابه: **«اعقلها وتوكل»**.

والتوكل: اعتماد القلب على الله في جلب المنافع المضار، مع الثقة بالله وفعل الأسباب.

وقال الله تعالى:**{فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}**.

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - في تفسير لهذه الآية: - " أي فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئا إلا أن ييسره الله عليكم، ولهذا قال تعالى:**{وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ}** فالسعي في السبب لا ينافي التوكل وفي الحديث: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا**»، فأثبت لها رواحا وغدوا لطلب الرزق مع توكلها على الله عز وجل وهو المسخر المسير المسبب ".

ودعا النبي ﷺ أتباعه إلى الأخذ بالأسباب وترك التواكل، وحذر من المسألة:

- عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**لأن يأخذ أحدكم أحلبه فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكفى بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه**».

- وعن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما أكل أحد طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده**».

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلا من الأنصار أتى النبي ﷺ فسأله، فقال: " أما في بيتك شيء؟ " قال: «**بلى . حلس نلبس بعضه ، ونبسط بعضه ، وقعب نشرب فيه من الماء**». قال: «**ائتني بهما**». فأتاه بهما فأخذهما رسول الله ﷺ بيده، وقال: «**من يشترى هذين؟**» قال رجل: أنا آخذهما بدرهم. قال رسول الله ﷺ : «**من يزيد على درهم**» مرتين أو ثلاثا. قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري، وقال: «**اشترى بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدوما فأتني به**». فأتاه به فشد فيه رسول الله ﷺ عودا بيده، ثم قال له: «**اذهب فاحتطب وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوما**». ففعل فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما، فقال رسول الله ﷺ : «**هذا خير لك من أن تجيء المسالة نكتة في وجهك يوم القيامة ، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاث: لذي فقر مدقع ، أو لذي غرم مفظع ، أو لذي دم موجع**» [1].

* * * * *

(١) رواه أبو داود.

المطلب السابع:
عفاف أصحاب النبي ﷺ وعلو همتهم

وهذا نموذج كريم، عطر صفحات التاريخ بموقف خالد: قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: " لما قدمنا المدينة، آخى رسول الله ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع، فقال سعد بن الربيع: إني أكثر الأنصار مالاً. فأقسم لك نصف مالي، وانظر أي زوجتي هويت، نزلت لك عنها، فإذا حلت تزوجتها.

فقال لـه عبد الرحمن: لا حاجة لي في ذلك، هل من سوق فيه تجارة؟

قال: سوق " قينقاع ".

فغدا إليه عبد الرحمن، فأتى بأقط وسمن، ثم تابع الغدو، فما لبث أن جاء عبد الرحمن عليه أثر صفرة، فقال رسول الله ﷺ : **«تزوجت؟»** قال: نعم، قال: **«من؟»** قال: امرأة من الأنصار. قال: **«كم سقت؟»**. قال: زنه نواة من ذهب، أو نواة من ذهب، فقال لـه النبي ﷺ : **«أولم ولو بشاة»**.

هكذا كان أصحاب النبي ﷺ.. علموا أن من كرس حياته للحق والخير، فعلمه عبادة، وكل قطرة عرق تبذل فيه فهي آية جهاد، توضع في موازين المرء مع صلاته وزكاته، فالعمل هو وسيلة البقاء، والوسيلة تتبع الغاية في رفها وخستها. مسك الختام روي عن علي بن الموفق - رحمه الله - أنه قال: خرجت يوماً لأؤذن فأصبت قرطاسا فأخذته ووضعته في كمي وأقمت الصلاة وصليت، فلما قرأته فإذا فيه مكتوب: "بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن الموفق أتخاف الفقر وأنا ربك! ".

من آداب الإسلام:

عن علي بن طلق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«لا تأتوا النساء في أعجازهن ، فإن الله لا يستحي من الحق»**. والعجز: الدبر.

أخي المسلم: هذه الوصية المباركة، تعد معجزة عظيمة من معجزات النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى. وقد جاء هذا التحذير في روايات أخرى كثيرة، منها:

١- عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلا أو امرأة في الدبر ".

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا ، فصدقه ، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»**.

٣- وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، هلكت. فقال: **«وما الذي أهلكك؟»**. قال: حولت رحلي البارحة. قال: فلم يرد عليه شيئا، فأوحى الله إلى رسوله:**{نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ}**. **«أقبل وأدبر ، واتق الحيضة والدبر»**.

٤- عن خزيمة بن ثابت رضي الله عنه: أن رجلاً سأل النبي عن إتيان النساء في أدبارهن فقال: "حلال "، فلما ولى، دعاه فقال: "كيف قلت، في أي الخربتين، أو في أي الخرزتين، أو في أي الخصفتين أمن دبرها في قلبها؟ فنعم. أم من دبرها، فلا، إن الله لا يستحي من الحق، لا تأتوا النساء في أدبارهن ".

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - معلقا على هذا الحديث: "ومن ها هنا نشأ الغلط من نقل عنه الإباحة من السلف والأئمة، فإنهم أباحوا أن يكون الدبر طريقا إلى الوطء في الفرج، فيطأ من الدبر لا في الدبر، فاشتبه على السامع "من " ب" في" ولم يظن بينهما فرقا، فهذا الذي أباحه السلف والأئمة، فغلط عليهم الغالط أقبح الغلط وأفحشه.

وقد قال تعالى:**{فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ}** فقال: "تأتيها من حيث أمرت أن تعتزلها " يعني في الحيض.

وقال على بن أبى طلحة عنه: يقول: في الفرج، ولا تعده إلى غيره.

٥- وقال البغوى: حدثنا همام، قال: سئل قتادة عن الذي يأتي امرأته في دبرها؟

فقال: حدثني عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ قال: "تلك اللوطية الصغرى ".

٦- وفي "مسند الحارث بن أبي أسامة " من حديث أبي هريرة وابن عباس، قالا: خطبنا رسول الله ﷺ قبل وفاته، وهي آخر خطبة بالمدينة حتى لحق بالله عز وجل، وعظنا فيها وقال: **«من نكح امرأة في دبرها أو رجلا أو صبيا ، حشر يوم القيامة ، وريحه أنتن من الجيفة يتأذى به الناس حتى يدخل النار ، وأحبط الله أجره ، ولا يقبل منه صرفا ولا عدلا ، ويدخل في تابوت من نار ، ويشد عليه مسامير من نار»**. قال أبو هريرة: هذا لمن لم يتب.

٧- وفي " الصحيحين " عن جابر، قال: كانت اليهود تقول: إذا أتى الرجل امراته من دبرها في قبلها، كان الولد أحول، فأنزل الله عز وجل:**{نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ}**.

وفـي لفـظ لمسـلم: **«إن شـاء مجبيـة ، وإن شـاء غيـر مجبيـة ، غيـر أن ذلـك فـي صـمام واحد»**.

والمجبيـة: المنكبـة علـى وجههـا، والصـمام الواحـد: الفـرج، وهـو موضـع الحـرث والولد.

وأما الدبر: فلم يبح قط علي لسان نبي من الأنبياء، ومن نسب إلى بعض السلف إباحة وطء الزوجة في دبرها، فقد غلط عليه.

وفـي " سنن أبـي داود " عن أبـي هريـرة قـال: قـال رسـول الله ﷺ : **«ملعون من أتى المرأة في دبرها»**.

أخـي الحبيـب: " وإذا كـان الله حـرم الـوطء فـي الفـرج لأجـل الأذى العـارض، فمـا بالحش الذي هو محل الأذى اللازم مع زيادة المفسد بـالتعرض لانقطـاع النسل والذريعة القريبة جداً من أدبار النساء أدبار الصبيان. وأيضا: فللمرأة حق على الزوج فـي الـوطء، ووطؤها في دبرها يفوت حقها، ولا يقضى، ولا يحصل مقصودها.

وأيضا: فإن الدبر لم يتهيأ لهذا العمل، ولـم يخلـق لــه، وإنمـا الـذي هيـئ لــه الفـرج، فالعادلون عنه إلى الدبر خارجون عن حكمة الله وشرعه جميعاً.

وأيضـا: فـإن ذلـك مضـر بالرجـل، ولهـذا ينهـى عنـه عقـلاء الأطبـاء مـن الفلاسـفة وغيرهم، ولأن للفرج خاصية في اجتذاب جميع المـاء، ولا يخـرج كـل المحتقن لمخالفتـه للأمر الطبيعي.

وأيضا: يضر من وجه آخر، وهو إحواجه إلى حركات متعبة جدا لمخالفته للطبيعة.

وأيضا: فإنه محل القذر، فيستقبله الرجل بوجهه، ويلابسه.

وأيضا: فإنه يضر بالمرأة جداً، لأنه وارد غريب بعيد عن الطبـاع، منـافر لهـا غايـة المنافرة.

وأيضا: فإنه يحدث الهم والغم، والنقرة عن الفاعل والمفعول.

وأيضا: فإنه يسود الوجه، ويظلم الصدر، ويطمس نور القلب، ويكسو الوجـه وحشـة تصير عليه كالسيماء يعرفها من لـه أدنى فراسة.

وأيضا: فإنه يوجب النفرة والتباغض الشديد، والتقاطع بين الفاعل والمفعول ولا بد.

وأيضا: فإنه يفسد حـال الفاعل والمفعول فسـادا لا يكـاد يرجـى بعده صـلاح، إلا أن يشاء الله بـالتوبة النصـوح.

وأيضا: فإنه يذهب بالمحاسن منهما، ويكسوهما ضدها، كما يذهب بالمودة بينهما، ويبدلهما بها تباغضا وتلاعنا.

وأيضا: فإنه من أكبر أسباب زوال النعم، وحلول النقم، فإنه يوجب اللعنة والمقت من الله، وإعراضه عن فاعله، وعدم نظره إليه، فأى خير يرجوه بعد هذا، وأي شر يأمنه، وكيف حياة عبد قد حلت عليه لعنه الله ومقته، وأعرض عنه بوجهه، ولم ينظر إليه.

وأيضا: فإنه يذهب بالحياء جملة، والحياء هو حياة القلوب، فإذا فقدها القلب، استحسن القبيح، واستقبح الحسن، وحينئذ فقد استحكم فساده.

وأيضا: فإنه يحيل الطباع عما ركبها الله، ويخرج الإنسان عن طبعه إلى طبع لم يركب الله عليه شيئا من الحيوان بل هو طبع منكوس، وإذا نكس الطبع انتكس القلب، والعمل، والهدى، فيستطيب حينئذ الخبيث من الأعمال والهيئات، ويفسد حاله وعمله وكلامه بغير اختياره.

وأيضا: فإنه يورث من الوقاحة والجرأة ما لا يورثه سواه.

وأيضا: فإنه يورث من المهانة والسفال والحقارة ما لا يورثه غيره.

وأيضا: فإنه يكسو العبد من حلة المقت والبغضاء، وازدراء الناس له، واحتقارهم إياه، واستصغارهم له ما هو مشاهد بالحسن، فصلاة الله وسلامه على من سعادة الدنيا والآخرة في هديه واتباع ما جاء به، وهلاك الدنيا والآخرة في مخالفة هديه وما جاء به ".

وقال الإمام القرطبي - رحمه الله تعالى -: "وقد قال أصحاب أبى حنيفة: إنه - أي الذي يأتي المرأة في الدبر - عندنا ولائط الذكر سواء في الحكم، ولأن القذر والأذى في موضع النجو أكثر من دم الحيض، فكان أشنع. وأما صمام البول فغير صمام الرحم.

وقال ابن العربي في قبسه: قال لنا الشيخ الإمام فخر الإسلام أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين فقيه الوقت وإمامه: " الفرج أشبه شيء بخمسة وثلاثين، وأخرج يده عاقدا بها.

وقال: مسلك البول ما تحت الثلاثين، ومسلك الذكر والفرج ما اشتملت عليه الخمسة، وقد حرم الله تعالى الفرج حال الحيض لأجل النجاسة العارضة. فأولى أن يحرم الدبر لأجل النجاسة اللازمة ".

وقال مالك - رحمه الله - لابن وهب وعلي لما أخبراه أن ناسا بمصر يتحدثون عنه أنه يجيز ذلك، فنفر من ذلك، وبادر إلى تكذيب الناقل فقال: كذبوا على، كذبوا على! ثم قال: الستم قوما عربا؟ ألم يقل الله تعالى:**{نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ}**؟ وهل يكون الحرث إلا في موضع المنبت!.

وما استدل به المخالف من أن قوله عز وجل:**{أَنَّى شِئْتُمْ}** شامل للمسالك بحكم عمومها فلا حجة فيها، إذ هي مخصصة بما ذكرناه، وبأحاديث صحيحة حسان وشهيرة رواها عن رسول الله ﷺ اثنا عشر صحابيا بمتون مختلفة، كلها متواردة على تحريم إتيان النساء في الأدبار، ذكرها أحمد ابن حنبل في مسنده، وأبو داود والنسائي والترمذي وغيرهم. وقد جمعها أبو الفرج ابن الجوزى بطريقها في جزء سماه: " تحريم المحل المكروه " ولشيخنا أبي العباس أيضا في ذلك جزء سماه " إظهار إدبار، من أجل الوطء في الأدبار ".

قلت - أي القرطبي -: وهذا هو الحق المتبع والصحيح في المسألة، ولا ينبغي لمؤمن بالله واليوم الآخر أن يعرج في هذه النازلة على زلة عالم بعد أن تصح عنه وقد حذرنا من زلة العلم ".

قلت: ولقد عظم ابن عباس رضي الله عنه هذا الأمر جداً: فعن طاووس: أن رجلاً سأل ابن عباس عن إتيان المرأة في دبرها، قال: تسألني عن الكفر!!.

ماذا قال الأطباء في هذا الأمر؟:

اتفقت كلمة الأطباء على خطورة الوطء في " الدبر " على صحة الإنسان وأجمعت الآراء على ضرورة اجتنابه.

قال الدكتور /على محمد مطاوع - عميد لكلية طب الأزهر أستاذ الأشعة بها - في قوله تعالى:**{فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ}**.

قال: "وقاية من الميكروبات التي توجد في الشرج والتي قد تصيب قناة مجري البول في الرجل إن هو خالف الأمر وأتى زوجته في دبرها".

أوفي بعض الآثار الإلهية: **«ابن آدم ما انصفتني ، أذكرك وتنساني ، وأدعوك إلي فتفر منى إلى غيري ، وأذهب عنك البلايا وأنت معتكف على الخطايا ، ابن آدم ما يكون اعتذارك غدا إذا جئتني؟»**. طوبى لمن أجاب دعوة مولاه، "يا قومنا أجيبوا داعي الله". نسأل الله السلامة من كل إثم.

* * * * *

المطلب الثامن:
نظرة الإسلام إلى المال

عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض**». قيل: ما بركات الأرض؟ قال: «**زهرة الدنيا**» فقال له الرجل: هل يأتي الخير بالشر؟ فصمت رسول الله ﷺ حتى ظننت أنه سينزل عليه ثم جعل يمسح عن جبينه. قال: «**أين السائل؟**». قال: أنا، قال: «**لا يأتي الخير إلا بالخير ، إن هذا المال خضرة حلوة ، وإن كل ما أثبت الربيع يقتل حبطا أو يلم ، إلا آكلة الخضر ، أكلت ، حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت الشمس ، فاجترت وثلطت وبالت ، ثم عادت فأكلت ، وإن هذا المال خضرة حلوة ، من أخذه بحقه ، ووضعه في حقه ، فنعم المعونة هو ، وإن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع**».

قال ابن الأثير - معلقا على هذا الحديث -: " وفي هذا الحديث مثلان:

أحدهما: للمفرط في جمع الدنيا.

والآخر: للمقتصد في أخذها والانتفاع بها. فأما قوله: «**وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم**».

فإنه مثل للمفرط الذي يأخذ الدنيا بغير حقها، وذلك أن الربيع ينبت أحرار البقول، فتستكثر الماشية منه لاستطابتها إياه، حتى تنتفخ بطونها عند مجاوزتها حد الاحتمال، فتنشق أمعاؤها من ذلك فتهلك، أو تقارب الهلاك، وكذلك الذي يجمع الدنيا من غير حقها ويمنعها من حقها، قد تعرض للهلاك في الآخرة، لا بل في الدنيا.

وأما مثل المقتصد، فقوله: " إلا آكلة الخضر " وذلك أن الخضر ليس من أحرار البقول وجيدها التي ينبتها الربيع بتوالي أمطاره فتحسن وتنعم، ولكنه من التي ترعها المواشي بعد هيج البقول ويبسها، حيث لا تجد سواها، وتسميها العرب: الجنبة، فلا ترى الماشية تكثر من آكلها ولا تستمرئها، فضرب آكلة الخضر من المواشي مثلا لمن يقتصر في أخذ الدنيا وجمعها، ولا يحمله الحرص على أخذها بغير حقها، فهو ينجو من وبالها، كما نجت آكلة الخضر. ألا تراه قال: " أكلت، حتى إذا مدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس، فثلطت وبالت ". أراد أنها شبعت منها بركت مستقبلة عين الشمس، تستمرئ بذلك ما أكلت، وتجتر وتثلط، فإذا ثلطت فقد زال عنها الحبط، وإنما تحبط الماشية لأنها تمتلئ بطونها ولا تثلط ولا تبول، فيعرض لها المرض فتهلك ".

أخي المسلم: كان النبي ﷺ يتخوف على أمته من فتح الدنيا عليهم، فيخاف الافتتان بها.

- فعن عمرو بن عوف: أن النبي ﷺ قال للأنصار لما جاءه مال من البحرين: **«أبشروا وأملوا ما يسركم ، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم»**.

- وكان آخر خطبة خطبها على المنبر حذر فيها من زهرة الدنيا. فعن عقبة بن عامر أن النبي ﷺ صعد المنبر، فقال: **«إني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدى ، ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها فتقتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم»**. قال عقبة: فكان آخر ما رأيت رسول الله ﷺ على المنبر.

- وعن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: **«إذا فتحت عليكم خزائن فارس والروم ، أي قوم أنتم؟»**. فقال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله عز وجل. فقال رسول الله ﷺ : **«أو غير ذلك تتنافسون ، ثم تتحاسدون ، ثم تتدابرون ، ثم تتباغضون»**.

- وعن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لا تفتح الدنيا على أحد إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة»**. قال عمر: " وأنا أشفق من ذلك ". وعن أبي ذر رضي الله عنه: أن أعرابياً قال: يا رسول الله! أكلتنا الضبع، يعنى السنة والجدب فقال النبي ﷺ : **«غير ذلك أخوف مني عليكم حين تصب عليكم الدنيا صباً ، فليت أمتي لا يلبسون الذهب»**.

- وقال رسول الله ﷺ : **«ولكل أمة فتنة ، وإن فتنة أمتي المال»**.

شرح الحديث: وقوله ﷺ : **«إن أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض»**، ثم فسره بزهرة الدنيا ومراده: ما يفتح على أمته منها من ملك فارس والروم وغيرهم من الكفار الذين ورثت هذه الأمة ديارهم وأموالهم وأراضيهم التي تخرج منها زروعهم وثمارهم وأنهارهم ومعادنهم، وغير ذلك مما يخرج من بركات الأرض، وهذا من أعظم المعجزات، وهو إخباره بظهور أمته على كنوز فارس والروم وأموالهم وديارهم. ووقع على ما أخبر به، ولكنه سمي ذلك " بركات الأرض " وأخبر أنه " أخوف ما يخاف عليهم " أشكل ذلك على بعض من سمعه حيث سماه بركة، ثم خاف منه أشد الخوف، فإن البركة إنما هي خير ورحمة.

وقد سمي الله تعالى المال خيرا في مواضع كثيرة من القرآن: فقال:**{وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ}**. وقال:**{إِن تَرَكَ خَيْراً الوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ}**. وقال تعالى عن سليمان علية السلام:**{إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي}**.

- فلما سأله السائل: هل يأتي الخير بالشر؟ صمت النبي ﷺ حتى ظنوا أنه أوحي إليه، والظاهر أن الأمر كان كذلك، ويدل عليه أنه ورد في رواية لمسلم في هذا الحديث:

- " فأفاق يمسح عنه الرحضاء " وهو العرق، وكان النبي ﷺ إذا أوحى إليه يتحدر منه مثل الجمان من العروق من شدة الوحي وثقله عليه، وفى هذا دليل على أنه ﷺ كان إذا سئل عن شيء لم يكن أوحى إليه فيه شيء انتظر الوحي فيه، ولم يتكلم فيه بشيء حتى يوحى إليه فيه، فلما نزل عليه جواب ما سئل عنه، قال: **«أين السائل؟»**. قال: ها أنا. قال: **«إن الخير لا يأتي إلا بالخير»**. وفي رواية لمسلم، فقال: **«أو خير هو»**. وفي ذلك دليل على أن المال ليس بخير على الإطلاق، بل منه خير ومنه شر. ثم ضرب مثل المال ومثل من يأخذه بحقه ويصرفه في حقه، ومن يأخذه من غير حقه ويصرفه في غير حقه، فالمال في حق الأول خير، وفي الثاني شر فتبين بهذا أن المال ليس بخير مطلق، بل هو خير مقيد، فإن استعان به المؤمن على ما ينفعه في آخرته كان خيراً له، وإلا كان شرا له.

فأما المال، فقال: **«إنه خضرة حلوة»** وقد وصف المال والدنيا بهذا الوصف في أحاديث كثيرة: ففي " الصحيحين " عن حكيم بن حزام، أنه سأل النبي ﷺ فأعطاه، ثم سأله فأعطاه، ثم سأله، فقال له النبي ﷺ : **«يا حكيم! إن هذا المال خضرة حلوة ، فمن بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع»**.

عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إن الدنيا خضرة حلوة ، وإن الله مستخلفكم فيها ، فناظر كيف تعلمون ، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»**. واستخلافهم فيها هو ما أورثهم الله منها مما كان في أيدي الأمم من قبلهم كفارس والروم، وحذرهم من فتنه الدنيا، وفتنه النساء خصوصاً، فإن النساء أول ما ذكره الله تعالى من شهوات الدنيا ومتاعها في قوله تعالى:

{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}[(١)].

وعن عمرة بنت الحارث رضي الله عنه قالت: قال رسول الله ﷺ : **«الدنيا حلوة خضرة ، فمن أخذها بحقها بارك الله له فيها ، ورب متخوض في مال الله ورسوله له النار يوم القيامة»**. وفي المعنى أحاديث أخر.

وقوله ﷺ : **«إن مما ينبت الربيع يقتل حبطا ، "إلا آكلة الخضر "»**، مثل آخر ضربه النبي ﷺ لزهرة الدنيا وبهجة منظرها نعيمها وحلاوته في النفوس، فمثله كمثل نبات الربيع، وهو المرعى الخضر الذي ينبت في زمان الربيع، فإنه يعجب الدواب التي ترعى فيه وتستطيبه وتكثر من الأكل منه أكثر من قدر حاجتها، لاستحلائها له، فإما أن يقتلها فتهلك وتموت حبطاً، والحبط: انتفاخ البطن من كثرة الأول، أو يقارب قتلها ويلم به، فتمرض منه مرضا مخوفا مقاربا للموت.

فهذا مثل من يأخذ من الدنيا بشره وجوع نفس من حيث لاحت له، لا بقليل يقنع، ولا بكثير يشبع، ولا يحلل ولا يحرم، بل الحلال عنده ما يحل بيده وقدر عليه، والحرام عنده ما منع منه وعجز عنه. فهذا هو المتخوض في مال الله ورسوله فيما شاءت نفسه، وليس له إلا النار يوم القيامة والمراد بمال الله ومال رسوله الأموال التي يجب على ولاة الأمور حفظها وصفها في طاعة الله ورسوله من أموال الفيء والغنائم ويتبع ذلك مال الخراج والجزية، وكذلك أموال الصدقات التي تصرف للفقراء والمساكين، كمال الزكاة والوقف ونحو ذلك وفي هذا تنبيه على أن من تخوض من الدنيا في الأموال المحرم أكلها، كمال الربا، ومال الأتيام الذي من أكله أكل نارا، والمغصوب، والسرقة، والغش في البيوع، والخداع المكر وجحد الأمانات والدعاوى الباطلة، ونحوها من الحيل المحرمة، أولى أن يتخوض صاحبها في نار جهنم غدا. فكل هذه الأموال وما أشبهها يتوسع بها أهلها في الدنيا ويتلذذون بها، ويتوصلون بها إلى لذات الدنيا وشهواتها، ثم ينقلب ذلك بعد موتهم فيصير جمراً من جمر جهنم في بطونهم، فما تفي لذتها بتبعتها، فلهذا شبه النبي ﷺ من يأخذ الدنيا بغير حقها، ويضعها في غير حقها، بالبهائم الراعية من خضراء الربيع حتى تنتفخ بطونها من أكله، فإما أن يقتلها، وإما أن يقارب قتلها. فكذلك من أخذ الدنيا من غير حقها ووضعها في غير وجهها، إما أن يقتله ذلك فيموت به

---

(١) صحيح مسلم.

قلبه ودينه، وهو من مات على ذلك من غير توبة منه وإصلاح حال فيستحق النار بعمله، قال الله تعالى:**{وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ}**. وهذا هو الميت حقيقة، فإن الميت من مات قلبه، كما قيل: أما أن يقارب موته ثم يعافى، وهو من أفاق من هذه السكرة وتاب، وأصلح عمله قبل موته.

وأما استثنائه ﷺ من ذلك: **«أكلة الخضر»** فمراده بذلك مثل المقتصد الذي يأخذ من الدنيا بحقها مقدار حاجته، فإذا نفد واحتاج عاد إلى الأخذ منها قدر الحاجة بحقه.

وأكلة الخضر: دويبة تأكل من الخضر بقدر حاجتها إذا احتاجت إلى الأكل، ثم تصرفه فتستقبل عين الشمس، فتصرف بذلك ما في بطنها وتخرج منه ما يؤذيها من الفضلات.

وقد قيل: إن الخضر ليس من نبات الربيع عند العرب، إنما هو من كلأ الصيف بعد يبس العشب وهيجه واصفراره، والماشية من الإبل لا تستكثر منه، بل تأخذ منه قليلا قليلا، ولا تحبط بطونها منه. فهذا مثل المؤمن المقتصد من الدنيا، يأخذ من حلالها وهو قليل بالنسبة إلى حرامها، قد بلغته وحاجته، ويجتزئ من متاعها بأدونه وأخشنه، ثم لا يعود إلى الأخذ منها إلا إذا نفد ما عنده وخرجت فضلات، فلا يوجب له هذا الأخذ ضرارا ولا مراضا ولا هلاكا، بل يكون ذلك بلاغاً له، ويتبلغ به مدة حياته، ويعينه على التزود لأخرته. وفي هذا إشارة إلى مدح من أخذ من حلال الدنيا بقدر بلغته مقنع بذلك، كما قال ﷺ : **«قد أفلح من هداه الله إلى الإسلام ، وإذا كان عيشه كفافا فقنع به»**.

وعن سعيد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«خير الذكر الخفي ، وخير الرزق أو العيش ما يكفي»**.

ثم قال ﷺ : **«إن هذا المال خضرة حلوة»** فأعاد مرة ثانية تحذيراً من الاغترار به، فخضرته بهجة منظره، وحلاوته طيب طعمه، فلذلك تشتهيه النفوس وتسارع إلى طلبه، ولكن لو فكرت في عواقبه لهربت منه. الدنيا في الحال حلوة خضرة، وفي المال مرة كدرة، نعمة المرضعة، وبئست الفاطمة!. الذي بشر أمته بفتح الدنيا عليهم حذرهم من الاغترار بزهوتها، وخوفهم من خضرتها وحلاوتها، وأخبرهم بخرابها وفنائها، وأن بين أيديهم دارا لا تنقطع خضرتها وحلاوتها، فمن وقف مع زهرة هذه العاجلة أنقطع وهلك، ومن لم يقف معها وسار إلى تلك الأجلة، وصل ونجا وفي " المسند " عن ابن عباس رضي الله عنه: إن النبي ﷺ أتاه فيما يرى النائم ملكان، فقعد أحدهما عند رأسه، والأخر عند رجليه، فقال أحدهما للأخر: أضرب له مثلا، فقال: إن مثله ومثل أمته كمثل قوم

سفر انتهوا إلى رأس مفازة، فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة، ولا يرجعون به، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل في حلة حبرة، فقال: أرأيتم إن وردت بكم رياضاً معشبة وحياضا رواء، أتتبعوني؟ قالوا: نعم، قال: فانطلق بهم فأوردهم رياضا معشبة، وحياضا رواء، فأكلوا وشربوا وسمنوا، فقال لهم: آلم ألقكم على تلك الحال فجعلتم لي إن وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواء اتتبعوني؟ قالوا: بلى. قال: فإن بين أيديكم رياضا هي أعشب من هذه، وحياضا هي أروى من هذه، فاتبعوني. قال: فقالت طائفة: صدق والله، لنتبعه. وقالت طائفة: قد رضينا بهذا نقيم عليه ".

موعظة:

" الدنيا خضراء الدمن. ومعنى ذلك أن خضرتها على مزيلة منتنة. يا دنى الهمة، قنعت بروضة على مزبلة، والملك يدعوك إلى فردوسه الأعلى، "أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الدنيا في الآخرة إلا قليل ". أرضيتم بخرابات البلى من الفردوس؟ يا لها صفقة غبن ما أخسرها! أتقنع بخسائس الحشائش والرياض معشبة بين يديك؟ ".

وقولـه ﷺ : **«من أخذه بحقه ووضعه في حقه ، فنعم المعونة هو ، ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع»** تقسيم لمن جمع المال إلى قسمين:

فأحدهما: يشبه حال آكلة الخضر، وهو من أخذه بحقه ووضعه في حقه، وذكر أنه نعم المعونة هو، فإنه نعم العون لمن هذه صفته على الآخرة، كما في حديث عمرو ابن العاص عن النبي ﷺ قال: **«نعم المال الصالح للرجل الصالح»**، وهو الذي يأخذه بحقه ويضعه في حقه فهذا يوصله ماله إلى الله عز وجل، فمن أخذ من المال بحقه ما يقويه على طاعة الله، ويستعين به عليها، كان أخذه طاعة، ونفقته طاعة. وفي الحديث " الصحيح " عن النبي ﷺ قال: **«إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها ، حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك»**.

وفي حديث آخر: **«ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة ، وما أطعمت أهلك فهو لك صدقة ، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة ، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة»** فما أخذ من الدنيا بنية التقوى على طلب الآخرة فهو داخل فيقسم إرادة الآخرة والسعي لها في إرادة الدنيا والسعي لها. قال الحسن: " ليس من حب الدنيا طلبك ما يصلك فيها، ومن زهدك فيها ترك الحاجة يسدها عنك تركها. ومن أحب الدنيا وسرته ذهب خوف الآخرة من قلبه ". وقال سعيد بن جبير - رحمه الله تعالى -: " متاع الغرور ما يلهيك عن طلب الآخرة، وما لم يلهك فليس بمتاع الغرور، ولكنه بلاغ إلى ما هو خير منه ".

وقال أبو سليمان - رحمه الله تعالى -: " الدنيا حجاب عن الله لأعدائه، وطية موصلة إليه لأوليائه، فسبحان من جعل شيئا واحدا سببا للاتصال به والانقطاع عنه ".

والقسم الثاني: يشبه حاله حال البهائم التي ترعى مما ينبت الربيع، فيقتلها حبطا أو يلم، وهو من يأخذ المال بغير حقه، فيأخذه من الوجوه المحرمة، فلا يقنع منه بقليل ولا بكثير، ولا تشبع نفسه منه، ولهذا قال: " وكان كالذي يأكل ولا يشبع ". وكان النبي ﷺ يتعوذ من نفس لا تشبع. وفي حديث زيد بن ثابت، عن النبي ﷺ قال: **«من كانت الدنيا همه ، فرق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له»**. فمن كان فقره بين عينيه لم يزل خائفاً من الفقر، لا يستغني قلبه بشيء، ولا يشبع من الدنيا، فإن الغني غني القلب، والفقر فقر النفس.

وعن عيسى عليه السلام قال: " مثل طالب الدنيا كشارب البحر، كلما زاد شربا منه زاد عطشا حتى يقتله " وقال يحيى بن معاذ - رحمه الله تعالى -: " من كان غناه في قلبه لم يزل غنياً، ومن كان غناه في كسبه لم يزل فقيراً، ومن قصد المخلوقين لحوائجه لم يزل محروما ". ويشهد لذلك الحديث الصحيح، عن النبي ﷺ : **«لو كان لا بن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ، ولا يملا جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب»**. لو فكر الطامع في عاقبة الدنيا لقنع، ولو تذكر الجائع إلى فضول مالها لشبع.

وقد ضرب الله تعالى في كتابه مثل الدنيا وخضرتها ونضرتها وبهجتها وسرعة تقلبها وزوالها، وجعل مثلها كمثل نبات الأرض النابت من مطر السماء في تقلب أحواله وماله. قال الله تعالى:**{وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً}**.

وقال تعالى:**{اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَراً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ}**.

فالدنيا وجميع ما فيها من الخضر والبهجة والنضر تقلب أحواله وتتبدل، ثم تصير حطاما يابسا.

وقد عدد الله سبحانه زينة الدنيا ومتاعها المبهج في قوله تعالى:**{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ المُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ المُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ المَآبِ}**.

وهذا كله يصير ترابا، ما خلا الذهب والفضة، ولا ينتفع بأعيانهما، بل هما قيم الأشياء، فلا ينتفع صاحبهما بإمساكهما، وإنما ينتفع بإنفاقهما، ولهذا قال الحسن: " بئس الرفيق الدرهم والدينار، لا ينفعانك حتى يفارقانك ".

وأجسام بني آدم، بل وسائر الحيوانات، كنبات الأرض تتقلب من حال إلى حال، ثم تجف وتصير ترابا، قال تعالى:**{وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتاً * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً}**.

فينتقل ابن آدم من الشباب إلى الهرم، ومن الصحة إلى السقم، ومن الوجود إلى العدم، ثم إذا شاء الذي أنشأ أعاده كما بدأه.

وقد يدرك الزرع آفة قبل بلوغ حصاد فيهلك، كما أشير إليه في قوله تعالى:**{حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ}**.

قال ميمون بن مهران لجلسائه: يا معشر الشيوخ! ما ينتظر بالزرع إذا ابيض؟

قالوا: الحصاد.

فنظر إلى الشباب، فقال: يا معشر الشباب! إن الزرع قد تدركه الآفة قبل أن يستحصد.

وقال بعضهم: أكثر من يموت الشباب، وآية ذلك أن الشيوخ في الناس قليل.

أيا ابن آدم لا تغررك عافية ::: عليك صافية فالعمر معدود

ما أنت إلا كزرع عند خضرته ::: بكل شيء من الآفات مقصود

فإن سلمت من الآفات أجمعها ::: فأنت عند كمال الأمر محصود

كل ما في الدنيا فهو مذكر بالآخرة، ودليل عليه، فنبات الأرض واخضرارها بعد كونها خشبا يابسا يدل على بعث الموتى من الأرض، وقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه في مواضع كثيرة.

قال الله تعالى:**{وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي المَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي القُبُورِ}**.

وقال الله تعالى:**{وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ * رِزْقاً لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ الخُرُوجُ}**.

وقال أبو رزين للنبي ﷺ : كيف يحيي الله الموتى؟ وما الآية ذلك في خلقه؟ قال: **«هل مررت بواد أهلك محلا ، ثم مررت به يهتز خضرا؟»** قال: نعم. قال: **«كذلك يخرج الله الموتى ، وذلك آيته في خلقه»**.

وقصر مدة الزرع والثمار وعود الأرض بعد ذلك إلى يبسها، والشجر إلى حالها الأول، كعود ابن آدم بعد كونه حيا إلى التراب الذي خلق منه.

وفصول السنة تذكر بالآخرة، فشدة حر الصيف يذكر بحر جهنم، وهو من سمومها، وشدة برد الشتاء يذكر بزمهرير جهنم وهو من زمهريرها، والخريف يكمل فيه اجتناء الثمرات التي تبقى وتدخر في البيوت، فهو منبه على اجتناء ثمرات الأعمال في الآخرة، وأما الربيع فهو أطيب فصول السنة، وهو يذكر بنعم الجنة وطيب عيشها، فينبغي أن يحث المؤمن على الاستعداد لطلب الجنة بالأعمال الصالحة.

كان بعض السلف يخرج في أيام الرياحين والفواكه إلى السوق، فيقف وينظر ويعتبر، ويسأل الله الجنة.

ومر سعيد بن جبير بشباب من أبناء الملوك جلوس في مجالسهم في زينتهم، فسلموا عليه، فلما زال عنهم بكى واشتد بكاؤه، وقال: ذكرني هؤلاء بشباب أهل الجنة.

تزوج " صلة بن أشيم " بمعاذة العدوية، وكانا من كبار الصالحين فأدخله ابن أخيه الحمام، ثم أدخله على زوجته في بيت مطيب منجد، فقاما يصليان إلى الصباح، فسأله ابن أخيه عن حاله، فقال: أدخلتني بالأمس بيتا ذكرتني به الجنة، فلم يزل فكري في الجنة والنار إلى الصباح.

سبحان من سبحت المخلوقات بحمده، فملأ الأكوان تحميده، وأفصحت الكائنات بالشهادة بوحدانيته، فوضح توحيده واعجبا للمتقلب بين مشاهدة حكمه وتناول نعمه، ثم لا يشكر نعمه ولا يبصر حكمه [١].

وقفة مع: صور ومواقف من ورع الصالحين:

وعلى السطور القادمة..

نقدم نماذج مضيئة من حياة الصالحين وورعهم:

---

(١) من كتاب: وصايا الرسول تأليف: سعد يوسف عبد العزيز.

محمد بن سيرين صاحب الضمير اليقظ قال الذهبي: " وقد وقف على ابن سيرين دين كثير من أجل زيت كثير أراقه، لكونه وجد في بعض الظروف فأرة!! ".

أبو بكر الثقفي.. صحابي جليل:

عن الحكم بن الأعرج، قال: " جلب رجل خشبا، فطلبه زياد - أمير البصرة - فأبي أن يبيعه، فغصبه إياه، وبنى صفة مسجد البصرة. قال: فلم يصل أبو بكر فيها حتى قلعت!! " قال يا رجال.. إلى هذا الحد تخالفون؟! ولم لا؟! ألستم أصحاب رسول الله؟! قال طاووس: " مثل الإسلام كمثل شجرة، فأصلها الشهادة، وساقها كذا وكذا، وورقها كذا - شيء سماه - وثمرها الورع، لا خير في شجرة لا ثمر لها، ولا خير في إنسان لا ورع فيه ".

كهمس: العابد الورع:

قال الذهبي: " قيل: أن كهمسا سقط منه دينار، ففتش، فلقيه، فلم يأخذه، وقال: لعله غيره!! ".

مجمع التيمي: آية في الورع:

قال سفيان بن مسعر: " جاء مجمع التيمى بشاة يبيعها، فقال: إني أحسب أو أظن في لبنها ملوحة ". هكذا كانوا يتعاملون.. استقامت قلوبهم فقومت جوارحهم.

قال سيفان - رحمه الله تعالى -: " عليك بالزهد يبصرك الله عورات الدنيا، وعليك بالورع يخفف الله حسابك، ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك، وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك ".

هذه بعض أحوال الصالحين في "الورع ".. كانوا يعلمون أن الدينار والدرهم أزمة المنافقين، بها يقادون إلى السوءات. وكانوا يعرفون أن أبناء الدنيا يرضعونها، لا ينفطمون عن رضاعها فأخذوا حذرهم منها.. وتركوها قبل أن تتركهم. فكن أخا الإسلام على طريق القوم.. وبهداهم اقتده. عن جندب بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ : **«من استطاع منكم ألا يجعل في بطنه إلا طيبا فليفعل ، فإن أول ما يبين من الإنسان بطنه»**.

* * * * *

المبحث الثاني:
التحذير من الغلو في الدين

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته: (القط لي حصى). فلقطت له سبع حصيات هن حصى الحذف، فجعل ينفضهن في كفة في كفة ويقول: (أمثال هؤلاء فارموا، وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين).

أخي المسلم: الغلو في الدين آفة قديمة في جميع الأمم السابقة، وقد كانت هذه الآفة الخطيرة سببا لهلاكها كما قال ﷺ : «**فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**». من أجل ذلك جاءت الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية محذرة من هذه الآفة.. ومبينة ما يترتب على الغلو من أضرار..

فمن الآيات:

قولة تعالى:**{يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الحَقَّ}**.

قال تعلى:**{قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ}**.

وجاء في (صحيح البخاري)[١] قال الحافظ ابن حجر: (التعميق - فهو بالمهمة وبتشديد الميم ثم قاف - ومعنا التشديد في الأمر حتى يتجاوز الحد فيه).

وقال: (وأما الغلو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد، وفيه معنى التعمق).

وقال تعالى:**{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً}**.

قال الإمام ابن الجوزي - رحمه الله - في تفسيره لهذه الآية: (وأصل ذلك أن خير الأشياء أوسطها، والغلو والتقصير مذموما، وذكر ابن جرير الطبري أنه من التوسط في الفعل، فإن المسلمين لم يقصروا في دينهم كاليهود، فإنهم قتلوا الأنبياء وبدلوا كتاب الله، ولم يغلوا كالنصارى، فإنهم زعموا أن عيسى ابن الله**!!**)

ومن الأحاديث:

---

(١) (كتاب الاعتصام بالسنة): (باب ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين والبدع)، لقوله تعالى:**{ }**.

فالأحاديث التي حذرت من الغلو ونهت عنه كثيرة، منها:

قولــه ﷺ : **«هلك المتنطعون»** قالهـا ثلاثـا. قـال الإمـام النـووي - رحمـه الله - فـي الشـرح الحـديث: (المتنطعـون): أي المتعمقـون الغـالون المجـاوزون الحـدود فـي أقـوالهم وأفعالهم.

وروى البخاري وغيره عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جـاء ثلاثـة رهط إلـى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها وقـالوا: أيـن نحن من النبي ﷺ وقد غفر لـه ما تقدم من ذنبه وما تأخر!.

قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا.

وقال الأخر: وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر.

وقال الأخر: وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا!!.

فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: **«أنتم الذين قتلهم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم لـه لكنى أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس منى».**

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت على (خويلة بنت حكيم بن أمية بن حارثـة ابن الأوقص السلمية) وكانت عند (عثمان بن مظعون)، قالت: فرأى رسول الله ﷺ بذاذة هيئتها، فقال لي: **«يا عائشة ما أبذ هيئة خويلة!».**

قلت: فقلت يا رسول الله امرأة لها زوج يصوم النهار ويقوم الليل، فهي كمن لا زوج لها، فتركت نفسها وأضاعتها.

قلت: فبعث رسول الله ﷺ إلـى (عثمـان بـن مظعـون)، فجـاءه فقـال: **«يا عثمان أرغبه عن سنتي؟».** فقال: لا والله يا رسول الله، ولكن سنتك أطلب.

قـال: **«فإني أنام وأصلي ، وأصوم وأفطر ، وأنكح النساء ، فاتق الله يا عثمان ، فإن لأهلك عليك حقا ، وإن لضيفك عليك حقا ، وإن لنفسك عليك حقا ، فصم وأفطر وصل ونم».**

وفـي روايـة: **«يا عثمان إن الرهبانية لم تكتب علينا ، أفمالك في أسوة؟ فوالله إني أخشاكم لله وأحفظكم لحدوده».**

وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن مما أتخوف عليكم رجل أقرن حتى إذا رؤيت بهجته عليه وكان رداؤه الإسلام اعتراه إلى ما شاء الله انسلخ**

منه ونبذه وراء ظهره وسعى على جاره بالسيف ورماه بالشرك». قال: قلت: يا نبي الله أيهما أولى بالشرك المرمي أو الرامي؟ قال: **«بل الرامي»**.

وعن جابر بن عبد الله، قال: كان رسول الله ﷺ بالجعرانة "موضع قرب مكة وهو يقسم التبر " الذهب والفضة قبل أن يصاغ" والغنائم، وهو في حجر بلال، فقال رجل: اعدل يا محمد! فإنك لم تعدل!!!. فقال: **«ويلك ومن يعدل بعدي إذا لم أعدل؟»**. فقال عمر: دعني يا رسول الله حتى أضرب عنق هذا المنافق. فقال رسول الله ﷺ : **«إن هذا في أصحاب – أو أصيحاب – له يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»**.

من مظاهر الغلو في هذا العصر:

- تكفير المجتمع على العموم، حتى وصل الأمر ببعضهم أنهم كفروا من لا يوافقهم على آرائهم!!.
- وهناك من يتوقف في الناس فلا يحكم عليهم بشيء حتى يتحقق من صحة عقيدتهم.
- وهناك من يحرم الصلاة في مساجد المسلمين، وبعضهم يقول: لا نصلي إلا وراء من نعرف عقيدته!!.
- الدعوة إلي العنف والخروج على المسلمين بالسلاح، وقتل الأبرياء وإثارة الفتن والقلاقل وعدم مراعاة حرمة دماء المسلمين.
- يزعم بعضهم أن جماعتهم الوحيدة المسلمة في العالم!!.
- رفض إجماع الأمة، والطعن في أئمة الدين وانتقاص حقهم.
- التشدد في الفرعيات: وهذا يقع فيه كثير من الدعاة. وهو التزامهم التشدد في كل الأمور، وكأن الأحكام الشرعية عند هؤلاء أصبحت حكمين، الحرام والواجب، مع إن الأحكام الشرعية تنقسم إلى خمسة أقسام معروفة، والشريعة الغراء مبنية على التيسير والتخفيف ورفع الحرب.

قال تعالى:**{يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}**. ويا ليت هؤلاء أعذروا من خالفهم في هذه المسائل الفرعية، وأحسنوا الظن بهم ووسعوا صدورهم لقبول الاختلاف في الرأي والاجتهاد، ليتهم سلكوا هذا المسلك، لهان الخطب حينئذ، ولكن الواحد منهم يرى ما يتبناه من أمور اجتهادية بمنزلة وحي السماء، وكل مخالف لها هالك أو ضال أو

زائغ أو مبتدع أو متبع لهواه... إلخ. إلى غير ذلك من مظاهر الغلو التي كان سببا في نفور الناس من التدين.

أسباب الغلو:

والغلو في الدين لـه عدة أسباب، منها:

أولاً : قلة التفقه في الدين:

" تجرأ بعض الناس على إصدار الأحكام - خاصة في الأمر العقدية - من خلال نظرتهم غير المتعمقة في بعض الآيات القرآنية، أو الأحاديث النبوية دون علم ببقية النصوص المتصلة بمناط الاستشهاد، أو أخذهم بالمتشابهات وترك المحكمات، أو بالجزئيات مع إغفال القواعد الكلية، مع أن الواجب على كل من يتصدر للفتوى خاصة في الناحية العقدية أن يكون محيطاً بالتأويل وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والأساليب اللغوية المختلفة مما يجعلنا نوصي على طلب العلم، ونؤكد على أهمية الحرص على التفقه في الدين والالتزام للتخصص الدقيق وقت الحاجة الضرورية فالعامل على غير علم قد يفسد أكثر مما يصلح، والأخذ بظواهر النصوص في كل حال كان من أهم الأسباب التي أوجدت الفرقة بين كثير من المسلمين".

قال الحسن البصري – رحمه الله:

" العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم، ما يفسد أكثر مما يصلح فطلبوا العلم طلباً لا يضر بالعبادة، واطلبوا العبادة طلباً لا يضر بالعلم، فإن قوما طلبوا العبادة وتركوا العلم، حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد ﷺ ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوه ".

وفي ضوء ما سبق ندرك لماذا شدد الفقهاء علي التأني في الفتوى والتمهل في الحكم، فقد كان " عمر بن الخطاب" رضي الله عنه وهو من هو، لو عرضت عليه مسألة يجمع لها أهل بدر. فليتقى الله أقوام - في هذا العصر - يتجرءون على الفتوى: وتسورون أسوار النصوص بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. حتى يقول قائلهم: " إن الأفغان أشد خطرا من الشيوعيين لأن الأفغان أحناف وهم يقرءون خلف الأمام في الصلاة!!. ألم يعلم هؤلاء إن صحابة رسول ﷺ اختلفوا فيما بينهم في أمور ومسائل، ولم يحل ذلك بينهم وبين التحاب والتناصر وجهاد الخصوم الحقيقيين للإسلام والمسلمين معاً؟!!.

ثانياً: الاستعلاء علي الغير بالعبادة:

قد يتخذ بعض الناس من عبادته سبباً للاستعلاء على غيره، وينظر إليهم نظرة فيها شيء من السخرية والتحقير، ظننا منه أن العلماء تهاونوا في موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يدري - المسكين - أن جمهرة العلماء قرروا أن السكوت على المنكر مخافة الوقوع في منكر أكبر منه واجب تطبيقاً لقاعدة: " ارتكاب أخف الضررين واجب ".

قال الشيخ ابن باز - رحمه الله تعالى: " شاع في هذا العصر أن كثيرا من المنتسبين إلى العلم والدعوة إلى الخير يقعون في أعراض كثير من إخوانهم الدعاة المشهورين ويتكلمون في أعراض طلبة العلم والدعاة والمحاضرين يفعلون ذلك سرا في مجالسهم، وربما، سجلوه في أشرطة تنشر على الناس، وقد يفعلونه علانية في محاضرات عامة في المساجد، وهذا المسلك مخالف لما أمر الله به رسوله من جهات عديدة ". **منها ما يلي**:

- إنه تعد على خاصة المسلمين وهم الدعاة الذين بذلوا وسعهم في توعية الناس وأرشادهم للطريق المستقيم وتصحيح عقائدهم ومناهجهم.
- إنه تفريق لوحدة المسلمين، وتمزيق لصفوفهم، وهم أحوج ما يكونون إلى الوحدة.
- إن هذا العمل فيه مصلحة لأعداء الإسلام الذين لاهم لهم إلا الوقيعة بين علماء الأمة.
- إن فيه إفسادا لقلوب العامة والخاصة وترويجا لأكاذيب والإشاعات الباطلة كما إن فيه سبباً كبيراً للغيبة والنميمة، وفتح أبواب الشر لضعاف النفوس.
- إن معظم ما قيل لا حقيقة له، وبعض الظن إثم، وعلى المؤمن أن يحمل كلام أخيه على محمل حسن. يقول بعض السلف: (لا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوءا وأنت تجد لها في الخير محملا).
- والمسائل الاجتهادية التي يسوغ فيها الاجتهاد، لا يؤاخذ عليها ما دام المتحدث فيها أهلا للاجتهاد، والأجدر بمن يجادله أن يجادله بالتي هي أحسن حرصاً على الوصول إلى الحق من أقرب طريق، ولا داعي للتهجم والتجريح والشطط في القول، الذي ربما يدعو لرد الحق والإعراض عنه. وأخيرا نصح الشيخ ابن باز

هؤلاء بالرجوع إلى دعاة الحق، وطلبة العلم، إذا أشكل عليهم أمر ليبينوا لهم حقيقته".

ثالثاً: فقدان الثقة في بعض العلماء:

لقد كان لبعض العلماء موقف من الحكام والحكم يتسم بالسلبية، ومهما كانت الأسباب التي كانت وراء هذه السلبية: فقد كان لها رد فعل على الشباب أدى إلى عدم الثقة في أقوالهم فأخذ بعض الشباب يتجه إلى القرآن والسنة ليستقى منهما الأحكام مع عدم حصولهم على المؤهلات التي تؤهلهم للاجتهاد، فوقعوا في مثل هذه الأخطاء. وعلاج هذا الخلل يتم بسد تلك الفجوة، ومد جسور المودة بين الشباب المتدين والعلماء العاملين.

رابعاً: الاقتصار على القراءة في كتب معينة دون غيرها:

مما يؤدى إلي التعصب الذي يعمى ويصم، مع أن كل إنسان يؤخذ من قولة ويرد إلا المعصوم ﷺ. والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها.. فيجب على المسلم أن يقرأ لجميع علماء الأمة حتى يستبين له الرأي والرأي الآخر، ثم يتبع الرأي الذي يشهد له الدليل، هذا هو الأنصاف.

خامساً: منع حرية التدين:

منع حرية التدين، من الأسباب الرئيسية في انتشار الغلو والتطرف، لأن الناس فيهم تدين بالفطرة، حتى الفاسق منهم لا يرضى المساس بحرمة الدين. إن هذا المنع يتخذ طرقا ووسائل مختلفة، فاستعمال وسائل الإرهاب المختلفة والضغوط النفسية على الشباب المسلم، من أكبر أسباب انتشار الغلو، إن الغلو يعشش وينمو في مثل هذه الأجواء "المشحونة" ومن تتبع نشأة بعض الفرق المغالية في هذا العصر يعلم ذلك.

إن الفكرة لا تقاوم إلا بالفكرة، واستخدام العنف وحده في مقاومتها قد لا يزيدها إلا توسعا، ولا يزيد أصحابها إلا إصرارا عليها. إنما تعالج بالإقناع والبيان إقامة الحجة وإزاحة الشبهات.

سادساً: اتباع الهوى:

فاتباع الهوى يصد عن الحق.. ويعمى ويصم.. قال تعالى:**{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ}**.

قال عكرمة: أفرأيت من جعل إلهه الذي يعبده ما يهواه أو يستحسنه، فإذا استحسن شيئاً وهويه اتخذه إلها.

وقال الحسن بن الفضل: في هذه الآية تقديم وتأخير، مجازة: أفرأيت من اتخذ هواه إلهه.

وقال الشعبي: إنما سمي الهوى هوى لأنه يهوي بصاحبه في النار.

وقال ابن عباس: ما ذكر الله هوى في القرآن إلا ذمه، قال تعالى:**{وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً}**.

وقال تعالى:**{بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ}**.

وقال تعالى:**{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ}**.

وقال تعالى:**{وَلاَ تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ}**.

وقد ذم النبي ﷺ اتباع في قوله: **«ثلاث مهلكات ، وثلاث منجيات ، فالمهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه ، والمنجيات: خشية الله في السر والعلانية ، والقصد في الغنى والفقر ، والعدل في الرضا والغضب»**.

وقال سهل بن عبد الله: " هواك داؤك، فإن خالفته فدواؤك ".

ولا بن الجوزي كتاب في " ذم الهوى " أفاد فيه وأجاد.

وبالجملة: ما عبد تحت السماء إله أبغض إلى الله من الهوى!

وفي الحديث: " لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به".

هذه بعض أسباب الغلو في الدين.

سابعاً: ذم التفريط:

واعلم أن الإسلام كما ذم الغلو، فقد ذم التفريط وإضاعة الفروض، وإهدار السنن باسم " الدين يسر "!!.

فيسر الإسلام لا يعنى التفريط في أوامره، وترك حدود، الله واقتحام محارمه. لقد زين الشيطان للناس اليوم أن المحافظة على أداء الصلوات.. والدعوة إلى تحكيم الشريعة، وإلزام المرأة بالحجاب تزمت وتطرف وتضييق!! وإن مخالفة أحكام الله، والعري، وترك الصلوات، والتعامل بالربا يسر ورفق!!... وصاغ الشيطان العقول على هذا الانحراف واتبعوه!!.

قال ابن القيم: " فما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وإضاعة. وإما إلى إفراط وغلو. ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين "

فاللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.

تذكر أمور حذر النبي ﷺ منها!!!:

حذر النبى ﷺ من:

- الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، واكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وسماهم السبع الموبقات.
- الغش لا يظهر إلا في مجتمع أصابه اعتلال في الضمير.. وضمور في الإيمان؟ وحقيق بمن هذا حاله أن يطرد من صفوف المؤمنين: **«من غشنا فليس منا»**. إنه إعلان حرب على الضمائر الفاسدة.. والنفوس العفنة.. التي لا تراقب ربها سرا ولا علانية. إنه تحذير لكل من تسول له نفسه الخبيثة غش المسلمين وخداعهم وأكل أموالهم بالباطل. فهل من عاقل؟!. "ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العلمين ". إن المكر والخديعة، والخيانة في النار!.
- الكذب: هو الكلام على خلاف الحقيقة، وهو: أصل الذي بني عليه النفاق!. وهو محرم بالكتاب والسنة وإجماع الأمة. هذا، والإسلام لاحترامه الشديد للحق، طارد الكذابين، وشدد عليهم بالنكير. عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب، ما اطلع على أحد من ذلك بشيء فيخرج من قلبه حتى يعلم أنه قد أحدث توبة).
- النميمة: هي نقل الحديث بين الناس على جهة الإفساد بينهم.. فالنمام يعمل جاسوسا لحساب الشيطان!!.
- فإذا كان الشيطان يريد أن يوقع العداوة والبغضاء بين المسلمين.. فصاحب النميمة ذراعه في ذلك.. وسهمه الصائب في هذا المضمار. فكم من دماء سفكت بسبب وشاية كاذبة!. وكم من بيوت انهارت وأرحام قطعت بسبب كلمة فاجرة غادرة. لذا فالنميمة عند الله أشد من قتل النفس!!. قال تعالى:**{وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ}**.

- سطر الأنبياء والصالحون مواقف مشهودة في يقظة الضمير، والاستعلاء على الشهوات والشبهات والدليل كما قرأنا عن يقين أطفال الصحابة في التوكل على الله وعفاف الصحابة وهمتهم والربط بين الأسباب والمسببات والتوكل على الله حق توكله وإلتزامهم بآداب الإسلام.
- كان آخر خطب النبى ﷺ على المنبر حذر فيها من زهرة الدنيا والتنافس والتحاسد والتدابر والتباغض فيها وبين فتنة أمته في المال وجمعه من حلال وحرام.
- فيا عاقلاً اعلم أن الدنيا خضراء الدمن. ومعنى ذلك أن خضرتها على مزيلة منتنة. يا دني الهمة، قنعت بروضة على مزبلة، والملك يدعوك إلى فردوسه الأعلى، "أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الدنيا في الآخرة إلا قليل ". أرضيتم بخرابات البلى من الفردوس؟ يا لها من صفقة غبن ما أخسرها**!** أتقنع بخسائس الحشائش والرياض معشبة بين يديك؟.
- الغلو في الدين آفة قديمة في جميع الأمم السابقة، وقد كانت هذه الآفة الخطيرة سببا لهلاكها كما قال ﷺ : **«فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»**. من أجل ذلك جاءت الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية محذرة من هذه الآفة.. ومبينة ما يترتب على الغلو من أضرار.. ومن مظاهر الغلو في هذا العصر:.
- تكفير المجتمع على العموم، حتى وصل الأمر ببعضهم أنهم كفروا من لا يوافقهم على أرائهم**!!**.
- وهناك من يتوقف في الناس فلا يحكم عليهم بشيء حتى يتحقق من صحة عقيدتهم.
- وهناك من يحرم الصلاة في مساجد المسلمين، وبعضهم يقول: لا نصلى إلا وراء من نعرف عقيدته**!!**.
- الدعوة إلي العنف والخروج على المسلمين بالسلاح، وقتل الأبرياء وإثارة الفتن والقلاقل وعدم مراعاة حرمة دماء المسلمين.
- يزعم بعضهم أن جماعتهم الوحيدة المسلمة في العالم**!**.

* * * * *

الباب الثالث:

التدافع لا الصراع

هـو فلسفـة الإسـلام

الفصل الأول:

الفتوحات الإسلامية نموذجاً للارتقاء الحضاري للإسلام

تاريخ الإسلام معروف، فإنه لم يؤذن للمسلمين بمقاتلة الكفار على الرغم مما ألحقوه بهم من الإيذاء والعنف الذي كان يصل إلى حدّ أن يُطرح الرجل على ظهره فى الصحراء وفي الحر الشديد ثم توضع على صدره وبطنه صخرة كبيرة تكاد عيناه تخرجان من ثقلها..

ويقال له في هذا العناء الذي هو فيه: إما أن تكفر بمحمد وإما أن نقتلك.

وكان الرسول محمد ﷺ يمر بهم ويقول لهم: «**صبرًا آل ياسر إن موعدكم الجنة**».

وبقي هذا الحال طوال العهد المكى (ثلاثة عشر عامًا قبل الهجرة).

فلما حدثت الهجرة إلى المدينة أُذن لهم بالقتال وذلك فى قوله تعالى:**{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ}** (١).

والتدافع المشار إليه حددته الآيات القرآنية فى قوله تعالى:**{وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ}** (٢).

وقوله تعالى:**{وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}** (٣).

ومفهوم الدّفع كما تتحدث عنه الآيات هو أن يقوم الصالحون بدفع الفاسدين من استمرار فسادهم ومنع الظالمين كذلك من استمرار ظلمهم للمستضعفين.

ومنع الظالمين والمفسدين هدف أخلاقي وحضاري يجعل استخدام القوة فيه ضرورة أخلاقية يكون القيام بها عملاً مجيدًا للإسلام لا عليه.

أكثر من هذا فى حساب الارتقاء الحضاري للإسلام أنه فى قوله تعالى:**{وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً..}**.

في هذه الآية يقر الإسلام أن استخدام القوة هنا إنما هو لحماية جميع بيوت العبادة لكل أديان السماء اليهودية والمسيحية والإسلام.

---

(١) الحج: ٣٩.

(٢) البقرة: ٢٥١.

(٣) الحج: ٤٠.

معنى هذا أن استخدام القوة في منظور الإسلام ليس للعدوان ولا لإرهاب الآخرين من أتباع الديانات الأخرى.

بل على النقيض من ذلك هو للدفاع عنهم وعن مقدساتهم وعن عقائدهم وهو ما لا يفعله الآخرون من اليهود والنصارى الذين يظلمون الإسلام بل لا يعترفون به.

الإسلام يعترف ويحترم أنبياء وأتباع الديانات السماوية ويعتبر اعتراف المسلم ببقية رسل الله شرطًا أساسيًا لصحة إسلام المسلم وذلك ما يقرره قوله تعالى:**{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}**(١).

تحضّر الإسلام وارتقاؤه فوق الموقف الغربي من استخدام القوة أنه لا يستخدمها للاستعمار ولا لاغتصاب خيرات الآخر. وإنما يرتقي موقف الإسلام عند استخدام القوة لأنه يحكمها بضوابط أخلاقية تمنع قتل النساء والأطفال والشيوخ المتقدمين في السن، وكذلك الشباب ماداموا لا يحملون السلاح، وكذلك الأعمى والمقعد. فكل هؤلاء مع كفرهم لا يحل قتالهم.

كذلك يضبط الإسلام استخدام القوة بحيث لا تُستخدم لترويع عابد فى محرابه ولا راهب فى صومعته.

أكثر من هذا - حسب توجيه الإسلام - أنه يمنع الإجهاز على الجريح بل يأمر بتركه حيًا لكي يعالج، وكما يمنع التمثيل بجثة القتيل. وهكذا في رقيّ حضاري يحسب للإسلام ونفتقده في ممارسات غير المسلمين.

ويحسب للإسلام كذلك - فى مجال الحفاظ على البيئة أنه يأمر - فى ميادين القتال بعدم قطع الأشجار المظلة لكي يستظل بها المسلمون وغير المسلمين، ويمنع كذلك ردم الآبار المملوءة بالماء ليشرب منها الجميع.

أرأيت كيف كان الإسلام متحضرًا وبعيدًا عن العنف حتى فى ميادين القتال.

فإذا جاء من يتهم الإسلام بالإرهاب فإنه يظلم نفسه لأنه لا يقول الحقيقة ويظلم الإسلام لأنه يتهمه بما ليس فيه، وهذا ما لا يقبله العقلاء ولا المنصفون.

* * * * *

---

(١) البقرة: ٢٨٥.

المبحث الأول:
شبهات حول تفسير بعض الآيات

ومبعث هذه الشبهات حديث نسب إلى رسول الله ﷺ تقول روايته:

«بعثت بين يدى الساعة بالسيف حتى يُعبد الله وحده لا شريك له وجُعل رزقى تحت ظل رمحى وجُعل الذل والدمار على من خالف أمرى» (١).

وعلى هذا الحديث اعتمد بعض الفقهاء على جواز قتال الكفار حتى وإن لم يعتدوا على المسلمين، لأن الكفر في ذاته علة تبيح القتال عندهم.

كما استندوا إلى قولـه تعالى: **{وَقَاتِلُوا المُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ المُتَّقِينَ}**(٢) وقد رفض جمهور فقهاء المسلمين رأي هؤلاء القائلين بأن الكفر فى ذاته علة تبيح قتال الكفار حتى وإن لم يقاتلوا المسلمين.

واستدلوا بقولـه تعالى: **{قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}**(٣).

ووجه الاستدلال بهذه الآية أنها جعلت إعطاء الجزية غاية يتوقف عندها القتال مما يدل على أن وصف الكفر غير معتبر لا بداية ولا انتهاء لإباحة أو وقف القتال.

أما عن الحديث المنسوب إلى الرسول ﷺ فقد عني علماء الجرح والتعديل بدراسته سندًا ومتنًا.

وظهر أن فى السند رجل يسمى "عبد الرحمن بن ثوبان"، وأنه رجل غير موثوق، فإنه كان صاحب آراء شاذة تتسم بالغلو بل كان يبيح عدم ضرورة صلاة الجمعة والجماعة ومن ثم لا تُعتمد روايته(٤).

أما عن متن الحديث فهو يناقض ما وُصف به الرسول فى القرآن بأنه رسول

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ج٧ حديث رقم ١٢٠، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، نشر دار المعارف ١٩٩٩م.

(٢) التوبة: ٣٦.

(٣) التوبة: ٢٩.

(٤) الإسلام دين رحمة وحضارة وسلام لا دين إرهاب أ. د. عبد الصبور مرزوق الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية/بتصرف.

الرحمة فى قولـه تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}[1].

كما رأينا في قولـه ﷺ : «إنما أنا رحمة مهداة».

كما أن حديث السيف هذا يتعارض مع دعوة القرآن الصريحة للمؤمنين أن تكون دعـوتهم إلـى الله بالحكمـة والموعظـة الحسـنة وأن تكـون المجادلـة مـع أهـل الكتـاب لا بالسيف ولكن بالتي هي أحسن.

ويتعارض الحديث كذلك مع دعوة القرآن للمؤمنين أن يكونوا أهل سلام فى قولـه تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}[2].

كمـا يتعـارض الحـديث صـراحة مـع أمـر القـرآن للمسـلمين بأنـه إذا سـالم الكفـار والمشـركون المسلمين ولـم يحـاربوهم فإنـه لا يجوز قتـالهم وذلك فـى قولــه تعـالى:{فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً}[3].

وبهذا يتضح حرص الإسلام على السلام وأخذ السبل إليه ودعوته المسلمين إلـى الالتزام به طالما لم يعتد الآخرون عليهم.

وهذا يعني أن الكفر فى ذاته ليس سببًا - فى الإسلام - يبيح قتال الكفار.

وإنما السبب الذى يبيح القتال هو أن يعتدى الآخرون علـى المسلمين ولـيس مجـرد كونهم كفارًا.

وثمة آيتان بالغتا الدلالة فى ضبط هذا الأمر تحددان بوضوح من لا يجوز قتـالهم ويجب البر بهم ومن يجوز قتالهم، فتقول الآيتان:{لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوَهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[4].

فالآيتان تحددان العداء والولاء وتربطهما بموقف الآخرين من المسلمين، فـإن كـان الآخرون لا يعتدون على المسلمين ولا يساعدون عدوهم عليهم يكون موقف المسلمين

---

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) البقرة: ٢٠٨.

(٣) النساء: ٩٠.

(٤) الممتحنة: ٨ - ٩.

منهم - بصريح التوجيه القرآنى - هو البرّ والمودة وطبعاً لا عداء ولا قتال.

أما إذا كان الآخرون يعادون المسلمين أو يساعدون عدوهم عليهم أو يخرجونهم من أرضهم وديارهم أو يساعدون على إخراجهم.. هنا يكون الموقف الإسلامي بصريح التوجيه القرآني هو المعاملة بالمثل عداء بعداء، بل ويكون محرمًا على المسلم أن يعاملهم أو يودهم. ومن يفعل ذلك يكون من الظالمين لدينه ولأمته.

ومعنى هذا أن الأمر كله ليس مرتبطًا بكونهم غير مسلمين - ولكنه مرتبط بالاعتداء أو عدمه.

وهذا هو التعامل الأعدل على قاعدة المعاملة بالمثل والتي هى معيار عادل يرتضيه كل العقلاء.. وتقوم عليه - فى عصرنا - المعاملات الدولية فى التجارة وتبادل البضائع والمنافع والمعونات وغيرها.

وتكون الخلاصة هى:

أن الإسلام فى جوهره دين سلام وأمن وطالما تعامل الآخرون معه ومع أتباعه بالسلام والأمن، فإنه لا يجيز أبدًا الاعتداء عليهم.

أما إذا اعتدى الآخرون على الإسلام أو على أهله فالموقف الطبيعي والعادل - بل والواجب أيضًا - هو الجهاد ودفع الشر بالقوة.

* * * * *

المطلب الأول:
نموذج مصر بعد دخولها الإسلام

إن الفتوحات الإسلامية التي تمت في أزمنة قياسية لا تكاد تذكر، وتأسست دولة الإسلام الكبرى فى سنوات قليلة. هذه الفتوحات كانت خيرًا على أهلها وحققت لهم نقلات نوعية كبيرة فى مجالات الحرية والشورى والعدل الاجتماعى ما لم يكونوا يعيشونه فى ظل حكامهم الذين كانوا يشتركون معهم في عقيدة واحدة.

فمصر قبل الفتح الإسلامي كانت تحت حكم الرومان ومصر والرومان ينتميان إلى المسيحية لكن ثمة خلافًا بينهما فى المذهب. الرومان (الحكام) على المذهب الملكاني. والقبط (المصريون) على المذهب اليعقوبي. (مجرد خلاف بين مذهبين في ديانة واحدة).

ومع هذا كان الرومان (الحكام) يعاملون شعب مصر الذى يدين بمذهب غير مذهبه (الحكومة).. يعاملونهم بقسوة واضطهاد لا نظير لهما فى التاريخ، وهو الواقع الذى خرج فيه الأنبا بنيامين رئيس القبط هاربًا إلى الصحراء غرب مصر فرارًا بدينه وعقيدته من الاضطهاد الرومانى.

فلما فُتحت مصر بقيادة " عمرو بن العاص " أعطى الأمان للأنبا الهارب وطلب إليه العودة إلى كرسي البابوية. ليس هذا فحسب. بل لقد سافر عمرو بن العاص إلى الإسكندرية لاستقبال الأنبا بنيامين عند عودته.

وكان لهذا الموقف أثره الكبير على شعب مصر (القبطى) فرحبوا بالإسلام ورجاله لما وجدوه منهم من العدل والرفق وحسن المعاملة. بينما كان الروم (الذين يجتمعون معهم فى العقيدة وإن اختلفوا فى المذهب) يعاملونهم أسوأ معاملة ويفرقون بينهم وبين أتباع المذهب الآخر (الملكانى) فى الضرائب وغيرها تفرقة ظالمة.

وأسجل هنا للجيش العربى الذى فتح مصر أنه لم يحدث أي اشتباك بينه وبين الشعب المصرى، وإنما كان الاشتباك بين الجيش العربى المسلم وبين الحامية الرومانية.

وهو أمر جدير بالملاحظة لما وجده المصريون فى ظل الفتح الإسلامى من العدل والإنصاف ما لم يجدوه تحت حكم الرومان.

* * * * *

المطلب الثانى:
اضرب ابن الأكرمين

وثمة قصة شهيرة حفظها تاريخ الفتح الإسلامى لمصر، كما حفظها وجدان شعب مصر الذى ملأت هذه القصة قلبه بالطمأنينة والارتياح فلم يقوموا ضد الفاتحين بأى تمرد أو ثورة.

تحكي القصة أن ابن أحد المصريين (القبط) كان يلعب مع ابن عمرو بن العاص فاتح مصر فغلبه ابن المصرى فتشابكا فضرب المصرى ابن عمرو.

تقول الرواية: إن عمراً استدعى الولد المصرى، وفى رواية أنه استدعى أباه فضربه وآذاه. وقال له غاضبًا ومفتخرًا بنسبه العربى: أتضرب ابن الأكرمين؟

فما كان من هذا المصرى (القبطى) إلا أن سافر إلى " المدينة " يشكو حاكم مصر (عمرو ابن العاص) إلى رأس الدولة المسلمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

واستقبل عمر الشاكى المصرى واستمع إلى شكواه. وأمر على الفور باستدعاء عمرو ابن العاص - حاكم مصر - وابنه للمثول بين يديه.

وتقول القصة:

إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ناقش عمروا وابنه فأقرا بصحة الواقعة.

فأمر عمر بن الخطاب بإحضار سوط (كرباج أو ما يماثله) ووضعه بيد الولد المضروب وقال له: اضرب ابن الأكرمين.

وذاع أمر هذه الحكاية وامتلأ بها وجدان شعب مصر الذى كان يعانى من حكامه الرومان - زملائه فى العقيدة - صنوف المظالم..

امتلأ وجدان شعب مصر بالطمأنينة إلى عدل الإسلام.. وكان لذلك أثره فى استقرار الحكم العربى المسلم وازدهار أحوال الدولة الاقتصادية والاجتماعية وغيرها. بل ودخل كثيرون منهم فى الإسلام. وأخذت اللغة العربية حظها من الانتشار على ألسنة الشعب الذى يعتبر من أبرز الشعوب التى غيرت لغتها واعتنقت لغة " الفاتح " تقديرًا له وثقة به وبكل ما يمثله.

وخلاصة ذلك أنه لو كانت الفتوحات الإسلامية اعتمدت على السيف والقوة والقهر فى فرض عقيدتها لكان للأحوال شأن آخر، ولتكونت قوى المقاومة وردود الأفعال المعاكسة والمناهضة.

لكن ذاتية الإسلام القائمة على التعبير عن صحيح الفطرة الإنسانية وبساطة شريعته. ثم التزام من يمثلونه من الحكام فى البلاد المفتوحة بآدابه وتعاليمه وأخلاقياته فى العدل والمساواة والتزام السلوك الإسلامى المنضبط على الآداب والفضائل.

كل هذا كان له أثره الكبير فى ارتياح أهل البلاد المفتوحة إليه ودخول كثير من أهلها فيه.

وفى ختام هذه الفقرة نقرر - وباطمئنان علمى كامل يؤكده ما سبق ذكره - أن استخدام القوة (الجهاد) فى الإسلام لا يكون أبدًا لغاية دنيوية كالاستعمار واحتلال أرض الغير قصد استغلال ثرواتها أو العدوان على الأعراض والأنفس.

وحسبنا فى بيان هذه الحقيقة قول الحق تبارك وتعالى:**{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ}**[١].

فالإذن بالقتال هنا مسبب بأنه لدفع ما يقع على المسلمين من ظلم كأن يطردوا من ديارهم وتسلب أموالهم أو أن يحال بينهم وبين ممارسة شعائر دينهم.

فهنا يكون استخدام القوة (الجهاد) مشروعًا ومأذونًا به وفق الضوابط الأخلاقية والحضارية التى سبق ذكرها والتى تضع القتال فى تحقيق الغاية منه ولا يتحول المقاتلون إلى ما يشبه وحوش الغابة فى التجرد من الإنسانية.

وبالمقارنة بين منهج الإسلام فى ذلك وبين الممارسات التى شهدها تاريخ العالم فى القرن العشرين باستخدام السلاح النووي الرهيب فى إحراز النصر كما فعلت أمريكا مع اليابان فى ختام الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩- ١٩٤٥م)..

بالمقارنة بين هذا الدمار الرهيب للأرض وللإنسان والطبيعة وبين السلوك الحضارى للإسلام نرى مكانة الإسلام تعلو، وترفعه المقارنة إلى أسمى درجات التحضر والإنسانية.

وهذا يكفينا نحن المسلمين فخرًا واعتزازًا بهذا الدين الإنساني النبيل، الذي أساس حركته هو السلام.

أما الجهاد فهو الاستثناء الذى لا يستخدم إلا دفاعًا وعند الضرورة القصوى.

* * * * *

---

(١) الحج: ٣٩ - ٤٠.

المبحث الثانى:
الفتوحات الإسلامية

بعض الحاقدين على الإسلام والظالمين لـه لهم مقولة ظالمة هـى أن الإسـلام انتشـر بالسيف، وأن فتوحاته الإسلامية جميعًا تؤكد ذلك، **وأقول لهؤلاء:**

أولاً – بالنسبة للمقولة الأولى: إنـه انتشـر بالسـيف فهـي أكذوبـة ظالمـة وأمامنـا على أرض الواقع البلاد الإسلامية فى شرق آسيا (إندونيسيا وما حولها من الدول التى لم يدخلها مقاتل واحد من المسلمين ولم تقم فيها أي حرب ولا معارك ولاقتلى ولا شهداء).

هذه البلاد في شرق آسيا نموذج لانتشار الإسلام بذاتيته وببسـاطة عقيدتـه وتعبيرها الصادق عن الفطرة البشرية المطبوعة على البساطة واليسر وحب الخير والفضـائل. والتى تتجلى فيها المساواة العظمى بين الناس - كل الناس - لا فرق بين عربـي وعجمـي ولا بين أبيض وأسود ولا بين قوي وضعيف ولا بين غنـي وفقير.. ببسـاطة هذه العقيدة التى ليس فيها تعقيدات ولا طقوس جعلت أهل هذه البلاد يدخلون فـى الإسلام كمجرد أنهم رأوا بعض أتباعه ذوى خلق قويم فى الصدق والأمانة والعفة والمسالمة فدخلوا فـى الإسلام دون أن يقاتلهم المسلمون.

وللأستاذ الدكتور حسين مؤنس رحمه الله كتاب نشرته الأمانة العامة لرابطـة العـالم الإسلامى بمكة المكرمة فى السبعينيات عنوانـه: (الإسـلام الفـاتح) يقصد أنـه الفـاتح بذاتـه وببساطة مبادئه ويسر عقيدته وشريعته.

فى هذا الكتاب عرض مؤلفه لجميع الدول التى أسلم أهلها من غير أن يدفعهم إلـى الإسلام فرد ولا دولـة بقوة السلاح.

* * * * *

المبحث الثالث:
شبهة وأكذوبة انتشار الإسلام بالسيف

أعداء الإسلام والظالمون لهم باتهامهم لـه بأنه دين إرهاب وعنف يحتاجون إلى مراجعة تاريخ وأحداث العنف.

الإحصائيات تقول: إن جميع من قتلوا فى الحروب التى دخلها المسلمون دفاعاً عن أنفسهم سواء من شهدائهم أو من قتلى الآخرين لم تبلغ الأربعمائة (٤٠٠) قتيل وهو رقم يمكن أن يقع فى حوادث مرور خلال شهر واحد وربما أسبوع واحد فى مدينة من المدن المزدحمة.

القوم فى الغرب يزعمون أن الإسلام انتشر بالسيف وأنه دين الإرهاب والعنف

وعن هذه مقولة تكفي الإشارة إلى أن أي بلد فتحها الإسلام لم تحدث فيها ثورة واحدة ولم يتمرد أهلها على الإسلام والمسلمين فيه. ولعل ما حدث فى تركيا بعد ما دخلها السلطان محمد الفاتح وأعطى فيها الأمان الكامل لمن كانوا بها من المسيحيين بل إنه أكثر من هذا أنه أعطى لرؤساء الكنيسة فيها السلطان التام لمباشرة أمورها وأمور المسيحيين دون أى تدخل مما أسبغ الطمأنينة عليهم فلم يقع بينهم وبين المسلمين أى نزاع.

وتجربة فتح الإسلام لمصر من أروع النماذج التى تنفى كلية مقولة انتشار الإسلام بالسيف...

حيث أن الصراع لم يكن أبداً مع شعب مصر الذى عامله الفاتحون باعتباره شعباً يتبع ديانة سماوية (من أهل الكتاب) ولأهل الكتاب فى الإسلام وضع خاص حددته آيات القرآن بوضوح وصراحة حيث تقول:**{لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوَهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}**(١).

---

(١) الممتحنة: ٨ - ٩.

وفى دعوة الإسلام لأهل الكتاب إلى الحق تأمر الآيات بأن نقول لهم:**{قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}** (١).

وهكذا بوضوح لم تكن بين الفاتحين وبين شعب مصر أي خصومة.. كما كانت موجودة ومتأججة بين شعب مصر وبين حكامه الرومان الذين هم شركاءه فى العقيدة.

وبسبب اختلاف مذهب السلطة (الملكانى) ومذهب الشعب (اليعقوبى) أذاق الرومان شعب مصر ورجال الكنيسة القبطية خاصة صنوف الاضطهاد الدينى التى سجلها التاريخ وحملت كثيرين من رجال الكنيسة القبطية على الفرار إلى الصحراء والسكن فى أديرتها، وهو ما لم يحدث أبداً مع الإسلام.

بل على النقيض من ذلك عندما دخل عمرو بن العاص والفاتحون المسلمون مصر كان رجل الكنيسة الكبير الأنبا بنيامين هارباً إلى الصحراء فراراً بعقيدته من الاضطهاد الرومانى.

فإذا بعمرو بن العاص يعطى الأمان لبنيامين ويطلب إليه العودة إلى مصر..

ليس هذا فحسب بل ويسافر بنفسه إلى الإسكندرية لاستقباله عن عودته، مما أشاع مناخاً من الطمأنينة الكاملة إلى عدل الفاتحين المسلمين وتمكينهم الشعب القبطى من ممارسة دياناته على مذهبه الذى ارتضاه فى حماية المسلمين الكاملة.

فإذا جاء من يحاول غمز الإسلام بالإرهاب أو أنه يقهر الحريات أو رفضه للآخر أو عدم قدرته على التعايش السلمي فإنا نجعل من التاريخ ومن الواقع حكماً نثق ثقة كاملة فى أن حكمه - كما ذكرنا - سيكون فى صالح الإسلام بشهادة ما ذكرنا عن السلطان محمد الفاتح فى القسطنطينية وعن عمرو بن العاص فى مصر.

وكلاهما كان نموذجاً لسماحة الإسلام مع أهل الكتاب ونموذجاً للتدليل على أن الإسلام انتشر بعدله واحترامه للآخر، ولم يكن كما زعموا وما يزالون يزعمون أنه انتشر بالسيف، وأنه دين إرهاب وعنف.

---

(١) آل عمران: ٦٤.

ماذا فعلوا هم بهم زمان الاستعمار؟! وكيف سرقوا خيرات الأرض وحرموا أهلها من الإفادة بها ونقلوها إلى بلادهم يبنون بها مدنيتهم وتقدمهم تاركين أصحاب الأرض فى أفريقيا وآسيا فى ظلام الفقر والجهل والتخلف.

أسألهم مستحثًا إياهم على قليل من الإنصاف أن يراجعوا تاريخ الاستعمار ليروا ما فعله أجدادهم بشعوب العالم الثالث وما أنزلوه به من المظالم؟ وكيف كانوا يقتلون عشرات الألوف ومئات الألوف من أهل البلاد ليوطدوا حكمهم ويحكموا قبضتهم على الإنسان والأرض ظاهرها وباطنها دون أدنى رحمة..

أبدًا لا تصلح حضارتكم المادية والعلمانية الفارغة تمامًا من كل المعاني والقيم والأخلاقيات.. لا تصلح حضارتكم الفارغة من عطاء الدين وروحه ورقيه لقيادة الإنسانية..

الحضارة المرشحة لذلك وحدها هى حضارة الإسلام الذى كفل للإنسان من الحقوق ومن التكريم ما لم يعطه إياه أى دين آخر لا سماوي ولا وضعي.

وحسب الإسلام أنه رفع مكانة الإنسان واستخلفه عن الله فى أرض الله وكرمه وأسجد له ملائكته.

ثم تجيء حضارتكم العلمانية المادية لترتكس بالإنسان إلى أسفل سافلين فتجعل منه حيوانًا تطمس الشهوات بصيرته وتعمى البهيمية أبصاره. فلا يكون أبلغ همه إلا الاستسلام لشهوتى البطن والفرج يرتكب فى سبيل إشباعهما ما لا يتصور من ألوان السقوط فى الممارسات والسلوكيات.

ثم بعد هذا تريدون أن تهيمنوا على العالم؟ وأن تكونوا أنتم القدوة والمثال؟! كبرت كلمة!!..

إن المرشح الأول والأعدل والأمثل لقيادة البشرية هو الإسلام.. وأنه المنقذ الحقيقي للإنسان من شرور نفسه ومن سيئات أعماله ومن عدوانه على الآخرين.. الإسلام.. والإسلام وحده..

لكن أمة الإسلام اليوم مستضعفة، انفرط عقد وحدتها فتراجعت عن دورها القدري الذى تكون به خير أمة أُخرجت للناس.

وريثما تكتمل دورة الحضارات وتتحقق سنّة الله وحكمته فى مداولة الأيام بين الناس..

وكثيرون من المبشرين والمستشرقين الظالمين للإسلام يقولون إن الإسلام شرع القتال.

(الجهاد) لحمل الناس على الدخول فيه بالقوة وإنه انتشر بالسيف ويستدلون بأن فى القرآن آية تعارف المفسرون المسلمون على أن يسموها آية السيف.

وأنها نَسخت مائة وعشرين آية من القرآن تسمح أو تدعو إلى الرفق والمسالمة.

وهنا تكون لنا وقفة.

أشرنا من قبل إلى أن الواقع فى بلاد الإسلام يؤكد أنه دخل وانتشر فى بلاد لم تدخلها أى جيوش مسلمة ولا حدثت فيها أى معارك قتال.

ومنطقة شرق وجنوب شرق آسيا كلها خير شاهد على ذلك. فهذه شهادة الواقع على بطلان هذه المقولة.

ونعود إلى الآية التى سموها آية السيف بعضهم قال إنها قوله تعالى:**{إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا المُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ المُتَّقِينَ}** (١)، وواضح من منطوقها أنها تدعو المسلمين إلى التعامل مع أعدائهم بالمثل. كما يقاتلونكم فقاتلوهم كذلك.

آخرون قالوا إن هذه الآية هى قوله تعالى:**{فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوَهُمْ وَخُذُوَهُمْ وَاحْصُرُوَهُمْ..}** (٢).

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: وهذه الآية نزلت فى مشركي العرب الذين نكثوا العهد وأخرجوا المسلمين من ديارهم وبدأوهم بالقتال. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى:**{أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}** (٣).

ويضيف الدكتور القرضاوي:

---

(١) التوبة: ٣٦.

(٢) التوبة ٥.

(٣) انظر البحث المقدم إلى المؤتمر الثاني عشر لمجمع البحوث بالأزهر للشيخ الدكتور يوسف القرضاوى ص٣٢.

وقبل هذه الآية نقرأ قولـه تعالى:**{إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}**(١). ويأتي بعدها قولـه تعالى:**{وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ}** (٢).

فالسياق كما ذكرنا لا يتحدث عن أي عدوان ولا عن أي قتال إلا مع الذين نقضوا العهد أو أعانوا الأعداء على قتال المسلمين، ولا أظن أحدًا - مسلمًا أو غير مسلم - ينكر هذا الحق فى مواجهة من ينقضون العهد أو يساعد العدو فشأنه في هذه الحالة شأن عدوٍ تجب مواجهته..

وعليه تبطل الشبهة.

ونعود إلى آية السيف مع بحث الدكتور القرضاوي.

وقال آخرون:

إن آية السيف هى قولـه تعالى:**{قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}** (٣)، وهذه الآية نزلت بعد غزوة تبوك - التى كانت فى قتال مع دولة الروم البيزنطية وواضح من قولـه تعالى:**{حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ}** أن المراد حتى لا يعودوا إلى قتالكم مرة أخرى ويخضعوا للدولة الإسلامية ويدفعوا لها ضريبة حمايتهم.

على أن مما يوضح أن مقولة (آية السيف) واعتبارها دليل إدانة للإسلام هى فى حقيقتها مقولة ظالمة وتهمة ساقطة ينفيها من أساسها قولـه تعالى:**{وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ}** (٤)، وبعدها قولـه تعالى:**{وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ}**(٥)، وخلاصة القول هى سقوط شبهة ومقولة إن الإسلام دين السيف أو إنه انتشر بالسيف.

* * * * *

---

(١) التوبة: ١٣.
(٢) التوبة ٤.
(٣) التوبة ٢٩.
(٤) الأنفال: ٦١.
(٥) الأنفال: ٦٢.

المطلب الأول:
تهمة حد السيف

تعتبر أكبر جريمة وأكبر إثم لمحمد ﷺ في نظر الغرب المسيحي أنه لم يسمح لنفسه أن يقتل أو " يصلب " بيد أعداءه.

فقد تمكن من الدفاع عن نفسه وعن أسرته وعن رفاقه وأتباعه وأخيراً تغلب على أعداءه.

إن نجاح محمد قد أصاب المسيحيين بخيبة أمل.. إنه لم يؤمن بالتضحية العوضية من أجل خطايا الآخرين وكانت معتقداته وتصرفاته موافقة للفطرة.

وفي حالة الفطرة فلكل فرد الحق في الدفاع عن نفسه وعن ممتلكاته وأن يمد عداءه بالقدر المعقول من الرضا والارتياح.

وهذه المقالة السابقة لأستاذ المؤرخين جيبون في كتابه (صعود وسقوط الإمبراطورية الرومانية).

إن كفاحه وانتصاره على قوى الشر والكفر جعل ناشري دائرة المعارف البريطانية يعلنون أن محمداً ﷺ يعتبر " الأكثر نجاحاً من بين جميع الشخصيات الدينية ". فكيف إذن يمكن لأعداء الإسلام أن يعللوا إنجازات محمد ﷺ التي كانت تمثل ظاهرة في حد ذاتها إلا بزعمهم أنه نشر عقيدته بحد السيف؟ وأنه فرض الإسلام على الناس فرضاً وأكرههم عليه إكراها؟

مع ذلك فقد كشف التاريخ أن الأسطورة التي تزعم أن المسلمين المتعصبين زحفوا على العالم يفرضون الإسلام بالقوة على أجناس الدولة المفتوحة هي واحدة من أكثر الخرافات والأساطير التي رددها المؤرخون سخافة " [١] ".

وليس عليك أن تكون مؤرخاً مثل أوليرى لكي تعلم أن المسلمين حكموا أسبانيا ٧٣٦ سنة. وهي مدة أطول من حكم المسيحيين على الرعايا المسلمين في موزمبيق التي كانت ٥٠٠ سنة. وقد استولى عليها المحتلون البرتغاليون من حاكم عربي اسمه موسى بن بَيق وكان من الصعب عليهم نطق الاسم فحرفوه إلى موزمبيق، وحتى اليوم وبعد خمسة قرون من الحكم المسيحي فلا يزال المسلمون يشكلون نسبة ٦٠% من هذا البلد

---

(١) الإسلام في مفترق الطرق " دي لاسي أوليرى. لندن سنة ١٩٢٣ ص ٨.

وبعد حكم الإسلام لأسبانيا والذي دام ثمانية قرون فقد تم استئصال وتصفية المسلمين تماماً من أسبانيا حتى أنه لم يترك رجل واحد ليقوم بالأذان (نداء المسلمين للصلاة).

فلو كان المسلمون قد استعملوا القوة سواء كانت العسكرية أو الاقتصادية عند حكمهم أسبانيا لم يكن ليبقى مسيحي واحد في أسبانيا ليقوم بطرد وتصفية المسلمين بعد ذلك

ومن الممكن أن تلوم المسلمين على الاستغلال إذا أحببت ذلك ولكن أحداً لا يستطيع أن يتهمهم باستعمال السيف ليحولوا الأسبان عن عقيدتهم إلى الدين الإسلامي.

ولا يزال الإسلام اليوم ينتشر في جميع أنحاء العالم مع أن المسلمين لا يملكون سيفاً وانظر إلى أوروبا وأمريكا كيف أن الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً.

{لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} (١).

ولقد فهم المسلمون الفاتحون من هذا الأمر أن " الإكراه " لا يتوافق مع الدين الحق لأن:

أ- الدين يعتمد على الإيمان والإرادة وهذه ستكون بلا معنى لو حدثت بالقوة فالقوة قد تهزم ولكنها لا تحول.

ب- لقد بين محمد ﷺ رحمة الله للعالمين، الحق والباطل حتى أنه لا يحب أن يكون هناك أي شك في عقل أي شخص ذو نية حسنة فيما يتعلق بأصول الإيمان

ج- حماية الله مستمرة وخطته هي دائماً أن يقودنا من أعماق الظلام إلى أوضح الأنوار(٢).

باستثناء بعض الشواذ هنا وهناك فإن المسلمين عامة ظلوا على وصية الله في الأرض وساروا على نهجها

لكن ماذا يستطيع أن يقول الأعداء عن البلاد التي لم يضع جندي مسلم واحد عليها قدمه؟

١ – إندونيسيا: يوجد بها أكثر من ١٠٠ مليون إندونيسي مسلم لكن لا يوجد

---

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) **}**

{.

جيش إسلامي فاتح أبداً ذهب إلى أي من جزرها الألفين [١].

٢ – ماليزيا: الأغلبية العظمى من شعبها المسلمون بالرغم من أنه لا يوجد جندي مسلم واحد قد دخلها أيضاً.

٣ – إفريقيا: أغلبية الشعوب على الساحل الشرقي لإفريقيا حتى موزمبيق جنوباً وأيضاً معظم السكان على الساحل الغربي للقارة من مسلمين لكن التاريخ لم يسجل أي جيوش مسلمة مهاجمة في أي مكان.

أين كان هذا السيف؟

التاجر المسلم قام بالمهمة (بالقدوة الحسنة) - أخلاقه الحسنة - سلوكه الأخلاقي المستقيم حقق معجزة الهداية إلى الإسلام.

* * * * *

(١) مسلمي أندونيسيا ١٥٠ مليون ولكن للأسف تناقص عددهم بسبب نشاط التبشير هناك فقد بلغني أنه تنصر ٢٣ مليون أندونيسي فأين المسلمون في ذلك فهل يستيقظون لهذا الخطر المحدق بنا الذي يغزونا من الخارج في عقر دارنا؟ سأترك الرد الأول.

المطلب الثاني:
مقولة إن القرآن يسمح بالإرهاب

مصدر هذه المقولة هو سوء الفهم وقلة الإدراك لطبيعة وعبقرية اللغة العربية في وفرة ثرائها وتنوع الاستخدام لتراكيبها وأساليب أدائها.

والآية التى يستدل بها الجاهلون بالقرآن هى قوله تعالى: **{وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ}**(١).

فقد التقط الظالمون للإسلام الذين يتصيدون ما يظنون أنه نقيصة فيه أو أنه دليل إدانة على اتهامه بالإرهاب..

التقطوا كلمة " تُرهبون " واقتطعوها من بقية الآية وقالوا: ها هو الإسلام يسمح بالإرهاب ويدعو إليه**!!**

وهنا نجد التفسير الطبيعي والبسيط للجملة القرآنية: **{تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ}**.

حيث لا تعنى أبدًا أن الإسلام إرهابي لأنه يدعو إلى إعداد القوة، وإنما سيكون معناه أن الإسلام إذ يأمر أتباعه بإعداد ما استطاعوه من قوة، إنما يعني القوة التى تردع أعداءهم فلا يعتدون عليهم بل ولا حتى يفكرون فى هذا العدوان.

ومن المعروف أن بين مصطلحات الدراسات والعلوم العسكرية الحديثة مصطلح " الردع " والمراد به ردع العدو بإظهار ما لدى الدولة من قوة يستعرضونها علنًا ويدعى إلى شهود هذه العروض الملحقون العسكريون من جميع الدول ليشاهدوا مظاهر القوة رادعًا يرهب العدو الطامع فيهم فلا يجرؤ على الهجوم والعدوان.

وهذا هو المراد فى الآية الكريمة: ردع المعتدى حتى لا يجرؤ على العدوان أو يفكر فيه.

وبهذا يسقط الاتهام وتبرأ ساحة الإسلام.

* * * * *

---

(١) الأنفال: ٦٠.

المطلب الثالث:
موقف الإسلام من غير المسلمين

كثير من الظالمين للإسلام يزعمون أنه دين لا يعطي لغير المسلمين حقوقهم ويصبون على الإسلام فى هذا الأمر اتهامات لا تستند إلى أي دليل بل تؤكد جهلهم بالإسلام وظلمهم له.

وبداية وفى بياننا لموقف الإسلام من غير المسلمين نُذكّر بحقيقة بالغة الأهمية فى هذا الأمر، وهي أن الإسلام في تعامله - مع غير المسلمين - فرّق بين أصحاب الديانات الوضعية كالبوذية والهندوسية وغيرهما وبين أصحاب الديانات والكتب السماوية.

لم يعترف الإسلام بأصحاب الديانات الوضعية واعتبرها مجرد أفكار وآراء تعبر عن اجتهادات أصحابها لكنها لا ترقى أبدًا إلى مستوى الديانات السماوية.

أما الديانات السماوية - والتى يبقى منها الآن: اليهودية والمسيحية - فقد تعامل الإسلام معهما تعاملاً خاصًا **يقوم على المبادئ الآتية**:

أولاً: الاعتراف التام القائم على الاحترام والإيمان برسلهما ورسالتيهما، واعتبر هذا الإيمان شرطًا أساسيًا فى صحة إيمان المسلم وذلك فى قوله تعالى:**{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ..}**(١).

كما يقرر القرآن هذا ويؤكده فى قوله تعالى فى سورة أخرى فيقول:**{قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}**(٢).

ثانيًا: تعامل القرآن مع رسولى اليهودية والمسيحية بكل الإجلال اللائق بهما كرسولين من عند الله لهما من العصمة والتوقير مثل ما لرسول الإسلام محمد ولجميع رسل الله صلى الله عليهم وسلم أجمعين.

ففى حديث القرآن عن موسى (عليه السلام) يحكى قصته بتفصيل موضوعى يحدد فيه طبيعة رسالته إلى فرعون وقومه وكيف نصره الله ومن معه وأغرق فرعون وجنوده، وكيف رعاهم الله بعدما أنجاهم من الغرق.

---

(١) البقرة: ٢٨٥.

(٢) آل عمران: ٨٤.

لكنهم بعد هذا عادوا بفكرهم إلى إرهاق موسى وقالوا:**{اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}**[١].

كما صحح القرآن - هذا وهو الأهم - ما أدخله اليهود على التوراة من تحريف لا يتسع المقام هنا لتفصيل القول فيه.

وصحح كذلك - وهو أمر جدير بالملاحظة والاهتمام - كل أقاويل السوء التي خاضوا بها فى حق السيدة العذراء مريم البتول أم السيد المسيح (عليه السلام)، ولاسيما زعمهم الرديء والبغيض عنها (عليها السلام) وعن " يوسف النجار " مما يعف القلم عن ذكره.

وبالنسبة للسيد المسيح - عليه السلام - كان الاحترام نفسه والإجلال نفسه في القرآن الكريم له وللسيدة العذراء.

وحسبى هنا التذكير بالآية الكريمة:**{إِذْ قَالَتِ المَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ المُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ}** [٢].

وحسبى كذلك فى تكريم القرآن لمريم عليها السلام قوله تعالى:**{وَإِذْ قَالَتِ المَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ العَالَمِينَ}**[٣].

حسبى كذلك فى إنصاف القرآن للصالحين من بعض أهل الكتاب من النصارى الذين كانوا يحسنون عبادتهم لله لما فى قلوبهم من إيمان وخير وأن أهل الكتاب ليسوا سواء فيما تحدثت به الآيات الكريمة.

{لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ}[٤].

وربما تساءلت أنت أو غيرك: هل تعامُل الإسلام - عند التطبيق على أرض الواقع - كان منصفًا لغير المسلمين كما تقول؟ أم أن الأمر كان شعارات ونظريات لم تأخذ حظها من التطبيق.

---

(١) آل عمران: ١٣٨.
(٢) آل عمران: ٤٥ - ٤٦.
(٣) آل عمران: ٤٢.
(٤) آل عمران١١٣ - ١١٥.

المطلب الرابع:
منذ بداية الدعوة

إن وقائع التاريخ - وتطبيق ما جاء به الإسلام على أرض الواقع - خير شاهد منذ بداية الدعوة فى عصر الرسول ﷺ والراشدين وحتى التاريخ القريب فى تعامل صلاح الدين مع الأسرى الصليبيين - تشهد فى الحرب المعروفة باسمهم على ما نعرض الآن من هذه الوقائع التى تؤكد حسن معاملة الإسلام لغير المسلمين منذ نشأة الدولة الإسلامية فى عصر النبوة وفقًا لما يأتى:

أولاً: (الصحيفة) دستور الدولة المسلمة:

بعد الهجرة من مكة ومع بدء تأسيس الدولة (أول دولة للإسلام) فى المدينة المنورة كتب الرسول ﷺ دستورًا كان يعرف باسم (الصحيفة) حدد فيه الحدود الجغرافية للدولة بين جبل كذا وجبل كذا حدودًا لهذا الوطن الناشئ.

ثم قام بعد ذلك بتحديد شَعب المدينة (شعب الدولة الإسلامية الناشئة).

وأيامها كان المقيمون بالمدينة شرائح ثلاثة: الأنصار وهم الشريحة التى كانت بالمدينة قبل الهجرة (أهل المدينة الأصليون).

ثم كانت الشريحة الثانية من " المهاجرين " (المسلمين القادمين مع الرسول ﷺ من مكة). والشريحة الثالثة كانت من " اليهود " على اختلاف قبائلهم.

وكان من أعظم ما سجله دستور هذه المدينة وسبْقه الحضارى التاريخي لقبول التعددية والاعتراف بالآخر أن ينص دستور المدينة على:

" أن المهاجرين والأنصار واليهود " هم شعب هذه الدولة وأنهم " أمة من دون الناس " بما يعنى الاعتراف الحضارى والتاريخى بإدخال الآخر (وهم اليهود) فى نسيج وفى تكوين شعب الدولة الإسلامية.

ليس هذا فحسب بل تحرر هذا الدستور وأعلن المساواة الكاملة بين جميع هذه الشرائح التى تكونت منها الدولة (الأنصار والمهاجرين واليهود).. أعلن المساواة الكاملة بينهم جميعًا فى الحقوق والواجبات، إلا من خان وغدر.

وظل هذا قائمًا ومعمولاً به حتى بدأ اليهود - كعادتهم دائمًا - بالخيانة والتآمر على الرسول بل على الدولة مما استوجب أن يعامَلوا بما يناسب خيانتهم للدولة أو " للنظام القائم " حسب المصطلحات المعاصرة والتى تجلت هذه الخيانة بتأليبهم الأحزاب على

الرسول والمسلمين فى الغزوة التى عُرفت بغزوة الأحزاب (الخندق).

نصارى الحبشة ونجران يصلون بالمسجد النبوي:

ولما جاء وفد من نصارى الحبشة، وكذلك من نصارى " نجران " أنزلهم ﷺ فى مسجده وكان يقوم بنفسه على خدمتهم ردّا لما فعله نصارى الحبشة من حسن الصنيع مع المهاجرين الأول من المسلمين إليها وكان مما قاله: إنهم كانوا لإخواننا مكْرِمين.

وأكبر من هذا وأبرز فى الدلالة على سماحة الإسلام واعترافه بالآخر وقبوله "للتعددية " أنه ﷺ سمح لنصارى نجران أن يؤدوا صلاتهم فى مسجده ﷺ.

وكان نصارى نجران يصلون فى جانب من المسجد ويصلى المسلمون فى الجانب الآخر وتحدث الرسول والنصارى فى الأمور الدينية فلم يضق بهم ﷺ وإنما ناقشهم بالحكمة وجادلهم بالتى هى أحسن بأدب ولطف ومُوادة.

واستمر الاتجاه نفسه في عصور الراشدين:

نعم ومنذ أن أعلن وأسس وطبق الرسول ﷺ مبدأ " التعددية " وقبول الآخر جرى خلفاؤه من بعده على سنته نفسها. وخاصة بعد اتساع الفتوحات الإسلامية ودخول " غير المسلمين " فى رعويتها.

فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه - الخليفة الثانى للرسول - عندما دُعى لتسلم " بيت المقدس " بعد فتحها.. وحان موعد صلاة الظهر - ولم تكن هناك مساجد - فدعاه رئيس كنيسة إيلياء ليدخل كي يصلي فيها. لكنه رفض - حفاظًا على خصوصية معابد غير المسلمين - وحتى لا يأتي المسلمون فيما بعد فيستخدمونها للصلاة، وهذا عنده لا يحق لهم.

أعتقد أنك بعد هذا الذى عرضته عن موقف الراشدين وعهد الخلافة وما كان فيه من حسن التعامل الإسلامي مع أهل الكتاب لن تصدق ما يزعمه الحاقدون على الإسلام والظالمون لـه من أنه دين لا يقبل إلا نفسه ولا يقبل التعددية ولا يعترف بالآخر.

ولمزيد من الدلالة على استمرار هذا النهج وهذه الروح الأخوية الودودة بين الإسلام وبين أهل الكتاب اليهود والنصارى الذين يعلن الرسول ﷺ أن ما جاء به (موسى وعيسى) وما أنزل عليه ﷺ إنما يخرج من مشكاة واحدة.

* * * * *

المبحث الثالث:
المطلب الأول:
مقولات ظالمة عن الجهاد والجزية

الظالمون للإسلام والحاقدون عليه انتهزوا الأحداث المشئومة التي وقعت بأمريكا فى سبتمبر وملأوا إعلامهم ضجيجًا بأن الإسلام دين عنف وإرهاب لأنه - حسب زعمهم - يبيح الجهاد أى قتال الآخرين.

وطرح الاتهامات على مثل هذا النحو هو تزييف للحقائق ومحاولة لخداع الرأى العام الغربى وخاصة الرأى العام الأمريكي المجروح بأحداث سبتمبر.

وهذا اللون من تزييف الحقائق وخلط الأوراق لخداع القارئ والمستمع والمشاهد هو صناعة صهيونية برع فيها وأجادها اليهود الذين لا يحتكمون إلى التوراة وإنما يحتكمون إلى "التلمود " وإلى " بروتوكولات حكماء صهيون "مجرد آراء. وهما كتابان يطفحان بالشر والحقد على الإنسانية، والتحلل المطلق من أى قيد أخلاقى أوإنسانى.

وقد سبقت الإشارة إلى أن القرآن لم يأذن بالجهاد إلا بعد أن بلغت مظالم الكفار للمسلمين ذروتها فى مكة قبل الهجرة وكان محمد ﷺ يمر على أتباعه وكفار مكة ينزلون بهم أشد العذاب فلا يملك إلا أن يقول لمن رآهم: **«صبرًا آل ياسر إن موعدكم الجنة»**.

ولما نزل القرآن بالإذن بالجهاد (القتال) دفاعًا عن النفس وعن حرية الاعتقاد بدأ المسلمون يواجهون كفار مكة بكل ما يملكون للخلاص بما أنزل بهم الكفار من أبشع صور العدوان والظلم.

وهذا ما تقره وتعترف به كل القوانين والتشريعات المعاصرة فى حق الجهاد (القتال) دفعًا للمحتل الغاصب ودفاعًا عن حق تقرير المصير.

ونصوص أدبيات الفقه الإسلامي فى هذا الموضوع تؤكد أن قتل الكفار ليس عقابًا لهم على كفرهم ولكن ردًا لعدوانهم على المسلمين. فالعدوان وليس الكفر هو السبب فى إباحة الجهاد (القتال) وهو سبب مشروع لا ينكره أحد.

ومن بديع ما روي عن النبي محمد ﷺ أنه قال: **«تألفوا الناس وتأنّوا بهم ، فما من أهل بيت من مدر ولا حضر إلا أن تأتونى بهم مسلمين أحب إلىّ من أن تأتونى بنسائهم وأبنائهم وتقتلوا رجالهم»** يعني أن الجهاد لدعوة الناس إلى الإسلام لا لقتلهم أو أسرهم وسبي نسائهم.

وشرح هذا المعنى ابن الصلاح فى فتاويه فقال:

" إن الأصل هو إبقاء الكفار - لا إبادتهم - لأن الله تعالى ما أراد إفناء الخلق ولا خلقهم ليقتلوا. وإنما أبيح قتلهم لعار من ضرر وجد منهم لا أن ذلك جزاء على كفرهم"[(١)].

وكافة أدبيات القتال (الجهاد) فى الإسلام تؤكد هذه المبادئ. أما عند الضرورة ضرورة ردّ العدوان فهذا عذر شرعي مقبول بل هو واجب لرد الاعتداء والدفاع عن النفس وعن الحق.

على أن مما يجب أخذه في الاعتبار أنه مع إباحة الإسلام القتال عند ضرورة الدفاع عن النفس والوطن والعقيدة فإن أساس التوجيه الإسلامي هو الحرص على السلام.

وهذا ما تؤكده آيات القرآن الكريم التى تعلن فى صراحة فتقول إحداها مخاطبة للرسول ﷺ ولجميع المسلمين معه:

{وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ} [(٢)]. والمعنى أنه إذا مال الأعداء للصلح والمسالمة ووقف القتال فقابلهم بالمثل من المسالمة والصلح ووقف القتال معتمدًا على الله فى ذلك.

وتقول الآية الثانية:

{فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً}[(٣)].

والمعنى أنه إذا ابتعد مقاتلوكم من الأعداء عنكم وأعلنوا رغبتهم فى المصالحة والسلام فلا حق لكم فى مقاتلتهم ويجب عليكم مسالمتهم والصلح معهم.

هذا لأن السلام هو الأصل فى الإسلام.

أما الحرب فهى استثناء ولا يجيزها الإسلام إلا عند الضرورة القصوى - ضرورة الدفاع عن الوطن وعن الأنفس والأموال والأعراض.

* * * * *

---

(١) شرح السير الكبير ٥٩/١.

(٢) الأنفال: ٦١.

(٣) النساء: ٩٠.

المطلب الثاني:
دفاع عن كل المستضعفين في الأرض

ومما يجب الوقوف أمامه بتقدير وإعظام لحق الجهاد فى الإسلام أن كان من بين واجباته التى قررها صريح النص فى القرآن وجوب الدفاع.

لكن الإسلام بحكم فعالية دعوته وكمالها فإنه يحمل المسلمين جميعًا مسئولية الدفاع عن المستضعفين - كل المستضعفين فى الأرض - المعتدى على حقوقهم ولو كانوا من غير المسلمين.

وهذه قسمة حضارية وإنسانية عظيمة لم يماثله فيها أى دين ولا دعا إليها أى تشريع أو قانون عبر التاريخ الإنسانى.

وفى هذا يقول القرآن مخاطبًا المسلمين بهذا التكليف الإنسانى النبيل:**{وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِياًّ وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً}**(١).

أما عن حكاية الجزية:

وبعيدًا عن الخوض فى التفصيلات الفقهية المتعلقة بالجزية وبأهل الذمة فبإيجاز أقول لك: إن الجزية هى البدل النقدى الذى يدفعه أهل الذمة مقابل أن تقوم الدولة المسلمة التى يعيشون فى ظلها بالدفاع عنهم وعن أرواحهم وأعراضهم وأموالهم ودور عبادتهم وحرياتهم.

بمعنى أنه إذا أتيح لأهل الذمة المشاركة فى دفع العدو فهنا لا تؤخذ منهم جزية.

بل أكثر من هذا - وهو ما تم العمل به على أرض الواقع كما سنرى - أنه إذا شُغلت قوات وجيوش الدولة المسلمة التى يعيش أهل الذمة تحت رعايتها وعجزت عن حمايتهم، فإن على الدولة المسلمة أن تُخبر أهل الذمة بعجزها أو انشغالها عن حمايتهم وترد إليهم ما سبق أخذه منهم من الجزية.

وبتعبير آخر استخدمه على ما فيه من فساد الذوق فقط لمجرد تقريب المعنى إلى الذهن، فالمسلمون هنا كأنهم مستأجَرون لدى أهل الذمة ليحموهم ويدافعوا عنهم.

---

(١) النساء: ٧٥.

فهل إذا طلب الأجير أجره من مستأجريه يكون قد ظلمه أو اعتدى عليه؟!.

فى منطق العقلاء أن هذا حقه.. أما إذا دخل الحقد على الإسلام والبغض لـه فـى الموقف فالأمر سيختلف.. وهذا هو الظلم بعينه.

* * * * *

المطلب الثالث:
نماذج رفيعة للتحضر الإسلامي في معاملة غير المسلمين

وروعة هذه النماذج ورقيها الحضارى أنها تمت والمسلمون هم المنتصرون وهم المسيطرون، ومع هذا تعاملوا مع المهزوم بأسمى وأرقى ما يكون التعامل.

السلطان محمد الفاتح:

أول هذه النماذج هو نموذج السلطان محمد الفاتح حين استولى على القسطنطينية مقر البطريركية الأرثوذكسية فى الشرق كله فلما دخل كنيسة أيا صوفيا وكان رجال الكنيسة قد لجأوا إليها أحسن استقبالهم وأكد حمايته لهم وطلب من المسيحيين الفزعين الذين كانوا يتوقعون الشر، طلب إليهم أن يذهبوا آمنين إلى بيوتهم.

وأعلن تأمين سكان القسطنطينية جميعًا على أرواحهم وأموالهم وعقيدتهم وكنائسهم وصلبانهم وأعفاهم من الجزية.

كما منح رؤساءهم سلطة التشريع والفصل فى الخصومات التى تقع بين رعاياهم دون أن تتدخل الدولة المسلمة فيها.

وهو ما لم يكونوا يظفرون بمثله وهم تحت حكم الدولة البيزنطية.

صلاح الدين:

ومواقف صلاح الدين تحتاج وحدها إلى دراسات لكنى أقتطف فقط ما يتصل بتسامحه الذى يمثل أروع وأبرز مواقف تسامح المنتصر مع المهزوم وهو ما يعرفه العالم كله ولا ينساه الصليبيون بصفة خاصة لصلاح الدين بعد هزيمتهم أمامه فى معركة تحرير القدس.

فعلى الرغم من حجم العنف والقسوة التى كان يتعامل بها الصليبيون مع المسلمين بما لا يمكن تصوره..

فقد عاملهم صلاح الدين عند انتصاره عليهم بروح سماحة الإسلام معاملة شهد بها كل المؤرخين المنصفين الذين سجلوا الفارق الكبير بين تسامح صلاح الدين وعنف الصليبيين وقسوتهم. خاصة وأنه كان بوسعه بعد هزيمتهم أن يبيدهم عن آخرهم.

ويذكر التاريخ لـه فى مسألة أخذ الجزية من أهل الذمة أنه ردّ الجزية إلى نصارى الشام حين اضطر إلى الانسحاب منها عملاً بسماحة الإسلام فى معاملة غير المسلمين لأن الجزية كما أشرنا مقابل الدفاع والحماية فإذا لم يتحقق لهم ذلك فلا يجوز للمسلمين أخذها.

ابن تيمية والأسرى النصارى:

ولم يكن القادة العسكريون وحدهم الذين سجلوا نماذج هذا التسامح الإسلامى كما عرضنا لنموذجى محمد الفاتح وصلاح الدين، بل كان هذا التسامح مع غير المسلمين والحرص على حقوقهم هو جوهر وروح الإسلام التى يعبِّر عنها ويعمل بها كل الفاقهين لروح الإسلام من العلماء.

فهذا هو الإمام ابن تيمية: أنه لما غزا التتار ديار الإسلام فى الشام وأسروا كثيرين من جنود المسلمين خرج هو إليهم يفاوضهم فى رد هؤلاء الأسرى فوافقوا على إطلاق سراح الأسرى المسلمين دون النصارى.

فقال ابن تيمية:

لا نرضى إلا بفكاك جميع الأسرى من المسلمين ومن غير المسلمين من اليهود والنصارى فهم أهل ذمتنا.

آيتا سورة الممتحنة:

فى القرآن الكريم آيتان فى سورة تسمى " الممتحنة " تشكلان إطارًا عامًا متوازنًا يحدد علاقة المسلمين بغير المسلمين فى رؤية أخلاقية منصفة لطرفى التعامل مسلمين وغير مسلمين جوهرها " نسالم من يسالمنا ونعادى من يعادينا " والآيتان هما قوله تعالى: **{لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوَهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}** [١].

(١) الممتحنة: ٨، ٩.

وأعتقد أنكم إخوتى فى الإنسانية مواطنى أمريكا وأوروبا ترون - كما أرى أن هذا الضابط الأخلاقى والإنسانى العادل والمتوازن الذى حددته الآيتان السابقتان أعظم شاهد على إنصاف الإسلام لنفسه وللآخرين لا يرفضه إلا من يكون العدوان بعض طباعهم فيعتدون ويعتدون فإذا قام المعتدى عليهم برد هذا العدوان صرخوا هذا إرهابى يمارس الإرهاب ومن حقنا أن نسحقه ونسقى الأرض من دمه؟!!

ألا ترون - معى - أن الإسلام فى تعامله مع الآخرين عادل ومنصف وعظيم وأنه يحفظ ويرعى حقوق الآخرين ولا يفرط كذلك فى حقه وحق أتباعه، ومعياره فى كل ذلك هو رعاية الحق والعدل؟!

* * * * *

المطلب الرابع:
الإسلام دين الرفق والرحمة

نعم: الإسلام دين الرحمة والرفق بكل ما فى الكون من المخلوقات الحية: الإنسان والحيوان والطير وكل ذات كبد رطبة من مخلوقات الله.

وحسبى بداية أن أشير إلى أن القرآن الكريم كتاب رسالة محمد ﷺ قد أعلن بوضوح قاطع أن رسالة محمد هى الرحمة المهداة من الله إلى الناس، وأن الرحمة والرأفة هما أبرز صفات صاحب الرسالة ﷺ.

جاء ذلك فى مثل قوله تعالى:**{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}** [(١)]. ولو شئنا التعرف على هذه الرحمة المهداة إلى العالمين، ونظرنا فى المحتوى الحضارى لهذه الرسالة من مختلف جوانبها فى التعامل مع الآخر، وفى قبول " التعددية "، وفى " التعارف " والتعايش السلمى بين الأنظمة والشعوب. أو فى السياسة الشرعية، وفى الاقتصاد والاجتماع، وفى الحرب والسلام، وفى العلاقات الدولية والعلاقات الأسرية..

لو شئنا التعرف على هذا المحتوى الحضارى والإنسانى لهذه الرسالة وللرسول محمد ﷺ لرأينا بوضوح أن الرحمة والرفق ورعاية الجانب الإنسانى فى كل التعاملات هو الجانب الأظهر والأمثل الذى تكون الرحمة دافعه وإطاره وغاية كل توجه فيه.

---

(١) الأنبياء: ١٠٧.

ولو أخذنا - على سبيل المثال - غاية " الجهاد " فى الإسلام لوجدناها تنحصر فى حماية رسالات السماء - كل رسالات السماء - اليهودية والمسيحية والإسلام - حماية أتباعها من بأس الكفار والملاحدة، وحماية دور عباداتهم وفى ذلك من الرحمة ما فيه..

ولوجدنا الغاية، بل الواجب الثانى للجهاد وهو حماية المستضعفين فى الأرض من بطش المتجبرين كما جاءت الدعوة إليه فى الآية الكريمة:**{وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِياًّ وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً}**(١).

فدفاع الإسلام عن هؤلاء المستضعفين فى الأرض رحمة ما بعدها رحمة، بل إنه قسمة حضارية للإسلام لم يشاركه فيها أى دين آخر لا سماوى ولا وضعى.

من هنا - وفى إطار كون رسالة محمد ﷺ هى الرحمة للعالمين كان وصف القرآن له تأكيدًا لطبيعة الرأفة والرحمة فى صفاته وأخلاقه كما قالت الآية:**{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}** (٢).

وتأكيدًا وتطبيقًا لما وصفه القرآن كانت الرحمة وكان الرفق أبرز شمائله ﷺ. وكان اختياره دائمًا للأيسر من الأمور فكما تقول السيرة: إنه ما خُيّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس عنه، وكان يحض أصحابه على الرفق ويقول: " من حُرِمَ الرفق حُرِمَ الخير كله " ويقول: " إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله ".

ولم تكن رحمة الرسول ولم يكن رفقه ولينه وتلطفه مجرد فضيلة شخصية وإنما كان منهاج تربية وحماية وجدان المسلمين من القسوة والعنف بحيث يكون التراحم سمة المجتمع كله وأسلوب تعامله مع كل من حوله من الإنسان أو الحيوان أو الطير.

ولأن أحق الناس بالرحمة فى المجتمعات الإنسانية هم المستضعفون من النساء والولدان والعجزة والمرضى من الرجال، فقد عنيت رسالة محمد ﷺ برعايتهم والرفق بهم والإحسان إليهم على نحو ما هو مبسوط فى كتب السيرة والتاريخ ولا يتسع المقام هنا لتفصيله.

---

(١) النساء: ٧٥.

(٢) التوبة: ١٢٨.

فقط أورد بعض أمثلة:

يقول الصحابى البدرى أبو مسعود رضى الله عنه: [كنت أضرب غلاما بالسوط فسمعت صوتًا يقول لى: اعلم أبا مسعود؛ فلم أعرف الصوت من شدة الغضب فلما دنا منى إذا هو رسول الله ﷺ وإذا هو يقول: «**إعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام ، فقلت: لا أضرب مملوكًا لى أبدًا بعد هذا اليوم**» [١].

وعن ابن عمر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من ضرب مملوكًا له فكفارته أن يعتقه**» [٢].

وهكذا رِفْق الإسلام ورحمته بالمستضعفين. مجرد لطمة للعبد أو ضربة له بالسوط لا يكفرها إلا تحريره وعتقه رحمة ورفقًا واحترامًا إسلاميًا لحق الإنسان فى الكرامة وصون كبريائه الإنسانى حتى ولو كان عبدًا مملوكًا دفع مولاه ثمن شرائه، وكان ذلك - بالطبع - قبل تحرير الإسلام لكل الأرقاء[٣].

أما عن رفق الإسلام بالحيوان الأخرس:

فأعرض بعض مواقف ونماذج من كلمات رسول الرحمة والرفق محمد ﷺ ومن سلوكيات بعض أصحابه ليرى من يكرهون الإسلام أنهم يظلمون أنفسهم ويظلمون الإسلام عسى أن يراجعوا أنفسهم ويصححوا مواقفهم. فقد مرّ رسول الله ﷺ بحمار موسوم على وجهه (يعنى مكوى بالنار كعلامة معينة يعرفه بها صاحبه) فقال ﷺ : «**لعن الله من وسمه**».

وتروي كتب السيرة أن أعرابيًا من المسلمين كان يسير فى الصحراء وأدركه العطش فرأى طيور تعلو وتهبط فأدرك بخبرة أهل البادية أن هذا مكان فيه ماء فقصده فوجد بئرًا فنزل وشرب فلما خرج رأى كلبًا يلهث (يأكل الثرى من العطش)، فقال فى نفسه لقد بلغ العطش بهذا الكلب مثل الذى كان بى. فعاد ونزل البئر فملأ خفه (حذاء من الجلد يطبق على القدم) ثم صعد وسقى الكلب وظل يصعد وينزل ليسقى الكلب حتى ارتوى.. وبلغ خبره محمدًا ﷺ فقال: «**اطلع الله على هذا الأعرابى فغفر له**» [٤].

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان - باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده.

(٢) السابق نفس الكتاب والباب.

(٣) الإسلام دين رحمة وحضارة وسلام لا دين إرهاب. د. عبد الصبور مرزوق/بتصرف.

(٤) مسند الإمام أحمد من حديث أى هريرة.

وعند ذبح الحيوان أمر ﷺ أصحابه وقال: **«فليحد أحدكم شفرته ولْيرح ذبيحته»** [١].

أما عن رحمة الإسلام بالطير:

فقد مرّ عبد الله بن عمر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرًا يترامونها (يوجهون سهامهم إليها للتدرب على دقة الرمى) فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، وأضاف أن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا.

وعن أبى مسعود البدرى رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فانطلق لحاجته فرأينا حُمّرة (نوع من الطير) معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحُمّرة فجعلت تعرش (ترفرف بجناحيها على فرخيها لهفة وشفقة)، وجاء النبى ﷺ فقال: **«من فجع هذه بولديها؟ رُدوا ولديها عليها»** [٢] ففعلنا.

ويقول أبو مسعود البدرى: ورأينا قرية نمل فأحرقناها فلما رآها الرسول ﷺ قال: **«من أحرق هذه؟»** قلنا نحن قال: **«لا ينبغى أن يُعذِب بالنار إلا رب النار»** [٣].

وذات يوم مرّ الرسول ﷺ على بعير قد لصق بطنه بظهره من الجوع فقال ﷺ : **«اتقوا الله فى هذه المُعجمة (الحيوانات) اركبوها صالحة وكلوها صالحة»** [٤] يعنى أعطوا هذه الحيوانات حقها من الطعام والشراب ولا تجِيعوها أو تعطشوها.

ومواصلة لمنهج الإسلام فى الرحمة بالحيوان والطير قال رسول الله ﷺ : **«دخلت امرأة النار فى هرة (قطة) حبستها فلا هى أطعمتها ولا تركتها تأكل من خُشاش من الأرض»** [٥].

أسوق هذه الأمثلة التى حفل بها المجتمع الإسلامى فى عصر النبوة والراشدين وزمن الازدهار الحضارى لجوهر وتعاليم وقيم الإسلام..

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الصيد والذبائح - باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة.

(٢) رواه أبو داود فى كتاب الأدب - باب ١٦٤.

(٣) رواه أبو داود فى كتاب الجهاد، باب ٤٤.

(٤) رواه أبو داود فى كتاب الجهاد - باب فى نزول المنازل.

(٥) رواه البخارى فى صحيح كتاب بدء الخلق - باب ١٦.

أسوقها للذين تغرهم قوتهم أو سلطانهم أو أموالهم فيعاملون الأسرى والخدم والموالى بقسوة ما بعدها قسوة عسى أن يحرك الله فى قلوبهم مشاعر الرحمة والرفق بعباده فيتأسّوْا بالإسلام ويتعلموا منه.

وأسوقها كذلك لمن يزعمون أن الإسلام دين الإرهاب والعنف عسى أن تدفعهم هذه النماذج الرحيمة لإنصاف الإسلام.

إن الدين (الإسلام) الذى يرفق بالإنسان بمثل ما عرفنا من صور الرفق والرحمة، ثم تتسع رحمته ويمتد رفقه ليشمل الحيوان والطير وحتى النمل فى سراديبه وجحوره لا يمكن أبدًا أن يكون دين إرهاب ولا دين عنف.

بل إنه كما ذكرت قبل قليل أنه الدين الذى قامت شريعته فى معظم الأمور على الرحمة والرفق وعلى التيسير والمسالمة.

ولو قدر للبشرية أن تقترب من الإسلام وتحسن التعرف على ما فى شريعته من رقى وتحضر وما تقوم عليه من حب الخير للناس كل الناس لدخلوا كلهم فى الإسلام طائعين مختارين سعداء.

* * * * *

المطلب الخامس:
لماذا ظهرت الجماعات الإرهابية في ديار المسلمين؟!!!

أعمال هذه الجماعات الإرهابية ليس لـه مبرر شرعى من الإسلام، بل هم فى الواقع أسرى فكر غير معتدل. وكبار الفقهاء المسلمين رفضوا وأدانوا فكر وسلوك هذه الجماعات ليس موالاة للحكام ولكن دفاعًا عن صحيح الإسلام لأن فكرهم وسلوكهم كان ظلمًا للإسلام وإساءة إليه فى كثير من أعمالهم.

أما الدوافع والعوامل التى أدت لظهور هذه الجماعات هى عوامل اجتماعية متشابكة نشير إلى بعضها:

* الوضع السياسى والاقتصادى والاجتماعى لعالم المسلمين وما هو عليه الآن من تخلف وضياع كان رد فعله التلقائى هو ضياع أحلام وآمال الشباب فى مستقبل أمتهم فاستداروا إلى داخلهم يحاولون بالقوة أن يغيروا الأنظمة القائمة.

* ووصولاً إلى هذه الغاية كونوا لأنفسهم - وبأنفسهم - غطاء شرعيا يبرر مناهضتهم للسلطة فى بلادهم وخروجهم عليها.

* ولأنهم لا يملكون الفقه الصحيح للإسلام فقد اعتمدوا ظواهر بعض النصوص الدينية التى تدعو إلى الجهاد لرد العدوان على الدين وعلى الأمة دون أن ينفذوا إلى المضامين الحقيقية وراء هذه النصوص، وأيضًا دون أن يلاحظوا بقية النصوص المنزلة فى الموضوع ذاته والتى تضبط الفهم على الحكم الصحيح للإسلام.

جعلوا من الأمور المنافية للإسلام فى المجتمع مثل تبرج النساء وتورط أجهزة الإعلام فى إذاعة أنماط من السلوكيات تتنافى مع آداب الإسلام وتعاليمه.. جعلوا من هذه الظواهر المستفزة دليلاً على حكمهم بتكفير الحكام، ثم تكفيرهم للمجتمع المسلم كله لأنه لم يُنكر أو يُغيِّر هذه الأنظمة الفاسدة.

ولكى يبرروا دعوتهم إلى تغيير أنظمة الحكم بالقوة أعلنوا أن جميع الأنظمة الحاكمة فى العالمين العربى والإسلامى أنظمة غير شرعية لأنها لم تأت برغبة الأمة وإرادتها وإنما جاءت أحيانًا بقوة السلاح وأحيانًا بانتخابات غير صحيحة.

أعلنوا فى الناس أنهم خارجون لتغيير المنكر الذى أمر الرسول ﷺ بتغييره فى قوله: **«من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»** [(١)]. مع أن تغيير المنكر باللسان من اختصاص الدعاة المتمكنين من العلم، أما تغيير المنكر بالقوة فهذا من اختصاص ولى الأمر الحاكم، الذى يكون بالطبع مالكًا للقوة التى تضبط التغيير وتقننه حتى لا تتحول الأمور إلى فوضى وإلى فتنة عامة.

أثبتت أدبيات هذه الجماعات واعترافاتها أمام القضاء أنهم يطلبون السلطة ويرغبون فى الوصول إلى الحكم..

وأن الإسلام ليس إلا شعارًا يستميلون به العامة والبسطاء إلى صفوفهم.

ولأن المقام هنا لا يتسع لتفصيل وتحليل فكر ومواقف وأعمال هذه الجماعات الإرهابية التى ظهرت فى كثير من البلاد الإسلامية.

فإني أحيل القارئ إلى فصل عن هذه الجماعات فى بحث قدمه الفقيه المصرى الكبير الشيخ يوسف القرضاوى إلى المؤتمر الثانى عشر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر بمصر والذى عقد فى القاهرة.

وخلاصة القول فى إجابتنا أن الجماعات الإرهابية نشأت أول ما نشأت فى بلادنا الإسلامية أقول: نعم هى نشأت فى بعض البلاد الإسلامية.

ونعم هى أعلنت انتسابها إلى الإسلام وأنها تجاهد لتطبيق شريعته.

ونعم أن كثيرين من أفراد هذه الجماعات ملتزمون بالإسلام فى مظهرهم وعباداتهم..

لكن مكمن العلة فى عدم الالتزام بالرحمة والرفق والمسالمة ولجوئهم إلى العنف وإراقة الدماء سببه الأول والأكبر هو سوء فهمهم وقصور عقولهم عن إدراك حقيقة الإسلام - فأساءوا إليه وظلموا أنفسهم وظلموه.

هل العنف والإرهاب ظاهرة إسلامية؟:

أطرح هذا التساؤل: هل العنف ظاهرة إسلامية؟ وهل يعتبر الإسلام هو المسئول عنها؟ ومن ثم تجب محاربته ويجب اعتباره عدوًا يجب القضاء عليه؟

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان - باب ٢ بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان.

أقول: العنف والإرهاب ليس أبدًا ظاهرة إسلامية. فالإسلام كما ذكرنا دين الرحمة ودين السلام والحوار والتعارف والتعاون والتحضر أيضًا.

ولو تابعنا حالات الإرهاب فى العالم اليوم لوجدناها تكاد تكون عامة فى معظم قارات وبلاد العالم، وليست مقصورة على ديار الإسلام.

ففى بلادكم إرهاب تسجله أحداث أوكلاهوما التى اتهم فيها العرب والمسلمون ثم أثبتت التحقيقات أنها صناعة أمريكية لجماعة إرهابية.

وفى المملكة المتحدة إرهاب تمثل فى حوادث اعتداء على مدارس الأطفال كما أعلنته وكالات الأنباء.

وهو إرهاب لا يقتل فردًا أو يحرق سيارة وإنما يروع المجتمع كله جهارًا نهارًا لا يبالى بأحد ولا يرحم من يعترض طريقه طفلاً أو امرأة أو مقعدًا على دراجة كما نشرته الصحف والمجلات الناطقة بالإنجليزية.

وفى الهند إرهاب شديد العنف يمارسه " الهندوس " ضد المسلمين، وينفجر من حين إلى آخر كالإعصار يدمر فى طريقه كل شيء دون أدنى رحمة.

وفى اليابان إرهاب - وفى الصين إرهاب.

أما فى أفريقيا فيكاد معظم دولها - غير مسلمة - فى حالة إرهاب مستمر لا تنجو منه دولة ولا يستقر معه نظام.

ولو شئنا ردّ الأمور إلى أصولها وجذورها لوجدنا الإرهاب صناعة عالمية تُسأل عنها كل دول العالم والغربى منها بصفة خاصة.

ذلك لأن الإرهاب فى حقيقته إنما هو حالة ثورة وتمرد عنيف على ما يعايشه الإنسان من الإحساس بالظلم والإحباط واغتيال حقوقه وإهدار كرامته وامتهان إنسانيته فلا يجد تعبيرًا عن رفضه لكل هذه الأحوال سوى العنف والتمرد. ولا سيما عندما يبذل كل الوسائل المشروعة فلا يجد من يستجيب لـه.

وقبل إنهاء الاستعمار فى عام ١٩٦٠م هبت الثورات فى جميع دول العالم التى كانت مستعمرة تطالب بالاستقلال وتمارس العنف دفاعًا عن حقوقها.

ومع هذا كان المؤرخون لهذه الثورات الوطنية لا يصفونها بالإرهاب أو بالعنف وإنما كانوا يمجدون أعمالها ويحيون قادتها وزعماءها ولا يصمونها بالإرهاب.

حدث ذلك مع المهاتما غاندى فى ثورته على الإنجليز الذين كانوا يحتلون بلاده. وحدث ذلك مع سعد زغلول زعيم ثورة ١٩١٩م ضد الاحتلال البريطانى لمصر. وحدث مع جوليوس نيريرى فى ثورته من أجل استقلال جنوب إفريقيا. ولا ننسى ثورة الجزائر بلد المليون شهيد ضد الاستعمار الفرنسى وفى القريب حدث ذلك مع الثورة على شاه إيران، وحدث مع جميع ثورات التحرر الوطنى والعدل الاجتماعى المسالم منها أو الذى استخدم العنف ولم يقل مؤرخ أبدًا إن من قاموا بها إرهابيون.

* * * * *

المطلب السادس:
هذا هو رسول الله ﷺ

دعوة وهداية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي قلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال رسول الله ﷺ : **«اللهم اهد أم أبي هريرة»**.

فخرجت مستبشرًا بدعوة نبي الله ﷺ فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف (أي مغلق) فسمعت أمي خشف (أي صوتهما في الأرض) قدمي فقال: مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء (أي صوت تحريك).

قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح قال قلت: يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرًا، قال قلت: يا رسول الله ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا، قال: فقال رسول الله ﷺ : **«اللهم حبب عبيدك هذا يعني أبا هريرة وأمه إلى عبادك المؤمنين وحبب إليهم المؤمنين»** فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني [١].

---

(١) رواه مسلم.

هـذا والعصـر الـذي نعـيش فيـه هـو أشـد العصـور فقـرا إلـى الاتصـال بالسـماء، والانعطاف إلـى الـدين، والتـوقير لكلمـات الله. فالعـالم - اليـوم - يحتـاج إلـى أن يعـرف الله كما عـرف نفسـه إلـى عبـاده فـي القـرآن. محتـاج إلـى أن يعـرف "محمـدا " ﷺ وأن يـدرس سيرته دراسة بعيدة عن التزايد والأهواء. محتاج إلى جملة الحقائق التي جاء بها الإسلام من عقائد وعبادات وأخلاق ومعاملات. ولو أن الأقدار يسرت بتقريبه وتحقيقه للعالمين لا ستفاد منـه البشـر أجمعـون. ولكـن كـم خسـر العـالم مـن انحطـاط المسـلمين؟ روى ابـن وضـاح فـي كتـاب "البـدع والنهـي عنهـا": عـن حذيفـة بـن اليمـان رضـي الله عنـه "أنـه أخـذ الحصاة بيضاء، فوضعها في كفه، ثم قال: إن هذا الدين قد استضاء إضاءة هذه الحصـاة. ثم أخذ كفا من تراب، فجعل يذره على الحصاة حتى واراها، ثم قـال: "والـذي نفسـي بيده ليجيئن أقوام يدفنون الدين كما أخبر النبـي ﷺ. فعـن أبـي أيـوب رضـي الله عنـه قـال: قـال رسول الله ﷺ : **«لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله»**.

ودور الأمة الإسلامية - اليوم -: محاولة استعادة مجدها بتجديد ما اندرس من معالم دينهـا فـي حياتهـا. فوظيفتهـا فـي حياتهـا. فوظيفتهـا التـي خلقـت مـن أجلهـا: حراسـة وحـي السماء، وإبقاء مناره عاليا يومض بالإشعاع الهادي كي يهتدي بـه السـائرون فـي ظلمـات البـر والبحـر.**{وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ}**. إن وقـوف الأمـة الإسـلامية فـي خنـدق واحـد للـدفاع عـن حرمـات دينها والذود عن حياضه، وتطبيق أحكامه واحترام جنابه، هو السبيل الوحيد لإنقاذ نفسها مـن وهـدتها السـحيقة التـي سـقطت فيهـا:**{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}**. وهـا هـو النبـي ﷺ يأمرنـا بالاسـتنفار العـام، فيقـول: **«بلغوا عني ولو آية»**. إن قيام جماهير الأمة الإسلامية - فيما مضي - بذلك الواجب ابقى شـعائر الإسـلام حيـة فـي المجتمـع، وجعـل أمـام العصـاة والمنحلـين حـواجز مرهبـة، ولـن يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أولها " فهل من مدكر ".

لم تقتصر سماحة النبي ﷺ مع المسلمين فقط بل شملت أهل الكتاب والمشركين أثناء الحرب فقد أوصـى بـالقبط خيـرًا وثبـت عنـه أنـه قـال: **«إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرًا ، فإن لهم ذمة ورحمًا»** [١].

(١) أخرجـه الحـاكم وصـححه ووافقـه الـذهبي (المسـتدرك ٢ / ٥٥٣) وصـححه الألبـاني فـي السلسـلة الصـحيحة ح

وفي صحيح مسلم: **«ستفتحون أرضًا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرًا فإن لهم ذمة ورحمًا»** [1].

قال النووي: وفي رواية: **«ستفتحون مصر ، وهي أرض يسمى فيها القيراط»** ، وفيها: **«فإن لهم ذمة ورحمًا»...** " قال العلماء القيراط جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما، وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به، وأما الذمة فهي الحرمة والحق وهي هنا بمعنى الذمام، وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم وأما الصهر فلكون مارية أم إبراهيم منهم[2].

أما سماحته مع اليهود فعندما قتل أحد الصحابة في أحد أحياء اليهود في خيبر فقد رضي وقبل ﷺ يمين اليهود إذ أقسموا أنهم لم يقتلوه ولم يعلموا قاتله فقد أخرج البخاري بسنده عن بشير بن يسار قال: «زعم أن رجلاً من الأنصار يقال له سهل بن أبي حثمة أخبره أن نفرًا من قومه انطلقوا إلى خيبر فتفرقوا فيها فوجدوا قتيلاً، وقالوا للذي وجد فيهم: قد قتلتم صاحبنا، قالوا: ما قتلنا وما علمنا قاتلاً، فانطلقوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله انطلقنا إلى خيبر فوجدنا أحدنا قتيلاً، قال: الكُبرَ الكبرَ، فقال لهم تأتون البينة على من قتله؟ قالوا: ما لنا بينة، قال: فيحلفون، قالوا: لا نرضى بأيمان اليهود، فكره رسول الله ﷺ أن يُطَّلَّ دمه " فوداه مائة من إبل الصدقة» [3].

قال ابن حجر: قوله: (باب القسامة) بفتح القاف وتخفيف المهملة هي مصدر أقسم قسمًا وقسامة، وهي الأيمان تقسم على أولياء القتيل إذا ادّعوا الدم أو على المدعى عليهم الدم، وخصّ القسم على الدم بلفظ القسامة، وقال إمام الحرمين: القسامة عند أهل اللغة اسم للقوم الذين يقسمون، وعند الفقهاء اسم للأيمان، وقال في المحكم: القسامة الجماعة يقسمون على الشيء أو يشهدون به، ويمين القسامة منسوب إليهم ثم أطلقت على الأيمان نفسها، قال القرطبي في المفهم: فعل ﷺ ذلك على مقتضى كرمه وحسن سياسته وجلبًا للمصلحة ودرءًا للمفسدة على سبيل التأليف، ولا سيما عند تعذر الوصول إلى استيفاء الحق، وقال القاضي عياض: هذا الحديث أصل من أصول الشرع وقاعدة من قواعد الأحكام وركن من أركان مصالح العباد، وبه أخذ جميع الأئمة والسلف من الصحابة

١٣٧٤.

(١) صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة - ٤ / ١٩٧٠ ح ٢٢٧.

(٢) شرح مسلم ١٦ / ٩٧.

(٣) صحيح البخاري - كتاب الديات - باب القسامة ح ٦٨٩٨.

والتابعين وعلماء الأمة وفقهاء الأمصار من الحجازيين والشاميين والكوفيين وإن اختلفوا في صور الأخذ به... (فيطلَّ) بضم أولـه وفتح الطاء وتشديد اللام أي يهدر[١].

قال النووي عند شرحه لهذا الحديث: وفي هذا دليل لصحة يمين الكافر والفاسق واليهودي[٢].

ولو تتبعنا المعاهدات التي صدرت عن النبي ﷺ لوجدنا فيها ضروبًا من التسامح والموادعة والمساواة، ومن هذه المعاهدات " إعلان دستور المدينة الذي اشتمل على سبع وأربعين فقرة منها ما يخص موادعة اليهود كما يأتي:

٢٤ - إن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

٣١ - وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

٣٧ - وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

٤٥ - وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصلحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك، فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين.

٤٦ - وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وإن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره.

- وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ [٣].

---

(١) فتح الباري ١٢ / ٢٣١ - ٢٥٣.
(٢) شرح مسلم ١١ / ١٤٧.
(٣) هذه المعاهدة ورد ذكرها في كتاب الأموال لأبي عبيد ص ٢٩٢ - ٢٩٥ والأموال لابن زنجويه ٢ / ٤٦٦ - ٤٧٠ وسيرة ابن هشام ٢ / ٩٢ والروض الأنف ٤ / ٢٩٣ ومجموعة الوثائق السياسية من ص ٤١ - ٥٠.

قال ابن زنجويه: وقوله: " إن اليهود يُنفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين " فهو النفقة في الحرب خاصة، شرط عليهم المعاونة له على عدوه، ونرى أنه إنما كان يسهم لليهود إذا غزوا مع المسلمين لهذا الشرط الذي شرط عليهم من النفقة، ولولا هذا لم يكن لهم في غنائم المسلمين سهم.

وقوله: " إن يهود بني عوف أمة من المؤمنين " إنما أراد نصرهم المؤمنون، ومعاونتهم إياهم على عدوهم، بالنفقة التي شرطها عليهم، فأما الدّين فليسوا منه بشيء، ألا تراه قد بين ذلك فقال: لليهود دينهم وللمؤمنين دينهم، وقوله " لا يوتغ إلا نفسه " يقول: لا يهلك غيرها [١].

وقد قام بتحليل هذه المعاهدة مؤرخ السيرة أ. د. أكرم بن ضياء العمري، وأنقل ما ذكره بخصوص اليهود فقال: قد تناولت البنود من ٢٥ إلى ٣٥ تحديد العلاقة مع المتهودين من الأوس والخزرج، وقد نسبتهم البنود إلى عشائرهم من العربية، وأقرت حلفهم مع المسلمين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين" وقد وردت العبارة في كتاب الأموال " أمة من المؤمنين " مما جعل أبا عبيد يقول: " فإنما أراد نصرهم المؤمنين ومعاونتهم إياهم على عدوهم بالنفقة التي شرطها عليهم، فأما الدين فليسوا منه في شيء، ألا تراه قد بين ذلك فقال لليهود دينهم وللمؤمنين دينهم[٢]" أما ابن إسحاق فقد قال: " مع المؤمنين " وهو أجود، ولعل ما في كتاب الأموال مصحّف، وقد كفلت المادة رقم ٢٥ لليهود حريتهم الدينية، كما حددت مسئولية الجرائم وحصرتها في مرتكبها (إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ - أي لا يهلك - إلا نفسه وأهل بيته) فالمجرم ينال عقابه وإن كان من المتعاهدين (لا يحول الكتاب دون ظالم ولا آثم)... كما أن المعاهدة امتدت بموجب البند رقم ٤٥ لتشمل حلفاء المسلمين وحلفاء اليهود من القبائل الأخرى، إذ شرطت المادة على كل طرف مصالحة حلفاء الطرف الآخر لكن المسلمين استثنوا قريشًا " إلا من حارب في الدين " لأنهم كانوا في حالة حرب معهم[٣].

---

(١) الأموال ٢ / ٤٧٢.

(٢) أبو عبيد: الأموال ص ٢٩٦.

(٣) المجتمع المدني في عهد النبوة ص ١٢٧، ١٢٨.

كما نرى تسامحه مع أهل الكتاب من الذين يعادون ويخالفون فيما يفتي إذ يتكلمون فيه ويبلغه ذلك، ثم يقدم لهم الهدية من اللبن أخرج مسلم بسنده عن أنس «أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم، لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبيِّ ﷺ النبيَّ ﷺ فأنزل الله تعالى:**{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ}** إلى آخر الآية فقال رسول الله ﷺ : **«اصنعوا كل شيء إلا النكاح»**، فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه، فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا: يا رسول الله! إن اليهود تقول: كذا وكذا، فلا نجامعهن؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد عليهما، فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي ﷺ، فأرسل في آثارهما، فسقاهما، فعرفا أن لم يجد عليهما» [١].

بل نجد سماحته مع لبيد بن الأعصم الذي سحر النبي ﷺ في مشط ومشاطة وجف طلع نخل ذكر في بئر روان، وحينما أخبر عائشة بذلك قالت لـه: أفلا استخرجته؟ قال: **«قد عافاني ، فكرهت أن أثير على الناس فيه شرا ، فأمر بها فدفنت»**.

المشاطة وما يخرج من الشعر إذا مشط، والمشاط من مشاطة الكتان [٢].

وهكذا كان تسامحه مع بعض المنافقين فقد تحمل المنافق عبد الله بن أُبي ابن سلول قصة الإفك ومع ذلك فقد عفا عنه ﷺ [٣]، بل حينما مات عبد الله بن أُبي غطّاه بقميصه واستغفر لـه حتى نزل قولـه تعالى:**{اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ}**[٤]

كما عفا النبي ﷺ عن عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي، بينما كان النبي ﷺ يقسم فقال لـه: **«اعدل يا رسول الله»**، فقال: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟ قال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه، قال: **«دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر نضيّه فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق الفرث والدم ، آيتهم رجل إحدى يديه – أو قال ثدييه – مثل ثدي المرأة ، أو قال مثل البضعة تدردر ، يخرجون على حين فرقة من الناس»**،

---

(١) الصحيح - الحيض - ب جواز غسل الحائض رأس زوجها ح ٣٠٢.

(٢) صحيح البخاري - كتاب الطب - باب السحر ح ٥٧٦٣.

(٣) صحيح البخاري - كتاب التفسير - سورة آل عمران ٨ / ٧٨ ح ٤٥٦٦.

(٤) سورة التوبة آية ٨٠.

قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبي ﷺ، وأشهد أن عليًا قتلهم وأنا معه، جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي ﷺ، قال: فنزلت فيه**{وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ}**»(١).

إنها غاية السماحة إذ لم ينتصر رسول الله ﷺ لنفسه بل عفا عنه.

كما لـه مواقف أخرى مع المشركين فقد أخرج النسائي بسنده الثابت عن عبد الله بن مغفل المزني، قال: كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله، وكأني بغصن من أغصان تلك الشجرة على ظهر رسول الله ﷺ، فرفعته عن ظهره، وعلي بن أبي طالب وسهيل بن عمرو بين يديه، فقال رسول الله ﷺ : **«اكتب بسم الله الرحمن الرحيم»** فأخذ سهيل يده فقال: ما نعرف الرحمن الرحيم، اكتب في قضيتنا ما نعرف، فقال: **«اكتب باسمك اللهم ، هذا ما صالح عليه محمد رسول الله أهل مكة»**، فأمسك بيده فقال: لقد ظلمناك إن كنت رسولا، اكتب في قضيتنا ما نعرف، فقال: **«اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، وأنا رسول الله»**، قال فكتب، فبينما نحن كذلك، إذ خرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح، فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم النبي ﷺ فأخذ الله بأبصارهم، فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال لهم رسول الله ﷺ : **«هل جئتم في عهد أحد ، أو هل جعل لكم أحد أمانًا»**، فقالوا: لا، فخلى سبيلهم، فأنزل الله عز وجل**{وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ}** إلى قوله**{بَصِيرًا}**»(٢).

لقد كان بإمكانه أن يأسرهم أو أن يقتلهم ولكن سماحته تأبى ذلك بل قال لهم ولغيرهم من أهل مكة حينما فتحها: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

فقد تجلّت روح التسامح عند النبي ﷺ حتى في الحرب فقد قال لهم أيضًا: **«من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن ألقى السلاح فهو آمن»** (٣).

ومن تسامحه مع المشركين أيضًا أنه كان لا يمنع صلة المسلمين بأهلهم المشركين فقد أخرج البخاري بسنده عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: أتتني أمي

---

(١) صحيح البخاري - كتاب استتابة المرتدين - باب من ترك قتال الخوارج ١٢ / ٣٠٣ ح ٦٩٣٣.

(٢) (التفسير ٢ / ٣١٢ - ٣١٤ ح٥٣١)، وأخرجه أحمد (المسند ٤ / ٨٦ - ٨٧)، والحاكم (المستدرك ٢ / ٤٦٠ - ٤٦١) من طريق الحسين بن واقد عن ثابت به، قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٦ / ١٤٥)، وقال ابن حجر: أخرجه أحمد والنسائي من حديث عبد الله بن مغفل بسند صحيح (الفتح ٥ / ٣١٥)، والحديث أخرجه مسلم من حديث ثابت عن أنس (الصحيح ٣ / ١٤١١ ح١٧٨٤) بنحوه مختصرًا.

(٣) صحيح مسلم - كتاب الجهاد - باب فتح مكة ح ١٧٨.

راغبة في عهد النبي ﷺ فسألت النبي ﷺ أصلها؟ قال: **«نعم»** [١].

إن هذا المنهج العملي والقولي في التسامح والارتقاء فوق حظوظ النفس يؤتي أكله كل حين بإذن الله تعالى، فقد أثّر في نفوس الصحابة ﷺ والتابعين رحمهم الله ومن جاء بعدهم إلى يومنا هذا نرى صورًا ونماذج من التسامح التي ازدانت بها صفحات التاريخ كالخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه في لون آخر من التسامح مع المشركين فقد أخرج البخاري بسنده عن عبد الله بن دينار قال: " سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «رأى عمر حلة سيراء[٢] تباع، فقال: يا رسول الله، ابتع هذه والبسها يوم الجمعة وإذا جاءك الوفود، قال: إنما يلبس هذه من لا خلاق لـه، فأُتِيَ النبي ﷺ منها بحلل فأرسل إلى عمر بحلة فقال: كيف ألبسها وقد قلت فيها ما قلت؟ قال: **«إني لم أعطكها لتلبسها ، ولكن لتبعها أو تكسوها»**، فأرسل بها عمر إلى أخ لـه من أهل مكة قبل أن يسلم[٣].

وهذا أنموذج آخر في زمن معاوية رضى الله عنه فإن الكفار لمّا نقضوا عهدهم امتنع المسلمون من قتالهم وقالوا: وفاء بغدر خيرٌ من عذر بغدر[٤].

إنه ذروة التسامح الذي نهجه النبي ﷺ وأمر به بقولـه: **«أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك»** [٥].

وإليك أنموذجًا آخر في زمن التابعين في درء الحدود فقد أخرج البخاري بسنده عن أبي قلابة أن عمر بن عبد العزيز أبرز سريره يومًا للناس ثم أذن لهم فدخلوا، فقال: ما تقولون في القسامة؟ قالوا القسامة القود بها حق، وقد أقادت بها الخلفاء، قال لي: ما تقول يا أبا قلابة؟ ونصبني للناس؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، عندك رءوس الأجناد وأشراف العرب، أرأيت لو أن خمسين منهم شهدوا على رجل محصن بدمشق أنه قد زنى ولم يروه أكنت ترجمه؟ قال: لا، قلت: أرأيت لو أن خمسين منهم شهدوا على رجل بحمص

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب صلة الولد المشرك وباب صلة المرأة بأمها ولها زوج ١٠ / ٤١٣ ح ٥٩٧٨ و٥٩٧٩.

(٢) السيراء بكسر السين وفتح الياء والمد نوع من البرود يخالطه حرير كالسُّيور وقيل: الحلة من الحرير وقيل فيها خطوط من إبريسم كالسيور، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢ / ٤٣٣ - ٤٣٤).

(٣) صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب صلة الأخ المشرك ١٠ / ٤١٤ ح ٥٩٨١.

(٤) انظر تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام للإمام بدر الدين بن جماعة ص ٢٣٤.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه - كتاب البيوع - ح ١٢٦٤ وحسّنه وهو كما قال.

أنه سرق أكنت تقطعه ولم يروه؟ قال: لا [(١)]...

إنه منهج دقيق في التثبت واحتياط رفيق بالمتهم لأن الشبهة قائمة والتهمة لم يجزم بها بواسطة الرؤية التي هي محور الجزم.

* * * * *

المطلب السابع:
أهمية الدعوة إلى الله عز وجل

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب عليَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار**».

مدح الله تعالى الأمة الإسلامية بقولـه:**{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}**. فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا المدح كما قال قتادة: بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها، أي من الناس دعة، فقرأ هذه الآية:**{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}** ثم قال: "من سره أن يكون من هذه الأمة، فليؤد شرط الله فيها " ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله تعالى:**{كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ}** وفي هذه " الوصية ": عظم النبي ﷺ شأن الدعوة إلى الله تعالى، وأمر أمته بالبلاغ، فقال: «**بلغوا عني ولو آية**». فلا حجة لمسلم بعد هذا في ترك الدعوة إلى الله تعالى. قال المعافي النهرواني - رحمه الله - في قوله ﷺ : «**ولو آية**»: " أي واحدة ليسارع كل سامع إلى تبلغ ما وقع لـه من الآي ولو قل ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به ﷺ ".

قوله ﷺ : «**وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»: لا ضيق عليكم في الحديث عنهم لأنه كان تقدم منه ﷺ الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم ثم حصل الوسع في ذلك، وكن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم ما زال المخدور وقع الإذن في ذلك لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار.

وقيل: معنى قولـه: " ولا حرج ": لا تضيق صدوركم بما تسمعونه عنهم من الأعاجيب فإن ذلك وقع لهم كثيرا.

---

(١) الصحيح - كتاب الديات - باب القسامة ح ٦٨٩٩.

وقيل: لا حرج في أن تحدوا عنهم لأن قولـه أولا: " حدثوا " صيغة أمر تقتضي الوجوب فأشار إلى عدم الوجوب وأن الأمر فيه للإباحة بقولـه: " ولا حرج " أي في ترك الحديث عنهم وقال مالك - رحمه الله تعالى -: " المراد: جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن أما ما علم كذبه فلا " وقيل: المعنى حدثوا عنهم بمثل ما ورد في القرآن والحديث الصحيح.

وقال الشافعي - رحمه الله تعالى -: " من المعلوم أن النبي ﷺ لا يجيز التحدث بالكذب، فالمعني: حدثوا عن نبي إسرائيل بما لا تعلمون كذبه، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم، وهو نظير قولـه: **«إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم»** ولم يرد الإذن ولا المنع من التحدث بما يقطع بصدقه.

* * * * *

المطلب الثامن:
سماحة النبي محمد ﷺ في معاملة غير المسلمين

بعث الله تعالى نبيه ﷺ رحمة للعالمين، وهو ﷺ مثال للكمال البشري في حياته كلها، مثال للكمال في علاقته بربه وفي علاقته بالناس كلهم بمختلف أجناسهم وأعمارهم وألوانهم، مسلمين وغير مسلمين، قال جابر بن عبد الله رضى الله عنه «كان رسول الله ﷺ رجلا سهلا» [(١)]، قال النووي: " أي سهل الخلق كريم الشمائل لطيفا ميسرا في الخلق "[(٢)].

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها» [(٣)]. بمثل هذه القيم كانت دعوة النبي ﷺ، يسر في كل شيء، وذود عن حرمات الله لا عن عرض الدنيا أو أهواء النفوس.

وتعدد صور السماحة في هدي النبي ﷺ مع غير المسلمين وشواهد ذلك من سيرته لا تحصر وأذكر منها ما يلي:

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران، رقم الحديث: ١٢١٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤٠٧هـ، ج ٤ ص ٤١٠.

(٣) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ، رقم الحديث: ٣٥٦٠.

١- رحمته ﷺ بالخلق عامة وهو الذي قال الله عز وجل عنه:**{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}**[١]، فكان ﷺ الرحمة المهداة إلى الخلق كلهم، وحث على العطف على الناس ورحمتهم فقد قال ﷺ : **«لا يرحم الله من لا يرحم الناس»** [٢]، وكلمة الناس هنا تشمل كل أحد من الناس، دون اعتبار لجنسهم أو دينهم وجاءت النصوص في باب الرحمة مطلقة، وقد ساق البخاري في باب رحمة الناس والبهائم حديث النبي ﷺ : **«ما من مسلم غرس غرسا فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له صدقة»** [٣]، فدين الإسلام دين السماحة والرحمة يسع الناس كلهم ويغمرهم بالرحمة والإحسان.

٢- تجاوزه عن مخالفيه ممن ناصبوا له العداء فقد كانت سماحته يوم الفتح غاية ما يمكن أن يصل إليه صفح البشر وعفوهم فكان موقفه ممن كانوا حربا على الدعوة ولم يضعوا سيوفهم بعد عن حربها أن قال لهم: **«اذهبوا فأنتم الطلقاء»** [٤].

٣- دعاؤه ﷺ لمخالفيه من غير المسلمين فقد قدم الطفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه فقالوا: يا رسول الله إن دوسا قد كفرت وأبت فادع الله عليها، فقيل: هلكت دوس - ظنا بأن النبي ﷺ إنما رفع يديه للدعاء عليها - فقال ﷺ : **«اللهم اهد دوسا وائت بهم»** [٥].

ودعا ﷺ لأم أبي هريرة قبل إسلامها فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: «كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة فدعوتها يوما فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي قلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال رسول الله ﷺ : **«اللهم اهد أم أبي هريرة»**، فخرجت مستبشرا

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.
(٢) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:{ }، رقم الحديث: ٧٣٧٦.
(٣) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم الحديث: ٦٠١٢.
(٤) السيرة النبوية، ابن هشام، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥ه، ج ٤ ص ٦١.
(٥) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطيء، رقم الحديث: ٢٥٢٤.

بدعوة نبي الله ﷺ فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف فسمعت أمي خشف قدمي فقالت: مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء قال فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله قال فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح.. الحديث [١].

وجاء الأنصار إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ادع الله على ثقيف فقال رسول الله ﷺ : **«اللهم اهد ثقيفا»**، قالوا يا رسول الله ادع عليهم فقال: **«اللهم اهد ثقيفا»**، فعادوا فعاد فأسلموا» فوجدوا من صالحي الناس إسلاما ووجد منهم أئمة وقادة[٢].

ومن صور الدعاء ما كان من اليهود حيث كانوا يتعاطسون عند النبي ﷺ رجاء أن يقول لهم يرحمكم الله فلم يحرمهم من الدعوة بالهداية والصلاح، فكان يقول: **«يهديكم الله ويصلح بالكم»** [٣].

٤- وكان ﷺ يقبل هدايا مخالفيه من غير المسلمين، فقبل هدية زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مشكم في خيبر حيث أهدت له شاة مشوية قد وضعت فيها السم[٤]. وقد قرر الفقهاء قبول الهدايا من الكفار بجميع أصنافهم حتى أهل الحرب قال في المغني: "ويجوز قبول هدية الكفار من أهل الحرب لأن النبي ﷺ قبل هدية المقوقس صاحب مصر"[٥].

٥- وكان من سماحة النبي ﷺ أن يخاطب مخالفيه باللين من القول تأليفا لهم، كما تظهر سماحة النبي ﷺ مع غير المسلمين في كتبه إليهم حيث تضمنت هذه الكتب دعوتهم إلى الإسلام بألطف أسلوب وأبلغ عبارة.

---

(١) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي هريرة رضى الله عنه رقم الحديث: ٢٤٩١.

(٢) انظر: تاريخ المدينة، ابن شبة، دار العليان، بريدة، ط١ ج٢ ص ٩٨.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد، باب إذا عطس اليهودي، وصححه الألباني، انظر: صحيح الأدب المفرد، الألباني، ص ٣٤٨ رقم الحديث: ٧١٩.

(٤) رواه البخاري، كتاب الهبة، باب قبول الهدية من المشركين، رقم الحديث: ٢٦١٧.

(٥) المغني، ابن قدامة، ج١٣ ص٢٠٠.

٦- وكان ﷺ يغشى مخالفيه في دورهم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بينا نحن في المسجد إذ خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال: انطلقوا إلى يهود فخرجنا معه حتى جئناهم فقام رسول الله ﷺ فناداهم فقال: **«يا معشر يهود أسلموا تسلموا»** فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم.. الحديث [(١)]. وعاد الرسول ﷺ يهوديا، كما في البخاري عن أنس رضى الله عنه، أن غلاما ليهود كان يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقال: **«أسلم»** فأسلم[(٢)].

٧- وكان ﷺ يعامل مخالفيه من غير المسلمين في البيع والشراء والأخذ والعطاء، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «توفي النبي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين. يعني: صاعا من شعير»[(٣)].

٨- وكان ﷺ يأمر بصلة القريب وإن كان غير مسلم فقال لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: **«صلي أمك»** [(٤)].

وفي المدينة حيث تأسس المجتمع الإسلامي الأول وعاش في كنفه اليهود بعهد مع المسلمين وكان ﷺ غاية في الحلم معهم والسماحة في معاملتهم حتى نقضوا العهد وخانوا رسول الله ﷺ، أما من يعيشون بين المسلمين يحترمون قيمهم ومجتمعهم فلهم الضمان النبوي، فقد ضمن ﷺ لمن عاش بين ظهراني المسلمين بعهد وبقي على عهده أن يحظى بمحاجة النبي ﷺ لمن ظلمه فقال ﷺ : **«ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»** [(٥)].

وشدد الوعيد على من هتك حرمة دمائهم فقال ﷺ : **«من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما»** [(٦)]، تلك صور من سماحة النبي ﷺ مع غير المسلمين وهو ما سار عليه الصحابة رضي الله عنهم والتابعون من بعدهم وهو ما سأعرض له في المطلب التالي.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب إجلاء اليهود من الحجاز، رقم الحديث: ١٧٦٥.

(٢) رواه البخاري، كتاب المرضى، باب عيادة المشرك، رقم الحديث: ٥٦٥٧.

(٣) رواه البخاري، كتاب المغازي، رقم الحديث: ٤٤٦٧.

(٤) رواه البخاري، كتاب الهبة، باب الهدية للمشركين، رقم الحديث: ٢٦٢٠.

(٥) رواه أبو داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في تعشير أهل الذمة، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، رقم الحديث: ٣٠٥٢ وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ، ج ٢ ص ٥٩.

(٦) رواه البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من قتل معاهدا، رقم الحديث: ٣١٦٦.

كـان ﷺ يـدعو النـاس بمختلـف اتجاهـاتهم ويـبلغهم رسـالة ربـه، ومـن ضـمنهم أهـل الكتـاب. وقد كـان ﷺ يدعو أهل الكتـاب دعوة خاصـة، وكـان تـارة يـدعوهم بوجـه عـام اليهود والنصارى، وتارة يخص بدعوته اليهود، وتارة يخص بدعوته النصارى.

وقد امتثل ﷺ أمر ربه حيث أمره بذلك في قولـه تعالى:**{قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}**(١) هذا خطاب موجه إلى أهل الكتـاب يـأمر فيه الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم محمد ﷺ أن يقول: «**يا معشر اليهود والنصارى هلموا إلى كلمة عادلة مستقيمة فيها إنصاف بعضنا من بعض وأن نفرد الله وحده بالعبادة ولا نجعل له شريكاً**»، أي لا يعبد بعضنا بعضاً كما عبد آباؤكم من اليهود والنصارى عزيراً وعيسى، وأطاعوا الأحبار والرهبان فيما أحلوا لهم وحرموا وهذا خطـاب فيه خصوصية لأهل الكتاب لأنهم أهل علم ودراية بدين سابق.

تذكر!!! التدافع لا الصراع هو فلسفة الإسلام:

- تاريخ الإسلام معروف، فإنه لم يؤذن للمسلمين بمقاتلة الكفار علـى الرغم مما ألحقوه بهم من الإيذاء والعنف الذى كان يصل إلى حدّ أن يُطرح الرجل على ظهره فى الصحراء وفى الحر الشديد ثم توضع على صدره وبطنه صخرة كبيرة تكاد عيناه تخرجان من ثقلها..
- ويقال لـه فى هذا العناء الذى هو فيه: إما أن تكفر بمحمد وإما أن نقتلك.
- وكـان الرسـول محمـد ﷺ يمـر بهـم ويقـول لهـم: «**صبرًا آل ياسر إن موعدكم الجنة**».
- تحضّـر الإسـلام وارتقـاؤه فـوق الموقـف الغربـى مـن اسـتخدام القـوة أنـه لا يستخدمها للاستعمار ولا لاغتصاب خيرات الآخر. وإنما يرتقي موقف الإسلام عند استخدام القوة لأنـه يحكمهـا بضـوابط أخلاقيـة تمنـع قتـل النسـاء والأطفـال والشيوخ المتقدمين فى السن، وكذلك الشباب ماداموا لا يحملون السلاح، وكذلك الأعمى والمقعد. فكل هؤلاء مع كفرهم لا يحل قتالهم.
- إن الفتوحات الإسلامية التى تمت فى أزمنة قياسية لا تكاد تذكر، وتأسست دولـة الإسلام الكبرى فى سنوات قليلة. هذه الفتوحات كانت خيرًا علـى أهلها وحققت

(١) سورة آل عمران /٦٤.

لهم نقلات نوعية كبيرة فى مجالات الحرية والشورى والعدل الاجتماعى ما لم يكونوا يعيشونه فى ظل حكامهم الذين كانوا يشتركون معهم فى عقيدة واحدة.

- فمصر قبل الفتح الإسلامى كانت تحت حكم الرومان ومصر والرومان ينتميان إلى المسيحية لكن ثمة خلافًا بينهما فى المذهب. الرومان (الحكام) على المذهب الملكانى. والقبط (المصريون) على المذهب اليعقوبى. (مجرد خلاف بين مذهبين فى ديانة واحدة).
- ومع هذا كان الرومان (الحكام) يعاملون شعب مصر الذى يدين بمذهب غير مذهبه (الحكومة).. يعاملونهم بقسوة واضطهاد لا نظير لهما فى التاريخ، وهو الواقع الذى خرج فيه الأنبا بنيامين رئيس القبط هاربًا إلى الصحراء غرب مصر فرارًا بدينه وعقيدته من الاضطهاد الرومانى.
- فلما فُتحت مصر بقيادة " عمرو بن العاص " أعطى الأمان للأنبا الهارب وطلب إليه العودة إلى كرسى البابوية. ليس هذا فحسب. بل لقد سافر عمرو بن العاص إلى الإسكندرية لاستقبال الأنبا بنيامين عند عودته.
- أن الإسلام فى جوهره دين سلام وأمن وطالما تعامل الآخرون معه ومع أتباعه بالسلام والأمن، فإنه لا يجيز أبدًا الاعتداء عليهم.
- أما إذا اعتدى الآخرون على الإسلام أو على أهله فالموقف الطبيعي والعادل - بل والواجب أيضًا - هو الجهاد ودفع الشر بالقوة.
- أعداء الإسلام والظالمون لهم باتهامهم له بأنه دين إرهاب وعنف يحتاجون إلى مراجعة تاريخ وأحداث العنف.
- الإحصائيات تقول: إن جميع من قتلوا فى الحروب التى دخلها المسلمون دفاعاً عن أنفسهم سواء من شهدائهم أو من قتلى الآخرين لم تبلغ الأربعمائة (٤٠٠) قتيل وهو رقم يمكن أن يقع فى حوادث مرور خلال شهر واحد وربما أسبوع واحد فى مدينة من المدن المزدحمة.
- القوم فى الغرب يزعمون أن الإسلام انتشر بالسيف وأنه دين الإرهاب والعنف.
- وعن هذه المقولة تكفى الإشارة إلى أن أى بلد فتحها الإسلام لم تحدث فيها ثورة واحدة ولم يتمرد أهلها على الإسلام والمسلمين فيه. ولعل ما حدث فى تركيا بعد ما دخلها السلطان محمد الفاتح وأعطى فيها الأمان الكامل لمن كانوا بها من

المسيحيين بل إنه أكثر من هذا أنه أعطى لرؤساء الكنيسة فيها السلطان التام لمباشرة أمورها وأمور المسيحيين دون أى تدخل مما أسبغ الطمأنينة عليهم فلم يقع بينهم وبين المسلمين أى نزاع.

- وتجربة فتح الإسلام لمصر من أروع النماذج التى تنفى كلية مقولة انتشار الإسلام بالسيف...
- **{لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}** (١).
- ولقد فهم المسلمون الفاتحون من هذا الأمر أن " الإكراه " لا يتوافق مع الدين الحق لأن: الدين يعتمد على الإيمان والإرادة وهذه ستكون بلا معنى لو حدثت بالقوة القوة قد تهزم ولكنها لا تحول.
- لقد بين محمد ﷺ رحمة الله للعالمين، الحق والباطل حتى أنه لا يحب أن يكون هناك أي شك في عقل أي شخص ذي نية حسنة فيما يتعلق بأصول الإيمان
- حماية الله مستمرة وخطته هي دائماً أن يقودنا من أعماق الظلام إلى أوضح الأنوار.
- باستثناء بعض الشواذ هنا وهناك فإن المسلمين عامة ظلوا على وصية الله في الأرض وساروا على نهجها.
- لكن ماذا يستطيع أن يقول الأعداء عن البلاد التي لم يضع جندي مسلم واحد عليها قدمه؟
  - **إندونيسيا**: يوجد بها أكثر من ١٠٠ مليون إندونيسي مسلم لكن لا يوجد جيش إسلامي فاتح أبداً ذهب إلى أي من جزرها الألفين (٢).
  - **ماليزيا**: الأغلبية العظمى من شعبها مسلمون بالرغم من أنه لا يوجد جندي مسلم واحد قد دخلها أيضاً.

---

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) مسلمو أندونيسيا ١٥٠ مليون ولكن للأسف تناقص عددهم بسبب نشاط التبشير هناك فقد بلغني أنه تنصر ٢٣ مليون أندونيسي فأين المسلمون في ذلك فهل يستيقظون لهذا الخطر المحدق بنا الذي يغزونا من الخارج في عقر دارنا؟ سأترك الرد لأولي الأمر.

- **إفريقيا**: أغلبية الشعوب على الساحل الشرقي لإفريقيا حتى موزمبيق جنوباً وأيضاً معظم السكان على الساحل الغربي للقارة مسلمين لكن التاريخ لم يسجل أي جيوش مسلمة مهاجمة في أي مكان.

- تعامل القرآن مع رسول اليهودية والمسيحية بكل الإجلال اللائق بهما كرسولين من عند الله لهما من العصمة والتوقير مثل ما لرسول الإسلام محمد ولجميع رسل الله صلى الله عليهم وسلم أجمعين.
- ففى حديث القرآن عن موسى (عليه السلام) يحكى قصته بتفصيل موضوعى يحدد فيه طبيعة رسالته إلى فرعون وقومه وكيف نصره الله ومن معه وأغرق فرعون وجنوده، وكيف رعاهم الله بعدما أنجاهم من الغرق.
- الظالمون للإسلام والحاقدون عليه انتهزوا الأحداث المشئومة التى وقعت بأمريكا فى سبتمبر وملأوا إعلامهم ضجيجًا بأن الإسلام دين عنف وإرهاب لأنه - حسب زعمهم - يبيح الجهاد أي قتال الآخرين.
- وطرح الاتهامات على مثل هذا النحو هو تزييف للحقائق ومحاولة لخداع الرأى العام الغربى وخاصة الرأى العام الأمريكى المجروح بأحداث سبتمبر
- وبعيدًا عن الخوض فى التفصيلات الفقهية المتعلقة بالجزية وبأهل الذمة فبإيجاز أقول لك: إن الجزية هي البدل النقدي الذى يدفعه أهل الذمة مقابل أن تقوم الدولة المسلمة التى يعيشون فى ظلها بالدفاع عنهم وعن أرواحهم وأعراضهم وأموالهم ودور عبادتهم وحرياتهم.
- بمعنى أنه إذا أتيح لأهل الذمة المشاركة فى دفع العدو فهنا لا تؤخذ منهم جزية
- بل أكثر من هذا - وهو ما تم العمل به على أرض الواقع كما سنرى - أنه إذا شُغلت قوات وجيوش الدولة المسلمة التى يعيش أهل الذمة تحت رعايتها وعجزت عن حمايتهم، فإن على الدولة المسلمة أن تُخبر أهل الذمة بعجزها أو انشغالها عن حمايتهم وترد إليهم ما سبق أخذه منهم من الجزية.
- الإسلام دين الرحمة والرفق بكل ما فى الكون من المخلوقات الحية: الإنسان والحيوان والطير وكل ذات كبد رطبة من مخلوقات الله.
- وحسبى بداية أن أشير إلى أن القرآن الكريم كتاب رسالة محمد ﷺ قد أعلن بوضوح قاطع أن رسالة محمد هي الرحمة المهداة من الله إلى الناس، وأن

الرحمة والرأفة هما أبرز صفات صاحب الرسالة ﷺ.

- إن الدين (الإسلام) الذى يرفق بالإنسان بمثل ما عرفنا من صور الرفق والرحمة، ثم تتسع رحمته ويمتد رفقه ليشمل الحيوان والطير وحتى النمل فى سراديبه وجحوره لا يمكن أبدًا أن يكون دين إرهاب ولا دين عنف.
- بعث الله تعالى نبيه ﷺ رحمة للعالمين، وهو ﷺ مثال للكمال البشري في حياته كلها، مثال للكمال في علاقته بربه وفي علاقته بالناس كلهم بمختلف أجناسهم وأعمارهم وألوانهم، مسلمين وغير مسلمين، قال جابر بن عبد الله رضى الله عنه «كان رسول الله ﷺ رجلاً سهلاً» [(١)]، قال النووي: " أي سهل الخلق كريم الشمائل لطيفا ميسرا في الخلق.

* * * * *

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران، رقم الحديث: ١٢١٣.

الفصل الثاني:
شبهات والرد عليها !!!
المبحث الأول:
ماذا ينقمون من حبيبي رسول الله؟!!!

ما فتئ أعداء الله تعالى، وأعداء دينه العظيم، يمارسون صنوف الاستهزاء، وألوان الازدراء، تارة بكتاب الله تعالى، بتدنيسه وتلويثه، ورميه في الأماكن الغير لائقة، بل وصل بهم الأمر إلى أشد من ذلك، رموه في أماكن قضاء الحاجة، وأهانوه إهانة، لا يتوقع معها إلا القتال المستميت، والدفاع عن الكتاب المبين، قال تعالى:**{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا له لَحَافِظُونَ}**.

أيها المسلمون:

اليوم وإثر البعد الديني الواضح للمسلمين، وبرودة طقسهم حول دينهم، تجرأت الصحف الأوروبية من كل حدب وصوب، استهانة وإهانة لكل مسلم، على رسم رسول الإسلام، وسيد الأنام، عليه الصلاة والسلام، برسوم مشينة مهينة لا يرضاها مسلم أبي شامخ، يتطلع للجنة العلياء، ولقاء خاتم الأنبياء، حول الجنة الخضراء، قال تعالى:**{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً}**، فما عسى كل مسلم ومسلمة أن يفعل إزاء هذا الحدث الرهيب.

أمة الإسلام: نحن اليوم نمر باختبار حقيقي، وامتحان رباني، ليميز الله الخبيث من الطيب، قال تعالى:**{ألم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ}**، الأمة اليوم تمر بمنحنيات خطيرة، وتجارب مريرة، ليبين المنافق من المسلم، والكاذب من الصادق، فبعد الرسوم الكاريكاتورية، والصور الكرتونية، لنبي الإنسانية، وهادي البشرية، تهجَّم مذيع أمريكي بالاستهزاء والعنجهية، بصورة استفزازية، لمنظر حادث الحجيج، حول الجمرات، واصفاً المسلمين بالبهائم، كبرت كلمة خرجت من فيه، وقاتله الله من سفيه، هكذا هي أمم الكفر تصمد، وعلى الإسلام تتحد، تنفق الأموال، لتنال من الإسلام،

قال تعالى:**{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ}**.

أيها المسلمون:

هذه الأحداث أظهرت عيب كثير من المسلمين، في تقصيرهم عن معرفة شيء عن سيرة النبي ﷺ، وهذا ولا شك خطأ، وعلاجه المطالعة والقراءة، وحضور المحاضرات والخطب التي تعني بالموضوع، وهنا أدعو جميع الأئمة والخطباء والدعاة، إلى إفراد أوقات لجماعات المساجد للقراءة لهم من كتب أهل العلم الموثوقة، غير الغالية أو الجافية، عن سيرة النبي ﷺ، حتى يعرف الناس نبيهم، وحقوقه عليهم، وواجبهم تجاهه، فقد عم الجهل بالموضوع، واليوم حان الوقت لقطف الثمرة، كما يجب على جميع الفضائيات في بلاد الإسلام، أن تعتنى بالموضوع عناية فائقة، وتولية رعاية مهمة، من خلال استضافة العلماء والدعاة ليبينوا للناس سيرة النبي ﷺ، وحسن الإسلام، ويسر أحكامه، وترجمة ذلك إلى عدة لغات، لا سيما الدنمركية خاصة، والأوروبية عامة، حتى يعرفوا ما الإسلام، ومن نبيه ﷺ.

* * * * *

المطلب الأول:
شبهة محاولة النبي محمد ﷺ الانتحار

الحق الذي يجب أن يقال.. أن هذه الرواية التي استندتم إليها - يا خصوم الإسلام - ليست صحيحة رغم ورودها في صحيح البخاري - رضي الله عنه -؛ لأنه أوردها لا على أنها واقعة صحيحة، ولكن أوردها تحت عنوان البلاغات يعني أنه بلغه هذا الخبر مجرد بلاغ، ومعروف أن البلاغات في مصطلح علماء الحديث: إنما هي مجرد أخبار وليست أحاديث صحيحة السند أو المتن[١].

وقد علق الإمام ابن حجر العسقلاني بقوله: (إن القائل بلغنا كذا هو الزهري، وعنه حكى البخاري هذا البلاغ، وليس هذا البلاغ موصولاً برسول الله ﷺ، وقال الكرماني: وهذا هو الظاهر،

هذا هو الصواب، وحاشا أن يُقدم رسول الله - وهو إمام المؤمنين - على الانتحار، أو حتى على مجرد التفكير فيه[٢].

وعلى كلٍ فإن محمداً ﷺ كان بشراً من البشر ولم يكن ملكاً ولا مدعيًا للألوهية.

---

(١) انظر صحيح البخاري ج٩ ص ٣٨، طبعة التعاون).

(٢) فتح الباري ج١٢ ص ٣٧٦.

والجانب البشرى فيه يعتبر ميزة كان ﷺ يعتني بها، وقد قال القرآن الكريم في ذلك:**{قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَرًا رَسُولاً}** [(١)].

ومن ثم فإذا أصابه بعض الحزن أو الإحساس بمشاعر ما نسميه - في علوم عصرنا - بالإحباط أو الضيق فهذا أمر عادي لا غبار عليه؛ لأنه من أعراض بشريته ﷺ.

وحين فتر - تأخّر - الوحي بعد أن تعلق به الرسول ﷺ كان يذهب إلى المكان الذي كان ينزل عليه الوحي فيه يستشرف لقاء جبريل، فهو محبّ للمكان الذي جمع بينه وبين حبيبه بشيء من بعض السكن والطمأنينة، فماذا في ذلك أيها الظالمون دائماً لمحمد ﷺ في كل ما يأتي وما يدع؟ وإذا كان أعداء محمد ﷺ يستندون إلى الآية الكريمة:**{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آَثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا}**[(٢)].

فالآية لا تشير أبداً إلى معنى الانتحار، ولكنها تعبير أدبي عن حزن النبي محمد ﷺ بسبب صدود قومه عن الإسلام، وإعراضهم عن الإيمان بالقرآن العظيم؛ فتصور كيف كان اهتمام الرسول الكريم ﷺ بدعوة الناس إلى الله، وحرصه الشديد على إخراج الكافرين من الظلمات إلى النور.

وهذا خاطر طبيعي للنبي الإنسان البشر الذي يعلن القرآن على لسانه ﷺ اعترافه واعتزازه بأنه بشر في قوله - رداً على ما طلبه منه بعض المشركين -:**{وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلاَلَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ}**[(٣)].

فكان رده:**{سُبْحَانَ رَبِّي}**.

متعجباً مما طلبوه ومؤكداً أنه بشرٌ لا يملك تنفيذ مطلبهم:**{هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَرًا رَسُولاً}**.

أما قولهم على محمد ﷺ أنه ليست لـه معجزة فهو قول يعبر عن الجهل والحمق جميعاً.

---

(١) سورة الإسراء: ٩٣.

(٢) سورة الكهف: ٦.

(٣) سورة الإسراء: ٩٠ - ٩٣.

حيث ثبت في صحيح الأخبار معجزات حسية تمثل معجزة الرسول ﷺ، كما جاءت الرسل بالمعجزات من عند ربها؛ منها نبع الماء من بين أصابعه، ومنها سماع حنين الجذع أمام الناس يوم الجمعة، ومنها تكثير الطعام حتى يكفي الجم الغفير، ولـه معجزة دائمة هي معجزة الرسالة وهى القرآن الكريم الذي وعد الله بحفظه فَحُفِظَ، ووعد ببيانه؛ لذا يظهر بيانه في كل جيل بما يكتشفه الإنسان ويعرفه.

* * * * *

المطلب الثاني:
قالوا: محمد ﷺ يحتاج إلى الصلاة عليه

الحق أن الصلاة على محمد ﷺ من ربه ومن المؤمنين ليست دليل حاجة، بل هي مظهر تكريم واعتزاز وتقدير لـه من الحق سبحانه، وتقديرًا لـه من أتباعه، وليست كما يزعم الظالمون لسد حاجته عند ربه؛ لأن ربه قد غفر لـه ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

لأن أية مقارنة منصفة بين ما كان عليه ﷺ وبين غيره من أنبياء الله ورسله ترتفع به ليس فقط إلى مقام العصمة؛ بل إلى مقام الكمال الذي أتم به الله الرسالات، وأتم به التنزيل، وأتم به النعمة، فلم تعد البشرية بعد رسالته ﷺ بحاجة إلى رسل ورسالات.

لذلك فإن رسالته ﷺ وهي الخاتمة والكاملة حملت كل احتياجات البشرية وما يلزمها من تشريعات ونُظم ومعاملات، وما ينبغي أن تكون عليه من أخلاق وحضارة مما افتقدت مثل كماله كل الرسالات السابقة.

وحسبُ رسالة محمد ﷺ أنها جاءت رحمة عامة للبشرية كلها، كما قال القرآن:**{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}**(١).

فلم تكن كما جاء ما قبلها رسالة خاصة بقوم رسولهم، كما قال تعالى:**{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ}**(٢).

{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ}(٣).

{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ}(٤).

---

(١) سورة الأنبياء: ١٠٧.
(٢) سورة الأعراف: ٦٥.
(٣) سورةالأعراف: ٧٢.
(٤) سورة الأعراف: ٨٥.

وهكذا كل رسول كان مرسلاً إلى قومه..

وكانت رسالة محمد ﷺ إلى العالمين وإلى الناس كافة، كما جاء في قولـه تعالى:**{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}**.

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيرًا}(١).

ورسالة محمد ﷺ كانت فوق كونها عالمية، فقد كانت هي الخاتمة والكاملة التي - كما أشرنا - تفي باحتياجات البشر جميعاً، وتقوم بتقنين وتنظيم شئونهم المادية والمعنوية عبر الزمان والمكان بكل ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة.

وفي هذا قال الله تعالى:**{مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}**(٢).

وقال في وصفه لإكمال الدين برسالة محمد ﷺ الإسلام:**{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الأِسْلامَ دِيناً}**(٣).

إن عموم رسالة محمد ﷺ إلى العالمين، وباعتبارها الرسالة الكاملة والخاتمة؛ يعني امتداد دورها واستمرار وجودها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ مصداقاً لقولـه تعالى:**{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ}**(٤).

محمد ﷺ أُمّي فكيف علّم القرآن؟!:

والأمّي إما أن يكون المراد به من لا يعرف القراءة والكتابة أخذًا من الأمية، وإما أن يكون المراد به من ليس من اليهود أخذًا من الأممية؛ حسب المصطلح اليهودي الذي يطلقونه على من ليس من جنسهم.

فإذا تعاملنا مع هذه المقولة علمنا أن المراد بها من لا يعرف القراءة والكتابة فليس هذا مما يعاب به الرسول ﷺ، بل لعله أن يكون تأكيدًا ودليلاً قويًا على أن ما نزل عليه من القرآن إنما هو وحي أُوحي إليه من الله لم يقرأه في كتاب ولم ينقله عن أحد ولا تعلمه من غيره. بهذا يكون الاتهام شهادة لـه لا عليه.

---

(١) سورة سبأ: ٢٨.

(٢) سورة الأحزاب: ٤٠.

(٣) سورة المائدة: ٣.

(٤) التوبة: ٣٣، الفتح: ٢٨، والصف: ٩.

وقد ردّ القرآن على هذه المقولة ردًا صريحًا في قولـه:**{وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * قُلْ أنزله الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا}**(١).

وحسبُ النبـي الأمـي - الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة - أن يكون الكتاب الذي أُنزل عليه معجزًا لمشركي العرب وهم أهل الفصاحة والبلاغة؛ بل ومتحديًا أن يأتوا بمثله أو حتى بسورة من مثله.

كفاه بهذا دليلاً على صدق رسالته وأن ما جاء به - كما قال بعض كبارهم - (ليس من سجع الكهان، ولا من الشعر، ولا من قول البشر.

أما إذا تعاملنا مع مقولتهم عن محمد ﷺ إنه أمّي على معنى أنه من الأمميين - أي من غير اليهود - فما هذا مما يعيبه. بل إنه لشرف لـه أنه من الأميين أي أنه من غير اليهود.

ذلك لأن اعتداد اليهود بالتعالي على من عداهم من الأمميين، واعتبار أنفسهم وحدهم هم الأرقى والأعظم وأنهم هم شعب الله المختار - كما يزعمون. كل هذا مما يتنافي تمامًا مع ما جاء به محمد من المساواة الكاملة بين بني البشر رغم اختلاف شعوبهم وألوانهم وألسنتهم على نحو ما ذكره القرآن؛ الذي اعتبر اختلاف الأجناس والألوان والألسنة هو لمجرد التعارف والتمايز؛ لكنه - أبدًا - لا يعطي تميزًا لجنس على جنس، فليس في الإسلام - كما يزعم اليهود - أنهم شعب الله المختار.

ولكن التمايز والتكريم في منظور الإسلام إنما هو بالتقوى والصلاح؛ كما في الآية الكريمة:**{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}**(٢).

* * * * *

(١) سورة الفرقان: ٥ - ٦.

(٢) سورة الحجرات: ١٣.

المطلب الثالث:
قالوا: كاد محمد ﷺ أن يفتن

أخذوا ذلك من فهم مغلوط لآيات سورة الإسراء:**{وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَتَّخَذُوكَ خَلِيلاً * وَلَوْلاَ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً * إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا}**(١).

بعض ما قيل في سبب نزول هذه الآية أن وفد ثقيف قالوا للرسول ﷺ أجّلنا سنة حتى نقبض ما يُهدى لآلهتنا من الأصنام، فإذا قبضنا ذلك كسّرناها وأسلمنا؛ فهَمّ ﷺ بقبول ذلك فنزلت الآية.

قوله تعالى:**{كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ}** أي هممت أو قاربت أن تميل لقبول ما عرضوه عليك؛ لولا تثبيت الله لك بالرشد والعصمة، ولو فعلت لعذبناك ضعف عذاب الحياة وعذاب الممات؛ يعني: قاربت أن تستجيب لما عرضوه، لكنك بتثبيت الله لم تفعل لعصمة الله لك.

وكل مَنْ هُمْ على مقربة من الثقافة الإسلامية يعرفون أن الهمّ - أي المقاربة لشيء دون القيام به أو الوقوع فيه - لا يُعتبر معصية ولا جزاء عليه، وهو مما وضِع عن الأمة وجاء به ما صح عن النبي ﷺ قوله: «**وضِع عن أمتي ما حدثت به نفسها ما لم تعمل به أو تتكلم به**»؛ وعليه.. فإنه لا إثم ولا شيء يُؤخذ على محمد ﷺ في ذلك.

* * * * *

---

(١) سورة الإسراء: ٧٣ - ٧٥.

المطلب الرابع:
قالوا: إن الشيطان يوحي إلى محمد ﷺ

الرد على الشبهة:

الظالمون لمحمد ﷺ يستندون في هذه المقولة إلى أكذوبة كانت قد تناقلتها بعض كتب التفسير من أنه ﷺ كان يقرأ في الصلاة بالناس سورة "النجم"، فلما وصل ﷺ إلى قوله تعالى:**{أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى}**(سورة النجم).

تقول الأكذوبة:

إنه ﷺ قال: - حسب زعمهم - تلك الغرانيق[١] العلى وإن شفاعتهن لترتجى.

ثم استمر ﷺ في القراءة ثم سجد وسجد كل من كانوا خلفه من المسلمين، وأضافت الروايات أنه سجد معهم من كان وراءهم من المشركين**!!**

وذاعت الأكذوبة التي عرفت بقصة الغرانيق وقال - من تكون إذاعتها في صالحهم -: إن محمداً أثنى على آلهتنا وتراجع عما كان يوجهه إليها من السباب. وإن مشركي مكة سيصالحونه وسيدفعون عن المؤمنين به ما كانوا يوقعونه بهم من العذاب.

وانتشرت هذه المقولة حتى ذكرها عدد من المفسرين؛ حيث ذكروا أن المشركين سجدوا كما سجد محمد ﷺ، وقالوا لـه: ما ذكرت آلهتنا بخير قبل اليوم. ولكن هذا الكلام باطل لا أصل لـه.

وننقل هنا عن الإمام ابن كثير في تفسيره الآيات التي اعتبرها المرتكز الذي استند إليه الظالمون للإسلام ورسوله وهي في سورة الحج حيث تقول:**{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}**.

وبعد ذكره للآيتين السابقتين يقول: (ذكر كثير من المفسرين هنا قصة الغرانيق وما كان من رجوع كثير ممن هاجروا إلى الحبشة، ظنًّا منهم أن مشركي مكة قد أسلموا. ثم أضاف ابن كثير يقول: ولكنها - أي قصة "الغرانيق" - من طرق كثيرة مرسلة ولم أرها مسندة من وجه صحيح، ثم قال ابن كثيرعن: التفسير الوسيط للقرآن لشيخ الأزهر د.

---

(١) المراد بالغرانيق: الأصنام؛ وكان المشركون يسمونها بذلك تشبيهًا لها بالطيور البيض التي ترتفع في السماء.

طنطاوى ج٩ ص ٣٢٥ وما بعدها): عن ابن أبى حاتم بسنده إلى سعيد بن جبير قال: قرأ رسول الله ﷺ بمكة "سورة النجم"، فلما بلغ هذا الموضع:**{أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى}** (سورة النجم).

قال ابن جبير: فألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى.

فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم.. فأنزل الله هذه الآية:**{لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ}**(١).

ليقرر العصمة والصون لكلامه سبحانه من وسوسة الشيطان.

وربما قيل هنا: إذا كان الله تعالى ينسخ ما يلقي الشيطان ويحكم آياته فلماذا لم يمنع الشيطان أصلاً من إلقاء ما يلقيه من الوساوس في أمنيات الأنبياء؟! والجواب عنه قد جاء في الآيتين اللتين بعد هذه الآية مباشرة:

أولاً: ليجعل ما يلقيه الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض من المنافقين والقاسية قلوبهم من الكفار، وهو ما جاء في الآية الأولى منهما:**{لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ}**(٢).

ثانياً: ليميز المؤمنين من الكفار والمنافقين، فيزداد المؤمنون إيمانًا على إيمانهم؛ وهو ما جاء في الآية الثانية:**{وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ له قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}**(٣).

قصة الغرانيق باطلة عند أهل التحقيق، وقد استدلوا على بطلانها بالقرآن والسنة والمعقول؛ أما القرآن فمن وجوه: منها قوله تعالى:**{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ}** (سورة الحاقة) وقوله سبحانه:**{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى}** (سورة النجم)، وقوله سبحانه حكاية عن رسوله ﷺ :

---

(١) سورة الحج: ٥٣.

(٢) سورة الحج: ٥٣.

(٣) سورة الحج: ٥٤، هذا: وقد أبطل العلماء قديمًا وحديثًا قصة الغرانيق. ومن القدماء الإمام الفخر الرازي الذي قال ما ملخصه(عن: التفسير الوسيط للقرآن لشيخ الأزهر د. طنطاوى ج٩ ص ٣٢١.

{قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ}(١).

وأما بطلانها بالسنة فيقول الإمام البيهقي: روى الإمام البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم فسجد وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن وليس فيها حديث الغرانيق، وقد روي هذا الحديث من طرق كثيرة ليس فيها البتة حديث الغرانيق.

فأما بطلان قصة الغرانيق بالمعقول فمن وجوه منها:

أ - أن من جوّز تعظيم الرسول للأصنام فقد كفر؛ لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه ﷺ كان لنفي الأصنام وتحريم عبادتها؛ فكيف يجوز عقلاً أن يثني عليها؟!

ب - ومنها: أننا لو جوّزنا ذلك لارتفع الأمان عن شرعه ﷺ؛ فإنه لا فرق - في منطق العقل - بين النقصان في نقل وحي الله وبين الزيادة فيه.

* * * * *

المطلب الخامس:
عصمة الرسول ﷺ

الرسول ﷺ معصوم فيما يبلغ عن الله؛ لقوله تعالى:**{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى}**(٢).

ولهذا قال تعالى:**{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ}**(٣).

والأدلة في هذا المعنى متوافرة متكاثرة متواترة على أنه ﷺ معصوم فيما يبلغ عن ربه - عز وجل - لا يقع منه خلاف ذلك لا عمداً ولا سهواً. ولا يشكل على هذا ما ورد في قصة الغرانيق المشهورة - التي أخرجها الضياء في المختارة (٢٤٧) فهو إفك مفترى، وباطل مفتعل، والكلام في سورة الحج، وبيان حقيقة معناها له موضع آخر غير هذا، ولا يشكل عليه أيضاً كونه ﷺ ينسى الآية أحيانًا، فإن هذا ليس نسياناً مطبقاً مطلقاً، بمعنى أنه لا يتذكرها، كلا، بل هو قد قرأها وحفّظها أصحابه، ودونها الكُتّاب، ولكنها عزبت عنه تلك اللحظة فأسقطها، أو وقف يتذكرها، وهذه جِبلّة بشرية،

---

(١) سورة يونس: ١٥.

(٢) النجم: ٣ - ٤.

(٣) الحاقة: ٤٤ - ٤٧.

ولهذا قال تعالى:**{سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنْسَى * إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى}**(١). فهذا مما شاء الله، ومما شاء الله أن ينساه ﷺ ما نسخت تلاوته من آي القرآن الكريم.

أما ما اجتهد فيه ﷺ فإنه لا يقر إلا على صواب، ولذلك "عوتب في شأن الأسرى ببدر:**{مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ له أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآَخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}**(٢).

وعوتب في شأن ابن أم مكتوم:**{عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى}** (٣). انظر الترمذي (٣٣٣١) عن عائشة.

وعوتب في شأن زيد بن حارثة وزينب بنت جحش**{وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ}** (٤). انظر البخاري (٤٨٨٧) عن أنس.

فكان ﷺ يعلن ذلك لأصحابه، ويحفظه لهم، ويتلوه عليهم، ويتعبدهم بتلاوته، ولم يعبأ بمقالة اليهود والمنافقين، ولا باضطراب ضعفاء النفوس؛ لأن دين الله أعظم من ذلك كله، وهذا من أعظم كمالاته التي حلاّه الله بها، وقال:**{وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}** فصلى الله وسلم وبارك عليه، وأدخلنا في شفاعته، وأوردنا حوضه، وارزقنا اتباعه ومحبته وإياكم وجميع المسلمين.

* * * * *

---

(١) الأعلى: ٦ - ٧.

(٢) الأنفال: ٦٧، انظر الترمذي (٣٠٨٤) عن عبد ا لله بن مسعود، وأبو داود (٢٦٩٠) عن عبد الله بن عباس.

(٣) عبس: ١ - ٢.

(٤) الأحزاب: ٣٧.

المطلب السادس:
شُبهة تعري النبي ﷺ أثناء بناءِ الكعبةِ

في الصحيحين من حديث جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يُحَدِّثُ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ الْحِجَارَةَ لِلْكَعْبَةِ، وَعَلَيْهِ إِزَارُهُ. فَقَالَ لَه الْعَبَّاسُ، عَمُّهُ: يَا ابْنَ أَخِي! لَوْ حَلَلْتَ إِزَارَكَ، فَجَعَلْتَهُ عَلَى مَنْكِبِكَ، دُونَ الْحِجَارَةِ. قَالَ: فَحَلَّهُ، فَجَعَلَهُ عَلَى مَنْكِبِهِ، فَسَقَطَ مَغْشِيّاً عَلَيْهِ. قَالَ فَمَا رُؤِيَ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ عُرْيَاناً.

وبدأ أهل البدع يشنعون؛ كيف تعرى النبي ﷺ فهذا كذب على النبي ﷺ كما يزعمون، والرد على هؤلاء يكون بما يأتي:

أولاً: هذا الحديث صحيح الإسناد لا غبار عليه، فقد أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٦٤) كتاب الصلاة - باب كراهية التعري في الصلاة وغيرها.

فهذا الحديث قبل بعثة النبي ﷺ وقال الزهري - رحمه الله -: لما بنت قريش الكعبة لم يبلغ النبي عليه الصلاة والسلام الحلم.

ثانياً: التعري عند أهل العلم يجوز إن كان لمصلحة شرعية راجحة، كجواز التعري أثناء العلاج، بل لا خلاف على جواز أن ينظر الطبيب إلى موضع المرض من المرأة عند الحاجة ضمن ضوابط شرعية مع تقوى الله وصلاح النية، والضرورات تقدر بقدرها، فتعري النبي ﷺ كان قبل البعثة أولاً، وثانياً كان لمصلحة لكي يضع ثوبه على عاتقه لكي يتقوى بها على حمل الحجارة، وعلى قربة يتقرب بها لله جل وعلا وهي بناء الكعبة.

كما حدث لنبي الله موسى عليه السلام لما اتهمه قومه برجولته فبرّأه الله مما قالوا، وهذا كما أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: **«كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى سوأة بَعْضٍ ، وَكَانَ مُوسَى يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلا أَنَّهُ آدَرُ** (أي ذو فتق) قال: **فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ فَفَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ! فَجَمعَ مُوسَى فِي إِثْرِهِ يَقُول: ثَوْبِي حَجَرُ! ثَوْبِي حَجَرُ! حَتَّى نَظَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى سوأة مُوسَى فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ ، فقام الحجر بعد حتى نظر إليه فأخذ مُوسَى فطفق ثَوْبَهُ بِالْحَجَرِ ضرباً؟ فوالله إِنَّ بِالْحَجَرِ ِنَدَباً سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ"».**

وقد ثبت هذا الحديث عند الرافضة ورواه إمامهم ووصيهم السادس المعصوم كما يزعمون، وقد أخرجه مفسرو الشيعة في تفاسيرهم أيضًا:

- ففي تفسير القمي عن أبي بصير: أن بني إسرائيل كانوا يقولون: ليس لموسى ما للرجال، وكان موسى إذا أراد الاغتسال ذهب إلى موضع لا يراه فيه أحد من الناس، فكان يوماً يغتسل على شط نهر وقد وضع ثيابه على صخرة فأمر الله الصخرة فتباعدت عنه حتى نظر بنو إسرائيل إليه، فعلموا أنه ليس كما قالوا، فأنزل الله:**{يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَاللهِ وَجِيهًا}**(١).

ثم إن مفسرهم الطبرسي في مجمع البيان أثبت هذا الحديث فقال: (إن موسى عليه السلام كان حيياً ستيراً يغتسل وحده، فقال ما يتستر منّا إلا لعيب بجلده إما برص وإما أدرة، فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر، فمر الحجر بثوبه، فطلبه موسى عليه السلام، فرآه بنو إسرائيل عرياناً كأحسن الرجال خلقًا، فبرأه الله مما قالوا قال رئيس علمائهم نعمة الله الجزائري في قصصه (ص ٢٥٠): (قال جماعة من أهل الحديث: لا استبعاد فيه بعد ورود الخبر الصحيح، وإن رؤيتهم له على ذلك الوضع لم يتعمده موسى عليه السلام، ولم يعلم أن أحدًا ينظر إليه أم لا، وإن مشيه عرياناً لتحصيل ثيابه مضافاً إلى تبعيده عما نسبوه إليه، ليس من المنفرات.

ثالثاً: ونقول نحن كذلك أهل السنة والجماعة كما قال: لا استبعاد فيه بعد ورود الخبر الصحيح، وإن رؤيته له على ذلك الوضع لم يتعمده النبي ﷺ فليس ذلك من المنفرات.

رابعاً: ليس في الحديث أنه تعرى أمام الناس - صلوات ربي وسلامه عليه - فالتعري أمام الناس متعمداً من خوارم المروءة، فأين الدليل أن النبي ﷺ مشى أمام الناس عارياً لا لشيء وإنما من أجل التعري فقط وأن الكل ينظر إليه**!!**

فليس في هذا الحديث أن النبي ﷺ مشى وتعرى أمام الناس، وهذا القول له شاهد عند الطبراني فى كما ذكر ذلك الحافظ في الفتح: (لما بنت قريش الكعبة انفردت رجلين رجلين ينقلون الحجارة، فكنت أنا وابن أخي، جعلنا نأخذ أزرنا فنضعها على مناكبنا ونجعل عليها الحجارة، فإذا دنونا من الناس لبسنا أزرنا، فبينما هو أمامي إذ صرع، فسعيت وهو شاخص ببصره إلى السماء قال فقلت لابن أخي: ما شأنك؟ قال: " نهيت أن أمشي عريانًا" قال: فكتمته حتى أظهر الله نبوته.

---

(١) الأحزاب: ٦٩.

خامساً: على افتراض أن التعري لمصلحة ظهرت لمن تعرى أنه ذنب، ولكنه ليس من الكبائر، وعقيدتنا أن الأنبياء معصومون من كبائر الذنوب ومن خوارم المروءة، لذلك حينما تعرى أمام عمه فقط لم يقر على ذلك وأغشي عليه وما رؤي عريانًا بعد ذلك.

سادساً: نقول للرافضة: ما شأنكم وشأن كشف العورات؟! فدينكم دين جنس ودعوة للتعري والفاحشة وهذه حقيقة.

وسأذكر بعض الأمور التي تؤكد هذا الادعاء:

١- يتهمون النبي بأنه كان ينظر إلى عورات النساء ويخون المؤمنين، وينظر إلى امرأة رجل مسلم وهي تغتسل عريانة!!!

٢- ففي بحار الأنوار(٢١٧/٢٢): قال الرضا: إن رسول الله ﷺ قصد دار زيد بن حارثة في أمر أراده، فرأى امرأته تغتسل فقال لها: "سبحان الذي خلقك"!!!

٣- يروون عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال: "كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يضع وجهه بين ثديي فاطمة"، وفاطمة امرأة كبيرة بالغة، فكيف يضع النبي ﷺ وجهه بين ثدييها - رضي الله عنها -.

٤- يزعمون أن إمامهم المعصوم الثاني عشر الغائب عندما يظهر أنه سيكون عارياً بدون ثياب!! وهذا ما رواه الشيخ الطوسي والنعماني عن الإمام الرضا: أن من علامات ظهور المهدي أنه سيظهر عارياً أمام قرص الشمس[١].

٥- الرافضة عندهم الدبر ليس من العورة، وهذا ما رواه الكليني في الكافي[٢] عن أبي الحسن عليه السلام قال: "العورة عورتان القبل والدبر، فأما الدبر مستور بالإليتين، فإذا سترت القضيب والبيضتين فقد سترت العورة".

٦- جواز النظر إلى العورات من غير المسلمين، فعن جعفر الصادق قال: "النظر إلى عورة من ليس بمسلم مثل نظرك إلى عورة الحمار"[٣].

---

(١) حق اليقين (ص ٣٤٧.
(٢) الكافي (٥١٢/٦).
(٣) الكافي (٥١٢/٦.

٧- يزعمون أن إمامهم المعصوم الخامس محمد الباقر كان يدخل الحمام ويكشف عورته أمام الناس، فعن عبيد الله الدابقي قال: "دخلت حمامًا بالمدينة... فقلت: لمن هذا الحمام؟ فقال لأبي جعفر محمد بن علي عليه السلام فقلت: كان يدخله؟ قال: نعم، فقلت: كيف كان يصنع؟ قال: كان يدخل يبدأ فيطلي عانته وما يليها ثم يلف على طرف إحليله ويدعوني فأطلي سائر بدنه، فقلت له يوماً من الأيام: الذي تكره أن أراه قد رأيته" - يقصد عورته المغلظة - [١].

* * * * *

(١) الكافي ٥٠٨/٦.

المبحث الثاني:
قصـــة الغرانيـــق
المطلب الأول:
الغـــرانيق العــــلا

حديث الغرانيق أورده ابن سعد في طبقاته الكبرى والطبري في تاريخ الرسل والملوك كما أورده كثير من المفسرين المسلمين وكتاب السيرة والذي أخذ به جماعة من المستشرقين ووقفوا يؤيدونه طويلاً.

وحديث الغرانيق أن النبي ﷺ لما رأى تجنب قريش إياه إذائهم أصحابه تمنى فقال: ليته لا ينزل علي شيء ينفرهم مني وقارب قومه ودنا منهم ودنوا منه فجلس يوماً في ناد من تلك الأندية حول الكعبة فقرأ سورة النجم حتى بلغ قوله تعالى:**{أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى}**[1] - فقرأ بعد ذلك: تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى ثم مضى وقرأ السورة كلها وسجد في آخرها وهنالك سجد القوم جميعاً ولم يتخلف منهم أحد وأعلنت قريش رضاها عما تلا النبي ﷺ وقالوا: قد عرفنا أن الله يحي ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده أما إذا جعلت لها نصيباً فنحن معك وبذلك زال وجه الخلاف بينه وبينهم، وفشا الأمر في الناس حتى بلغ الحبشة فقال المسلمون بها: عشائرنا أحب إلينا وخرجوا راجعين فلما كانوا دون مكة بساعة من نهار لقوا ركباً من كنانة فسألوهم فقالوا: ذكر آلهتهم بخير فتابعه الملأ ثم ارتد عنها فعاد لشتم آلهتهم فعادوا له بالشر وأتمر المسلمون ما يصنعون فلم يطيقوا عن لقاء أهلهم صبراً فدخلوا مكة.

وتقول الرواية المفتراة: انما أرتد محمد ﷺ عن ذكر آلهة قريش بالخير لأنه كبر عليه قول قريش: أما إذ جعلت لآلهتنا نصيباً فنحن معك ولأنه جلس في بيته حتى إذا أمسى أتاه جبريل عليه السلام فعرض النبي ﷺ سورة النجم فقال جبريل عليه السلام: أوجئتك بهاتين الكلمتين؟ مشيراً إلى " تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى" فقال النبي ﷺ : قلت على الله ما لم يقل ثم أوحى الله اليه:**{وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً * وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً * إِذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً}**[2] - وبذلك عاد يذكر آلهة قريش بالشر ويسبهم وعادت قريش لمناوأته وإيذاء أصحابه.

---

(١)النجم ١٩، ٢٠.

(٢) سورة الإسراء الآيات من ٧٣ الى ٧٥.

المطلب الثاني:
تهافت حديث الغرانيق

وحديث الغرانيق رواه غير واحد من كتاب السيرة وأشار اليه غير واحد من المفسرين ووقف عنده كثير من المستشرقين طويلاً وهو حديث ظاهر التهافت ينقصه قليل من التمحيص ليفضح كذبه وهو بعد حديث ينفض ما لكل نبي من العصمة في تبليغ رسالات ربه فمن العجب أن يأخذ به بعض كتاب السيرة وبعض المفسرين المسلمين ولذلك لم يتردد ابن إسحاق رضي الله عنه حين سئل عنه في ان قال: إنه من وضع الزنادقة.

حجج مؤيديه:

ولكن بعض الذين أخذوا به حاولوا تسويغه فاستندوا إلى الآيات: **{وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ}** - سورة الإسراء الآية ٧٣ وقوله تعالى:**{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ}**(١) - ويفسر بعضهم كلمة "تمنى" في الآية بمعنى قرأ ويفسرها آخرون بمعنى الأمنية المعروفة ويذهب هؤلاء وأولئك ويتابعهم المستشرقون إلى أن النبي ﷺ بلغ منه أذى أصحابه إذ كانوا يقتلون بعضهم ويلقون بعضاً في الصحراء يلفحهم لظى الشمس المحرقة وقد أوقروهم بالحجارة كما فعلوا ببلال رضي الله عنه حتى اضطر إلى الإذن لهم في الهجرة الى الحبشة كما بلغ منه جفاء قومه إياه وإعراضهم عنه.

ولما كان حريصاً على إسلامهم ونجاتهم من عبادة الأصنام تقرب إليهم وتلا عليهم سورة النجم وأضاف إليها حكاية الغرانيق فلما سجد سجدوا معه وأظهروا له الميل لاتباعه مادام قد جعل لآلهتهم نصيباً مع الله.

ويضيف "سير وليم موير" إلى هذه الرواية التي وردت في بعض كتب السيرة وكتب التفسير حجة يراها قاطعة بصحة حديث الغرانيق ذلك أن المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة لم يك قد مضى على هجرتهم إليها غير ثلاثة أشهر أجارهم النجاشي أثناءها وأحسن جوارهم فلو لم يكن قد ترامى إليهم خبر الصلح بين قريش ومحمد ﷺ لما دفعهم

---

(١) سورة الحج ٥٢ و٥٣.

دافع إلى العودة حرصاً على الاتصال بأهلهم وعشائرهم وأنى يكون الصلح بين محمد ﷺ وقريش إذا لم يسع محمد ﷺ إليه وقد كان في مكة أقل نفراً وأضعف قوة وقد كان أصحابه أعجز من أن يمنعوا أنفسهم من أذى قريش ومن تعذيبهم إياهم.

* * * * *

المطلب الثالث:
دفـع هـذه الحجـج

أولاً : أسباب عودة المهاجرين من الحبشة

١ - إسلام عمر رضي الله عنه :

هذه هي الحجج التي يسوقها من يقولون بصحة حديث الغرانيق وهي حجج واهية لا تقوم أمام التمحيص ونبدأ بدفع حجة المستشرق موير فالمسلمون الذين عادوا من الحبشة إنما دفعهم إلى العودة إلى مكة سببان أولهما إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أسلم بعد هجرتهم بقليل.

وقد دخل عمر في دين الله بالحمية التي كان يحاربه من قبل بها لم يخف إسلامه ولم يستتر بل ذهب يعلنه على رؤوس الملأ ويقاتلهم في سبيله ولم يرض عن استخفاء المسلمين وتسللهم إلى شعاب مكة يقيمون الصلاة بعيدين عن أذى قريش بل دأب على نضال قريش حتى صلى عند الكعبة وصلى المسلمون معه.

هناك أيقنت قريش أن ما تنال به محمداً ﷺ وأصحابه من الأذى يوشك أن يثير حرباً أهلية لا يعرف أحد مداها ولا على من تدور دائرتها فقد أسلم من قبائل قريش وبيوتاتها رجال تثور لقتل أي واحد منهم قبيلته وإن كانت على غير دينه فلا مفر إذاً من الالتجاء في محاربة محمد ﷺ إلى وسياة لا يترتب عليها هذا الخطر وإلى أن تتفق قريش على هذه الوسيلة هادنت المسلمين فلم تنل أحداً منهم بأذى وهذا هو ما وصل إلى المهاجرين إلى الحبشة ودعاهم الى التفكير في العودة الى مكة.

٢ - ثورة الحبشة :

وربما ترددوا في العودة من الحبشة لولا السبب الثاني ذلك أن الحبشة شبت بها يومئذ ثورة على النجاشي كان دينه وكان ما أبدى من عطف على المسلمين بعض ما أذيع فيها من تهم وجهت إليه.

ولقد أبدى المسلمون أحسن الأماني أن ينصر الله النجاشي على خصومه لكنهم لم يكونوا ليشاركوا في هذه الثورة وهم أجانب ولم يك قد مضى على مقامهم بالحبشة غير زمن قليل أما وقد ترامت عليهم أنباء الهدنة بين محمد ﷺ وقريش هدنة انجت المسلمين مما كان يصيبهم من الأذى فخير لهم أن يدعوا الفتنة وراء ظهورهم وأن يلحقوا بأهليهم وهذا ما فعلوه.

على أنهم ما كادوا يبلغون مكة حتى كانت قريش قد ائتمرت ما تصنع بمحمد وأصحابه واتفقت عشائرهم وكتبوا كتاباً تعاقدوا فيه على مقاطعة بني هاشم مقاطعة تامة فلا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم وبهذا الكتاب عادت الحرب العوان بين الفريقين ورجع الذين عادوا من الحبشة وذهب معهم من استطاع اللحاق بهم وقد وجدوا هذه المرة عنتاً من قريش إذ حاولت أن تمنعهم من الهجرة.

ليس الصلح الذي يشير إليه المستشرق موير هو إذا الذي دعا المسلمين إلى العودة من بلاد الحبشة إنما دعاهم هذه الهدنة التي حدثت على إثر إسلام عمر رضي الله عنه وحماسته في تأييد دين الله تعالى فتأييد حديث الغرانيق إذاً بحجة الصلح تأييد غير ناهض.

* * * * *

المطلب الرابع:
ثانياً: الاحتجاج بالآيات مقلوب

أما احتجاج المحتجين من كتاب السيرة والمفسرين بالآيات:**{وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ}** سورة الإسراء الآيه ٧٣.

وقوله تعالى:**{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ}**(١) فهو احتجاج أشد تهافتاً من حجة "السير موير" ويكفي أن نذكر من الآيات الأولى قوله تعالى:**{وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً}** (٢) - لنرى انه إن كان الشيطان قد ألقى في أمنية النبي ﷺ حتى لقد كان يركن إليهم شيئاً قليلاً فقد ثبته الله تعالى فلم يفعل

---

(١) سورة الحج آيتا: ٥٢، ٥٣.

(٢) سورة الإسراء آية ٧٤.

ولو أنه فعل لأذاقه الله ضعف الحياة وضعف الممات.

وإذاً فالاحتجاج بهذه الآيات احتجاج مقلوب فقصة الغرانيق تجري بأن محمداً ﷺ ركن إلى قريش بالفعل وأن قريش فتنته بالفعل فقال على الله ما لم يقل والآيات هنا تفيد أن الله تعالى ثبته فلم يفعل فإذا ذكرت كذلك أن كتب التفسير وأسباب النزول جعلت لهذه الآيات موضعاً غير مسألة الغرانيق رأيت أن الاحتجاج بها في مسألة تتنافى مع عصمة الرسل عليهم السلام في تبليغ رسالاتهم وتتنافى مع تاريخ محمد ﷺ كله احتجاج متهافت بل احتجاج سقيم.

أما الآيات:**{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى}**... فلا صلة لها بحديث الغرانيق البتة فضلاً عن ذكرها أن الله ينسخ ما يلقي الشيطان ويجعله فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم ويحكم الله آياته والله عليم حكيم.

ثالثاً: تهافت القصة علمياً و تعدد الروايات فيها:

وندع هذا إلى تمحيص القصة التمحيص العلمي الذي يثبت عدم صحتها وأول ما يدل على ذلك تعدد الروايات فيها فقد رويت كما سبق القول على أنها: تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى.

ورواها بعضهم: الغرانقة العلا إن شفاعتهم ترتجى.

وروى آخرون: إن شفاعتهم ترتجى دون ذكر الغرانقة أو الغرانيق.

وفي رواية رابعة: وإنها لهي الغرانيق العلا.

وفي رواية خامسة: وانهن لهن الغرانيق العلا وإن شفاعتهم لهي التي ترتجى.

وقد وردت في بعض كتب الحديث روايات أخرى غير هذه الروايات الخمس وهذا التعدد في الروايات يدل على أن الحديث موضوع وأنه من وضع الزنادقة كما قال ابن إسحاق وأن الغرض منه التشكيك في صدق تبليغ محمد ﷺ رسالات ربه.

رابعاً: سياق سورة النجم يأباها:

ودليل آخر أقوى وأقطع ذلك سياق سورة النجم وعدم احتماله لمسألة الغرانيق فالسياق يجري بقوله تعالى:**{لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى * أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وله الأُنثَى * تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى * إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن**

رَّبِّهِمُ الْهُدَى}[١].

وهذا السياق صريح في أن اللات والعزى أسماء سماها المشركون هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان فكيف يحتمل أن يجري السياق بما يأتي: أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى تلك الغرانيق العلا إن شفاعتهن لترتجى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قصمة ضيزى إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان.

إن في هذا السياق من الفساد والاضطراب والتناقض ومن مدح اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وذمها في أربع آيات متعاقبة ما لا يسلم به عقل ولا يقول به إنسان ولا تبقى معه شبهة في أن حديث الغرانيق مفترى وضعه الزنادقة لغايتهم وصدقه من يسيغون كل غريب ومن تقبل عقولهم ما لا يسيغ العقل المنطقي.

خامساً: الحجة اللغوية:

وحجة أخرى ساقها المغفور له بإذن الله تعالى الأستاذ محمد عبده حين كتب يفند قصة الغرانيق تلك أن وصف العرب لآلهتهم بأنها الغرانيق لم يرد في نظمهم ولا في خطبهم ولم ينقل عن أحد أن ذلك الوصف كان جارياً على ألسنتهم وإنما ورد الغرنوق والغرنيق على أنه إسم لطائر مائي أسود أو أبيض والشاب الأبيض الجميل ولا شيء من ذلك يلائم معنى الآلهة أو وصفهم عند العرب.

سادساً: صدق محمد ﷺ يأبى صحة القصة:

بقيت حجة قاطعة نسوقها للدلالة على استحالة قصة الغرانيق هذه من حياة محمد ﷺ نفسه فهو منذ طفولته وصباه وشبابه لم يجرب عليه الكذب قط حتى سمي الأمين ولما يبلغ الخامسة والعشرين من عمره وكان صدقه أمراً مسلماً به عند الناس جميعاً حتى لقد سأل قريشاً يوماً بعد بعثه: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل أكنتم مُصَدِّقونيّ؟.

فكان جوابهم: نعم أنت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذباً قط.

فالرجل الذي عرف بالصدق في صلاته بالناس منذ نعومة أظافره إلى كهولته كيف يصدق إنسان أنه يقول على ربه ما لم يقل ويخشى الناس والله أحق أن يخشاه هذا أمر مستحيل يدرك استحالته الذين درسوا هذه النفوس القوية الممتازة التي تعرف الصلابة في الحق ولا تداجي لأي اعتبار وكيف ترى بقول محمد ﷺ : لو وضعت قريش الشمس

(١) سورة النجم آيات من: ١٨ - ٢٣.

في يمينه والقمر في شماله على أن يترك هذا الأمر أو يموت دونه ما فعل ثم يقول على الله ما لم يوح إليه ويقوله لينقض به أساس الدين الذي بعثه الله به هدى وبشرى للعالمين.

ومتى رجع إلى قريش ليمدح آلهتهم؟ بعد عشر سنين أو نحوها من بعثته وبعد أن أحتمل هو وأصحابه في سبيل الرسالة من ألوان الأذى وصنوف التضحية ما احتمل وبعد أن أعز الله تعالى الإسلام بحمزة وعمر وبعد أن بدأ المسلمون يصبحون قوة بمكة ويمتد خبرهم إلى بلاد العرب كلها وإلى الحبشة والى مختلف نواحي العالم وأن القول بذلك الحديث خرافة وأكذوبة ممجوجة.

ولقد شعر الذين اخترعوها بسهولة افتضاحها فأرادوا سترها بقولهم: إن محمداً ما كاد يسمع كلام قريش إذ جعل لآلهتهم نصيباً في الشفاعة حتى كبر ذلك عليه وحتى رجع إلى الله تائباً أول ما أمسى ببيته وجاءه جبريل عليه السلام فيه لكن هذا الستر أحرى أن يفضحها فما دام الأمر قد كبر على محمد ﷺ منذ سمع مقالة قريش فما كان أحراه أن يراجع الوحي لساعته وما كان أحراه ان يُجري الوحي الصواب على لسانه؟.

وإذاً فلا أصل لمسألة الغرانيق إلا الوضع والاختراع قامت بهما طائفة الذين أخذوا أنفسهم بالكيد للإسلام بعد إنقضاء الصدر الأول.

سابعاً: إفتراء على التوحيد:

وأعجب ما في جرأة هؤلاء المفترين أنهم عرضوا للإفتراء في أمّ مسائل الإسلام جميعاً: في التوحيد في المسألة التي بعث محمد ﷺ لتبليغها للناس منذ اللحظة الأولى والتي لم يقبل فيها منذ تلك اللحظة هوادة ولا أماله عنها ما عرضت عليه قريش أن يعطوه ما يشاء من مال أو يجعلوه ملكاً عليهم وعرضوا ذلك عليه حين لم يكن قد اتبعه من أهل مكة إلا عدد يسير.

وما كان أذى قريش لأصحابه ليجعله يرجع عن دعوة أمره ربه أن يبلغها للناس فاختيار المفترين لهذه المسألة التي كانت صلابة محمد ﷺ فيها غاية ما عُرف عنه من الصلابة يدل على جرأة غير معقولة ويدل في الوقت نفسه على أن الذين مالوا إلى تصديقهم قد خُدعوا فيما لا يجوز أن يُخدع فيه أحد.

ولا أصل إذاً لمسألة الغرانيق على الإطلاق ولا صلة البتة بينها وبين عودة المسلمين من الحبشة غنماً عادوا كما قدمنا بعد أن أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ونصر الإسلام بمثل الحمية التي كان يحاربه من قبل بها حتى أضطرت قريش لمهادنة المسلمين وعادوا حين شبّت في بلاد الحبشة ثورة خافوا مغبتها فلما علمت قريش بعودتهم ازدادت مخاوفها ان يعظم أمر محمد ﷺ بينهم فأتمرت ما تصنع وقد انتهت بوضع الصحيفة التي قرروا فيها فيما قرروا ألا ينكحوا بني هاشم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم كما أجمعوا فيما بينهم أن يقتلوا محمداً ﷺ إن استطاعوا.

* * * * *

المبحث الثالث:
عدد زوجات النبي محمد ﷺ

قالوا إنه ﷺ :

* تزوج زوجة ابنه بالتبني (زيد بن حارثة).

* أباح لنفسه الزواج من أي امرأة تهبه نفسها (الخلاصة أنه شهواني).

الرد على الشبهة:

الثابت المشهور من سيرته ﷺ أنه لم يتزوج إلا بعد أن بلغ الخامسة والعشرين من العمر.

والثابت كذلك أن الزواج المبكر كان من أعراف المجتمع الجاهلي رغبة في الاستكثار من البنين خاصة ليكونوا للقبيلة عِزًّا ومنعة بين القبائل.

ومن الثابت كذلك في سيرته الشخصية ﷺ اشتهاره بالاستقامة والتعفف عن الفاحشة والتصريف الشائن الحرام للشهوة، رغم امتلاء المجتمع الجاهلي بشرائح من الزانيات اللاتي كانت لهن بيوت يستقبلن فيها الزناة ويضعن عليها " رايات " ليعرفها طلاب المتع المحرمة.

ومع هذا كله - مع توفر أسباب الانحراف والسقوط في الفاحشة في مجتمع مكة - لم يُعرَف عن الرسول محمد ﷺ إلا التعفف والطهارة بين جميع قرنائه؛ ذلك لأن عين السماء كانت تحرسه وتصرف عنه كيد الشيطان.

ويُرْوَى فى ذلك أن بعض أترابه الشباب أخذوه ذات يوم إلى أحد مواقع المعازف واللهو فغشَّاه الله بالنوم فما أفاق منه إلا حين أيقظه أترابه للعودة إلى دورهم. هذه واحدة..

أما الثانية فهى أنه حين بلغ الخامسة والعشرين ورغب فى الزواج لم يبحث عن " البكر " التى تكون أحظى للقبول وأولى للباحثين عن مجرد المتعة. وإنما تزوج امرأة تكبره بحوالى خمسة عشر عامًا، ثم إنها ليست بكرًا بل هي ثيب، ولها أولاد كبار أعمار أحدهم يقترب من العشرين؛ وهى السيدة خديجة وفوق هذا كله فمشهور أنها هي التي اختارته بعد ما لمست بنفسها - من خلال مباشرته لتجارتها - من أمانته وعفته وطيب شمائله ﷺ.

والثالثة أنه ﷺ بعد زواجه منها دامت عشرته بها طيلة حياتها ولم يتزوج عليها حتى مضت عن دنياه إلى رحاب الله. وقضى معها - رضى الله عنها - زهرة شبابه وكان لـه منها أولاده جميعًا إلا إبراهيم الذى كانت أمه " أم المؤمنين مارية " رضى الله عنها.

والرابعة أنه ﷺ عاش عمره بعد وفاتها - رضى الله عنها - محبًّا لها يحفظ لها أطيب الذكريات ويعدد مآثرها وهى مآثر لها خصوص فى حياته وفى نجاح دعوته فيقول فى بعض ما قال عنها: [صدقتنى إذ كذبني الناس وأعانتني بمالها]. بل كان ﷺ لا يكف عن الثناء عليها والوفاء لذكراها والترحيب بمن كن من صديقاتها، حتى أثار ذلك غيرة السيدة عائشة - رضى الله عنها.

أما تعدد زوجاته ﷺ فكان كشأن غيره من الأنبياء له أسبابه منها:

أولاً: كان عُمْرُ النبي محمد ﷺ فى أول زواج لـه ﷺ بعد وفاة خديجة تجاوز الخمسين وهى السنّ التى تنطفىء فيها جذوة الشهوة وتنام الغرائز الحسية بدنيًّا، وتقل فيها الحاجة الجنسية إلى الأنثى وتعلو فيها الحاجة إلى من يؤنس الوحشة ويقوم بأمر الأولاد والبنات اللاتى تركتهم خديجة - رضى الله عنها.

وفيما يلى بيان هذا الزواج وظروفه

الزوجة الأولى: سودة بنت زمعة:

كان رحيل السيدة خديجة - رضى الله عنها - مثير أحزان كبرى فى بيت النبى ﷺ وفى محيط الصحابة - رضوان الله عليهم - إشفاقًا عليه من الوحدة وافتقاد من يرعى شئونه وشئون أولاده. ثم تصادف فقدانه ﷺ عمه أبا طالب نصيره وظهيره وسُمِّىَ العام الذى رحل فيه نصيراه خديجة وأبو طالب عام الحزن.

فى هذا المناخ.. مناخ الحزن والوحدة وافتقاد من يرعى شئون الرسول وشئون أولاده سعت إلى بيت الرسول واحدة من المسلمات تُسمى خولة بنت حكيم السلمية وقالت: لـه يا رسول الله كأنى أراك قد دخلتك خلّة لفقد خديجة فأجاب ﷺ : **«أجل كانت أم العيال وربة البيت»** فقالت: يا رسول الله ألا أخطب عليك؟ فقال الرسول ﷺ : **«ولكن – من بعد خديجة؟!»** فذكرت لـه عائشة بنت أبى بكر، فقال الرسول: **«لكنها ما تزال صغيرة»** فقالت: تخطبها اليوم ثم تنتظر حتى تنضج.. قال الرسول: **«ولكن من للبيت ومن لبنات الرسول يخدمهن؟»** فقالت خولة: إنها سودة بنت زمعة، وعرض الأمر على سودة ووالدها: فتم الزواج ودخل بها ﷺ بمكة.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن سودة هذه كانت زوجة للسكران بن عمرو وتوفى عنها زوجها بمكة فلما حلّت تزوجها الرسول ﷺ وكانت أول امرأة تزوجها ﷺ بعد خديجة، وكان ذلك فى رمضان سنة عشر من النبوة.

وعجب المجتمع المكى لهذا الزواج لأن " سودة " هذه ليست بذات جمال ولا حسب ولا تصلح أن تكون خلفًا لأم المؤمنين خديجة التى كانت عند زواج الرسول ﷺ بها جميلة وضيئة وحسيبة تطمح إليها الأنظار.

وهنا أقول للمرجفين الحاقدين: هذه هي الزوجة الأولى للرسول بعد خديجة، فهي مؤمنة هاجرت الهجرة الأولى مع من فرّوا بدينهم إلى الحبشة وقد قَبِلَ الرسول زواجها حماية لها وجبرًا لخاطرها بعد وفاة زوجها إثر عودتهما من الحبشة.

وليس الزواج بها سعارَ شهوة للرسول ولكنه كان جبرًا لخاطر امرأة مؤمنة خرجت مع زوجها من أهل الهجرة الأولى إلى الحبشة ولما عادا توفى زوجها وتركها امرأة تحتاج هى وبنوها إلى من يرعاهم.

الزوجة الثانية بعد خديجة : عائشة بنت أبى بكر :

الذى يقول عنه الرسول ﷺ : **«إن من آمن الناس علىّ فى ماله وصحبته أبا بكر ، ولو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام ...»**. ومعروف من هو أبو بكر الذي قال عنه الرسول ﷺ متحدثاً عن عطائه للدعوة " ما نفعني مالٌ قط ما نفعني مال أبى بكر "، وأم عائشة هي أم رومان بنت عامر الكنانى من الصحابيات الجليلات، ولما توفيت نزل رسول الله ﷺ إلى قبرها واستغفرلها وقال: **«اللهم لم يخف عليك ما لقيت أم رومان فيك وفى رسولك ﷺ»**، وقال عنها يوم وفاتها: **«من سرّه أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان»**.

ولم يدهش مكة نبأ المصاهرة بين أعز صاحبين؛ بل استقبلته كما تستقبل أمرًا متوقعاً؛ ولذا لم يجد أي رجل من المشركين في هذا الزواج أي مطعن - وهم الذين لم يتركوا مجالاً للطعن إلا سلكوه ولو كان زورًا وافتراء.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن زواج الرسول ﷺ بفتاة بينه وبينها قرابة خمسين عامًا ليس بدعاً ولا غريبًا لأن هذا الأمر كان مألوفًا في ذلك المجتمع. لكن المستشرقين ومن تحمل قلوبهم الحقد من بعض أهل الكتاب - على محمد ﷺ جعلوا من هذا الزواج اتهامًا للرسول وتشهيرًا به بأنه رجل شهواني، غافلين بل عامدين إلى تجاهل ما كان واقعًا في ذلك المجتمع من زواج الكبار بالصغيرات كما في هذه النماذج:

- فقد تزوج عبد المطلب جد الرسول ﷺ من هالة بنت عم آمنة التي تزوجها أصغر أبنائه عبد الله - والد الرسول ﷺ.

- وتزوج عمر بن الخطاب ابنة على بن أبى طالب وهو أكبر سنًّا من أبيها.

- وعرض عمر على أبى بكر أن يتزوج ابنته الشابة " حفصة " وبينهما من فارق السن مثل الذي بين المصطفى ﷺ وبين " عائشة "[١].

كان هذا واقع المجتمع الذي تزوج فيه الرسول ﷺ بعائشة. لكن المستشرقين والممتلئة قلوبهم حقدًا من بعض أهل الكتاب لم ترَ أعينهم إلا زواج محمد بعائشة والتي جعلوها حدث الأحداث - على حد مقولاتهم - أن يتزوج الرجل الكهل بالطفلة الغريرة العذراء[٢]. قاتل الله الهوى حين يعمى الأبصار والبصائر!

الزوجة الثالثة: حفصة بنت عمر الأرملة الشابة:

توفى عنها زوجها حنيس بن حذافة السهمى وهو صحابى جليل من أصحاب الهجرتين - إلى الحبشة ثم إلى المدينة - ذلك بعد جراحة أصابته فى غزوة أُحد حيث فارق الحياة وأصبحت حفصة بنت عمر بن الخطاب أرملة وهى شابة. وكان ترمّلها مثار ألم دائم لأبيها عمر بن الخطاب الذى كان يحزنه أن يرى جمال ابنته وحيويتها تخبو يومًا بعد يوم.. وبمشاعر الأبوة الحانية وطبيعة المجتمع الذي لا يتردد فيه الرجل من أن يخطب لابنته من يراه أهلاً لها.. بهذه المشاعر تحدث عمر إلى الصديق " أبى بكر " يعرض عليه الزواج من حفصة لكن أبا بكر يلتزم الصمت ولا يرد بالإيجاب أو بالسلب. فيتركه عمر ويمضى إلى ذى النورين عثمان بن عفان فيعرض عليه الزواج من حفصة فيفاجئه عثمان بالرفض.. فتضيق به الدنيا ويمضى إلى الرسول ﷺ يخبره بما حدث فيكون رد الرسول ﷺ عليه هو قوله: **«يتزوج حفصةَ خيرٌ من عثمان ويتزوج عثمان خيرًا من حفصة»** [٣].

---

(١) تراجم سيدات بيت النبوة للدكتورة بنت الشاطئ: ص ٢٥٠ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر سيدات بيت النبوة للدكتورة بنت الشاطىء ص ٣٢٤.

وأدركها عمر - رضى الله عنه - بفطرته إذ معنى قول الرسول ﷺ فيما استشعره عمر هو أن من سيتزوج ابنته حفصة هو الرسول نفسه وسيتزوج عثمان إحدى بنات الرسول ﷺ. وانطلق عمر إلى حفصة والدنيا لا تكاد تسعه من الفرحة وارتياح القلب إلى أن الله قد فرّج كرب ابنته.

الزوجة الرابعة : أم سلمة بنت زاد الراكب :

من المهاجرين الأولين إلى الحبشة وكان زوجها (أبو سلمة) عبد الله ابن عبد الأسد المخزومى أول من هاجر إلى يثرب (المدينة) من أصحاب محمد ﷺ. جاءت إلى بيت النبى ﷺ كزوجة بعد وفاة " أم المساكين زينب بنت خزيمة الهلالية " بزمن غير قصير.

سليلة بيت كريم، فأبوها أحد أجواد قريش المعروفين بلقب زاد الراكب؛ إذ كان لا يرافقه أحد فى سفر إلا كفاه زاده.

وزوجها الذي مات عنها صحابي من بنى مخزوم ابن عمة المصطفى ﷺ وأخوه من الرضاعة ذو الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة. وكانت هي وزوجها من السابقين إلى الإسلام. وكانت هجرتهما إلى المدينة معًا وقد حدث لها ولطفلها أحداث أليمة ومثيرة ذكرتها كتب السير. رضى الله عن أم سلمة.. ولا نامت أعين المرجفين.

الزوجة الخامسة : زينب بنت جحش :

لم أرَ امرأة قط خيرًا فى الدين من زينب، وأتقى لله وأصدق حديثًا وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد تبديلا إلا لنفسها في العمل الذي تتصدق وتتقرب به إلى الله عز وجل؟[١]. هكذا تحدثت أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - عن " ضرّتها " زينب بنت جحش. أما المبطلون الحاقدون من بعض أهل الكتاب فقالوا:

أُعْجِب محمد ﷺ وحاشا له - بزوجة متبناه " زيد بن حارثة " فطلقها منه وتزوجها.

ويرد الدكتور هيكل في كتابه " حياة محمد " [٢] ﷺ على هذا فيقول: إنها شهوة التبشير المكشوف تارة والتبشير باسم العلم تارة أخرى، والخصومة القديمة للإسلام تأصلت في النفوس منذ الحروب الصليبية هي التي تملي على هؤلاء جميعًا ما يكتبون.

والحق الذي كنا نود أن يلتفت إليه المبطلون الحاقدون على الإسلام ورسوله ﷺ..

---

(١) صحيح مسلم كتاب الفضائل.

(٢) حياة محمد ص ٢٩.

هو أن زواج محمد ﷺ من زوجة ابنه بالتبني زيد بن حارثة إنما كان لحكمة تشريعية أرادها الإسلام لإبطال هذه العادة - عادة التبني - التي هي في الحقيقة تزييف لحقائق الأمور كان لها في واقع الناس والحياة آثار غير حميدة.

ولأن هذه العادة كانت قد تأصلت في مجتمع الجاهلية اختارت السماء بيت النبوة بل نبي الرسالة الخاتمة نفسه ﷺ ليتم على يديه وفى بيته الإعلان العلمي عن إبطال هذه العادة.

وتجدر الإشارة هنا إلى مجموعة الآيات القرآنية التي جاءت إعلاناً عن هذا الحكم المخالف لعادات الجاهلية وتفسيرًا للتشريع الجديد في هذه - المسألة وفي موضوع الزواج بزينب حيث تقول:**{مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}**(١).

{ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ}(٢).

{وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً}(٣).

مرة أخرى نذكر بأن زواج الرسول ﷺ من زينب لم تكن وراءه أبدًا شهوة أو رغبة جنسية وإنما كان أمرًا من قدر الله وإرادته لإبطال عادة التبني من خلال تشريع يتردد صداه بأقوى قوة في المجتمع الجاهلي الذي كانت عادة التبني أصلاً من أصوله وتقليدًا مستقرًا فيه، فكان السبيل لأبطالها أن يتم التغيير في بيت النبوة وعلى يد الرسول نفسه ﷺ.

وقد فطنت السيدة " زينب بنت جحش " نفسها إلى هذا الأمر فكانت تباهي به ضراتها وتقول لهن: " زوجكن أهاليكن وزوجني ربى من فوق سبع سمَوات " (٤).

(١) الأحزاب: ٤٠.
(٢) الأحزاب: ٥.
(٣) الأحزاب: ٣٧.
(٤) رواه البخارى (كتال التوحيد ٦١٠٨).

أما لماذا كان زيد بن حارثة نفسه يتردد على الرسول معربًا عن رغبته في تطليق زينب؛ فلم يكن - كما زعم المرجفون - أنه شعر أن الرسول يرغب فيها فأراد أن يتنازل عنها لـه.. ولكن لأن حياته معها لم تكن على الوفاق أو التواد المرغوب فيه؛ ذلك أن زينب بنت جحش لم تنس أبدًا - وهى الحسيبة الشريفة والجميلة أيضًا أنها أصبحت زوجًا لرجل كان رقيقًا عند بعض أهلها وأنه - عند الزواج بها - كان مولىً للرسول ﷺ أعتقه بعد ما اشتراه ممن أسره من قريش وباعه بمكة.

فهو - وإن تبناه محمد وبات يسمى زيد بن محمد في عرف المجتمع المكي كله، لكنه عند العروس الحسيبة الشريفة والجميلة أيضا ما يزال - كما كان بالأمس - الأسير الرقيق الذي لا يمثل حُلم من تكون في مثل حالها من الحسب والجمال وليس هذا بغريب بل إنه من طبائع الأشياء.

ومن ثم لم تتوهج سعادتها بهذا الزواج، وانعكس الحال على زيد بن حارثة فانطفأ في نفسه توهج السعادة هو الآخر، وبات مهيأ النفس لفراقها بل لقد ذهب زيد إلى الرسول ﷺ يشكو زينب إليه كما جاء في البخاري من حديث أنس قال: جاء زيد يشكو إلى الرسول فجعل ﷺ يقول لـه:**{أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ}**(1) قال أنس: لو كان النبي كاتمًا شيئًا لكتم هذا الحديث.

لكن الرسول ﷺ كان يقول لـه كما حكته الآية: أمسك عليك زوجك ولا تسارع بتطليقها. وزينب بنت جحش هي بنت عمة الرسول ﷺ كما سبقت الإشارة - وهو الذي زوجها لمولاه " زيد " ولو كانت به رغبة فيها لاختارها لنفسه؛ وخاصة أنه رآها كثيراً قبل فرض الحجاب، وكان النساء في المجتمع الجاهلي غير محجبات فما كان يمنعه - إذًا - من أن يتزوجها من البداية؟!؛ ولكنه لم يفعل.

فالأمر كله ليس من عمل الإرادة البشرية لهم جميعًا: لا لزينب ولا لزيد ولا لمحمد ﷺ، ولكنه أمر قدري شاءته إرادة الله لإعلان حكم وتشريع جديدين في قضية إبطال عادة "التبني" التي كانت سائدة في المجتمع آنذاك.

يؤكد هذا ويدل عليه مجموع الآيات الكريمة التى تعلقت بالموضوع فى سورة الأحزاب. أما الجملة التى وردت فى قولـه تعالى:**{وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ}** (2).

---

(١) رواه االبخارى (كتاب التوحيد).

(٢) الأحزاب: ٣٧.

فإن ما أخفاه النبى ﷺ هو كتم ما كان الله قد أخبره به من أن زينب - يومًا ما - ستكون زوجًا لـه؛ لكنـه لـم يصـرح بـه خشـية أن يقـول النـاس: إنـه تـزوج زوجـة ابنـه بالتبني[١].

الزوجة السادسة: جويرية بنت الحارث الخزاعية:

الأميرة الحسناء التي لم تكن امرأة أعظم بركة على قومها منها فقد أعتق الرسول ﷺ بعد زواجه بها أهل مائة بيت من بنى المصطلق التي هي منهم.

كانت ممن وقع في الأسر بعد هزيمة بنى المصطلق من اليهود في الغزوة المسماة باسمهم. وكاتبها من وقعت في أسره على مال فذهبت إلى الرسول ﷺ فقال لها: **«أو خير من ذلك؟»**. قالت: وما هو؟ قال: **«أقضي عنك كتابتك وأتزوجك»**. قالت: وقد أفاقت من مشاعر الهوان والحزن: نعم يا رسول الله. قال: **«قد فعلت»** [٢].

وذاع الخبر بين المسلمين: أن رسول ﷺ قد تزوج بنت الحارث بن ضرار زعيم بنى المصطلق وقائدهم فى هذه الغزوة.. معنى هذا أن جميع من بأيديهم من أسرى بنى المصطلق قد أصبحوا بعد هذا الزواج كأنهم أصهار رسول الله ﷺ.

وإذا تيار من الوفاء والمجاملة من المسلمين للرسول ﷺ تجسد فى إطلاق المسلمين لكل من بأيديهم من أسرى بنى المصطلق وهم يقولون: أصهار رسول الله، فلا نبقيهم أسرى.

ومع أن زواج الرسول ﷺ بهذه الأسيرة بنت سيد قومها والذي جاءته ضارعة مذعورة مما يمكن أن تتعرض لـه من الذل من بعد عزة.. فإذا هو يرحمها بالزواج، ثم يتيح لها الفرصة لأن تعلن إسلامها وبذا تصبح واحدة من أمهات المؤمنين.

ويقولون: إنه نظر إليها.

وأقول: أما أنه نظر إليها فهذا لا يعيبه - وربما كان نظره إليها ضارعة مذعورة - هو الذي حرك في نفسه ﷺ عاطفة الرحمة التي كان يأمر بها بمن في مثل حالتها ويقول: [ارحموا عزيز قوم ذل]، فرحمها وخيرها فاختارت ما يحميها من هوان الأسر ومذلة الأعزة من الناس.

---

(١) انظر فتح البارى ٨ / ٣٧١ عن سيدات بيت النبوة لبنت الشاطئ ص ٣٥٤.

(٢) رواه البخارى: فتح البارى - كتال النكاح باب ١٤.

على أن النظر شرعًا مأذون به عند الإقدام على الزواج - كما في هذه الحالة - وكما أمر به ﷺ أحد أصحابه عند رغبته في الزواج - قائلاً لـه: **«انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»** [١].

وقد توفيت فى دولـة بنى أمية وصلى عليها عبد الملك بن مروان وهى فـي السبعين من العمر - رضى الله عنها.

الزوجة السابعة : صفية بنت حُيىّ - عقيلة بني النضير :

إحدى السبايا اللاتي وقعن في الأسر بعد هزيمـة يهود بنـى النضـير أمـام المسلمين فـي الوقعة المسماة بهذا الاسم، كانت من نصيب النبي ﷺ فأعتقها وتزوجها: فماذا فـي ذلك؟ ولـم يكن عتقه إياها وتزوجها بدعًا في ذلك؛ وإنمـا كـان موقفًا جانـب الإنسانية فيه هو الأغلب والأسبق.

فلم يكن هذا الموقف إعجابًا بصفية وجمالها؛ ولكنه موقف الإنسانية النبيلة التي يعبر عنها السلوك النبيل بالعفو عند المقدرة والرحمـة والرفق بمن أوقعتهن ظـروف الهزيمـة في الحرب في حالة الاستضعاف والمذلة لا سيما وقد أسلمن وحسن إسلامهن.

فقد فعل ذلك مع " صـفية بنت حُيىّ " بنـت الحـارس عقيلـة بنـى النضـير اليهـود أمـام المسلمين فـي الموقعـة المعروفـة باسم غـزوة بنـى قريظـة بعد انهزام الأحـزاب وردّهـم مدحورين من وقعة الخندق.

الزوجة الثامنة : أم حبيبة بنت أبي سفيان نجدة نبوية لمسلمة في محنة :

إنـها أم حبيبة " رملة " بنت أبي سفيان كبير مشركي مكة وأشد أهلها خصومة لمحمد صـلوات الله وسـلامه عليـه. كانـت زوجًـا لعبيـد الله بـن جحـش وخرجـا معًـا مهـاجرين بإسلامهما في الهجرة الأولى إلى الحبشة، وكما هو معروف أن الحبشة في عهد النجاشي كانت هي المهجر الآمن للفارين بدينهم من المسلمين حتى يخلصوا من بطـش المشـركين بهم وعدوانهم عليهم؛ فإذا هم يجدون في - ظل النجاشي - رعايـة وعنايـة لمـا كـان يتمتـع به من حس إيماني جعلـه يرحـب بأتبـاع النبـي الجديد الـذي تم التبشير بمقدمـه فـى كتبهم على لسان عيسى بن مريم - عليه السلام - كما تحدث القرآن عن ذلك في صورة الصف في قولـه:

---

(١) رواه البخارى: فتح البارى - كتاب النكاح باب ٣٦.

{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} (١).

لكن أم حبيبة بنت أبى سفيان كانت وحدها التي تعرضت لمحنة قاسية لم يتعرض لمثلها أحد من هؤلاء المهاجرين الأوائل إلى الحبشة؛ ذلك أن زوجها عبيد الله بن جحش قد أعلن ارتداده عن الإسلام ودخوله في النصرانية وما أصعب وأدق حال امرأة باتت في محنة مضاعفة: محنتها فى زوجها الذى ارتد وخان.. ومحنتها السابقة مع أبيها الذي فارقته مغاضبة إياه في مكة منذ دخلت فى دين الله (الإسلام)..

وفوق هاتين المحنتين كانت محنة الاغتراب حيث لا أهل ولا وطن ثم كانت محنة حملها بالوليدة التى كانت تنتظرها والتى رزقت بها من بعد وأسمتها " حبيبة ".. كان هذا كله أكبر من عزم هذه المسلمة الممتحنة من كل ناحية والمبتلاة بالأب الغاضب والزوج الخائن!!

لكن عين الله ثم عين محمد ﷺ سخرت لها من لطف الرعاية وسخائها ما يسّر العين ويهون الخطب، وعادت بنت أبى سفيان تحمل كنية جديدة، وبدل أن كانت " أم حبيبة " أصبحت " أم المؤمنين " وزوج سيد المسلمين - صلوات الله وسلامه عليه.

والحق أقول: لقد كان نجاشي الحبشة من خلّص النصارى فأكرم وفادة المهاجرين عامة وأم المؤمنين بنت أبى سفيان بصفة خاصة. فأنفذ فى أمرها مما بعث به إليه رسول الله ﷺ أن يخطبها لـه.

وكانت خطبة الرسول ﷺ لأم حبيبة بنت أبى سفيان نعم الإنقاذ والنجدة لهذه المسلمة المبتلاة في الغربة؛ عوضتها عن الزوج الخائن برعاية سيد البشر ﷺ؛ وعوضتها عن غضب الأب " أبى سفيان " برعاية الزوج الحاني الكريم صلوات الله عليه.

كما كانت هذه الخطبة في مردودها السياسي - لطمة كبيرة لرأس الكفر في مكة أبى سفيان بن حرب الذي كان تعقيبه على زواج محمد لابنته هو قولـه: " إن هذا الفحل لا يجدع أنفه "؛ كناية عن الاعتراف بأن محمدًا لن تنال منه الأيام ولن يقوى أهل مكة - وهو على رأسهم - على هزيمته والخلاص منه لأنه ينتقل كل يوم من نصر إلى نصر.

---

(١) الصف: ٦.

كان هذا الاعتراف من أبى سفيان بخطر محمد وقوته كأنه استشفاف لستر الغيب أو كما يقول المعاصرون: تنبؤ بالمستقبل القريب وتمام الفتح. فما لبث أن قبل أبو سفيان دعوة الرسول ﷺ إياه إلى الإسلام وشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. وتقدم أحد الصحابة إلى رسول الله ﷺ يسأله قائلاً: " إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فهلا جعلت لـه ما يحل عقدته ويسكن حقده وغيظه، فقال صلوات الله وسلامه عليه في ضمن إعلانه التاريخي الحضاري العظيم لأهل مكة عند استسلامهم وخضوعهم بين يديه: **«من دخل داره فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن ، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن»** (١).

وانتصر الإسلام وارتفع لواء التوحيد ودخل الناس في دين الله أفواجًا. وفى مناخ النصر العظيم.. كانت هى سيدة غمرتها السعادة الكبرى بانتصار الزوج ونجاة الأب والأهل من شر كان يوشك أن يحيط بهم.

تلكم هي أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبى سفيان التي أحاطتها النجدة النبوية من خيانة الزوج وبلاء الغربة ووضعتها في أعز مكان من بيت النبوة.

الزوجة التاسعة : ميمونة بنت الحارث الهلالية أرملة يسعدها أن يكون لها رجل :

آخر أمهات المؤمنين.. توفي عنها زوجها أبو رهم بن عبد العزّى العامرى؛ فانتهت ولاية أمرها إلى زوج أختها العباس الذي زوجها رسول الله ﷺ؛ حيث بنى بها الرسول - في " سرف " قرب " التنعيم" على مقربة من مكة حيث يكون بدء الإحرام للمعتمرين من أهل مكة والمقيمين بها.

وقيل: إنه لما جاءها الخاطب بالبشرى قفزت من فوق بعيرها وقالت: البعير وما عليه لرسول الله ﷺ، وقيل: إنها هي التي وهبت نفسها للنبي والتي نزل فيها قوله تعالى:**{وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ}**(٢).

كانت آخر أمهات المؤمنين وآخر زوجاته صلوات الله وسلامه عليه.

* * * * *

---

(١) رواه البخارى - فتح البارى - " كتاب المغازى ".

(٢) الأحزاب: ٥٠.

المبحث الرابع:
شبهة حول زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش والرد عليها

شاء الله عز وجل ولا مرد لمشيئته أن يطلق زيد بن حارثة زوجته حينما تعذر بقاء الحياة الزوجية بينه وبينها على الوجه المطلوب، ومضت سنة الله في خلقه أن ما رسخ في النفوس بحكم العادة لا يسهل التخلص منه، فقد كانت عادة التبني لا تزال قائمة في نفوس الناس، وليس من السهل التغلب على الآثار المترتبة عليها، ومن أهم هذه الآثار أن الأب لا يتزوج امرأة من تبناه بعد وفاته أو طلاقه لزوجته، فاختار الله تعالى لهذه المهمة صاحب الرسالة ﷺ وأمره بالزواج من زينب بنت جحش بعد طلاقها من زيد.

وبعد أن تزوج النبي ﷺ من زينب رضي الله عنها، أثار هذا الزواج أحاديث همز ولمز وأقاويل كثيرة من قبل المشركين والمنافقين، فقد قالوا: تزوج محمد حليلة ابنه زيد بعد أن طلقها، كما وأن للمستشرقين ومن شايعهم في العصر الحاضر، أحاديث في هذا الموضوع، فاتخذوا من هذه الحادثة ذريعة للطعن في رسول الله ﷺ.

والذي أريد أن أتحدث عنه اليوم هو الرد على هؤلاء المستشرقين الذين اتخذوا من هذه القضية مدخلاً للطعن في نبي الله ﷺ، كما وأنهم تناولوا زواجه ﷺ بهذا العدد، فجعلوا منه مادة للنيل منه ﷺ، ووصفوه بأشياء ينبو عنها القلم.

ولما كان هذا الأمر من الخطورة بمكان لتعلقه بأشرف خلق الله على الإطلاق - وكان كل من يطلق لسانه في هذا الصدد يقول: لسنا نبتدع شيئاً، فها هي كتب التفسير وكتب السير تحكي ذلك -، لذا سأقوم الآن بعرض تلك الروايات التي اعتمدوا عليها رواية رواية، متبعاً كل رواية منها ببيان ما وجّه لأسانيدها من نقد، ثم أتبع ذلك بنقدها جميعاً من جهة متونها، وموقف الأئمة المحققين من هذه الروايات.

يقول الله تعالى:**{وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً}**[١].

---

(١) الأحزاب: ٣٧.

إن السبب في طلاق زيد لزينب ومن ثم زواج النبي ﷺ منها؛ هو ما كان بين زيد وبين زينب من خلافات، وأنه لم يكن بينهما وئام يؤمل معه أن تبقى الحياة الزوجية بينهما، فطلقها بمحض اختياره ورغبته، وكان رسول الله ﷺ ينهاه عن ذلك، وقد كان الله عز وجل قد أعلم نبيه ﷺ أن زيداً سيطلق زينب، وأنه ستكون زوجة لـه، وأنه ﷺ كان يخفي هذا ويخشى من مقولة الناس، أنه تزوج مطلقة من كان يدعى إليه، فعاتبه ربه على ذلك(١).

خلاصة ما جاء في كتب التفسير والتي استدل بها المستشرقون أن هناك سبباً آخر لطلاق زينب، هو أن النبي ﷺ رأى زينب فجأة وهي في ثياب المنزل فأعجبته، ووقع في قلبه حبها، فتكلم بكلام يفهم منه ذلك، إذ سمعه زيد فبادر إلى طلاقها تحقيقاً لرغبة رسول الله ﷺ، وأن زيداً شاوره في طلاقها، وكان رسول الله ﷺ ينهاه عن ذلك، لكن في قلبه ضد هذا، وأنه كان راغباً في طلاق زيد لها ليتزوجها، وفوق ذلك فقد أقر الله رسوله على ما فعل، بل عاتبه لِمَ يخفي هذا والله سيبديه.

ورغم شناعة ما جاء في هذه الروايات، وهذا الفهم للآية الكريمة التي تتحدث عن طلاق زيد لزينب وزواج النبي ﷺ بها، إلا أنه قد جاز على أئمة فضلاء، ففسروا به الآية الكريمة، وأثبتوا ذلك صراحة في كتبهم وتفاسيرهم. (٢)

وأحسن ما يعتذر به عن هؤلاء الأئمة وأتباعهم ممن ذهب يفسر الآية بهذا، أنهم عدوا هذا منه ﷺ من عوارض البشرية، كالغضب والنسيان، ولكنهم لم يستحضروا شناعة هذا التفسير للآية، ونسبة ذلك لرسول الله ﷺ، ولم يدققوا في الروايات التي وصلتهم من جهة أسانيدها ومتونها كما فعل غيرهم، ونحن نسأل الله أن يثيبهم على اجتهادهم وأن يغفر لهم.

والآن إلى نقد الروايات..

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري(١١/٢٢) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير(٤٨٩/٣)، وانظر البخاري (برقم ٤٧٨٧).

(٢) ومن هؤلاء الأئمة: ابن جرير الطبري في كتابه جامع البيان (١٢/٢٢)، عند تفسيره الآية ولم يذكر غيره. ومنهم: الرازي في تفسيره (١٨٤/١٣)، حيث ذكر نحواً من كلام ابن جرير. ومنهم: ابن القيم في كتابه الجواب الكافي(ص ٢٤٧)، حيث ذكره فيمعرض سوقه لحكايات في عشق السلف الكرام والأئمة الأعلام. ومنهم: الزمخشري في تفسيره (٢٦٢/٣).

الرواية الأولى:

ذكرها ابن سعد في طبقاته قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني عبد الله بن عامر الأسلمي، عن محمد بن يحيى بن حبان، قال: جاء رسول الله ﷺ بيت زيد بن حارثة يطلبه، وكان زيد إنما يقال له: زيد بن محمد، فربما فقده رسول الله ﷺ الساعة فيقول: "أين زيد؟ " فجاء منزله يطلبه، فلم يجده، وتقوم إليه زينب بنت جحش زوجته فُضُلاً أي وهي لابسة ثياب نومها -، فأعرض رسول الله ﷺ عنها، فقالت: ليس هو هاهنا يا رسول الله فادخل بأبي أنت وأمي، فأبى رسول الله ﷺ أن يدخل، وإنما عجلت أن تلبس لما قيل لها: رسول الله ﷺ على الباب فوثبت عجلى، فأعجبت رسول الله ﷺ، فولى وهو يهمهم بشيء لا يكاد يفهم منه إلا: سبحان مصرّف القلوب، فجاء زيد إلى منزله، فأخبرته امرأته أن رسول الله ﷺ أتى منزله، فقال زيد: ألا قلت له أن يدخل؟ قالت: قد عرضت ذلك عليه فأبى، قال: فسمعت شيئاً؟ قالت: سمعته يقول حين ولى تكلم بكلام لا أفهمه، وسمعته يقول: سبحان الله العظيم، سبحان مصرف القلوب، فجاء زيد حتى أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله بلغني أنك جئت منزلي فهلا دخلت؟ بأبي وأمي يا رسول الله، لعل زينب أعجبتك فأفارقها، فيقول رسول الله: "أمسك عليك زوجك"، فما استطاع زيد إليها سبيلاً بعد ذلك اليوم، فيأتي إلى رسول الله ﷺ فيخبره، فيقول رسول الله: **«أمسك عليك زوجك»**، فيقول: يا رسول الله أفارقها، فيقول رسول الله: **«احبس عليك زوجك»**، ففارقها زيد واعتزلها وحلت يعني انقضت عدتها قال: فبينا رسول الله ﷺ جالس يتحدث مع عائشة، إلى أن أخذت رسول الله ﷺ غشية، فسري عنه وهو يبتسم وهو يقول: **«من يذهب إلى زينب يبشرها أن الله قد زوجنيها من السماء؟»** وتلا رسول الله ﷺ :**{وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً}**(١).

---

(١) الأحزاب: ٣٧.

قالت عائشة: فأخذني ما قرب وما بعد لما يبلغنا من جمالها، وأخرى هي أعظم الأمور وأشرفها ما صنع الله لها، زوجها الله من السماء، وقلت: هي تفخر علينا بهذا، قالت عائشة: فخرجت سلمى خادم رسول الله ﷺ تشتد فتحدثها بذلك، فأعطتها أوضاحاً حلي من الفضة عليها[(١)].

وإسناد هذه الرواية فيه علل ثلاث، واحدة منها تكفي لرد هذه الرواية:

العلة الأولى: أنها مرسلة، فمحمد بن يحيى بن حبان تابعي، يروي عن الصحابة، ويروي أيضاً عن التابعين، كعمر بن سليم والأعرج، وغيرهما، (ت ١٢١ هـ) وعمره (٧٤ سنة)، فهو لم يدرك القصة قطعاً ولم يذكر من حدثه بها[(٢)].

العلة الثانية: عبد الله بن عامر الأسلمي، ضعيف بالاتفاق، بل قال فيه البخاري: ذاهب الحديث، وقال أبو حاتم: متروك[(٣)].

العلة الثالثة: محمد بن عمر، وهو الواقدي، إخباري كثير الرواية، لكنه متروك الحديث، ورماه جماعة من الأئمة بالكذب ووضع الحديث. ميزان الاعتدال (٦٦٤/٣).

الرواية الثانية:

ذكرها ابن جرير، قال: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان النبي ﷺ قد زوّج زيد بن حارثة زينب بنت جحش بنت عمته، فخرج رسول الله ﷺ يوماً يريده وعلى الباب ستر من شعر، فرفعت الريح الستر فانكشفت وهي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي ﷺ، فلما وقع ذلك كرهت الآخر، فجاء فقال: يا رسول الله إني أريد أن أفارق صاحبتي، قال: «**مالك؟ أرابك منها شيء؟**» قال: لا، والله ما رابني منها شيء يا رسول الله، ولا رأيت إلا خيراً، فقال رسول الله ﷺ :**{أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ}**، فذلك قول الله تعالى:**{وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ}**[(٤)]،

---

(١) ابن سعد في طبقاته(١٠١/٨) ومن طريقه ساقها ابن جرير في تاريخه (١٦١/٣).

(٢) التهذيب (٥٠٧/٩ - ٥٠٨).

(٣) التهذيب٢٧٥/٥، وميزان الاعتدال٤٤٨/٢.

(٤) الأحزاب: (٣٧).

تخفي في نفسك إن فارقها تزوجتها[١].

وهذه الرواية فيها علتان:

العلة الأولى: أنها معضلة، فابن زيد وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ليس بصحابي ولا تابعي، فقد سقط من الإسناد راويان أو أكثر.

العلة الثانية: أن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هذا ضعيف باتفاق المحدثين، بل صرح بعضهم بأنه متروك الحديث، قال البخاري وأبو حاتم: ضعفه علي بن المديني جداً، وقال أبو حاتم: كان في الحديث واهياً، وجاء عن الشافعي أنه قال: قيل لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: حدثك أبوك عن جدك أن رسول الله ﷺ قال: إن سفينة نوح طافت بالبيت وصلت خلف المقام ركعتين؟ قال: نعم. ولهذا لما ذكر رجل لمالك حديثاً منقطعاً قال له: اذهب إلى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن أبيه عن نوح. وأقوال الأئمة في تضعيفه كثيرة، وهو رجل صالح في نفسه لكنه شغل بالعبادة والتقشف عن حفظ الحديث فضعف جداً[٢].

ويروى عنه شيء كثير في التفسير، فما كان من رأيه في فهم القرآن، فهذا ينظر فيه، وأما ما يرويه مسنداً فغير مقبول، فكيف إذا أرسل الحديث؟!.

الرواية الثالثة:

ذكرها أحمد، قال: حدثنا مؤمل بن إسماعيل قال: حدثنا حماد بن زيد، قال: حدثنا ثابت عن أنس قال: أتى رسول الله ﷺ منزل زيد بن حارثة فرأى رسول الله ﷺ امرأته زينب، وكأنه دخله لا أدري من قول حماد أو في الحديث فجاء زيد يشكوها إليه، فقال له النبي ﷺ : **«أمسك عليك زوجك واتق الله»**، قال: فنزلت**{وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ}**[٣] إلى قوله**{زَوَّجْنَاكَهَا}** يعني زينب[٤].

---

(١) ابن جرير في تفسيره (١٣/٢٢).
(٢) التهذيب (١٧٨/٦).
(٣) الأحزاب: (٣٧).
(٤) أحمد في مسنده(١٤٩/٣ - ١٥٠).

مؤمل بن إسماعيل قواه بعض الأئمة، ووصفه أكثرهم بأنه كثير الخطأ يروي المناكير، قال يعقوب بن سفيان: حديثه لا يشبه حديث أصحابه، وقد يجب على أهل العلم أن يقفوا عن حديثه، فإنه يروي المناكير عن ثقات شيوخه، وهذا أشد، فلوا كانت هذه المناكير عن الضعفاء لكنا نجعل لـه عذراً. وقال محمد بن نصر المروزي: المؤمل إذا انفرد بحديث وجب أن يتوقف ويتثبت فيه، لأنه كان سيء الحفظ كثير الغلط.

وحديثه هذا قد رواه جماعة من الثقات من أصحاب حماد فلم يذكروا أول الحديث، وإنما ذكروا مجيء زيد يشكوا زينب، وقول النبي ﷺ لـه، ونزول الآية[١].

الرواية الرابعة:

رواها ابن جرير، قال: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد عن قتادة:**{وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ}** وهو زيد أنعم الله عليه بالإسلام:**{وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ}** أعتقه رسول الله ﷺ :**{أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ}**، قال: وكان يخفي في نفسه ودّ أنه طلقها، قال الحسن: ما أنزلت عليه آية كانت أشد منها قولـه**{وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ}**، ولو كان نبي الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكتمها:**{وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ}**، قال خشي نبي الله ﷺ مقالة الناس[٢].

وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة هذه القصة مختصرة، قال: جاء زيد بن حارثة فقال: يا رسول الله إن زينب اشتد عليّ لسانها، وأنا أريد أن أطلقها، فقال لـه: "اتق الله وأمسك عليك زوجك"، قال: والنبي ﷺ يحب أن يطلقها ويخشى مقالة الناس[٣].

وقتادة هو بن دعامة السدوسي أحد الأئمة الحفاظ، مشهور بالتفسير، فما فسره من فهمه للآيات فينظر فيه، وما ذكره رواية فإن العلماء أخذوا عليه كثرة التدليس، فاشترطوا لصحة حديثه أن يصرح بالسماع، وهذا إذا ذكر الإسناد، فإما ما يرسله ولا يذكر بعده في الإسناد أحداً كما في روايته لهذه القصة فهو ضعيف جداً، قال الشعبي: كان قتادة حاطب ليل، وقال أبو عمرو بن العلاء: كان قتادة وعمرو بن شعيب لا يغث

---

(١) البخاري(برقم ٧٤٢٠) والترمذي(برقم ٣٢١٢) والنسائي(برقم ١١٤٠٧.
(٢) ابن جرير في تفسيره(١٣/٢٢).
(٣) فتح الباري(٥٢٤/٨).

عليهما شيء، يأخذان عن كل أحد[١].

وكان يحيى بن سعيد القطان لا يرى إرسال الزهري وقتادة شيئاً، ويقول: هو بمنزلة الريح. جامع التحصيل في أحكام المراسيل للعلائي(ص ١٠١).

على أن روايته لتفسير الآية ليس فيه تفصيل كما في الروايات الأخرى، ويمكن رد روايته إلى الروايات الصحيحة في تفسير الآية، فيكون معنى أحب وودّ أي علم أن زيداً سيطلقها ولا بد بإلهام الله لـه ذلك، وتكون خشيته من مقالة الناس حينئذٍ أن يقولوا: تزوج حليلة ابنه.

الرواية الخامسة:

(ذكرها القرطبي) قال مقاتل: زوّج النبي ﷺ زينب بنت جحش من زيد فمكثت عنده حيناً، ثم إنه عليه السلام أتى زيداً يوماً يطلبه، فأبصر زينت قائمة، وكانت بيضاء جميلة جسيمة من أتمّ نساء قريش، فهويها وقال: "سبحان الله مقلب القلوب"، فسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد، ففطن زيد فقال: يا رسول الله ائذن لي في طلاقها، فإن فيها كبراً، تعظم عليّ وتؤذيني بلسانها، فقال عليه السلام: "أمسك عليك زوجك واتق الله"، وقيل: إن الله بعث ريحاً فرفعت الستر وزينب مُتَفَضَّله في منزلها، فرأى زينب فوقعت في نفسه، ووقع في نفس زينب أنه وقعت في نفس النبي ﷺ وذلك لما جاء يطلب زيداً، فجاء زيد فأخبرته بذلك، فوقع في نفس زيد أن يطلقها[٢].

هذه الرواية لم يذكروا لها إسناداً إلى مقاتل، ولو صحت إلى مقاتل لم يفدها شيئاً، فإن مقاتلاً وهو مقاتل بن سليمان فيما يظهر قد كذبه جمع من الأئمة ووصفوه بوضع الحديث، وتكلموا في تفسيره[٣].

الرواية السادسة:

قال ابن إسحاق: مرض زيد بن حارثة فذهب إليه رسول الله ﷺ يعوده وزينب ابنة جحش امرأته جالسة عن رأس زيد، فقامت زينب لبعض شأنها، فنظر إليها رسول الله ﷺ ثم طأطأ رأسه، فقال: "سبحان مقلب القلوب والأبصار"، فقال زيد: أطلقها لك يا

---

(١) التهذيب(٣٥١/٨ - ٣٥٦).

(٢) القرطبي في تفسيره (١٩٠/١٤).

(٣) انظر ترجمته في التهذيب (٢٧٩/١٠ - ٢٨٥).

رسول الله، فقال: لا"، فأنزل الله عز وجل:{وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ} إلى قولـه{وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً} [(١)].

هذه الرواية لم يذكروا لها إسناداً، ولم أقف عليها في سيرة ابن هشام.

وبعد أن تبين ضعف هذه الروايات وسقوطها من جهة أسانيدها، فلننظر فيها من جهة متونها وما فيها من اضطراب ونكارة، من عدة وجوه:

الوجه الأول: تناقض الروايات المذكورة، ففي بعضها أن رسول الله ﷺ زار زيد بن حارثة وهو غائب فاستقبلته زينب، وفي بعضها أن زيداً كان مريضاً، فزاره رسول الله ﷺ، وكان عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم جالساً هو وزيد وزينب، فكيف يكون زيد غائباً ومريضاً في فراشه في وقت واحد.؟!

الوجـه الثـاني: والروايـات التـي ذكـرت أن رسـول الله ﷺ زار زيـداً اختلفـت فـي كيفيـة رؤيـة الرسـول ﷺ لزينـب رضـي الله عنهـا، فروايـة تقـول بأنـه كـان واقفـاً بالبـاب فخرجـت إليـه، وروايـة بأنـه كـان واقفـاً ببـاب زيـد فرفعـت الـريح سـتر الشـعر فرآها فأعجبته.

الوجـه الثالـث: تتفـق الروايـات علـى أن إعجـاب النبـي ﷺ بزينـب ووقـوع حبهـا فـي قلبـه جـاء متـأخراً، أي بعـد أن تزوجهـا زيـد رضـي الله عنـه، وهـذا شـيء عجيـب، فلقـد ولـدت زينـب ورسـول الله ﷺ قـد جـاوز الثانيـة عشـرة مـن عمـره، وشـبت وترعرعـت أمامـه، فهـي ابنـة عمتـه، ألـم يلحـظ مفاتنهـا إلا متـأخراً، وبعـد أن صـارت زوجـة لدعيّـه، وهـو الـذي زوجهـا لــه، والحجـاب لـم ينـزل بعـد، فقـد نـزل صـبيحة عرسـها، ألا يكـون شـاهدها، فلـو كـان يهواهـا أو وقعـت فـي قلبـه لمـا منعـه شـيء مـن زواجهـا، فإشـارة منـه ﷺ كافيـة لأن يقـدموها لــه، بـل قـد ورد أنهـا وهبـت نفسها لـه[(٢)].

الوجه الرابـع: لـو افترضـنا جـدلاً أن حبهـا وقـع فـي قلبـه ﷺ متـأخراً بعـد رؤيتـه لهـا عنـد زيـد ابـن حارثـة، فبـأي شـيء يمكـن تفسـير مـا صـدر منـه ﷺ وفهـم منـه زيـد وزينـب أنهـا وقعـت فـي قلبـه، سـواء كـان ذلـك تسـبيحاً أو طأطـأة للـرأس، أو غيـر ذلـك؟! كيـف ذلـك وهـو الـذي نهـى عـن أن يخبـب الرجـل امـرأة غيـره عليـه؟ أفيعمـل

---

(١) تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام اللواء أحمد عبد الوهاب(ص ٦٨).
(٢) انظر كلام ابن العربي حول هذا الوجه في كتابه أحكام القرآن (١٥٤٣/٣).

ما قد نهى أمته عنه؟! فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من خبب زوجة امرئ أو مملوكه فليس منا» (١).

ولو افترضنا أن رسول الله ﷺ لم يقصد إفهامها ذلك، وإنما صدر منه ذلك عفواً دون قصد، فكيف بما ذكروا أنه عقد عليه قلبه من محبته ورغبته أن يطلقها زيد ليتزوجها؟ ولو نسب ذلك إلى آحاد المسلمين لكان ينبغي تبرئته من ذلك.

وفوق ذلك كله كيف يعاتبه الله كما تقول هذه الروايات لأنه أخفى ذلك عن الناس ولم يعلن أنه يحب زوجة زيد، وأنه يود لو طلقها ليتزوجها؟ تَصَوّرٌ مثل هذا كاف في ظهور بطلان هذه الروايات.

الوجه الخامس: هذه الروايات التي فسروا بها الآية لو لم يرد غيرها لم يصح أن يفسر بها كتاب الله تعالى، لسقوطها إسناداً ومتناً، فكيف وقد وردت روايات أخرى في تفسير الآية تفسيراً منطقياً لا إشكال فيه ولا نكارة، فالذي يخفيه ﷺ هو ما أعلمه ربه أنه ستصبح زوجة له، والذي يخشاه هو مقولة الناس إنه تزوج حليلة من كان يدعى إليه.

والغريب في الأمر أن بعض المفسرين ترك هذه الروايات الصحيحة والتي لا مطعن فيها، وذكر تلك الروايات الشاذة الغريبة، ومنهم من لم يذكرها لكنه ذهب يفسر الآيات على ضوئها.

وإذا اتضح الآن سقوط تلك الروايات سنداً ومتناً فإنه لا يفوتني هنا أن أسجل مواقف بعض الأئمة المحققين من المفسرين وغيرهم الذي وقفوا أمام هذه الروايات موقفاً حازماً صلباً، فمنهم من ذكرها وفندها، ومنهم من أضرب عنها صفحاً بعد الإشارة إلى ضعفها ونكارتها.

قال ابن العربي بعد أن ذكر ملخص هذه الروايات، وبين عصمة النبي ﷺ : هذه الروايات كلها ساقطة الأسانيد (٢).

قال القرطبي بعد أن ذكر التفسير الصحيح لما كان يخفيه ﷺ، وما الذي كان يخشاه من الناس: وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين، كالزهري والقاضي بكر

---

(١) أبو داود (برقم ٥١٧٠) بسند صحيح.

(٢) أحكام القرآن (١٥٤٣/٣).

بـن العــلاء القشــيري والقاضــي أبــي بكـر بــن العربــي وغيـرهم. فأمــا مــا روي أن النبـي ﷺ هـوى زينـب امـرأة زيـد وربمـا أطلـق بعـض المُجّـان لفـظ عشـق فهـذا إنمـا صدر عن جاهل بعصمة النبي ﷺ عن مثل هذا، أو مستخف بحرمته (١).

وقـال ابـن كثيـر بعد أن ذكـر الروايـات الصحيحة: ذكـر ابـن أبـي حـاتم وابـن جريـر هاهنـا آثـاراً عـن بعـض السـلف رضـي الله عـنهم أحببنـا أن نضـرب عنهـا صـفحاً لعـدم صحتها فلا نوردها، وقد روى الإمـام أحمد هاهنـا أيضـاً حديثاً من روايـة حمـاد بـن زيـد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه فيه غرابة تركنا سياقه أيضاً (٢).

وقال ابن حجر بعد أن ذكر الروايات الصحيحة: ووردت آثـار أخـرى أخرجهـا ابـن أبي حاتم والطبري ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها (٣).

وهناك ثُلّة كبيرة من علماء الإسلام في العصر الحاضـر تفطنـوا لمثـل هـذه الأخبـار، ورمقت أبصـارهم مـا تنطـوي عليـه مـن مداخل خطيـرة لا تليق بمقـام الأنبيـاء، فأنـار الله بصائرهم لكشف النقاب عن هذه الآثار الدخيلة، فكان لهم الفضل في التنبيه وإيقاظ الفكـر الإسـلامي للتصـدي لكـل دسيسـة يـراد منهـا النيـل مـن قداسـة رسـول الله ﷺ، أو تشـويه الحقائق التاريخية في تراث الإسلام.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: وللقصـاص فـي هـذه القصـة كـلام لا ينبغـي أن يجعـل في حيز القبول، ويجب صيانة النبي ﷺ عن هذه الترهات التي نسبت إليـه زوراً وبهتانـاً. محمد رسول الله ﷺ.

وخلاصة الأمر:

كـان زواج الرسـول ﷺ مـن زينـب بنـت جحـش لهـلال ذي القعدة مـن العـام الخـامس الهجـري وهـي بنـت خمـس وثلاثـين. روى البخـاري أن زيـداً جـاء يشـكو زوجتـه، فجعـل النبـي ﷺ يقـول: «**اتق الله وأمسك عليك زوجك**»، قالـت عائشـة: لـو كـان رسـول الله ﷺ كاتماً شيئاً، لكتم هذه الآية، فكانت تفخـر علـى أزواج النبـي ﷺ، تقـول: زوجكـن أهـاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات(٤).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩١/١٤).
(٢) تفسير القرآن العظيم (٤٩١/٣).
(٣) فتح الباري (٥٢٤/٨).
(٤) رواه البخاري في صحيحه (برقم ٧٤٢٠).

المبحث الخامس:
علة كثرة زواج النبي ﷺ

أخرج البخاري في كتاب النكاح:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: هَلْ تَزَوَّجْتَ؟ قُلْتُ لاَ. قَالَ: فَتَزَوَّجْ فَإِنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً.

قال في الشرح:

قوله: (فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء) قيد بهذه الأمة ليخرج مثل سليمان عليه السلام، فإنه كان أكثر نساء، وكذلك أبوه داود، ووقع عند الطبراني من طريق أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (تزوجوا فإن خيرنا كان أكثرنا نساء) قيل المعنى خير أمة محمد من كان أكثر نساء من غيره ممن يتساوى معه فيما عدا ذلك من الفضائل.

والذي يظهر أن مراد ابن عباس بالخير النبي ﷺ، وبالأمة أخصاء أصحابه؛ وكأنه أشار إلى أن ترك التزويج مرجوح، إذ لو كان راجحًا ما آثر النبي ﷺ غيره، وكان النبي ﷺ مع كونه أخشى الناس لله وأعلمهم به - يكثر التزويج لمصلحة تبليغ الأحكام التي لا يطلع عليها الرجال، ولإظهار المعجزة البالغة في خرق العادة لكونه كان لا يجد ما يشبع به من القوت غالبا، وإن وجد كان يؤثر بأكثره، ويصوم كثيرًا ويواصل، ومع ذلك فكان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة، ولا يطاق ذلك إلا مع قوة البدن، وقوة البدن تابعة لما يقوم به من استعمال المقويات من مأكول ومشروب، وهي عنده نادرة أو معدومة.

ووقع في الشفاء أن العرب كانت تمدح بكثرة النكاح لدلالته على الرجولية، إلى أن قال: ولم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه، بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته إياهن وكأنه أراد بالتحصين قصر طرفهن عليه فلا يتطلعن إلى غيره، بخلاف العزبة فإن العفيفة تتطلع بالطبع البشري إلى التزويج، وذلك هو الوصف اللائق بهن.

* والذي تحصل من كلام أهل العلم في الحكمة في استكثاره من النساء عشرة أوجه تقدمت الإشارة إلى بعضها.

أحدها: أن يكثر من يشاهد أحواله الباطنة فينتفي عنه ما يظن به المشركون من أنه ساحر أو غير ذلك.

ثانيها: لتتشرف به قبائل العرب بمصاهرته فيهم.

ثالثها: للزيادة في تألفهم لذلك.

رابعها: للزيادة في التكليف حيث كلف أن لا يشغله ما حبب إليه منهن عن المبالغة في التبليغ.

خامسها: لتكثر عشيرته من جهة نسائه فتزداد أعوانه على من يحاربه.

سادسها: نقل الأحكام الشرعية التي لا يطلع عليها الرجال، لأن أكثر ما يقع مع الزوجة مما شأنه أن يختفي مثله.

سابعها: الاطلاع على محاسن أخلاقه الباطنة، فقد تزوج أم حبيبة وأبوها إذ ذاك يعاديه، وصفية بعد قتل أبيها وعمها وزوجها، فلو لم يكن أكمل الخلق في خلقه لنفرن منه، بل الذي وقع أنه كان أحب إليهن من جميع أهلهن.

ثامنها: ما تقدم مبسوطًا من خرق العادة له في كثرة الجماع مع التقلل من المأكول والمشروب وكثرة الصيام والوصال، وقد أمر من لم يقدر على مؤن النكاح بالصوم، وأشار إلى أن كثرته تكسر شهوته فانخرقت هذه العادة في حقه ﷺ.

تاسعها وعاشرها: ما تقدم نقله عن صاحب الشفاء من تحصينهن والقيام بحقوقهن، والله أعلم.

زواجه ﷺ من عائشة رضي الله عنها:

يحاول الحاقدون على الإسلام من النصارى أن يثيروا الشبهات في زواج رسول الله ﷺ بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وللرد عليهم وتبيان جهلهم نقول وبالله التوفيق:

أولاً: نقول لهم: إذا كنتم تعيبون النبي محمداً ﷺ أنه تزوج عائشة وهي صغيرة، فما رأيكم في أنبياء كتابكم المقدس الذي وصفهم بأنهم زناة ومجرمين كداود وحاشاه، وسراق كيعقوب وحاشاه، وعباد أوثان كسليمان وحاشاه إلخ؟! مع أن هذه الخطايا غير مسقطة لنبوتهم كما تؤمنون...؟!

أليس من العجيب إنكارهم على رسول الله ﷺ زواجه الشرعي من السيدة عائشة رضي الله عنها وهم يقبلون من كتابهم المقدس أن الأنبياء يمارسون زنى المحارم كالنبي لوط عليه السلام ويهوذا، ويزنون ويقتلون ليس فقط بدون وجه

حق بل للوصول للزنى كقصة النبي داود عليه السلام وزوجة أوريا وأنهم أهل خمر كالنبي نوح والنبي لوط عليهما السلام فوق ذلك كله أنهم عبدة أوثان كالنبي سليمان عليه السلام الذي عبد الأوثان لأجل إرضاء زوجاته الوثنيات. كما في سفر الملوك.

ثانياً: لعل النصارى لا يقرأون كتابهم ولا يعرفون دينهم جيدا.. ولعل القساوسة يخفون الحقائق دائما.. ففي الوقت الذي كان يسأل فيه النصارى عن زواج الرسول الكريم من السيده عائشة ويدعون أن الفرق السني كبير بل كبير جداً في وجهة نظرهم المحدودة...

نجد أن السيدة مريم العذراء حينما كانت متزوجة (أو مخطوبة) بشهادة النصارى من يوسف النجار وولدت السيد المسيح.. كان سنها ١٢ سنة فقط في حين كان يوسف النجار على مشارف التسعين من عمره.. حوالي(٨٩).. يعني أكبر منها بحوالى٧٧سنة.. وهذا الكلام موثق في الموسوعة الكاثوليكية...

ثالثاً: إنّ زواج الرسول ﷺ من السيدة عائشة رضي الله عنها كان أصلاً باقتراح من خولة بنت حكيم على الرسول ﷺ لتوكيد الصلة مع أحبّ الناس إليه سيدنا أبي بكر الصدّيق، لتربطهما أيضاً برباط المصاهرة الوثيق.

رابعاً: أنّ السيدة عائشة رضي الله عنها كانت قبل ذلك مخطوبة لجبير بن المطعم بن عدي، فهي ناضجة من حيث الأنوثة مكتملة بدليل خطبتها قبل حديث خولة.

خامساً: أنّ قريش التي كانت تتربّص بالرسول ﷺ الدوائر لتأليب الناس عليه من فجوة أو هفوة أو زلّة، لم تُدهش حين أُعلن نبأ المصاهرة بين أعزّ صاحبين وأوفى صديقين، بل استقبلته كما تستقبل أيّ أمر طبيعي.

سادساً: أنّ السيدة عائشة رضي الله عنها لم تكن أول صبيّة تُزفّ في تلك البيئة إلى رجل في سنّ أبيها، ولن تكون كذلك أُخراهنّ. لقد تزوّج عبد المطلب الشيخ من هالة بنت عمّ آمنة في اليوم الذي تزوّج فيه عبد الله أصغر أبنائه من صبيّة هي في سنّ هالة وهي آمنة بنت وهب. ثمّ لقد تزوّج سيدنا عمر بن الخطّاب من بنت سيدنا علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه وهو في سنّ جدّها، كما أنّ سيدنا عمر بن الخطّاب يعرض بنته الشابة حفصة على سيدنا أبي بكر الصدّيق وبينهما من فارق السنّ مثل الذي بين الرسول ﷺ وعائشة رضي الله عنها.

ولكنّ نفراً من المستشرقين يأتون بعد أكثر من ألف وأربعمائة عام من ذلك الزواج فيهدرون فروق العصر والإقليم، ويطيلون القول فيما وصفوه بأنّه الجمع الغريب بين الكهل والطفولة ويقيسون بعين الهوى زواجاً عُقد في مكّة قبل الهجرة بما يحدث اليوم في بلاد الغرب حيث لا تتزوّج الفتاة عادة قبل سنّ الخامسة والعشرين. ويجب الانتباه إلى أنّ نضوج الفتاة في المناطق الحارّة مبكّر جداً وهو في سنّ الثامنة عادة، وتتأخّر الفتاة في المناطق الباردة إلى سنّ الواحد والعشرين كما يحدث ذلك في بعض البلاد الباردة. وأياً ما يكون الأمر فإنّه عليه الصلاة والسلام لم يتزوّج السيدة عائشة رضي الله عنها من أجل المتعة، وهو الذي بلغ الخامسة والخمسين من عمره، وإنّما كان ذلك لتوكيد الصلة مع أحبّ الرجال إليه عن طريق المصاهرة، خاصّة بعد أن تحمّل أعباء الرسالة وأصبحت حملاً ثقيلاً على كاهله، فليس هناك مجال للتفكير بهذا الشأن، ولو كان عليه الصلاة والسلام همّه النساء والاستمتاع بهنّ لكان فعل ذلك أيّام كان شاباً حيث لا أعباء رسالة ولا أثقالها ولا شيخوخة، بل عنفوان الشباب وشهوته الكامنة. غير أنّنا عندما ننظر في حياته في سنّ الشباب نجد أنّه كان عازفاً عن هذا كلّه، حتّى إنّه رضي بالزواج من السيدة خديجة رضي الله عنها الطاعنة في سنّ الأربعين وهو ابن الخامسة والعشرين. ثمّ لو كان عنده هوس بالنساء لما رضي بهذا عمراً طويلاً حتّى تُوفّيت زوجته خديجة رضي الله عنها دون أن يتزوّج عليها. ولو كان زواجه منها فلتة فهذه خديجة رضي الله عنها توفّاها الله، فبمن تزوّج بعدها؟ لقد تزوّج بعدها بسودة بنت زمعة العامرية جبراً لخاطرها وأنساً لوحشتها بعد وفاة زوجها وهي في سنّ كبير، وليس بها ما يرغّب الرجال والخطّاب. هذا يدلّ على أنّ الرسول ﷺ كان عنده أهداف من الزواج إنسانية وتشريعية وإسلامية ونحو ذلك. ومنها أنّه عندما عرضت عليه خولة بنت حكيم الزواج من عائشة فكّر الرسول ﷺ أيرفض بنت أبي بكر وتأبى عليه ذلك صحبة طويلة مخلصة ومكانة أبي بكر عند الرسول ﷺ التي لم يظفر بمثلها سواه. ولمّا جاءت عائشة رضي الله عنها إلى دار الرسول ﷺ فسحت لها سودة المكان الأول في البيت وسهرت على راحتها إلى أن توفّاها الله وهي على طاعة الله وعبادته، وبقيت السيدة عائشة رضي الله عنها بعدها زوجة وفيّة للرسول ﷺ تفقّهت عليه حتّى أصبحت من أهل العلم والمعرفة بالأحكام الشرعية. وما كان حبّ الرسول ﷺ للسيدة عائشة رضي الله عنها إلاّ امتداداً طبيعياً لحبّه لأبيها رضي الله عنهما.

ولقد سُئل عليه الصلاة والسلام: من أحبّ الناس إليك؟ قال: "عائشة" قيل: فمن الرجال؟ قال: "أبوها". هذه هي السيدة عائشة رضي الله عنها الزوجة الأثيرة عند الرسول ﷺ وأحبّ الناس إليه. لم يكن زواجه منها لمجرّد الشهوة ولم تكن دوافع الزواج بها المتعة الزوجية بقدر ما كانت غاية ذلك تكريم أبي بكر وإيثاره وإدناؤه إليه وإنزال إبنته أكرم المنازل في بيت النبوّة.. والحمد لله ربّ العالمين.

سيرة السيدة عائشة رضي الله عنها زوجة رسول الله ﷺ:

... قد يسأل أحدكم: هذا الفارق الكبير في السن بين السيدة عائشة وبين رسول الله ﷺ ؟ كيف تزوَّج النبي امرأةً في سن أمه؟ ثم كيف تزوج امرأةً في سن ابنته؟

الأمور التي لا يدلي الشرع فيها بحكمٍ ترجع إلى الأعراف:

فأنت إذا قلت: أنا أكلت اللحم. ماذا تقصد؟ لحم الضأن أو لحم البقر، لأنك إذا أكلت سمكاً تقول: أكلت سمكاً. فإذا إنسان حلف بالطلاق ألّا يأكل لحماً، فهل بإمكانه أن يأكل سمكاً؟ نعم بإمكانه، مع أن السمك لحم، لكن العرف هو أن اللحم هو لحم الضأن أو البقر والسمك شيءٌ آخر، ففي الموضوعات التي لم يكن هناك حكمٌ شرعي يعود الأمر إلى العرف.

وهذا موضوع طويل في أصول الفقه، بابٌ كبير، فأحد المصادر التشريعية العرف فهو الذي يحكم القضايا التي ليس فيها حكمٌ شرعي.

لو أن في زواج الرسول ﷺ من السيدة عائشة، أيُّ مأخذٍ في أعراف العرب وقتها لأُخِذ على النبي ﷺ هذا الزواج، بل إن البيئة وقتها تسمح بأن تأخذ امرأةً في سن أمك، وتسمح بأن تأخذ امرأةً في سن ابنتك؛ ولكن السيدة عائشة لها دور كبير جداً في موضوع الفقه..

فقال بعض العلماء: (إن ربع الأحكام الشرعيَّة عُلِم منها). إن ربع الأحكام الشرعية التي عرفناها من رسول الله ﷺ إنما عُرِفَت من أحاديث روتها السيدة عائشة رضي الله عنها، فامرأة النبي، زوجة النبي، أم المؤمنين لها دورٌ خطيرٌ جداً في الدعوة؛ لأنها يمكن أن تختص بالنساء، تعلمون أن النساء يسألن النبي عليه الصلاة والسلام عن موضوعاتٍ تخصُّ حالَهن، وأفضل إنسانة تعبِّر عن الأحكام الشرعية المتعلِّقة بالمرأة زوجة رسول الله ﷺ، إذاً لها دورٌ في الدعوة.

ويقـول العلمـاء أيضـاً: (مـا رأوا أحـداً أعلـم بمعـاني القـرآن وأحكـام الحـلال والحـرام مـن السـيدة عائشـة، ومـا رأى العلمـاء أحـداً أعلـم بـالفرائض والطـب والشـعر والنسـب مـن السـيدة عائشـة). مـع أنهـا صـغيرة إلا أنهـا كانـت شـيئاً نـادراً فـي الـذكاء، وشـيئاً نـادراً فـي الحفـظ، وشـيئاً نـادراً فـي الوفـاء للنبـي عليـه الصـلاة والسلام.

إذاً فلـيعلم القـارئ حقـاً ويطمـئن أن زوجـات النبـي ﷺ قـد اختـارهنّ الله جـلَّ جلاله لـه، لما سيكون لهن من دورٍ في الدعوة مستقبلاً.

فهـذا الـذي يفكـر أن النبـي تـزوج زوجـةً فـي سـن ابنتـه، أو امـرأةً فـي سـن أمـه، هـذا لا يعـرف مـن هـو النبـي، فـالنبي عليـه الصـلاة والسـلام بقـي مـع السـيدة خديجـة وهـي فـي سـن أمـه ربـع قـرنٍ، وكـان بإمكانـه أن يتـزوَّج أجمـل فتيـات مكـة، فهـو بعيدٌ جداً عن هذا الذي يفكِّر فيه أعداء الإسلام.

أيهـا الإخـوة الكـرام... هـذه السـيدة الجليلـة - السـيدة عائشـة - روت عـن رسـول الله ﷺ ألفـي حـديث ومئتـين وعشـرة أحاديـث، وحفظـت القـرآن الكـريم كلَّـه فـي حيـاة النبي.

إذاً مـن يقـول: إن هنـاك فارقـاً فـي السـن. هـذا الفـارق فـي السـن كـان مألوفـاً فـي عصـر النبـي، ولـو كـان هنـاك مطعـنٌ فـي هـذا الموضـوع لمـا سـكت أعـداء النبـي، ولجعلوا من هذه القضية قضيةً كبيرةً جداً.

مـن صـفات هـذه الزوجـة الطـاهرة، علـى صـغر سـنها، أنّهـا كانـت ناميـةً ذلـك النمـو السـريع، العـوام الآن يعبـرون عـن هـذه الظـاهرة بقـولهم: قطعتهـا كبيـرة. فـالعبرة بـالمرأة فـي قطعتهـا لا فـي عمرهـا، كانـت علـى صـغر سـنِّها ناميـةً ذلـك النمـو السـريع الـذي تنمـوه نسـاء العـرب، وكانـت متوقِّـدة الـذهن، نيِّـرة الفكـر، شـديدة الملاحظة، وهي وإن كانت صغيرة السن لكنّها كبيرة العقل.

نحـن تعلَّمنـا فـي الجامعـة أن للإنسـان عمـرين؛ عمـر زمنـي، وعمـر عقلـي، وقـد يبتعـدان عـن بعضـهما، قـد تجـد إنسـاناً عمـره الزمنـي عشـر سـنوات، أمـا عمـره العقلـي فخمسـة عشـر عامـاً، وقـد تجـد إنسـاناً عمـره الزمنـي عشـرون عامـاً؛ وعمـره العقلـي خمسـة عشـر عامـاً، فالعقـل لا ينمـو مـع نمـو الجسـم بـل لـه نمـوّه الخـاص، فالسـيدة عائشـة رضـي الله عنهـا علـى صـغر سـنها نمـت نمـواً سـريعاً وعلـى صـغر سـنها كانـت متوقِّـدة الـذهن، نيـرة الفكـر، شـديدة الملاحظـة، فهـي وإن كانـت صـغيرة

السن لكنها كبيرة العقل، أي لها دور في الدعوة الأسلامية.

تروي كتب السيرة أن النبي عليه الصلاة والسلام تزوج امرأةً فيما بعد، قال لها ضرَّاتها: إذا التقيت بالنبي فقولي له: أعوذ بالله منك. فلما دخل عليها النبي قالت: أعوذ بالله منك. فماذا قال لها؟: «**الْحَقِي بِأَهْلِكِ**» من صحيح البخاري: عن " السيدة عائشة ".

رفضها، هل يعقل أن تكون زوجة رسول الله بهذا الإدراك؟ فهي مبلِّغة عن رسول الله، تبلِّغ عنه الشرع، شيءٌ خطيرٌ جداً أن تكون زوجة النبي عليه الصلاة والسلام محدودة التفكير، لأنها تنقل عنه، وربما نقلت عنه الشيء الذي ما أراده النبي عليه الصلاة والسلام.

إذاً هناك حكمةٌ إلهيةٌ بالغة من أن الله سبحانه وتعالى هيَّأ لرسوله الكريم هذه الزوجة العاقلة، المتقدة في الذهن والذكاء والفطنة، كثيرة الملاحظة، ذات النفسيَّة الطيِّبة.

يقولون: (ولو لم تكن السيدة عائشة رضي الله عنها في تلك السن التي صحبت بها رسول الله ﷺ، وهي السن التي يكون فيه الإنسان أفرغ بالاً، وأشد استعداداً لتلقي العلم، لما تهيَّأ لها ذلك.

فالعلم شيءٌ أساسيٌ في حياة المؤمن، والنبي عليه الصلاة والسلام كل شيءٍ يقوله ينبغي أن ينقل عنه، وأفضل امرأةٍ تنقل عنه زوجته، إذاً فلنطمئن أنّ الله سبحانه وتعالى اختارها على علمٍ لرسول الله ﷺ.

قال الإمام الزُهري: (لو جُمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين، وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل.

والحقيقة أن الشيء الذي يدهش العقول، أو الشيء الذي يلفت النظر أن تكون المرأة على درجة عالية جداً من الفهم والعلم والفقه، فالمرأة عند الناس امرأة، لكن المرأة التي تتمتَّع بعقلٍ راجح، وإدراكٍ عميق، وفهمٍ دقيق، وحفظٍ شديد؛ هذه امرأةٌ نادرةٌ جداً، وامرأةٌ مؤهَّلةٌ لأن تكون زوجة لرسول الله ﷺ.

عطاء بن أبي رباح يقول: (كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة.

والحقيقة مِن مُتَع الحياة أن تعيش مع الذكي، ومن البلاء الشديد أن تعيش مع المحدود - محدود التفكير - تكاد تخرج من جلدك، سمعتم مرةً مني أن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه بينما كان يلقي درساً على إخوانه حول صلاة الفجر، وفيما قرأت كانت رجله تؤلمه، وبينه وبين تلاميذه مُباسطة، ليس هناك كلفة، ولعذرٍ فيه كان يمد رجله، وتعلمون أن النبي عليه الصلاة والسلام ما رؤي ماداً رجليه قط بين أصحابه - أما إذا وجد عذر فموضوع ثانٍ - دخل رجل طويل القامة، عريض المنكبين، حسن الهيئة، يرتدي عمامةً وجُبةً، وجلس في مجلس هذا الإمام العظيم.

فأبو حنيفة رضي الله عنه ظنَّه عالماً كبيراً، فاستحيا منه ورفع رجله، أي أن بينه وبين إخوانه ليس هناك تكليف، أما هذا فضيف غريب لعلَّه ينتقده، فلما انتهى الدرس سأله هذا الرجل: يا إمام كيف نصلي الصبح إذا طلعت الشمس قبل الفجر؟ فقال له: (عندئذٍ يمد أبو حنيفة رجله).

فأن يعيش الإنسان مع شخص محدود التفكير يخرج من جلده أحياناً، والحقيقة من سعادة الإنسان أن يكون الذين حوله في مستواه، يفهمون عليه.

لذلك فأنا أرى أن من إكرام الله لرسول الله أنه قيَّض له أصحاباً على مستوى عالٍ من الفطنة، والوفاء، والذكاء، والحُب، والتضحية، والإخلاص، وكلَّما ارتقى مقامك عند الله هيَّأ الله لك أُناساً قريبين منك، كلَّما ارتقى مقامك عند الله هيَّأ الله لك أُناساً يفهمون عليك، يفهمون عليك بالإشارة، يقدِّرون ما أنت فيه، يعرفون قدرك حق المعرفة، يعرفون أهدافك النبيلة.

وإذا غضب الله على عبدٍ جعل مَن حوله لا يعرفون قيمته ولا فضله، لذلك ورد في الأثر: أكرموا عزيز قومٍ زل، وغنياً افتقر، وعالماً ضاع بين الجُهال.

كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأياً، وقال أبو موسى الأشعري: ما أشكل علينا أمرٌ فسألنا عنه عائشة، إلا وجدنا عندها فيه علماً.

وقال مسروق: رأيت مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض.

وقال عروة: ما رأيت أحداً أعلم بفقهٍ ولا طبٍ ولا بشعرٍ من عائشة.

وقال أبو الزناد: ما كان ينزل بها شيءٌ إلا أنشدت فيه شعراً.

شاعرة، ذات حافظة عالية جداً، ذكية، فطنة، تنقل عن رسول الله أكثر من ألفي حديث.

... أردت من هذه المقدمة أن تعلموا أن عائشة أم المؤمنين، اختارها الله عزَّ وجل لنبيِّه الكريم، لتكون زوجته وأمينة سرِّه وراويةً عنه.

كلكم يعلم أن النبي عليه الصلاة والسلام عقد عليها وهو في مكة قبل الهجرة، ثم هاجر عليه الصلاة والسلام إلى المدينة، واستقبله الأنصار، وهم محيطون به، متقلِّدي سيوفهم، وهنا حدِّث ولا حرج عن سرور أهل المدينة، فكان يوم تحوِّله إليهم يوماً سعيداً، لم يُرَوْا فرحين فرحهم برسول الله ﷺ.

فكلكم تحضرون عقود قران، وموالد بمناسبة ذكرى مولد الرسول عليه الصلاة والسلام، ونشيد طلع البدر علينا يمكن ألا يكون واحداً من الإخوة الحاضرين إلاّ سمعه مئات المرَّات إن لم نقل أكثر.

والعبد الفقير لما كنت في المدينة المنورة في إحدى العُمرات، وقفت قبالة مسجد قِباء، فهناك ميدان في وسطه نُصب تذكاري، مكتوب عليه بكرة جميلة طلع البدر علينا، أيْ في هذا المكان - في مكان مسجد قباء، وقباء في ظاهر المدينة - خرج الأنصار من المدينة، ليستقبلوا رسول الله ﷺ، وفي هذا المكان بالذات أنشدوا: طلع البدر علينا. والله أيها الإخوة كأنني أسمع هذا النشيد لأول مرة، وله وقعٌ في هذا المكان لا يوصف، في المكان الذي وقف فيه الأنصار ينتظرون النبي عليه الصلاة والسلام، وحينما أطل عليهم قالوا: طلع البدر علينا من ثنيِّات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع، أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المُطاع.

وفي الصحيحين عن أبي بكرٍ رضي الله عنه في حديث الهجرة، قال: وخرج الناس حين قدمنا المدينة في الطرق وعلى البيوت، والغِلمان والخدم يقولون: الله أكبر جاء رسول الله، الله أكبر جاء محمد ﷺ، الله أكبر جاء رسول الله، وكان الأنصار قد اجتمعوا فمشوا حول ناقته ﷺ، لا يزال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة شُحَّاً على كرامة رسول الله ﷺ، وتعظيماً له، وكلَّما مرَّ بدارٍ من دور الأنصار دعوه إلى المنزل، فيقول عليه الصلاة والسلام: **«دعوها فإنها مأمورة فإنما أنزل حيث أنزلني الله»**.

من كشف الخفاء: عن " ابن الزبير "

... كـان عليـه الصـلاة والسـلام حكيمـاً إلـى درجـةٍ كبيـرة جـداً، لأنـه لـو اختـار البيـت بنفسـه لكـان، كـل إنسـان لـم يختـر بيتـه ليكـون نُـزلاً لرسـول الله يتـألَّم، لـذلك تـرك الأمـر لله عـزَّ وجـل، قـال: " دعوهـا فإنهـا مـأمورة ". حتـى يطيِّـب قلـب أصـحابه جميعـاً فمـا اختـار هـو البيـت، بـل قـال "دعوهـا فإنهـا مـأمورة "، ونزلـت فـي بيت أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

ولقـد كنـت فـي تركيـا قبـل سـنة تقريبـاً، وصـلَّيت الجمعـة فـي مسـجد أبـي أيـوب الأنصـاري فـي مدينـة اسـتنبول، هـذا الصـحابي الجليـل أيـن مـات؟ مـات فـي أقصـى الشـمال، ولـه مسـجدٌ تشـعر فيـه بروحانيـة عجيبـة، فلمـا انتهـت الصـلاة زرت مقـام هـذا الصـحابي الجليـل وقـرأت الفاتحـة، وتـأثرت تـأثراً كبيـراً، ولكـن الـذي أدهشـني أن كـل زوَّار المقـام حينمـا يخرجـون مـن هـذا المقـام لا يـديرون ظهـورهم إليـه، يرجعـون القهقـرى تأدُّبـاً معـه، فهـذا الصـحابي الجليـل الـذي أكرمـه الله بـأن يكـون مُضيف النبي عليه الصلاة والسلام، لـه قصصٌ رائعةٌ جداً.

فهـو لـم يسـتطع أن ينـام فـي الـدور الـذي فـوق رسـول الله، فبيتـه طابقـان، والنبـي عليـه الصـلاة والسـلام رأى فـي الطـابق الأرضـي أسـهل لـزوَّاره ومـن يأتيـه، وسـمح لأبـي أيـوب أن ينـام فـي الطـابق العلـوي، مـن شـدة أدب هـذا الصـحابي الجليـل لـم يسـتطع أن ينـام فـي الطـابق الـذي فـوق رسـول الله، وكـان فـي حـرجٍ شـديد، ومـرةً انكسـر قـدر المـاء، فخـاف أن ينـزل علـى النبـي قطـرةُ مـاء، فجـاء باللِّحـاف الـذي لا يملـك غيـره فـي الشـتاء، فوضـعه فـوق المـاء، كـي يمنـع نـزول المـاء علـى رسـول الله ﷺ، هـذا هـو الصـحابي الجليـل أبـو أيـوب الأنصـاري الـذي حظـي بضـيافة رسـول الله ﷺ.

ولمـا اسـتقر عليـه الصـلاة والسـلام فـي المدينـة، أيـن كانـت عائشـة؟ كانـت فـي مكة، ولما يدخل بها رسول الله ﷺ.

يجـب أن نعلـم أيهـا الإخـوة علمـاً دقيقـاً، أن العقـد علـى عائشـة سـبق الـدخول بسـنوات، فـإذا قلنـا صـغيرة، وبينهـا وبـين النبـي ﷺ فـرقٌ كبيـر، فـإن العقـد شـيء والـدخول شـيءٌ آخـر، عقـد عليهـا بمكـة، ولـم يـدخل بهـا إلا فـي المدينـة، ولمـا اسـتقر عليـه الصـلاة والسـلام بالمدينـة، أرسـل زيـد بـن حارثـة وأبـا رافـع إلـى مكـة ليأتيـا بمـن خلَّـف مـن أهلـه، وأرسـل معهمـا عبـد الله بـن أريقـط يـدلهما علـى الطريـق، فقدما بفاطمـة وأم كلثـوم ابنتيـه، وسـودة زوجِـه، وأم أيمـن حاضـنته فـي صـغره، وابنهـا

أسامة بن زيد، وأما زينب فمنعها زوجها أبو العاص بن الربيع، وخرج مع الجميع عبد الله بن أبي بكر بأم عائشة زوج أبيه، وأختيه عائشة وأسماء زوج الزبير بن العوام، وكانت حاملاً بابنها عبد الله بن الزبير، وهو أول مولود للمهاجرين في المدينة، وصحبهم من مكة طلحة بن عُبيد الله.

وبعد أن استقر النبي بالمدينة، وانتهى ضجيج الهجرة، وانتهت المطاردة، أرسل هؤلاء الصحابة ليأتوا بأهله؛ أتوا بفاطمة، وأم كلثوم، وسودة، وأم أيمن، وابنها أسامة بن زيد، أما زينب فمنعها زوجها من الهجرة.

والنبي عليه الصلاة والسلام يهيِّئ الدور لزوجته سودة ولزوجته عائشة ليستقبل فيها أهله.

وفي أيامنا هذه تجد شخصاً عادياً جداً يسألك عن مكان سكنى ابنته المخطوبة، أين ستسكنها؟. غرفةٌ صغيرةٌ جداً ملحقةٌ بالمسجد هذه الغرفة بيت عائشة، وهو رسول الله ﷺ، وكانت هذه الغرفة الصغيرة التي لا تتسع لصلاته ونوم زوجته معاً، إما أن يصلي فتنزاح جانباً، وإما أن يناما معاً، إما أن يصلي هو وتنام هي فالغرفة لا تتسع لهما، هذا بيت رسول الله ﷺ.

طبعاً حينما حضر أهل النبي عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة؛ ابنته فاطمة، وأم كلثوم، وزوجته عائشة وأمها، ومن يصحبهن فهذا الشيء يبعث في النفس السرور طبعاً، لأن ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام: **«المرء حيث أهله والمرء حيث رحله»**.

وصلت هذه السيدة الجليلة إلى المدينة مع أمها أم رومان، وأختها أسماء، وأخيها عبد الله، واستقروا في دار الوالد الصديق رضي الله عنه، ولم تمضِ أشهر معدودات - بعد أشهر معدودة - حتى تكلَّم الصديق رضي الله عنه إلى النبي عليه الصلاة والسلام في إتمام الزواج الذي عقده بمكة.

فالنبي عقد بمكة قبل سنوات من الهجرة، وبعد الهجرة بأمد طويل استقدم أهله، وبعد هذا الاستقدام بقيت في بيت أبيها، فلما كلَّم الصديق رسول الله ﷺ في شأن إتمام الزواج، سارع النبي عليه الصلاة والسلام، وسارعت نساء الأنصار إلى منزل الصديق لتهيئة هذه العروس الشابَّة لرسول الله ﷺ.

أجمل موقف وقفته أم السيدة عائشة رضي الله عنها، حينما دخلت على النبي ﷺ، ومعها ابنتها العروس السيدة عائشة بعد أن هُيئت له، دخلت على النبي ﷺ وهو في دار أبي بكر وقالت: (يا رسول الله هؤلاء أهلك، بارك الله لك فيهن وبارك لهن فيك). وهذا أجمل دعاءٍ يُلقى في عقود القِران: بارك الله لك فيها وبارك لها فيك.

والزواج المبارك هو الذي يكون مبنياً على طاعة الله، وعلى تطبيق منهج رسول الله ﷺ، والله عزَّ وجل يلقي الحب بين الزوجين، والألفة والمودَّة، وينجب من هذين الزوجين الذرِّية الطيبة الصالحة، فالزواج شيء جميل جداً، والزواج له ثمرة؛ وثمرته أولاد أبرار، والإنسان حينما يموت ينقطع عمله، أما إن كان له ولد صالح، فهذا الولد الصالح ينفع الناس من بعده، وكل أعماله في صحيفة أبيه.

البارحة زارني صديقان، أحد الصديقين له ابنٌ طالبُ علمٍ شرعي، متفتِّح، يدعو إلى الله عزَّ وجل، فقلت له: إن هذا الابن أثمن شيءٍ في الدنيا بالنسبة لأبيه.

... وتنقضي ليلة الزفاف المباركة في دار أبي بكرٍ رضي الله عنه، ثم يتحوَّل النبي عليه الصلاة والسلام بأهله إلى البيت الجديد، ما كان هذا البيت سوى حجرةٍ من الحُجرات التي شُيِّدت حول مسجد رسول الله ﷺ، من اللبن وسعف النخيل، وقد فُرش بحصير، ووضع فيه فراشٌ، وبعض ملحقاته، وأوانٍ بسيطة للشراب والطعام، وهذا كلُّ بيت رسول الله.

غرفة سقفها من سعف النخيل، جدرانها من اللبن، فيها فراش، وفيها بعض الأدوات البسيطة جداً، وفي هذا البيت المتواضع بدأت حياة العروس الكريمة عائشة رضي الله عنها، وبدأت الحياة الزوجية الحافلة بالمكرُمات والخيرات، مكرُمات النبوة وخيرات الرسالة.

وأنا أعلم أن هناك بيوتاً فخمةً جداً لكن لا سعادة فيها، وهناك بيوت متواضعة جداً فيها سعادة زوجية تامة، السعادة الزوجية أساسها طاعة الله، والشقاء الزوجي أساسه معصية الله عزَّ وجل. هذه العروس الصغيرة على صغر سنها إلا أنها احتلَّت مكانها المرموق في بيت النبوة، وحياة رسول الله، وتاريخ الدعوة، والتاريخ الإسلامي.

الحقيقة التي لا ريب فيها أنه يُشهد لهذه الزوجة أنها كانت في أعلى مستوى من العلم، والمعرفة في شؤون الدين، وعلى جانبٍ عظيم من الدراية لأسرار الأحكام الشرعية، ولها منزلة رفيعة من التقوى والورع، بالإضافة إلى معرفتها بالأمور الاجتماعيَّة والسياسية، لذلك فاعلم أخي الكريم: **«الدنيا كلها متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»**.

(من الجامع الصغير: عن " ابن عمرو "): التي..: **«إذا نظرت إليها سرتك ، وإذا غبت عنها حفظتك ، وإذا أمرتها أطاعتك»**.

(من الجامع الصغير: عن " عبد الله بن سلام ") وحينما قال الله عز وجل:**{رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}** (١).

قال العلماء: حسنة الدنيا هي المرأة الصالحة.

وأنا أرجو الله سبحانه وتعالى لكل إخوتنا الشباب، الذين لم يقدموا على الزواج بعد، فماذا يمنعهم أن يكون دعاؤهم لله عزَّ وجل: اللهمَّ ارزقنا زوجة صالحة. الزوجة الصالحة أحد أسباب النجاح في الحياة، فحينما تطلب امرأة صالحة، تتوافر فيها الشروط، تكون قد حققت أحد جوانب السعادة في حياتك الدنيا.

في درسٍ آخر إن شاء الله ننتقل إلى هذه الزوجة الطاهرة مع ضرَّاتها - نساء النبي - عليهن جميعاً رضوان الله عزَّ وجل، وكيف أن الحياة الزوجية جزءٌ من حياة الإنسان الطيبة..

{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}(٢) والمرأة الصالحة جزءٌ من الحياة الطيبة.

* * * * *

---

(١) سورة البقرة: ٢٠١.

(٢) سورة النحل: ٩٧.

المبحث السادس:
حديث أبوال الإبل وألبانها

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا اجْتَوَوْا فِي الْمَدِينَةِ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَلْحَقُوا بِرَاعِيهِ يَعْنِي الابِلَ فَيَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا فَلَحِقُوا بِرَاعِيهِ فَشَرِبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا حَتَّى صَلَحَتْ أَبْدَانُهُمْ فَقَتَلُوا الرَّاعِيَ وَسَاقُوا الإبلَ فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَبَعَثَ فِي طَلَبِهِمْ فَجِيءَ بِهِمْ فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَرَ أَعْيُنَهُمْ(١).

أولاً: نقول لك ما قاله المسيح: (لماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك. وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها)(٢) ألم يرد في كتابك المقدس أن الرب أمر نبيه (حزقيال) بأكل الخراء وهو البراز: (وتأكل كعكعاً من الشعير على الخرء الذي يخرج من الإنسان وتخبزه أمام عيونهم)(٣).

ثانياً: العجب أنك تتكلم على نصح الرسول ﷺ للأعرابيين بشرب ألبان الإبل وأبوالها ولا تتكلم على أن الأعرابيين تم شفائهم فعلاً بهذه الإلبان والأبوال ولم يبدوا اعتراضاً لهذا الأمر، فذكر الحديث: (حتى صلحت أبدانهم) وفي راوية: (فلما صحو).

ثالثا: أن الطب شاهد بصحة هذا الحديث وليس في الحديث إلزام للأنسان بشرب ألبان الابل وأبوالها لأن الإنسان لا يؤمر بأكل ما تعافه نفسه ولا بشرب ما تعافه نفسه كما ثبت عن النبي ﷺ أنه أباح أكل الضب ولم يأكله، وقال: **«لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه»**.

رابعاً: إليك الآن تجربة علمية أثبتت إمكانية علاج مرض الاستسقاء بالإفراز البولي للإبل:

دراسة علمية تجريبية غير مسبوقة أجرتها كلية المختبرات الطبية بجامعة الجزيرة بالسودان عن استخدامات قبيلة البطانة في شرق السودان بول الإبل فى علاج بعض الأمراض حيث أنهم يستخدمونه شراباً لعلاج مرض الاستسقاء والحميات والجروح. وقد كشف البروفسور أحمد عبدالله محمدانى تفاصيل تلك الدراسة العلمية التطبيقية المذهلة داخل ندوة جامعة الجزيرة حيث ذكر أن الدراسة استمرت ١٥ يوماً حيث اختير ٢٥

(١) رواه البخاري.
(٢) إنجيل لوقا (لوقا ٦: ٤١).
(٣) حزقيال ٤: ١٢ ـ ١٣.

مريضاً من مصابين بمرض الاستسقاء المعروف وكانت بطونهم منتفخة بشكل كبير قبل بداية التجربة العلاجية. وبدأت التجربة بإعطاء كل مريض يومياً جرعة محسوبة من بول الإبل مخلوطاً بلبن الإبل حتى يكون مستساغا وبعد ١٥ يوماً من بداية التجربة أصابنا الذهول من النتيجة إذ انخفضت بطونهم وعادت لوضعها الطبيعي وشفي جميع أفراد العينة من الاستسقاء. وتصادف وجود بروفسور إنجليزي أصابه الذهول أيضاً وأشاد بالتجربة العلاجية.

وقال البروفسور أحمد: أجرينا قبل الدراسة تشخيصاً لكبد المرضى بالموجات الصوتية فاكتشفنا أن كبد ١٥ من الـ٢٥ مريضا يحتوى شمعاً وبعضهم كان مصابا بتليف فى الكبد بسبب مرض البلهارسيا وجميعهم استجابوا للعلاج بـ (بول الإبل) وبعض أفراد العينة استمروا برغبتهم فى شرب جرعات بول الإبل يومياً لمدة شهرين آخرين. وبعد نهاية تلك الفترة أثبت التشخيص شفاءهم من تليف الكبد وسط دهشتنا جميعا.

ويقول البروفسور أحمد عبدالله عميد كلية المختبرات الطبية عن تجربة علاجية أخرى وهذه المرة عن طريق لبن الإبل وهي تجربة قامت بها طالبة ماجستير بجامعة الجزيرة لمعرفة أثر لبن الإبل على معدل السكر فى الدم فاختارت عدداً من المتبرعين المصابين بمرض السكر لإجراء التجربة العلمية واستغرقت الدراسة سنة كاملة حيث قسمت المتبرعين لفئتين: كانت تقدم للفئة الأولى جرعة من لبن الإبل بمعدل نصف لتر يومياً شراب على الريق وحجبته عن الفئة الثانية. وجاءت النتيجة مذهلة بكل المقاييس إذ أن نسبة السكر فى الدم انخفضت بدرجة ملحوظة وسط الفئة الأولى ممن شربوا لبن الإبل عكس الفئة الثانية. وهكذا عكست التجربة العلمية لطالبة الماجستير مدى تأثير لبن الإبل فى تخفيض أو علاج نسبة السكر فى الدم.

وأوضح د. أحمد المكونات الموجودة في بول الإبل حيث قال أنه يحتوى على كمية كبيرة من البوتاسيوم يمكن أن تملأ جرادل ويحتوى أيضاً على زلال بالجرامات ومغنسيوم إذ أن الإبل لا تشرب فى فصل الصيف سوى ٤ مرات فقط ومرة واحدة فى الشتاء وهذا يجعلها تحتفظ بالماء فى جسمها فالصوديوم يجعلها لاتدر البول كثيراً لأنه يرجع الماء إلى الجسم. ومعروف أن مرض الاستسقاء إما نقص في الزلال أو في البوتاسيوم وبول الإبل غنى بالاثنين معاً.

* * * * *

المطلب الأول:

رداً على شبهة إصابة الرسول ﷺ بالسحر

إن الله سبحانه وتعالى يبتلي رسله عليهم الصلاة والسلام بأنواع البلاء، فيزداد بذلك أجرهم، ويعظم ثوابهم، فقد ابتلى رسله بتكذيب أقوامهم لهم، ووصل ايذاؤهم إليهم، وابتلى بعض الرسل بالمرض، ومن الابتلاء الذي أوذي به الرسول ﷺ ما أصابه من السحر، روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً من بني زريق يقال له: لبيد بن الأعصم سحر رسول الله ﷺ، حتى كان رسول الله يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله...

إلا أن هناك بعض العلماء أنكروا هذا الحديث، وردوه رداً منكراً بدعوى أنه مناقض لكتاب الله الذي برأ الرسول من السحر.

فمن هؤلاء العلماء (الجصاص) [(١)] حيث قال: "ومثل هذه الأخبار من وضع الملحدين تلعباً بالحشو الطغام"...

ومنهم (أبو بكر الأصم) حيث قال: "إن حديث سحره ﷺ المروي هنا متروك لما يلزمه من صدق قول الكفره أنه مسحور، وهو مخالف لنص القرآن حيث كذبهم الله سبحانه وتعالى..." [نقله عنه شارح المجموع: ١٩: ٢٤٣ ومنهم الشيخ جمال الدين القاسمي في تفسيره المسمى [محاسن التأويل] حيث قال: "ولا غرابة في أن لا يقبل هذا الخبر لما برهن عليه، وإن كان مخرجاً في الصحاح، وذلك لأنه ليس كل مخرج فيها سالماً من القدح والنقد سنداً أو معنى كما يعرفه الراسخون"...

وقال الشيخ محمد عبده: وقد ذهب كثير من المقلدين الذين لا يعقلون ما النبوة، ولا ينبغي لها إلى أن الخبر بتأثير السحر قد صح... وقال: وهو مما يصدق فيه المشركين:**{إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً}**[(٢)].

وقد أجاب كثير من العلماء عن هذه الشبهة وبينوا زيفها بالآتي:

أولاً: من المعلوم أن الرسول ﷺ بشر، فيجوز أن يصيبه ما يصيب البشر من الأوجاع والأمراض وتعدي الخلق عليه وظلمهم إياه كسائر البشر إلى أمثال ذلك مما

---

(١) كتاب أحكام القرآن: ١: ٤٩.

(٢) الفرقان: ٨.

يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها، ولا كانت الرسالة من أجلها فإنه عليه الصلاة والسلام لم يعصم من هذه الأمور، وقد كان عليه الصلاة والسلام يصيبه ما يصيب الرسل من أنواع البلاء وغير ذلك، فغير بعيد أن يصاب بمرض أو اعتداء أحد عليه بسحر ونحوه يخيل إليه بسببه في أمور الدنيا ما لا حقيقة له، كأن يخيل إليه أنه وطىء زوجاته وهو لم يطأهن، وحدث أنه جاء للرسول ﷺ أحد الصحابه يعوده قائلاً له: إنك توعك يا رسول الله فقال: **«إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم»** إلا أن الإصابة أو المرض أو السحر لا يتجاوز ذلك إلى تلقي الوحي عن الله سبحانه وتعالى ولا إلى البلاغ عن ربه إلى الناس لقيام الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على عصمته ﷺ في تلقي الوحي وإبلاغه وسائر ما يتعلق بشؤون الدين.

والذي وقع للرسول ﷺ من السحر هو نوع من المرض الذي يتعلق بالصفات والعوارض البشرية والذي لا علاقة له بالوحي وبالرسالة التي كلف بإبلاغها، لذلك يظن البعض أن ما أصاب الرسول ﷺ من السحر هو نقصاً وعيباً وليس الأمر كما يظنون لأن ما وقع له هو من جنس ما كان يعتريه من الأعراض البشرية كأنواع الأمراض والآلام ونحو ذلك، فالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يعتريهم من ذلك ما يعتري البشر كما قال الله سبحانه وتعالى:**{قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ}**(١).

واستدل ابن القصار على أن الذي أصابه كان من جنس المرض بقول الرسول في حديث آخر: **«أما أنا فقد شفاني الله»** ويؤيد ذلك حديث ابن عباس عند ابن سعد: **«مرض النبي ﷺ وأخذ عن النساء والطعام والشراب ، فهبط عليه ملكان»** (٢).

قال المازري: إن الدليل قد قام على صدق النبي فيما يبلغه عن الله سبحانه وتعالى وعلى عصمته في التبليغ، والمعجزات شاهدات بتصديقه، وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض، فغير بعيد أن يخيل إليه أنه وطىء زوجاته ولم يكن وطئهن، وهذا كثيراً ما يقع تخلية للأنسان في المنام، فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة.

---

(١) سورة إبراهيم: ١١.

(٢) فتح الباري ١٠: ٢٢٧.

قال القاضي عياض رحمه الله: قد نزه الله سبحانه وتعالى الشرع والنبي عما يدخل في أمره لبساً، وإنما السحر مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته.

وأما ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله، فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه وشريعته، أو يقدح في صدقه لقيام الدليل، والإجماع على عصمته من هذا، أما ما يجوز طروه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث بسببها، ولا فضل من أجلها، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها ما لاحقيقة لـه، ثم ينجلي عنه كما كان.

وجاء في مرسل عبد الرحمن بن كعب عند ابن سعد أن أخت لبيد بن الاعصم قالت: إن يكن نبياً فسيخبر، وإلا فسيذهله هذا السحر حتى يذهب عقله. فوقع الشق الأول.

ثانياً: أما دعواهم أن السحر من عمل الشيطان والشيطان لا سلطان لـه على عباد الله لأن الله يقول:**{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ}**[(١)].

فنقول: إن المراد من قولـه سبحانه وتعالى:**{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ}** أي في الإغواء والإضلال فالسلطان المثبت للشيطان هو سلطان إضلاله لهم بتزينه للشر والباطل وإفساد إيمانهم، فهذه الآية كقولـه سبحانه وتعالى حكاية عن الشيطان في مخاطبته رب العزة:**{لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}** ولا ريب أن الحالة التي تعرض لها الرسول ﷺ لا تنطبق عليها هذه الآية الكريمة.

ولا شك أن إصابة الشيطان للعبد الصالح في بدنه لا ينفيه القرآن، وقد جاء في القرآن ما يدل على إمكان وقوعها، ومن ذلك قول أيوب عليه السلام في دعائه ربه:**{أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ}**[(٢)].

وموسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل، وقد خيل إليه عندما ألقى السحرة عصيهم أنها تسعى:**{فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى}**[(٣)] فهذا التخيل الذي وقع لموسى يطابق التخيل الذي وقع للرسول ﷺ، إلا أن تأثير السحر كما قررنا لا يمكن أن يصل إلى حد الاخلال في تلقي الوحي والعمل به وتبليغه للناس، لأن النصوص قد دلت على

(١) سورة الحجر: ٤٢.
(٢) سورة ص: ٤١.
(٣) سورة طه: ٦٧.

عصمة الرسل في ذلك.

ثالثاً: نريد أن نسأل النصارى سؤالاً:

إذا كنتم تعتقدون أن ما أصاب النبي محمداً على أيدي اليهود من السحر والذي قررنا أنه لم يكن لـه تأثير في دينه وعبادته، ولا في رسالته التي كلف بإبلاغها، إذا كنتم تعتقدون أن ما أصابه هو قدح وطعن في نبوته فهل يعني ذلك أنكم اسقطتم أنبياء كتابكم المقدس الذي نص على أنهم عصاة زناة كفار؟!

ألم يرد في كتابكم المقدس أن نبي الله سليمان كفر وعبد الاوثان وهو نبي من أنبياء الله (سفر الملوك الأول)

فهل أسقطتم نبوءة سليمان وهل ما أقدم عليه النبي سليمان من السجود للأوثان والكفر بالله هو أمر موجب للطعن في نبوته ومسقطاً لها؟!

وإذا كان ما قام به النبي سليمان من السجود للأوثان والكفر بالله هو أمر لا يوجب الطعن في نبوته ولا يسقط نبوته عندكم، فكيف تعتبرون ما أصاب النبي محمداً ﷺ من السحر الذي لم يكن لـه تأثير في دينه وعبادته ولا في رسالته التي كلف بإبلاغها هو أمر موجبٌ للطعن في نبوته؟

ثم أخبرونا عن ذلك الشيطان الذي تسلط على المسيح طوال أربعين يوماً كما جاء في إنجيل متى ابتداءً من الإصحاح الرابع، ألم يذكر الإنجيل أن إبليس كان يقود المسيح إلى حيث شاء فينقاد لـه. فتارة يقوده إلى المدينة المقدسة ويوقفه على جناح الهيكل وتارة يأخذه إلى جبل عال جداً... إلخ.

رابعاً: أن في قصة سحر النبي عليه الصلاة والسلام الكثير من أدلة نبوته عليه الصلاة والسلام طبقاً للآتي:

١) كيف عرف النبي عليه الصلاة والسلام أن الذي سحره هو لبيد بن الأعصم وأن السحر موجود في مكان كذا وكذا لو لم يكن نبياً؟، فالنبي عليه الصلاة والسلام هو الذي أرسل أصحابه ليستخرجوا السحر من المكان الذي وضع فيه، وقصة إخبار الملائكة لمحمد عليه الصلاة والسلام بموضع ومكان السحر لم يذكرها هؤلاء الضالون فهم انتقائيون في اختيار موادهم.

٢) لقد فك الرسول عليه الصلاة والسلام السحر بقراءة المعوذتين وهذا دليل على أن المعوذتين كلام الله عز وجل وأن محمداً نبي موحىً إليه.

٣) هذه القصة دليل على كذب المستشرقين عندما قالوا إن السنة النبوية قد وضعها أصحاب النبي ليثبتوا أنه نبي وأنه كامل في كل صفاته فلو كان كلامهم صحيحاً لكان هذا الحديث أول شيء يحذفه الصحابة من السنة لأنه ينقص من قدر النبي ﷺ على حد زعمهم طبعاً فقد أثبتنا الآن أن هذا الحديث يدل على نبوة محمد ﷺ.

قال الله تعالى**{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}**.

* * * * *

المبحث السابع:
حاجة العالم اليوم إلى الإسلام

يسيطر على العالم حجم فساد رهيب يوشك أن يدمر الأرض وما عليها ما لم تتح الفرصة لمبادئ وسنن الإسلام أن تأخذ طريقها لحماية الإنسان من شرور نفسه ثم لحماية الإنسانية كلها مما يهددها من الدمار الشامل.

والفساد الذي أشير إليه هو فساد شامل: سياسي واجتماعي واقتصادي وأخلاقي وروحي تحمل المدنية الغربية وزره الأكبر.

أما السياسة فى الإسلام فمن ناحيتي الغاية والوسيلة فهما معًا قائمتان على المشروعية والأخلاق والإنسانية.

وعلى سبيل المثال: فإن إباحة الجهاد (القتال) ارتبطت كما سبق ذكره بغايات ليس بينها الاستعمار أو إخضاع الشعوب بهدف استغلال أرضها أو تغيير عقيدتها، بل كان من غاياتها تحرير الشعوب ممن احتلوها وعذبوا أهلها، حتى ولو كان المحتلون على دين أهل البلاد على نحو ما حدث فى مصر إذ كان فتح مصر تحريرًا لها من بطش الرومان.

وكان الجهاد دفاعاً عن المستضعفين في الأرض تحريرًا لهم من عدو لا يستطيعون مقاومته.

١ – أما عن الفساد الأخلاقي:

وأخص به هنا الانفلات الكبير من الفضائل والتقاليد الأخلاقية التى تحدثت عنها الأديان السماوية، فإن هذه القيم قد تراجعت كثيرًا في العالم الغربي بسبب تهميش دور الدين وإحلال العلمانية المادية مكانه..

وهنا وجدت القوى الشيطانية فرصتها لإفراغ الإنسان من محتواه الإيماني والديني، فسيطرت وسائل الإعلام اليهودي الصهيوني ورأته فرصتها لامتلاك حس ووجدان الشباب وغرائزه الجنسية لتتمكن من إخضاعهم لها وقيادتهم إلى التسليم والقبول بكل ما يدعونهم إليه.

وأصبح من الأمور المألوفة فى المجتمع الغربي شيوع مسائل الشذوذ كزواج الرجل بالرجل والتصريح للفتاة بأن تجرب الشاب الذى يتقدم إليها بقصد الزواج فإن أعجبها أكملت المشروع معه، وإلا جربت غيره وغيره حتى تقتنع؟!!

ولست أدرى أي فارق بين انحدار الأنثى - إلى هذه المرحلة وبين أنثى الحيوان، بل إن الأنثى فى حيوانات كثيرة لا تقبل أن يباشرها إلا الحيوان الذى ارتبطت به!

والمخزى أن مسألة الانفلات الجنسي فى الحضارة الغربية لا تشكل أى قلق للمسئولين وقادة الفكر والمجتمع، وإنما تعتبر هذه عندهم من " الحريات الخصوصية " التي هى حسب زعمهم أنها حقٌ للأنثى والذكر.

وكان من نتائج هذا الانفلات تسجيل حالات وبنسب عالية من حمل الطالبات فى المدارس والجامعات وابتلاء المجتمع بأطفال مجهولى النسب والهوية.. وأيضًا تحميل بعض الأزواج.. مسئولية أن يربوا أولادًا ليسوا من أصلابهم؟

٢ – الفساد الاقتصادي وانقسام العالم إلى شمال وجنوب

ينقسم العالم المعاصر إلى شمال فيه الثروة والوفرة والارتفاع الهائل لمستوى دخول الأفراد، وإلى جنوب فيه الفقر والمرض وانخفاض مستوى الدخول إلى ما لا يكفي الاحتياجات الضرورية للإنسان.

أقول ربما يعجبون أو يدهشون لأنهم لا يستشعرون ما يستشعره مواطن الجنوب (العالم الثالث) فى جملته، من وطأة الحرمان وقسوته ومشاعر الذل والحقد معًا على الأغنياء - (كل الأغنياء) الذين يراهم المحرمون يتقلبون فى النعمة بينما يعاني هو وأسرته الحرمان إلى حد الجوع.

وتوضيحًا لنوع وعينات هذا الفساد الاقتصادى أشير إلى أن بعض الدول المعروفة بوفرة " الزبد " فى ديارها تقذف بالفائض منه إلى المحيط حتى لا ينخفض سعره بقانون العرض والطلب..

ودول أخرى في عالم الشمال - تحرق فائض القمح حتى لا ينخفض سعره وتنخفض أرباحهم..

وأخرى ترصف الطرقات بفائض القطن حتى لا تنخفض أسعاره كذلك. وجميع دول الشمال التى أشرنا إليها لا تفكر أبدًا فى الجياع والعرايا والمرضى والمحتاجين أشد الحاجة إلى قطعة زبد أو كوب لبن لأطفالهم، والمحتاجين كذلك إلى بعض القمح ليصنعوا منه خبزهم.. ثم المحتاجين دائمًا إلى فائض ذلك القطن لينسجوا منه ثيابهم أو على الأصح لينسجوا منه أكفانهم قبل أن يوضعوا فى القبور عرايا.

* * * * *

المطلب الأول:
الحاجة إلى الإسلام

فى هذا المناخ الذى ضربت بعض أمثلته تكون الحاجة قصوى وكبيرة إلى فلسفة الإسلام فى شئون المال والثروة وتوزيع الدخول وهذا ما نعرض لـه.

بداية أشير إلى أن للإسلام فى علاقة الإنسان بالمال رؤية بالغة العدل وعظيمة الرحمة بالفقير والغنى على السواء.

وأساس هذه الرؤية وهذا التوجيه يقوم فى الإسلام على ما يأتى:

أولاً: أن المالك الحقيقي للمال فى الإسلام هو الله لقولـه تعالى:**{وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ}**(١) وقولـه تعالى:**{وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}** (٢).

ثانيًا: أن الإنسان مستخلف عن الله فى تملك المال (فهو بمثابة الوكيل) لقولـه تعالى:**{وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ}** (٣).

ثالثًا: أن لكل إنسان من خلق الله حق فى مال الله (رزق الله) على أساس أن الله هو الخالق للناس جميعًا وهو المتكفل برزقهم كما فى قولـه تعالى:**{وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا}** (٤).

رابعًا: الاستخلاف عام لكل البشر ولا يحصل الأفراد على حق الملكية إلا مقابل عملهم، ومن ثم فالملكية الخاصة للفرد هى ملكية أمانة يلزمه أن يحافظ عليها وينميها ليستفيد ويُفيد.

خامسًا: وضع الإسلام للثروة والمال ضوابط أخلاقية وحضارية تحمي الفرد والمجتمع من جنون الثروة وما تحدثه من البطر الذى يصيب بعض من يتوفر لهم الغنى فيحسبون أنهم قد استغنوا عن رازقهم وخالقهم كما أشار القرآن فى قولـه:**{كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى}** (٥).

---

(١) النور: ٣٣.
(٢) الحديد: ١٠.
(٣) الحديد: ٧.
(٤) هود: ٦.
(٥) العلق: ٦-٧.

* كان من هذه الضوابط الأخلاقية تذكير الأغنياء دائمًا بأن فى أموالهم حقوقًا معلومة للفقراء عليهم أن يؤدوها لقوله تعالى:{وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}(١).

{وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} (٢).

* فرض الإسلام على المال زكاة لابد أن تؤدى فى نهاية كل عام واعتبر هذه الزكاة الركن الثالث بين الأركان الخمسة للإسلام، كما أبيح قتال من يمنعونها كما حدث فى قتال أبى بكر لمانعى الزكاة باعتبارها حق المجتمع فى أموال الأغنياء. وحدد المصارف التى تصرف فيها، وذلك فى قوله تعالى:{إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (٣).

وبناء على ما هو مقرر إسلاميًا - كما سبقت الإشارة - من أن المال مال الله والمالك الحقيقي للمال هو الله والناس مستخلفون فيه. فإنه عند الأخذ بهذا المبدأ الإسلامي لن يوجد على وجه الأرض جائع أو محروم.

حيث إن الإسلام بصريح توجيه الآيات فى القرآن الكريم قد شدد فى أكثر من آية على تذكير الأغنياء بما فى أموالهم وفى أعناقهم أيضًا من حقوق عليهم أن يؤدوها لذوى الحاجات فى المجتمع، حيث قال فى غير ما سبق ذكره فى قوله تعالى:{وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ}(٤)، وقوله تعالى:{وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ العَفْوَ}(٥). ثم أكدت الأحاديث النبوية هذا الاتجاه فى قوله ﷺ : **«ليس منا من بات شبعان وجاره (جائع) وهو يعلم»** (٦) وقوله ﷺ : **«إذا بات مؤمن جائعًا فلا مال لأحد»** (٧).

على أن رعاية هذه الحقوق التى للفقراء فى أموال الأغنياء لم تترك للطبيعة الإنسانية التى قد يسيطر عليها الشح ويغلبها البخل، وإنما أصبحت وكأنها عرف عام يلتزم به المجتمع كحق مقرر. وفى هذا قال الصحابي الجليل أبو ذر الغفارى: (إنى

---

(١) الذاريات: ١٩.
(٢) المعارج: ٢٤، ٢٥.
(٣) التوبة: ٦٠.
(٤) النور: ٣٣.
(٥) البقرة: ٢١٩.
(٦) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٥٥/١.
(٧) أخرجه أبو داود.

لأعجب للرجل لا يجد قوت يومه ثم لا يخرج على الناس شاهرًا سيفه).

وهذا الأمر نفسه قننه الفقهاء بما تحدث الفقيه الجليل الإمام ابن حزم فى كتابه عنه حيث قال: (إذا مات رجل جوعًا فى بلد أُعتبر أهلها قتلة أو مشاركين فى قتله يجب عليهم الدية).

* * * * *

المطلب الثانى:
رؤية الإسلام للظروف الطارئة للمجاعات

فى المجاعات والظروف التى تتعرض فيها المجتمعات لكوارث تدمر مزارعهم ومصادر أرزاقهم، فالإسلام فى هذه الحالة يقرر أن يشترك الجميع فيما هو متاح ولا يسمح لأحد أن يحوز أكثر من حاجته. وحين يصبح الأمر تهديدًا للحياة يكون المال وكل ما بأيدى الناس حقًّا للجميع يتقاسمونه إنقاذًا لحياتهم كما يتقاسمون شربة الماء إذا فرغ الماء الذى معهم فى الصحراء، وذلك إعمالاً لقوله تعالى:**{وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ العَفْوَ}**[1]، وقوله ﷺ : **«إن الأشعريين كانوا إذا أرملوا فى الغزو ، أو قلّ طعام عيالهم بالمدينة ، جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية فهم منى وأنا منهم»** [2]، وقوله ﷺ : **«كل شىء فَضَلَ** (زيادة) **أو ظل بيت أو كسرة خبز أوثوب يوارى ابن آدم فليس لابن آدم فيه حق»** [3]، وواضح من الآيات والأحاديث التى سبقت الإشارة إليها أنها تضع العلاج الإسلامى للحالات والظروف الاستثنائية.

حدّ الكفاية حق أساسي لكل إنسان فى مال الله:

أرأيتم مثل هذا التسامي الإسلامي العظيم فى تحديد علاقة الإنسان بالمال وكيف أحاطها بالتشريعات وبالضوابط الأخلاقية التى تجعل المال فى خدمة الإنسان وفى حماية حياته وكرامته بحيث يكون سيدًا للمال فى كل حال بينما المال فى مجتمعاتنا المعاصرة قد تحول - بفلسفة وتوجيهات الرؤية الرأسمالية - إلى إلّه على الإنسان أن يعبده ويخضع له ومكنت لسلطانه حتى أصبح يقيم

---

(١) البقرة: ٢١٩.

(٢) رواه البخارى فى كتاب الشرك - باب ١.

(٣) رواه الإمام أحمد عن عمرو بن العاص فى مسنده حديث رقم ١٨٢٣٦.

الدول ويهدمها ويصنع الأزمات ويتحكم فى رقاب البشر.

أما الإسلام فقد وضعه فى الإطار الأخلاقى الذى أنزله من عليائه وحدد وظيفته فى أن يكون خادمًا لعباد الله محققًا لمصالحهم لا سيدًا عليهم.

وهنا نتساءل: هل الإسلام يحرّم الغنى أو يحرّم السعى لكسب الثروة والمزيد منها؟ وأقول: هذا أمر يرفضه الإسلام ولا يقره. فالله تعالى يأمر عباده بالسعى والكدح للحصول على الرزق والحصول على الغنى فى مثل قوله تعالى:**{فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ}**(١) وقوله ﷺ : **«نعم المال الصالح للرجل الصالح»** (٢).

وفى عهد النبوة كان بين صحابة الرسول ﷺ رجال أغنياء نذكر منهم عبد الرحمن بن عوف وصهر رسول الله ﷺ عثمان بن عفان الذى أصبح الخليفة الثالث للمسلمين بعد عمر ابن الخطاب.

فالإسلام لا يرفض الغنى بل يدعو إليه ويحبذه، فيقول ﷺ : **«إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس»** (٣) ويقول ﷺ : **«خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى»** (٤).

لكن هذا الغنى مقيد فى الإسلام بضوابط أخلاقية منها:

أن يُكتسب من حلال وينفق فى حلال فلا يكون من غصب أو سرقة أو ما يماثلهما

أن يتم توظيفه التوظيف الأمثل لخدمة عباد الله أفرادًا أو جماعات.

ألا يستعبد الإنسان فيتحول الإنسان إلى أسير له مهمة حراسة دون أداء حق الله وحق المجتمع فيه.

---

(١) الملك: ١٥.

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده من حديث عمرو بن العاص.

(٣) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الوصايا أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس.

(٤) رواه البخارى فى كتاب الزكاة باب ١٨.

نفّر الإسلام وحذّر من النموذج القارونى (رجل من قوم موسى آتاه الله من المال الكثير فرفض أن يؤدي حق الله (حق الفقراء والمساكين) فيه فخسف الله به وبداره وأمواله الأرض) [١].

أن يكون أساس علاقة الإنسان بالمال أن يستبقيه فى يده ولا يسلمه قلبه.

ولقد كان لهذا التوجيه الإسلامي فى علاقة الإنسان بالمال أثره العظيم فى نفوس صحابة الرسول ﷺ الذين كانوا يجودون به طيبة نفوسهم.

ونذكر هنا عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان رضى الله عنهما اللذان جهزا من مالهما الخاص جيشًا بأكمله يسمى جيش العسرة، حيث كانت الغزوة التى خرج لها هى غزوة تبوك فى مواجهة الروم، وكان المسلمون فى عسر شديد فقام الصحابيان الجليلان بتجهيز الجيش من مالهما الخاص لا يبغيان من ذلك إلا مرضاة الله ورسوله.

ومثل آخر له دلالته على تخليص نفوس صحابة الرسول ﷺ من نقيصة البخل وشح النفس بل وتدل على ارتقائهم إلى مستوى من السخاء والجود بالمال طيبة نفوسهم واضعين المال فى الموضع الذى يجب أن يوضع فيه.

ذلك هو موقف الأنصار الذين استقبلوا الرسول ﷺ والمهاجرين معهم بعد ما خرجوا من مكة إلى المدينة تاركين خلفهم ديارهم وأموالهم، فإذا الأنصار يستقبلونهم بكرم وسخاء ما بعده كرم ولا سخاء.

وذلك عندما آخى النبي ﷺ بالتجربة العظمى والفريدة فى مجال التكافل الاجتماعى لم يسبق - بل ولن يلحق بها - مثيل فى التاريخ.

فقد كان الأخ من الأنصار يقاسم أخاه من المهاجرين داره أو خيمته ويقاسمه كذلك ماله معبرًا بذلك عن الارتقاء الحضارى والسمو النفسى فوق إغراء المال الذى كان عليه أهل المدينة (الأنصار) عند استقبالهم للرسول وللمهاجرين.

ولقد وضع القرآن على صدور " الأنصار " بسبب هذا الموقف الإيماني والإنساني العظيم والنادر.. وضع على صدورهم هذا الوسام الذى سجلته الآية

---

(١) للمزيد من التعرف عليه انظر ما جاء بسورة القصص (سورة رقم ٢٨) فى القرآن الكريم.

الكريمة فى قوله تعالى فى سورة الحشر:**{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** (١).

ما رأيكم فى هذه التجربة التاريخية والفريدة - تجربة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار على يد الرسول ﷺ فى المدينة؟!

هل يمكن - مثلاً - أن نطمع أو نطمح إلى إعادة تجربتها اليوم بين أهل الشمال الذين يملكون الوفرة والثروة فى بلادكم وبين أهل الجنوب (العالم الثالث) الذين لا يملكون إلا الفقر والتخلف والجهل والمرض!

بل هل يمكن أن نطمع أو نطمح إلى أن تتنازل دول الشمال فى أوروبا وأمريكا عن بعض ديونها أو حتى عن فوائد بعض ديونها التى لها فى رقاب المدينيين فى دول إفريقيا وآسيا وغيرها من دول الجنوب!

وإذا كانت أحوال العالم اليوم قد بلغت هذا الحد المخيف من المظالم والفساد، حيث انقسم العالم إلى شمال فيه الثروة والعلم وغطرسة القوة وإلى جنوب مظلوم فيه الفقر والجهل والمرض والتخلف.

وإذا كان هذا كله قد حدث فهو - والكثير غيره - دليل على أن فى عالم اليوم فسادًا خطيرًا يحتاج إلى من يصلحه، وظلمًا وعدوانًا يبحث عمن ينقذ الإنسانية منه.. فأقول لكم " إن إنقاذ عالم اليوم مما يتهدده من خراب ودمار لن يكن إلا بالإسلام.

نعم لن يكون إلا بالإسلام وإليكم الأدلة:

الإسلام - وحده - هو الدين الذى شرع وطبق مبدأ المساواة بين البشر جميعًا فى أصل الخلقة والنشأة حيث قال القرآن:**{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً}** (٢).

طوال عصر قوة الإسلام وسيادته شهد العالم من العدل والمساواة فى الحقوق والواجبات ما لم يكن - ولن يكون له أي نظير فى التاريخ..

---

(١) الحشر: ٩.

(٢) النساء: ١.

وطـوال عصـر قـوة الإسـلام وجـد المستضـعفون فـى الأرض مـن ينصـفهم ويحمى وجودهم ويدفع عنهم ظلم الظالمين وفسادهم.

وطـوال عصـر قـوة الإسـلام كـان الحـق والعـدل وصـيانة حقـوق الإنسـان هـو الرايـة التـى ترفـرف علـى الأرض فتسـعد فـى ظلهـا وينـعم برحمتهـا كـل مـن علـى الأرض من الإنسان والحيوان والبيئة..

فلمـا تراجعـت قـوة الإسـلام وسـادت مدنيـة الغـرب سـادت معهـا ألـوان المفاسـد والمظـالم مـن اسـتبداد الأقويـاء بالضـعفاء واحتكـار الأغنيـاء لأقـوات الفقـراء. وقـام الغربيـون باسـتعمار إفريقيـا وآسـيا وسـرقة خيراتهـا وثرواتهـا بـل وبنـوا مـدنيتهم علـى أنقـاض عالمنـا الثالـث الـذين اغتصـبوا خيـره وتركـوا أهلـه فـى مسـتنقعات الجهل والعجز والتخلف!

ربمـا تتسـاءلون ومـاذا بوسـع الإسـلام أن يصـنعه للإنسـانية اليـوم وأهلـه المسلمون أنفسهم عاجزون عن أن يصنعوا خيراً لأنفسهم؟!!

هنا أقول مرة أخرى:

صـحيح أن الإسـلام لا يملـك القـوة التـى يسـتطيع أن يمنـع بهـا " الفرعنـة " ويحمي المستضعفين فى العالم..

ولـو كانـت للإسـلام هـذه القـوة لمـا دعونـا أبـدًا إلـى اسـتخدامها حتـى لا نقـاوم الشر بالشر..

لكننـا - وبالإسـلام - نـدعو إلـى إعمـال العقـل والحكمـة فـى مكـان الاعتـداء بـالقوة، ونـدعو إلـى البحـث عـن السـلام للجميـع فـى مكـان ترويـع الآمنـين وتـدمير الأرض والبشر..

بالإسلام ندعو إلى ملاحظة الواقع والوعى بالتاريخ..

والتـاريخ يقـول: لقـد ذهـب جنكيـز خـان ونيـرون وهتلـر ومعهـم كـل المسـتبدين فى العالم كله..

وبقـي أهـل العقـل والحكمـة - بقـى الطيبـون الـذين لـم تغلـبهم شـياطين الشـر ولـم تضـلهم إليـه مقـولات التلمـود وبروتوكـولات حكمـاء صـهيون بقـى الحكمـاء العقـلاء وبقيـت رسـالات السـلام والمحبـة التـى أُرسـل مـن أجلهـا الرسـل صـلى الله علـيهم وسلم أجمعين..

ولنأخذ إخوتى بما يمكن أن تصنعه رسالة الإسلام فى إنقاذ البشرية مما هى عليه وما يمكن أن تتعرض له فى المستقبل من دمار...

* * * * *

المطلب الثالث:
الإسلام وحقوق الإنسان المضيّعة في عالم اليوم

ومما يتميز به احترام الإسلام لحقوق الإنسان أنه عند التطبيق على أرض الواقع لم يكن فيه تفضيل كبير على وضيع ولا غنى على فقير ولا حاكم على محكوم..

وأشير الآن إلى موقف - كانت له ظروف سياسية يمكن التعامل بها فى التجاوز عن حقوق الإنسان، لكن رمز الدولة وممثل الإسلام فى أيامها عمر بن الخطاب أصر على حماية حق الإنسان المعتدى عليه..

وهى قصة شهيرة كان بطلها كبير من كبراء عصره وقبيلته يسمى " جبَلة بن الأيهم " وكان يطوف بالبيت بعدما أعلن إسلامه فداس على ردائه رجل من عامة الناس كان يطوف فى اللحظة نفسها.

عندئذٍ لطمه " جبلة بن الأيهم " على وجهه، وبلغ الخبر عمر بن الخطاب فأصر على يأخذ الرجل حقه ويلطم الأمير " جبلة " كما لطمه. وقال المحيطون بعمر بن الخطاب: إن هذا لو ذاع فى الناس أن " جبلة " هذا قد لطمه رجل من عامة الناس فربما أدت إلى الحرب أو فى أقل القليل أن يرتد " جبلة " عن الإسلام.

فأصر عمر على تنفيذ القصاص حرصًا على تطبيق تعاليم الإسلام فى مسألة حقوق الإنسان.

وعاد الأمير جبلة إلى بلده فأعلن ارتداده عن الإسلام فلما أخبروا عمر بذلك قال: لقد خسرنا رجلاً وإن كان أميرًا لكن الإسلام هو الذى ربح: وفعلاً ربح الإسلام تطبيق مبادئه على الجميع بالمساواة المطلقة فى حقوق الإنسان فكثر الداخلون فيه.

* * * * *

المطلب الرابع:
الإسلام وحرية الإنسان

يمتاز الإسلام بحرصه على صيانة حرية الإنسان واحترامها إلى أبعد مدى بأنها العامل الأكبر فى أهلية هذا الإنسان لمهمة الخلافة عن الله فى الأرض. كما تقررها آيات القرآن الكريم.

وهذا الاستخلاف للإنسان عن الله فى الأرض ليس بالأمر الهين ولكنه مهمة ذات قدر كبير وخطير لا ينهض بها إلا نوع من الرجال أولى العزم والذين تتوفر فيهم الأهلية لإنفاذ مطالب الخلافة عن الله فى إعمار الأرض حيث خوطب الإنسان عن هذا التكليف بقوله تعالى:**{هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}**(١). وحمايتها كذلك من الإفساد والمفسدين. وقد خوطب الإنسان بهذا التكليف فى قوله تعالى:**{وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا}** (٢).

كما خوطب الإنسان الذى يمكّن الله له فى الأرض برعاية حدود الله فيها والالتزام بشريعته الدالة على كل ما هو صلاح وخير حسب ما جاء فى قوله تعالى**{الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنكَرِ}** (٣).

مثل هذه التكاليف التى خوطب بها الإنسان المستخلف عن الله فى الأرض لا ينهض بها - كما أشرت - إلا نوع من الرجال أولي العزم يكونون قادرين عليها أمناء على طاعة أمر الله فيها.

والتكوين الأساسي لهذه النوعية من الرجال عماده وقاعدته أن ينشأوا في مناخ الحرية ويتربوا عليها فى كل أمورهم حتى يكونوا قادرين على إعلاء كلمة الحق لا يخشون فى الله لومة لائم فيستطيعون قمع الفساد والإفساد والتمكين فى أرض الله لكل ما هو حق وعدل.

فالحرية المقررة للإنسان - فى الإسلام - بالمفهوم المشار إليه لا تأتى منحة من حاكم ولا قرارًا من ذى سلطان ولا ترتبط بظروف اقتصادية أو اجتماعية على نحو ما تزعمه بعض الرؤى الفكرية والسياسية المعاصرة.

---

(١) هود: ٦١.
(٢) الأعراف: ٥٦.
(٣) الحج: ٤١.

لكنها منحة إلهية قررها الإسلام للإنسان - كل إنسان - بصرف النظر عن جنسه أو لونه أو عقيدته تكون مصاحبة لميلاده فى الدنيا حتى ليصح أن نقول - وحسب المفهوم الإسلامي - أن كلمة " أنت حيّ تساوى أنت حر ". وهذا هو ما عبر عنه أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب فى مقولته الشهيرة: " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا ". حرية لا فوضى:

وقبل أن أعرض لجوانب وآفاق هذه الحرية أنبه إلى أن هذه الحرية فى الإسلام لا تعنى الانفلات والفوضى بأى حال من الأحوال، بل حرية منضبطة بإطار أخلاقي طبيعته الالتزام والمسئولية التى تخضع فى النهاية للعقاب والمثوبة. فالإنسان لم يقبل التسخير كغيره من بقية الكائنات التى تضبطها قوانين كونية صارمة لا تتبدل ولا تتغير.

فالشمس مثلاً - كما تحدث القرآن -:**{لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ القَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}**(١).

و" النار " لا ينبغي لها - كما تحدث القرآن - أن تغير طبيعتها فى الإحراق إلا بمشيئة إلهية تخرق ناموسها فتتحول إلى برد وسلام كما قال تعالى فى محاولة قوم إبراهيم عليه السلام أن يحرقوه فإذا الأمر الرباني يغيّر من طبيعتها فى قوله:**{قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ}** (٢).

وثمة أنواع من الأشجار مسخرة ومنضبطة كونيًا على أن تُسقط أوراقها فى الخريف، فإذا جاء الخريف أسقطتها؛ وعندما يعود الربيع تنبت أوراقها من جديد.

وهكذا كل ما فى الكون إلا الإنسان:

فالإنسان وحده الذى ارتضى لنفسه وبالتكوين الإلهى الذى أودعه الله فيه لحمل أمانة الاستخلاف.. الإنسان وحده هو الذى آثر أن تكون له الحرية فى الاختيار. وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة:**{إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً}** (٣). فالأمانة التى حملها هى أمانة الاختيار والتى على أساسها تكون المسئولية ويكون العقاب والمثوبة.

* * * * *

---

(١) يس: ٤٠.
(٢) الأنبياء: ٦٩.
(٣) الأحزاب: ٧٢.

المطلب الخامس:
آفاق حرية الإنسان

ولأن حريــة الإنســان فــى الإســلام تعنــى تحريــر كيانــه كلــه عقلــه ووجدانــه وأفكاره بحيث يصبح وكأنه نموذج للحرية يمشي على الأرض.

مـن هنـا ومـن الطبيعـى بحسـب المنظـور الإسـلامي أن يكـون المنـاخ كلـه الـذى يعيشه الإنسان متمتعًا بهذه الحرية.

وهـذا مـا كـان عليـه مجتمـع المسـلمين عصـر النبـوة والراشـدين حتـى فتـرة التراجع الحضارى لدولة الإسلام.

وتجـدر الإشــارة إلــى أن كفالــة الإســلام لحريــة الإنســان إنمــا هــى لمطلــق الإنســان رجــلاً أو امــرأة.. غنيًــا أو فقيــرًا، محكومًــا أو حاكمًــا. لأن الجميــع يشــملهم أمـر الاسـتخلاف عـن الله فـى الأرض بمـا لــه مـن تبعـات كبـار لا يـنهض بهـا إلا الأحرار.

ولأن مـن أبـرز معـالم الحريـة التـى يكفلهـا الإسـلام للإنسـان معلـم حريـة إبـداء الرأى ومعلم حرية الاعتقاد، فإنى أسوق لهما بعض النماذج الدالة عليهما:

فى مقام حرية إبداء الرأي:

تبـرز شخصـية المـرأة المسـلمة التـى جادلـت رسـول الله ﷺ فـى زوجهـا ونـزل بشـأنها القـرآن الكـريم فـى قولــه تعـالى فـى سـورة " المجادلـة ":**{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}** (١).

ومثـل آخـر مـن تقريـر الإسـلام لحريـة الإنسـان وحقـه فـى إبـداء رأيـه مـا جـاء فـى حالـة امـرأة تسـمى " جميلـة بنـت عبـد الله " التـى ذهبـت إلـى الرسـول ﷺ وقالـت: " إن أبى زوّجنى من ابن أخيه ليرفع بى خسيسته وأنا لـه كارهة ".

فقــال ﷺ : «**لـيس لأبيـك أن يزوجـك بغيـر رضـاك**». فقالـت: يـا رسـول الله لكنـى أجـزت مـا صـنع أبـى. فقـال لهـا ﷺ : «**ولمـاذا جئـت إلـيَّ تشـكين؟**» قالـت: فعلـت ذلك ليعلم الرجال (الآباء) أنهم ليس لهم حق فى تزويج بناتهم بمن يكرهنه.

---

(١) المجادلة: ١.

فهاتان المرأتان ليستا مجرد سيدتين أبديتا رأييهما فى مشكلة خاصة بهما لكنهما دليل ونموذج على وفرة مناخ الحرية الذى وفره الإسلام للإنسان ليعلن رأيه فيما لا يرضيه ويجاهر به على أعلى مستوى.

ونموذج ثالث - وهو أيضاً لامرأة - عارضت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وكان يخطب على المنبر يدعو المسلمين إلى عدم المغالاة فى المهور التى تقدم للنساء عند الزواج.

فإذا امرأة من آخر المسجد تقف لتقول له: كيف تقول ذلك والقرآن يقول:**{وَإِنْ أَرَدْتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً}**(1). فرجع عمر إلى المنبر وأعلن عدوله عما كان قاله فى مسألة المهور.

وهكذا - كما ترون - تربية الإسلام لشخصية الإنسان على الحرية التى رحب بها الرسول نفسه ﷺ، كما رحب بها عمر الذى عاد إلى المنبر واعترف بصحة ما قالته له المرأة أمام المسلمين الموجودين فى المسجد.

وهذه نماذج لا أجد لها نظيرا إلا فى الإسلام وفى الإسلام وحده.

أما عن حرية الاعتقاد:

وهى مسألة تبدو بالغة الحساسية بالنسبة لدين جديد يدعو الناس إلى اعتناقه - ويتوقع منه حسب ما يجرى فى زماننا - أن يستخدم قوته فى حمل الآخرين على الدخول فيه والانقياد إليه.

لكننا نرى الإسلام - تمامًا على غير ذلك - بل إنه يعلن صراحة فى القرآن الكريم إنه:**{لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}** (2).

نزلت هذه الآية فى رجل من الأنصار كان اثنان قد تنصرا وأراد أبوهما أن يدخلهما فى الإسلام فاستأذن الرسول ﷺ وقال له: **«ألا أستكرههما»** (يعنى أعيدهما إلى الإسلام بالقوة) فإن أبيا إلا النصرانية فماذا أفعل؟ فنزلت الآية

---

(١) النساء: ٢٠ - ٢١.

(٢) البقرة: ٢٥٦.

المشـار إليهـا[١] وفـى هـذا النمـوذج وحـده خيـر دليـل علـى احتـرام الإسـلام لحريـة الإنسـان إلـى أبعـد مـدى حتـى لـو أدت هـذه الحريـة إلـى تـرك بعـض أبنائـه علـى ديـن غير الإسلام.

أرجـو أن تلاحظـوا أن النمـوذج المشـار إليـه هـو أمـر الرسـول بتـرك الولـدين ونهـى أبيهمـا عـن إكراههمـا للرجـوع عـن النصـرانية. وفـى هـذا دلالـة علـى أن الإسـلام لا يُكـره أحـدًا علـى الـدخول فيـه. والإسـلام يأمرنـا نحـن المسـلمين جميعـاً بهـذا. وإضـافة إلـى ذلـك يعتبـر شـرط صـحة إسـلام المسـلم ألا يفـرق بـين أحـد مـن رسل الله كما سبق أن ذكرنا.

لكـن المؤسـف أنـه فيمـا يأمرنـا الإسـلام صـراحة بالإيمـان بجميـع رسـل الله نـرى الآخـرين مـن اليهـود والنصـارى فـى هـذا الـزمن يرفضـون حتـى مجـرد الاعتراف بالإسلام.

ألا تـرون مـا فـى ذلـك مـن رحمـة وحضـارة يجـدر بكـم أن تعترفـوا للإسـلام بها بدلاً من تصفوه بالإرهاب؟!

* * * * *

---

(١) (تفسير الطبرى / ٣).

المطلب السادس:
مشروعية الجهاد في الإسلام

لم يأذن الإسلام للمسلمين بالجهاد إلا عندما توفرت دوافعه وأصبح القيام به ضرورة لحفظ الحياة، ودفع ما تعرض له المسلمون من مظالم وما فعله كفار مكة بمن دخلوا فى الإسلام من التعذيب يعرفه التاريخ يحفظه طوال مسيرة الدعوة فى عهدها المكى الذى كان ثلاثة عشر عاما من العذاب فى مناخ لم يكن يملك المسلمون فيه ما يحمون به أنفسهم وكان الرسول ﷺ يمرّ على بعضهم من (آل ياسر: عمار وأمه) وهم يعذبون فلا يملك إلا أن يقول لهم: **«صبرا آل ياسر: موعدكم الجنة»**.

هنا - فقط - أُذن بممارسة حق الدفاع عن النفس فى قوله تعالى:**{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ}** (١).

فيصرح النص القرآنى.. الجهاد هنا ليس عدوانا ولكنه دفع للعدوان، فالمسلمون ظلموا وأخرجو من ديارهم بغير حق ولذا كان الإذن لهم بالجهاد.

أخلاقيات وآداب الجهاد في الإسلام:

أولاً: السلام هو غاية الإسلام:

* فالسلام أحد أسماء الله تبارك وتعالى:**{هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ}**(٢).

* والسلام تحية المسلمين بعضهم بعضاً فى الدنيا: السلام عليكم ويكون ردها عليكم السلام، ويقول الرسول ﷺ : **«ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم»**.

* ثم هو تحية المسلمين فى الجنة وتحييهم الملائكة: فتقول الآية:**{وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ}** (٣).

* ثم هو كذلك أمان لأهل الذمة ممن يكونون فى رعاية الدولة المسلمة

---

(١) الحج: ٣٩ - ٤٠.

(٢) الحشر: ٢٣.

(٣) الرعد: ٢٤.

فيقول ﷺ : «إن الله جعل السلام تحية لأمتنا وأماناً لأهل ذمتنا» [(١)].

* وفى ميدان القتال إذا قال من يقاتل المسلمين لهم: " السلام عليكم " وجب الامتناع عن مقاتلته. وفى هذا تقول الآية الكريمة:{وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً} [(٢)].

اسم الجنة - فى الإسلام هو دار السلام كما تقول الآية:{لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِندَ رَبِّهِمْ} وتقول عنها الآية:{لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ تَأْثِيماً * إِلاَّ قِيلاً سَلاماً سَلاماً} [(٣)].

وتقول كتب السيرة: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله: الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذِكر والرجل يقاتل ليُرى مكانه.. فمن منهم قتاله فى سبيل الله؟ فقال ﷺ : «من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله» [(٤)].

وسبيل الله يراد به التمكين فى أرض الله لكلمات الحق والعدل والخير وصون حقوق الإنسان والقيام بحقوق عباد الله فى الأرض، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة:{الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ}[(٥)].

ولعل أعظم ما يحسب للإسلام من رقيه الحضاري فى مسألة استخدام القوة (الجهاد) أنه جعل من أهم وأقدس مسئوليات المسلمين أن يقاتلوا دفاعًا عن المستضعفين فى الأرض الذين يعجزون عن حماية أنفسهم ويُلزم القرآن المسلمين بوجوب الدفاع عنهم، وذلك فى قوله تعالى:{وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِياً وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً} [(٦)].

---

(١) رواه البخارى - فتح البارى - كتاب الاستئذان باب ٢٠.
(٢) النساء: ٩٤.
(٣) الواقعة: ٢٥ - ٢٦.
(٤) متفق عليه.
(٥) الحج: ٤١.
(٦) النساء: ٧٥.

ثم يكون التعقيب القرآنى الذى يؤكد على أن الدفاع عن هؤلاء يصبح فى سبيل الله فيقول:{الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً} [١].

فالقتال هنا ليس للتوسع فى الأرض أو استعمارها واستغلال خيراتها، وإنما هو لحماية هؤلاء من استغلال الأقوياء لهم واغتصاب ما يكون من الخيرات فى أرضهم. وهنا تجدر الإشارة إلى أن التاريخ لم يعرف أبدًا أمة أو جماعة كان من أهدافها الدفاع عن المستضعفين والتضحية فى سبيل حمايتهم.

بل كان المعروف - وما يزال - هو العدوان عليهم فإذا قرر الإسلام حمايتهم وأوجب الجهاد على المسلمين والدفاع عنهم، فهذا ما يميز الإسلام عن غيره وما يعطى للجهاد هنا قيمته النبيلة.

ب - ألا تكون بدايته بالعدوان على الآخرين وألا يكون فى ممارسته أى نوع من العدوان، وفى هذا ما تحدثت به الآيات الكريمة:{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}[٢] وقوله تعالى:{وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}[٣].

جـ - لا قتال لمن لم يقاتل ومن لا يقدر على القتال: وهنا نجد النهى عن ذلك بصريح الآية الكريمة المشار إليها:{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا}.

ثم تأتى وصايا رسول الله ﷺ لأصحابه، ثم وصايا الخلفاء الراشدين من بعده لمن يخرجون للجهاد فى سبيل الله وخلاصة هذه الوصايا: لا تقتلوا امرأة ولا شابا ما دام لا يحمل السلاح ولا ذا العاهة كالأعرج والأعمى..

ولا تروّعوا عابداً فى محرابه ولا راهباً فى صومعته.

ولا تجهزوا على جريح، ولا تمثلوا بجثة قتيل.

ثم: وهذه قسمة حضارية للحفاظ على البيئة حتى ينتفع بها الجميع: المسلمون وغيرهم - فتقول الوصايا:

---

(١) النساء: ٧٦.

(٢) البقرة: ١٩٠.

(٣) المائدة: ٨٧.

لا تعفروا بئراً (لا تردموا البئر الذى يستقى منه الجميع) ولا تقطعوا شجرة مظلة ولا مثمرة.

سرعة الاستجابة للسلام:

ثم - وهى قسمة حضارية أخرى هو حرص الإسلام على السلام متى لاحت له أى بادرة ولو مجرد كلمة " سلام " ينطق بها أحد من مقاتلى الأعداء. وفى هذا تقول الآية الكريمة:**{وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً}**(١).

إذا بدت ممن يقاتلون المسلمين أى بادرة سلم وجب على المسلمين الاستجابة لها والتوقف عن القتال مع أخذ الحذر من الغدر والخيانة، وفى هذا تقول الآية الكريمة:**{وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ}**(٢).

ثم قوله تعالى:**{فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً}**(٣).

ومما يحسب للإسلام أيضاً ويؤكد أن الحرب فى الإسلام ضرورة تقدر بقدرها ولا يجوز التجاوز فيها حسن معاملة الإسلام لأسرى الأعداء. وفى هذا يثنى القرآن الكريم على من يحسنون معاملة الأسير فى قوله تعالى:**{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً}**(٤) ثم وضع أمرهم بين حالتين:

إما أن يمن عليهم رئيس الدولة فيطلقهم أحرارًا وإما أن يدفعوا الفدية للخلاص من أسرهم ويعينهم الإسلام على تحصيل هذه الفدية بتمكينهم من العمل لكى يكسبوا ما يساعدهم على الخلاص من الأسر.

وبالنسبة لمن يروّع الآمنين ويعتدى بالإكراه على أموالهم أو أعراضهم أو ما يملكون؛ وكذلك من يقطعون الطريق على الآمنين.

الآية الكريمة:**{إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ**

---

(١) النساء: ٩٥.

(٢) الأنفال: ٦١.

(٣) النساء: ٩٠.

(٤) الإنسان: ٨، ٩.

لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[1].

وفى هذا أبلغ دليل على رفض الإسلام للعدوان على الأرواح والأعراض والأموال ورفضه لأى ترويع للآمنين، وهو ما يعنى أيضًا أن الإسلام دين ينافي الإرهاب فى جوهره وفى تشريعاته، وإن الجهاد فيه إنما هو لغاية إنسانية تحمى المستضعفين من بطش الأقوياء ولا تعتدى أبداً على أحد، فإن أُعتدِى على المسلمين كان الجهاد واجبهم وكان حقهم المشروع الذى تعترف به كل الشرائع ويجمع عقلاء الإنسانية فى كل أنحاء الأرض على مشروعيته.

وفى هذا الاتجاه يأتى أمر القرآن الكريم للأمة بأن يكونوا على استعداد لحماية أنفسهم وأوطانهم من أى عدوان يمكن أن يتعرضوا له ولكي يحققوا ما يسمى فى لغة عصرنا بالردع العسكرى - بمعنى منع العدو من التفكير فى العدوان عليهم. وفى هذا تقول الآية الكريمة:**{وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ}** [2].

حالة يحرم فيها القتال:

وهنا يجب التنبيه إلى أن لفظة " ترهبون " لا تعنى أن الإسلام يدعو إلى الإرهاب كما فُهم خطأ، بل المراد الصحيح هو تحقيقه الردع للعدو وفق المصطلح العسكرى المعروف.

حالة إبلاغ الدعوة والتعريف بالإسلام:

فى هذه الحالة لا يجوز أبداً استخدام العنف تحت مسمّى الجهاد أو أى مسمى آخر، لأن فى هذا مخالفة صريحة لنصوص القرآن التى تحدد أسلوب ووسيلة الدعوة فتكون المخاطبة لرسول الإسلام ﷺ والمسلمين جميعاً:**{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}**[3]. وتقول:**{وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}**.

كما يضع القرآن منهجاً عاماً للوصول إلى استمالة المتكبرين والمتجبرين

---

(١) المائدة: ٣٣.

(٢) آل عمران.

(٣) النحل: ١٢٥.

عسى أن يهديهم الله فتلين قلوبهم وعقولهم للحق وذلك فى قوله تعالى مخاطباً موسى وهارون عليهما السلام عندما أرسلهما إلى فرعون الطاغية:**{اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}**(١).

وكما هو واضح فالحق سبحانه يأمر موسى وأخاه هارون بأن يتلطفا فى خطاب الطاغية فرعون بالقول اللين الذى يمكن أن يقبله مثل من هو فى جبروته.

فإذا تصفحنا آيات القرآن الكريم التى تأمر بالقتال وجدناها محاطة جميعها بضابط أخلاقي إسلامي يعتبر قتل نفس واحدة بغير موجب شرعى كالقصاص من القاتل أو بمنعه من الفساد فى الأرض كأنه قتلٌ للبشرية أجمعين، ثم يحذر وينهى المقاتلين (المجاهدين) عن أى اعتداء وذلك فى قوله تعالى:**{أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا** (٢) **فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً}**(٣).

ثم يأتى التحذير من العدوان مع كل أمر بالقتال فتقول الآيات:**{فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}** (٤). وتقول:**{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}** (٥).

وهذا النهى الصريح المتكرر عن الاعتداء يؤكد أن القتال وأن الحرب عامة فى الإسلام ضرورة تقدر بقدرها وأساسها الدفاع عن الدين والوطن والأنفس والأولاد والأموال.

وقد سبقت الإشارة إلى ما أسميناه أخلاقيات القتال فى الإسلام والتى تحرم قتال من لم يقاتل ومن ليس مهيأ للقتال بطبيعته كالمرأة والطفل والشيخ الفانى والشاب الذى لا يحمل السلاح والعابد فى محرابه والراهب فى صومعته بما يؤكد التزام المسلمين بمبدأ الدفاع والتزامهم بعدم العدوان على ما هو فقط ضرورة للدفاع.

---

(١) طه: ٤٣.
(٢) المائدة: ٣٢.
(٣) امتنع عن قتلها.
(٤) الممتحنة: ٩.
(٥) البقرة: ١٩٠.

وسبقت الإشارة كذلك إلى القَسَمَة الحضارية للإسلام في ميدان القتال بتحريم التمثيل بالقتيل أو الإجهاز على الجريح أو حرمان الأعداء من الماء أو قطع الشجر الذى يمكن أن يأوى إليه الجرحى فى المعارك، وكلها قسمات تؤكد أن الحرب فى الإسلام ليست غاية، بل هى ضرورة تقدر بقدرها.

أفبعد هذا يقال إن الإسلام دين إرهاب ودين عنف ودماء!

* * * * *

المبحث الثامن:
الإسلام رحمة وحضارة وسلام

فالجهاد فى الإسلام لم يشرَع إلا لإقرار السلام على الأرض والتمكين فيها لقيم السلام التى هى قيم الحق والعدل والخير والمحبة وحصول كل إنسان على حقه دون عدوان من الآخرين. وبهذا يتحقق السلام وتتم حماية الأرض والإنسان من كل فساد وإفساد.

وفى عصر ازدهار الدولة والحضارة الإسلامية كان السلام والأمن وكان العدل الاجتماعى واحترام حقوق الإنسان هو السائد والمسيطر..

فلما كان زمان تراجع وانحطاط المسلمين ساد فى الأرض الفساد وعمت المظالم والحروب التى تستغيث منها الإنسانية وما تزال تشقى بها إلى اليوم..

وفى ميدان الجهاد (القتال) سبق التنبيه إلى أن الإسلام حتى فى ميادين الحروب نهى عن مقاتلة كل من لا ذنب لهم فى إشعالها ولا مشاركة لهم فيها كالمرأة أو الطفل والشيخ المتقدم فى السن والشاب الذى لا يحمل السلاح والراهب فى صومعته والمتعبد فى محرابه. كما نهى عن الإجهاز على الجريح وعن التمثيل بجثة القتيل..

بل كان الإسلام سلاماً ورفقاً مع الحيوان والطير كما سبقت الإشارة - حتى يتحدث التاريخ أن عمرو بن العاص فاتح مصر لما أراد أن يرفع فسطاطه (الخيمة التى كانت له للسكن ومباشرة أمور الولاية) أخبروه بأن فى أحد أماكن الفسطاط يمامة ترقد على بيضها فقال لهم: دعوها ولا ترفعوا مكانها من الفسطاط حتى تطير أفراخها..

فأين هذا من حضارة غير المسلمين - حضارة أمريكا وأوروبا التى تصنع من أسلحة الدمار ما يبيد مدينة بأكملها فى ساعة واحدة بمن فيها من الإنسان والحيوان والطير؛ بل تدمر الأرض وتجعلها غير صالحة للزراعة سنين وسنين ويطارد إشعاع قنابلها الإنسان حيثما ذهب لينزل به من بلاء المرض الخبيث ما يظل يعانى منه حتى يموت؟.

فأين هذا من سلام الإسلام الذى تأسس على الرفق والرحمة!

تعالوا أتحدث إليكم عن الإسلام دين الرحمة والرفق ودين العدل الاجتماعى بين البشر..

وأذكركم إخوتي - وبإيجاز شديد - عما سبق بيانه عن الإسلام دين الرفق والرحمة والعدل الاجتماعى مقارنا بما سبق بيانه عن مظالم وعنف حضارتكم التى اتخذت العنف دستورا لها وابتكرت لـه من آلات الدمار ما يكفى لفناء العالم كله..

أذكركم بأن خالق الكون ومبدعه سبحانه وتعالى حين عرّف إلى عباده بنفسه.. عرفهم باسمه الرحمن الرحيم. وقال لصاحب الرسالة الخاتمة محمد ﷺ :**{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}**(١). ثم قدم رسوله بأنه رءوف رحيم.

ثم كانت هذه الرحمة أساس وإطار تشريعات الإسلام فى كل الأمور سواء منها ما يتصل بالإنسان الفرد أو بالأسرة أو بالمجتمع أو بالدولة أو بالعالم كله..

فمن رحمته بالإنسان أنه رحم ضعفه وقدرة الشيطان عليه فى إغوائه فأعانه على الشيطان بما منحه من العقل وبما أرسل إليه من الرسل، ثم غفر لـه وعفا عن خطئه ونسيانه وما أُكره عليه..

إلى جانب هذا لم يجعل الشريعة حملاً ثقيلاً عليه لا يقوى على النهوض به، وإنما يسّر عليه عند المشاق فأعطاه رخصا (تيسيراً وتجاوزا عن العقوبة وذلك فى حالات السفر والمرض حيث خفف عنه الصلاة اكتفاء ببعضها أو تسمى صلاة السفر أو صلاة القصر).

كما رفع عنه العقوبة إذا اضطرته الظروف (فى مجاعة أو سفر إلى أن يأكل الميتة - وهى أصلها محرمة) وجعل حالة الاضطرار مبدأ لتحليل ما لا يحل، فقال تعالى:**{فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ}** (٢).

كما أباح للمريض أن يصلي قاعدا أو حتى وهو راقد على جنبه.

كما جعل لـه كفارات (عمل يقوم به الإنسان لإسقاط ذنوبه وجبر تقصيره فى أداء الأمور والعبادات) مثل: كفارة الأيمان وكفارة نسيان بعض مناسك الحج والعمرة وغيرهما.

ثم - وفوق هذا - ضاعف لـه الحسنات إلى سبعمائة ضعف، بينما جازاه عن السيئة بعقوبة واحدة..

---

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) البقرة: ١٧٣.

وأكثر من هذا وأبلغ فى بيان رحمة الخالق بعبده حسب رسالة الإسلام أن قرّبه إليه وأمره أن يدعوه ليستجيب لـه حيث قال تعالى:**{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ}**(١). وفتح لـه بهذا باب التوبة وتكفير الذنوب، ولو كانت مثل زبد البحر.

هكذا كانت رحمة الخلاق سبحانه وتعالى بعباده حسب رسالة الإسلام. كما تتحدث بذلك السنة النبوية الشريفة فيما معناه: (قالت السماوات والأرض والجبال والبحار والنار يا رب: ابن آدم طعم خيرك ومنع شكرك، ألا تأذنوا لنا أن نخسف به الأرض أو نغرقه أو نحرقه). فقال سبحانه وتعالى فى حديث قدسى: [دعوهم إنهم عبادى ولو خلقتموهم لرحمتموهم]. ومن رحمته تعالى بالأسرة التى تضم الوالدين والأبناء والخدم أيضا نلاحظ أمر الإسلام للإنسان ببر والديه وحسن معاملتهما بأحسن ما يكون التعامل حتى وإن كانا مشركين على غير ملة الإسلام فتقول الآية:**{وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ المَصِيرُ * وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً}**(٢).

كما أمر الأبناء أن يدعو لوالديهم بالرحمة بعد موتهم فى قولـه تعالى:**{وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً}** (٣).

أما رحمة الإسلام بالأسرة (الزوج والزوجة) فقد أمرهما بحسن العشرة بين كل منهما مع الآخر.

ومعاملة الرسول ﷺ لأهل بيته خير نموذج لذلك وهو ﷺ يقول: [خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى]، لأن الرحمة والمودة هما - أساس بناء البيت المسلم على السعادة والطمأنينة..

وإلى هذا تشير الآية الكريمة:**{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً}** (٤).

---

(١) البقرة: ١٨٦.
(٢) لقمان: ١٤ - ١٥.
(٣) الإسراء: ٢٤.
(٤) الروم: ٢٦.

وهكذا تتنامى دائرة الرحمة فى الأسرة لتشمل جميع من فيها بالحنان والعطف ونشير هنا إلى أعرابى جاء إلى النبى ﷺ فقال لـه: أراكم تقبلون الصبيان أما نحن فلا نقبلهم. فأجابه النبى ﷺ بقولـه: **«أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة»** (يعنى ماذا أفعل لك إذا كان قلبك قد حرم من هذه الرحمة؟!!

ومعروف أنه إذا غمرت الرحمة الأسرة وربى عليها الأبناء فإنها يقينا ستتنامى لتشمل المجتمع كله من المجتمعات الصغيرة إلى المجتمع الأكبر حتى يتراحم الناس ويعيشون فى سلام.

وفى الإسلام مكرمة من المكرمات تسمى " صلة الرحم " وهى مكرمة يدعو الإسلام إلى الحرص الشديد عليها.

وفى الحديث الشريف أن الرحم معلقة بساق عرش الرحمن تقول: اللهم صِلْ من وصلني واقطع من قطعني. فكل ذوى الأرحام من الأقارب مأمورون إسلامياً بصلة الرحم لتنمية الرحمة وتوسيع دوائرها حتى تنتقل من الأب إلى الابن ومن الأم إلى البنت.. هكذا حتى يتراحم الجميع وتلين قلوبهم فلا تعرف القسوة..

وبهذا التراحم يقتلع الإسلام العنف والقسوة من جذورها وتعيش المجتمعات فى سلام[١].

* * * * *

---

(١) الإسلام دين رحمة وحضارة وسلام لا دين إرهاب.
أ. د. عبد الصبور مرزوق.

المبحث التاسع:
وفاة الرسول ﷺ

قال الله تعالى:**{مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}**[سورة الأحزاب].

إخوة الإسلام، حريّ بنا أن نتكلم عن وفاة سيد الأمة وإمام الأئمة من أرسله الله للناس هدىً ورحمة فهذا يذكرنا بأن الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر وبأن الموت حق قد كتبه الله على العباد، وأفضل العباد قد مات ولا بد لكل واحد منا أن يموت فقد قال الله تعالى مخاطبا نبيه المصطفى في الكتاب:**{إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ}**[سورة الزمر] أي إنك ستموت وهم سيموتون.

بداية مرض الرسول عليه الصلاة والسلام:

ابتدأ برسول الله ﷺ صداع في بيت عائشة، قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ في اليوم الذي بدئ فيه، فقلت: "وارأساه" قال: **«بل أنا وارأساه»**، ثمّ اشتد أمره في بيت ميمونة، واستأذن نساءه أن يمرّض في بيت عائشة فأذن لـه، وكانت مدة علته اثني عشر يوماً وقيل أربعة عشر.

فعن عبيد الله بن عبد الله قال: دخلت على عائشة فقلت ألا تحدثيني عن مرض رسول الله ﷺ؟ فقالت: بلى، ثقل رسول الله ﷺ، فقال: **«أصلى الناس؟»** فقلت: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله.

فقال ضعوا لي ماء في المخضب ففعلنا، فاغتسل ثم ذهب لينوٰ (أي لينهض) فأغمي عليه ثم أفاق فقال: **«أصلى الناس؟»** فقلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، قالت: والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله لصلاة العشاء، فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر يصلي بالناس وكان أبو بكر رجلا رقيقا، فقال: يا عمر صلّ بالناس. فقال: أنت أحق بذلك. فصلى بهم أبو بكر تلك الأيام.

ثم إن رسول الله ﷺ وجد خفة (أي خف عنه المرض) فخرج بين رجلين، أحدهما العباس، لصلاة الظهر فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر (أي ليرجع عن الإمامة في الصلاة بوجود رسول الله ﷺ فأومأ إليه أن لا تتأخر، وأمرهما فأجلساه إلى جنبه فجعل أبو بكر يصلي قائما ورسول الله ﷺ يصلي قاعدا. رواه البخاري ومسلم والنسائي.

موت الرسول وغسله ﷺ :

وبدأ الوجع يظهر على الرسول ﷺ فقال: أريد أن أزور شهداء أحد، فراح لشهداء أحد، ووقف على قبور الشهداء وقال: السلام عليكم يا شهداء أحد أنتم السابقون ونحن إن شاء الله بكم لاحقون وإني بكم إن شاء الله لاحق. وهو راجع بكى الرسول فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: **«اشتقت لأخواني»** قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: **«لا أنتم أصحابي أما أخواني فقوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ولا يروني»**.

وقبل الوفاة بثلاث أيام بدأ الوجع يشتد عليه وكان ببيت السيدة ميمونة فقال اجمعوا زوجاتي فجمعت الزوجات فقال النبي ﷺ : **«أتأذنون لي أن أمر ببيت عائشة»** فقلن آذنا لك يا رسول الله. فأراد أن يقوم فما استطاع فجاء علي بن أبى طالب والفضل بن العباس فحملوا النبي وطلعوا به من حجرة السيدة ميمونة إلى حجرة السيدة عائشة.. لكن الصحابة لأول مرة يروا النبي محمول على الأيادي فتجمع الصحابة وقالوا: مالِ رسول الله مالِ رسول الله وتبدأ الناس تتجمع بالمسجد ويبدأ المسجد يمتلئ بالصحابة ويحمل النبي إلى بيت عائشة رضي الله عنها. فيبدأ الرسول يعرق ويعرق ويعرق وتقول عائشة رضي الله عنها أنا بعمري لم أرى إنسان يعرق بهذه الكثافة فتأخذ يد الرسول وتمسح عرقه بيده.

(فلماذا تمسح بيده هو وليس بيدها) تقول عائشة: أن يد رسول الله أطيب وأكرم من يدي فلذلك أمسح عرقه بيده هو وليس بيدي أنا. فهذا تقدير للنبي تقول السيدة عائشة فأسمعه يقول: **«لا إله إلا الله إن للموت لسكرات ، لا إله إلا الله إن للموت لسكرات»** فكثر اللفظ أي (بدأ الصوت داخل المسجد يعلو). فقال النبي ﷺ : **«ما هذا؟»** فقالت عائشة: أن الناس يخافون عليك يا رسول الله. فقال: **«احملوني إليهم»** فأراد أن يقوم فما استطاع. فصبوا عليه سبع قرب من الماء لكي يفيق فحُمل النبي وصعد به إلى المنبر فكانت أخر خطبة لرسول الله ﷺ، وأخر خطبة لرسول الله ﷺ وأخر كلمات لرسول الله ﷺ، وأخر دعاء لرسول الله ﷺ. قال النبي: **«أيها الناس كأنكم تخافون علي»**. قالوا: نعم يا رسول الله. فقال الرسول ﷺ : **«أيها الناس موعدكم معي ليس الدنيا موعدكم معي عند الحوض ، والله ولكأني أنظر إليه من مقامي هذا . أيها الناس والله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تتنافسوها كما تنافسها الذين من قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم»**. ثم قال ﷺ : **«أيها الناس الله الله بالصلاة الله الله بالصلاة يعني** (حلفتكم بالله حافظوا على الصلاة) **فظل يرددها»** ثم قال: **«أيها الناس اتقوا الله في النساء أوصيكم بالنساء خيراً»**، ثم

قال: **«أيها الناس إن عبداً خيره الله بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله»** فما أحد فهم من هو العبد الذي يقصده فقد كان يقصد نفسه، أن الله خيره، ولم يفهم قصده سوى أبي بكر الصديق وكان الصحابة معتادين عندما يتكلم الرسول يبقوا ساكتين كأنه على رؤوسهم الطير فلما سمع أبو بكر كلام الرسول لم يتمالك نفسه فعلى نحيبه (البكاء مع الشهقة) وفي وسط المسجد قاطع الرسول وبدأ يقول له: فديناك بآبائنا يا رسول الله فديناك بأمهاتنا يا رسول الله فديناك بأولادنا يا رسول الله فديناك بأزواجنا يا رسول الله فديناك بأموالنا يا رسول الله ويردد ويردد فنظر الناس إلى أبي بكر شظراً (كيف يقاطع الرسول بخطبته). فقال الرسول: **«أيها الناس فما منكم من أحد كان له عندنا من فضل إلا كافأناه به إلا أبو بكر فلم أستطع مكافأته فتركت مكافأته إلى الله تعالى عز وجل كل الأبواب إلى المسجد تسد إلا باب أبي بكر لا يسدّ أبدا»**. ثم بدأ يدعو لهم ويقول آخر دعوات قبل الوفاة: **«آواكم الله حفظكم الله نصركم الله ثبتكم الله أيدكم الله حفظكم الله»**.

وأخر كلمة قبل أن ينزل عن المنبر موجه للأمه من على منبره: **«أيها الناس أقرئوا مني السلام على من تبعني من أمتي إلى يوم القيامة»**، وحُمل مرة أخرى إلى بيته دخل عليه وهو بالبيت عبد الرحمن ابن أبي بكر وكان بيده سواك فظل النبي ينظر إلى السواك ولم يستطع أن يقول أريد السواك فقالت عائشة: فهمت من نظرات عينيه أنه يريد السواك فأخذت السواك من يد الرجل فأستكت به (أي وضعته بفمها) لكي ألينه للنبي وأعطيته إياه فكان آخر شيء دخل إلى جوف النبي هو ريقي(ريق عائشة) فتقول عائشة:

كان من فضل ربي عليّ أنه جمع بين ريقي وريق النبي قبل أن يموت. ثم دخلت ابنته فاطمة فبكت عند دخولها. بكت لأنها كانت معتادة كلما دخلت على الرسول وقف وقبلها بين عينيها ولكنه لم يستطع الوقوف لها. فقال لها الرسول: **«ادني مني يا فاطمة»** فهمس لها بأذنها فبكت. ثم قال لها الرسول مرة ثانية: **«ادني مني يا فاطمة»** فهمس لها مرة أخرى بأذنها فضحكت.

فبعد وفاة الرسول سألوا فاطمة ماذا همس لك فبكيتي؟ وماذا همس لك فضحكت؟ قالت فاطمة: لأول مرة قال لي: **«يا فاطمة أني ميت الليلة»**. فبكيت! ولما وجد بكائي رجع وقال لي: **«أنت يا فاطمة أول أهلي لحاقاً بي»**. فضحكت. فقال الرسول: **«اخرجوا من عندي بالبيت»** وقال: **«ادني مني يا عائشة»** ونام على صدر زوجته السيدة عائشة رضي الله عنها. فقالت عائشة: كان يرفع يده للسماء ويقول: **«بل الرفيق الأعلى بل الرفيق الأعلى»**. فتعرف من خلال كلامه أنه يُخير بين حياة الدنيا أو الرفيق الأعلى. فدخل

الملك جبريل على النبي وقال: **«ملك الموت بالباب ويستأذن أن يدخل عليك وما استأذن من أحد قبلك فقال له: أأذن له يا جبريل ودخل ملك الموت وقال: السلام عليك يا رسول الله أرسلني الله أخيرك بين البقاء في الدنيا وبين أن تلحق بالله . فقال النبي: بل الرفيق الأعلى بل الرفيق الأعلى وقف ملك الموت عند رأس النبي (كما سيقف عند رأس كل واحد منا) وقال: أيتها الروح الطيبة روح محمد ابن عبدالله اخرجي إلى رضى من الله ورضوان ورب راضٍ غير غضبان»** تقول السيدة عائشة: فسقطت يد النبي وثقل رأسه على صدري فقد علمت أنه قد مات وتقول ما أدري ما أفعل فما كان مني إلا أن خرجت من حجرتي إلى المسجد حيث الصحابة. وقلت: مات رسول الله مات رسول الله فأنفجر المسجد بالبكاء فهذا علي أُقعد من هول الخبر وهذا عثمان بن عفان كالصبي يأخذ بيده يميناً ويساراً وهذا عمر بن الخطاب يقول: إن قال أحدكم أنه قد مات سأقطع رأسه بسيفي إنما ذهب للقاء ربه كما ذهب موسى للقاء ربه أما أثبت الناس كان أبو بكر رضى الله عنه فدخل على النبي وحضنه وقال واخليلاه واحبيباه واأبتاه وقبل النبي وقال: طبت حياً وطبت ميتاً فخرج أبو بكر رضى الله عنه إلى الناس وقال: (من كان يعبد محمد فمحمد قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت) ثم خرج يبكي ويبحث عن مكان يكون وحده ليبكي وحده.

عن أنس رضي الله عنه قال: لمّا ثقل رسول الله ﷺ جعل يتغشاه الكرب فقالت فاطمة رضي الله عنها: واكرب أبتاه. فقال لها: **«ليس على أبيك كرب بعد اليوم»**.

فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب ربّا دعاه، يا أبتاه جنّة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل أنعاه، فلما دفن قالت فاطمة: "يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب". رواه البخاري

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجمعني وإياكم في الفردوس الأعلى وأن يجعلنا رفقاء للنبي عليه الصلاة والسلام في الفردوس الأعلى... أمين.

* * * * *

المبحث العاشر:
الطريق إلى مرافقة النبي ﷺ في الجنة

١ - إحياء واتباع سنة النبي ﷺ:

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة [(١)].

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي قال: **«دعوني ما تركتكم ، فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم»**.

أخي المسلم: هذه "وصية" عظيمة الشأن، تبين أهمية السنة، وتحذر من الاختلاف، فانتهي عن كثرة المسائل على وجه التعنت والتكلف والتعمق وقد وردت بها عدة روايات متقاربة المعنى، منها:

عن أبى هريرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: **«أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج»**.

فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله ﷺ : **«لو قلت: نعم لو جبت ولما استطعتم»**.

ثم قال: **«ذرونى ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم . فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»** وأخرجه " الدارقطنى"من وجه آخر مختصراً، وقال فيه: فنزل قوله تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ}**.

وعن ابن عباس، كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء، فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله هذه الآية:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ}**... "رواه البخاري.

فدلت هذه الأحاديث على النهى عن السؤال عما لا يحتاج إليه ما يسوء السائل جوابه، وعلي النهى عن السؤال على التعنت والبعث والاستهزاء كما كان يفعله كثير من المنافقين وغيرهم. وقريب من هذا: سؤال الآيات واقتراحها على وجه التعنت كما كان

---

(١) رواه الترمذي.

يسأله المشركون وأهل الكتاب. قال عكرمة: إن الآية نزلت في ذلك. ويقرب من ذلك السؤال عما أخفاه الله عن عباده ولم يطلعهم عليه كالسؤال عن وقت الساعة وعن الروح. ودلت - أيضاً - على نهي المسلمين عن السؤال عن الحج هل يجب كل عام أم لا؟

وفي " الصحيح " عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ قال: **«إن أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته»**.

وقال الأوزاعي - رحمه الله -: " إن الله إذا أراد أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه المغاليط، فلقد رأيتهم أقل الناس علما ".

قلت: المغاليط: أو الأغلوطات: هي شداد المسائل كما قال الأوزاعي.

وكان النبي ﷺ ينهي عن: قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ولم يكن النبي ﷺ يرخص في المسائل إلا للأعراب ونحوهم من الوفود القادمين عليه يتألفهم بذلك. فأما المهاجرون والأنصار المقيمون بالمدينة الذين رسخ الإيمان في قلوبهم فنهوا عن المسألة، كما في صحيح مسلم عن النواس بن سمعان، قال: أقمت مع رسول الله ﷺ بالمدينة سنة ما يمنعني من الهجرة إلا المسألة، كان أحدنا إذا هاجر لم يسأل النبي ﷺ. وعن أنس رضي الله عنه قال: " نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء فكان عجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع ".

وفي مسند " البزار " عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: ما رأيت قوما أخبر من أصحاب محمد ﷺ ما سألوه إلا عن اثنتي عشرة مسألة كلها في القرآن.

"يسألونك عن الخمر والميسر ".

"يسألونك عن الشهر الحرام ".

" يسألونك عن الأهلة ".

" ويسألونك عن اليتامى ". وذكر الحديث

وقد كان أصحاب النبي ﷺ أحيانا يسألون عن حكم حوادث قبل وقوعها لكن للعمل بها عند وقوعها كما قالوا لـه: " إنا لاقوا العدو غدا وليس معنا مدى أفنذبح بالقصب؟ ".

وسأله حذيفة عن الفتن وما يصنع فيها. فهذا الحديث وهو قولـه ﷺ : "ذرونى ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ". يدل على كراهة المسائل وذمها، ولكن بعض الناس يزعم أن ذلك كان مختصا بزمن النبي ﷺ لما يخشى حينئذ من تحريم ما لم يحرم، أو إيجاب ما يشق القيام به، وهذا قد أمن بعد وفاته ﷺ،

ولكن ليس هذا وحده هو سبب كراهة المسائل، بل لـه سبب آخر وهو الذي أشار إليه ابن عباس في قولـه: " ولكن انتظروا فإذا نزل القرآن فإنكم لا تسألون عن شيء إلا وجدتم تبيانـه ". ومعنى هذا أن جميع ما يحتاج إليه المسلمون في دينهم لابد أن يبينه الله في كتابه العزيز ويبلغ ذلك رسول الله ﷺ عنه فلا حاجة بعد هذا لأحد في السؤال، فإن الله تعالى أعلم بمصالح عباده منهم، فما كان فيه هدايتهم ونفعهم فإن الله تعالى لابد أن يبينه لهم ابتداء من غير سؤال كما قال: "يبين الله لكم أن تضلوا ".

وحينئذ فلا حاجة إلى السؤال عن شيء ولا سيما قبل وقوعه والحاجة إليه، وإنما الحاجة المهمة إلى فهم ما أخبر الله به ورسوله ثم اتباع ذلك والعمل به.

وقد كان النبي ﷺ يسأل عن المسائل فيحيل على القرآن كما سأله عمر بن الخطاب عن الكلالة، فقال: **«يكفيك آية الصيف»**.

وأشار رسول الله ﷺ في هذا الحديث إلى أن في الاشتغال بامتثال أمره واجتناب نهيه شغلا عن المسائل، فقال: **«فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم»**.

قال الإمام النووي - في شرحه لهذا الحديث -: " هذا الحديث من قواعد الإسلام المهمة ومن جوامع الكلم التي أعطيها ﷺ، ويدخل فيه ما لا يحصي من الأحكام كالصلاة بأنواعها، فإذا عجز عن بعض أركانها أو بعض شروطها أتى بالباقي، وإذا عجز عن بعض أعضاء الوضوء أو الغسل غسل الممكن، وإذا وجد ما يستر بعض عورته أو حفظ بعض الفاتحة أتى بالممكن، وأشباه هذا غير منحصرة وهي مشهورة في كتب الفقه والمقصود التنبيه على أصل ذلك.

وهذا الحديث موافق لقول الله تعالى:**{فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ}**.

وأما قولـه تعالى:**{اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ}** ففيها مذهبان:

أحدهما: أنها منسوخة بقولـه تعالى:**{فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ}**.

والثاني: وهو الصحيح أو الصواب وبه جزم المحققون أنها ليست منسوخة بل قولـه تعالى:**{فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ}**.

مفسرة لها ومبينة للمراد بها. وقالوا: وحق تقاته: هو امتثال أمره واجتناب نهيه، ولم يأمر سبحانه وتعالى إلا بالمستطاع قال تعالى:**{لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا}**.

وقال تعالى:**{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}** والله أعلم.

واستدل بهذا الحديث على أن اعتناء الشرع بالمنهيات فوق اعتنائه بالمأمورات، لأنه أطلق الاجتناب في المنهيات ولو مع المشقة في الترك، وقيد في المأمورات بقدر الطاقة، وهذا منقول عن الإمام أحمد.

وقال ابن فرج في "شرح الأربعين ": قوله:**{فَاجْتَنِبُوهُ}** هو على إطلاقه حتى يوجد ما يبيحه، كأكل الميتة عند الضرورة، وشرب الخمر عند الإكراه، والأصل في ذلك جواز التلفظ بكلمة الكفر إذا كان القلب بالإيمان كما نطق القرآن.

وقال الإمام البغوي - رحمه الله تعالى - في " شرح السنة ": " المسائل على وجهين:

أحدهما: ما كان على وجه التعليم لما يحتاج إليه من أمر الدين فهو جائز بل مأمور به لقوله تعالى:**{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}**، على ذلك تتنزل أسئلة الصحابة عن الأنفال والكلالة وغيرهما.

ثانيهما: ما كان على وجه التعنت والتكلف وهو المراد في هذا الحديث والله أعلم ".

وقال ابن العربي - رحمه الله تعالى -: " كان النهي عن السؤال في العهد النبوي خشية أن ينزل ما يشق عليهم، فأما بعد فقد أمن ذلك لكن أكثر النقل عن السلف بكراهية الكلام في المسائل التي لم تقع ".

قال: " وإنه لمكروه إن لم يكن حراما إلا للعلماء فإنهم فرعوا ومهدوا فنفع الله من بعدهم بذلك، ولا سيما مع ذهاب العلماء ودروس العلم " ا. هـ ملخصاً.

فالذي يتعين على المسلم الاعتناء به والاهتمام أن يبحث عما جاء عن الله ورسوله ﷺ، ثم يجتهد في فهم ذلك والوقوف على معاينة، ثم يشتغل بالتصديق بذلك إن كان من الأمور العلمية، وإن كان من الأمور العلمية بذل وسعه في الاجتهاد في فعل ما يستطيعه من الأوامر واجتناب ما ينهى عنه فتكون همته مصروفة بالكلية إلى ذلك لا إلى غيره، وهكذا كان حال أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان في طلب العلم النافع من الكتاب والسنة.

فأما إن كانت همة السامع مصروفة عند سماع الأمر والنهي إلى فرض أمور قد تقع وقد لا تقع، فإن هذا مما يدخل في النهى ويثبط عن الجد في متابعة الأمر. وقد سأل رجل ابن عمر عن استلام الحجر فقال له: رأيت النبي ﷺ يستلمه ويقبله. فقال له الرجل: أرأيت إن غلبت عنه؟ أرأيت إن زوحمت؟ فقال له ابن عمر: اجعل أرأيت باليمن، رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقلبه.

ومراد ابن عمر أن لا يكون لك هم إلا في الاقتداء بالنبي ﷺ، ولا حاجة إلى فرض العجز عن ذلك أو تعسره قبل وقوعه، فإنه يفترض العزم على التصميم على المتابعة، فإن التفقه في الدين والسؤال عن العلم إنما يحمد إذا كان للعمل لا للمراء والجدال.

وروي عن على رضي الله عنه أنه ذكر فتنا تكون في آخر الزمان فقال لـه عمر: متى ذلك يا على؟ قال: إذا تفقه لغير الدين، وتعلم لغير العمل، والتمست الدنيا بعمل الآخرة.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: " كيف بكم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، وتتخذ سنة فإن غيرت يوما قيل: هذا منكر**!!** ".

قال: " إذا قلت أمناؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلت فقهاؤكم، وكثرت قراؤكم، وتفقه لغير الدين، والتمست الدنيا بعمل الآخرة ".

ولهذا المعنى كان كثير من الصحابة والتابعين يكرهون السؤال عن الحوادث قبل وقوعها ولا يجيبون عن ذلك.

قال عمر بن مرة: خرج عمر على الناس فقال: " أحَرِج عليكم أن تسألونا عما لم يكن فإن لنا فيما كان شغلا".

وكان زيد بن ثابت سئل عن شيء يقول: كان هذا؟ فإن قالوا: لا، قال: دعوه حتى يكون. وعن الصلت بن راشد، قال: سألت طاووساً عن شيء فانتهرني فقال: أكان هذا؟

قلت: نعم، قال: آلله؟ قلت: الله. قال: إن أصحابنا أخبرونا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: " يا أيها الناس لا تعجلوا بالبلاء قبل نزولـه فيذهب بكم هاهنا وهاهنا، فأنكم إن لم تعجلوا بالبلاء قبل نزولـه لم ينفك المسلمون أن يكون فيهم من إذا سئل سدد أو وفق ".

وقال الحسن: " شرار عباد الله الذين يتبعون شرار المسائل يعمون بها عباد الله ".

وقال ابن وهب عن مالك: " أدركت هذه البلدة وإنهم ليكرهون الإكثار الذي فيه الناس اليوم " يريد المسائل.

وقال أيضا: سمعت مالك وهو يعيب كثرة الكلام وكثرة الفتيا ثم قال: "يتكلم كأنه جمل مغتلم يقول: هو كذا هو كذا: يهدر في كلامه ".

وقــال: ســمعت مالكــا يكــره الجــواب فــي كثــرة المســائل وقــال: قــال الله عــز وجل:{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي}. فلم يأته في ذلك جواب، فكان مالك يكره المجادلة عن السنن.

وكان مالك - رحمه الله - يقول: " المراء والجدال في العلم يذهب بنور العلم من قلب الرجل ". وكان يقول: " المراء في العلم يقسي القلب ويورث الضغن ".

وقد انقسم الناس في هذا الباب أقساماً:

فمن أتباع أهل الحديث من سد باب المسائل حتى يقول فهمه وعمله بحدود ما أنزل الله على رسوله وصار حامل فقه غير فقيه.

ومن فقهاء أهل الرأي من توسع في توليد المسائل قبل وقوعها ما يقع في العادة منها وما لا يقع، واشتغلوا بتكلف الجواب عن ذلك وكثرة الخصومات فيه والجدال عليه حتى يتولد من ذلك افتراق القلوب ويستقر فيها بسببه الأهواء والشحناء والعداوة والبغضاء، ويقترن ذلك كثيراً بنية المغالبة وطلب العلو والمباهاة وصرف وجوه الناس وهذا مما ذمه العلماء الربانيون ودلت السنة على قبحه وتحريمه: فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : " من طلب العلم ليباهي به العلماء، ويماري به السفهاء، أو يصرف وجوه الناس إليه فهو في النار ".

وأما فقهاء أهل الحديث العاملون به فإن معظم همهم البحث عن معاني كتاب الله وما يفسره من السنن الصحيحة وكلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وعن سنة رسول اله ﷺ ومعرفة صحيحها وسقيمها، ثم تفقه فيها وفهمها والوقوف على معانيها، ثم معرفة كلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان في أنواع العلوم والتفسير والحديث ومسائل الحلال والحرام وأصول السنة والزهد والرقائق وغير ذلك، وهذا هو طريق الإمام أحمد ومن يوافقه من علماء الحديث الربانيين.

وفي الجملة: فمن امتثل ما أمر به النبي ﷺ وانتهى عما نهى عنه، وكان مشتغلاً بذلك عن غيره حصل له النجاة في الدنيا والآخرة.

ومن خالف ذلك واشتغل بخواطره وما يستحسنه وقع فيما حذر منه النبي ﷺ من حال أهل الكتاب الذين هلكوا بكثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم وعدم انقيادهم وطاعته لرسلهم.

وقولـه ﷺ : **«إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»**.

يأخذ منـه أن النهـي أشد مـن الأمـر، لأن النهـي لـم يـرخص فـي ارتكـاب شـيء منـه، والأمر قيد بحسب الاستطاعة. ولذلك قال ﷺ : **«اتق المحارم تكن أعبد الناس»**.

وقال ابن عمر رضي الله عنه: " لرد دانق مما يكرهه الله أحب إلى الله من خمسمائة حجه!! "

وقال ابن المبارك - رحمه الله تعالى: " لإن أرد درهما من شبهة أحب إلي من أن أتصدق بمائة آلف، ومائة آلف، حتى بلغ ستمائة آلف!! ".

ولما رأى الفضيل ولده يمسح كفة الميزان قبل الوزن، قال لـه: " إن عملك هذا أفضل عند الله تعالى من حجتين وستين عمره!! ".

٢ - الصلاة على رسول الله ﷺ :

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة»** رواه الترمذي وقال حديث حسن.

كتاب رياض الصالحين - كتاب الصلاة على رسول الله ﷺ باب الأمر بالصلاة عليه وفضلها وبعض صيغها، للصلاة على النبي ﷺ فضل عظيم.. وسأذكر من ذلك بعض ما ثبت بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة:

أولاً: – أن العبد حين يصلي على النبي ﷺ يوافق في ذلك رب العزة سبحانه وتعالى الذي يصلي على النبي ﷺ مع اليقين أن الصلاتين مختلفتان فصلاة الله على رسوله ﷺ ثناء وتشريف، أما صلاتنا فهي دعاء وسؤال إلى الله تعالى أن يعلي قدر نبينا محمد ﷺ ويعظم من شأنه.

ثانياً: – التخلق بخلق الملائكة الكرام الذين يصلون على رسول الله ﷺ.

ثالثاً: – اتباع الأمر الإلهي الوارد في القرآن بالصلاة والسلام على إمام المتقين ﷺ.

رابعاً: – يحصل من صلى على رسول الله ﷺ مرة واحدة على فضل عظيم وهو أن الله تعالى ينعم على هذا العبد بأن يعطيه عشر أضعاف ما فعل، مع اختلاف عظيم ألا وهو أن ذكر الله لعبده أعظم وأجل من ذكر العبد للنبي ﷺ والدليل على ذلك قول رسول

الله ﷺ "من صلي علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا"[١].

بل ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قولـه: "من صلى على النبي ﷺ واحدة صلى الله عليه وملائكته سبعين مرة" [٢].

خامساً: – أن المصلي على رسول الله ﷺ يرفع لـه بها عشر درجات، ويحط (يمحى) عنه عشر خطيئات للحديث: "من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحط عنه عشر خطيئات، ورفعت لـه عشر درجات" [٣] فما أسعد المصلي المسلم على رسول الله ﷺ حين يمن الله عليه بكل هذا الخير بهذا الفعل اليسير المحبب لقلوب كل المحبين لرسول الله ﷺ.

سادساً: – أن الصلاة على رسول الله ﷺ تعدل بالإضافة إلى ما سبق عتق عشر رقاب، وهذا المعنى وإن كان قد ورد في حديث ضعيف ولكن يؤكد معناه ما ورد ثابتًا عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: "الصلاة على النبى ﷺ أفضل من عتق الرقاب".

سابعاً: – ومن فصل الصلاة على النبي ﷺ أنها سبب في شفاعته سواء أكانت الصلاة مستقلة بذاتها، أم مقرونة بسؤال الوسيلة لـه ﷺ.

روى الطبراني بسند حسن عن رسول الله ﷺ : **«من قال اللهم صلِّ على محمد وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي»**.

وقال ﷺ : **«إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشر ، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي»**.

ويستمر المؤمن يقطف الثمار المرجوة من أفضال الصلاة والسلام على النبي المختار فيجد أنها: - سبب لغفران الذنوب، ومن منا لا يذنب.

ثامناً: – وكذلك جعلها الله سببًا لكفاية العبد ما أهمه في أمر الدنيا وآخرته.

والدليل على الأمرين السابقين حديث أبي بن كعب - رضي الله عنه - قال: "كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع الليل قام فقال: يا أيها الناس، اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، قال أبي بن كعب: فقلت يا رسول الله إني

(١) رواه مسلم وغيره.

(٢) رواه أحمد بإسناد حسن.

(٣)حديث صحيح.

أكثر الصلاة فكم أجعل لك في صلاتي (دعائي)؟ قال: ما شئت، قال: قلت: الربع؟ قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير لك، قال: فقلت: فثلثين؟ قال: ما شئت وإن زدت فهو خير لك، فقلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: إذا يكفي الله همك ويغفر لك ذنبك"

وفي رواية عند الطبراني بإسناد حسن: "إذا يكفيك الله ما أهمك في أمر دنياك وآخرتك".

تاسعاً: – والصلاة على رسول الله ﷺ سبب لقرب العبد منه يوم القيامة للحديث: "أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة" (١)

عاشراً: – وهي سبب في رد الرسول ﷺ السلام والصلاة على المصلي والمسلم عليه بعد وفاته ﷺ لحديث أبي هريرة: **«ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام»** (٢).

حادي عشر: – أن الملائكة تحمل صلاتنا على النبي ﷺ وتبلغها له للحديث: **«إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام»** (٣).

ثاني عشر: – وهي سبب في أن يقوم العبد على الصراط بعد أن كان يزحف ويحبو عليه لقول النبي ﷺ : **«ورأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط ويحبو أحيانًا ويتعلق أحيانًا فجاءته صلاته علي فأقامته علي قدميه وأنقذته»**.

كذلك فالصلاة على النبي ﷺ تسكن من رعدة العبد وهو يسير على الصراط لقول النبي ﷺ : **«ورأيت رجلاً من أمتي يرعد على الصراط كما ترعد السعفة فجاءته صلاته علي فسكنت رعدته»**.

ثالث عشر: – ومن فضل الصلاة على النبي ﷺ أنه يرجى قبول الدعاء إذا قدمها الداعي أمامه فقد روى النسائي أن رسول الله ﷺ سَمِعَ رَجُلاً يَدْعُو فِى صَلاَتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ اللَّهَ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِىِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **«عَجِلْتَ أَيُّهَا الْمُصَلِّى»**. ثُمَّ عَلَّمَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلاً يُصَلِّى فَمَجَّدَ اللَّهَ وَحَمِدَهُ وَصَلَّى عَلَى النَّبِىِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **«ادْعُ تُجَبْ وَسَلْ تُعْطَ»**.

---

(١) رواه الترمذي وحسنه وصححه الألباني فسعدًا لمن يكون قريبًا من رسول الله يوم القيامة.

(٢) رواه أبو داود بإسناد حسن، وحكم السلام كحكم الصلاة.

(٣) صحيح.

رابع عشر: – أن الدعاء إذا كان بين صلاتين على النبي ﷺ فذلك أرجى لقبول الدعاء لوجوده بين مقبولين.

وهي سبب في صلاة الملائكة على المصلي على النبي ﷺ للحديث: **«من صلى علي صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي ... فليقل عبد من ذلك أو يكثر»** [(١)].

خامس عشر: – أن الصلاة على النبي ﷺ أداء لأقل القليل من حقه علينا، ومهما فعلنا فلن نؤدي حقه علينا، ولكن الله سبحانه وتعالى رضي منا أن نصلي ونسلم عليه.

سادس عشر: – أنها سبب في زيادة الإيمان.

سابع عشر: أنها تبلغ النبي ﷺ وقد طلب منا الاجتهاد في الدعاء فقال: **«صلوا علي فاجتهدوا في الدعاء»**، وقالوا: **«اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد»**.

هذا رسولك الذي أرسله إليك الله ليرشدنا إلى طاعته، ويبين لنا طريق الجنة ويهدينا إلى سواء السبيل.. هذا حبيبك الذي تتمنى رفقته في الجنة، وشفاعته يوم الحساب.. هذا هو الأمين محمد حبيب الرحمن وخليل الرحمن.

هذا النبي ﷺ من حقه أن تصلي عليه ولقد علمت كم لهذه الصلاة على حبيبنا رسول الله ﷺ من أفضال.

فهل سارعت لذلك؟ وهل أفسحت لها في قلبك حتى تؤديها حباً وشوقاً طاعة للرحمن، وأداء لحق الرسول ﷺ عليك؟

أخي المسلم: وإذا كان هذا الأجر العظيم تحظى به كلما صليت وسلمت عليه ﷺ. فكيف إذا كنت من جند الإسلام المخلصين؟، فكيف إذا عمقت الإيمان في قلبك وأديت العبادات على الوجه الذي نقل عنه ﷺ دون بدعة أو ضلال؟.

٣ – كفالة اليتيم:

وعن سهل بن سعيد رضي الله عنه: قال رسول ﷺ : **«أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»** وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما - رواه البخاري.

و كافل اليتيم : القائم بأموره.

---

(١) حديث صحيح.

من كتاب رياض الصالحين - كتاب المقدمات - باب ملاطفة اليتيم والبنات وسائر الضعفة والمساكين والمنكسرين والإحسان إليهم والشفقة عليهم والتواضع معهم، وخفض الجناح لهم.

٤ - محبة الرسول ﷺ:

عن أنس رضي الله عنه أن أعرابيًا قال لرسول الله ﷺ : متى الساعة؟ قال رسول الله ﷺ : **«ما أعددت لها؟»** قال: حب الله ورسوله، قال: **«أنت مع من أحببت»** [١].

وفي رواية لهما: عن أنس جاء رجل فقال: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: **«ما أعددت لها؟»** قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله، قال: **«أنت مع من أحببت»**.

من كتاب رياض الصالحين - كتاب المقدمات - باب زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم وطلب زيارتهم والدعاء منهم وزيارة المواضع الفاضلة.

وقال ﷺ : **«من أحبني كان معي في الجنة»**.

كان رجل عند النبي ﷺ ينظر إليه لا يطرف فقال: ما بالك؟ قال بأبي أنت وأمي أتمتع من النظر إليك فإذا كان يوم القيامة رفعك الله بتفضيله فأنزل الله الآية**{وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً}** [٢].

٥ - محبة الصحابة رضي الله عنهم:

قال رسول الله ﷺ : **«الله الله في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضاً من بعدي ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله يوشك أن يأخذه»**.

والغرض: هو الهدف الذي يرمى إليه ومراده عليه السلام من قوله نهى الناس عن التكلم في أصحابه أو الوقيعة فيهم فشرف صحبتهم لرسول الله ﷺ توجب على الناس احترامهم وتوقيرهم والسكوت عما شجر بينهم [٣].

---

(١) متفق عليه وهذا لفظ مسلم.

(٢) سورة النساء آية ٦٩.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه ٥/ ٣٥٨ ك المناقب باب من سب أصحاب النبي وقال هذا حديث حسن غريب وأحمد في مسنده ٤/ ٨٧، ٨٨ و٥/ ٥٤ - ٥٥ وابن حبان في صحيحه موارد الظمآن للهيثمي

في صحيح البخاري: **«آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغضهم»** (1).

وقال ﷺ : **«لا يحب الأنصار إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق ، فمن أحب الأنصار أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله»** (2).

٦ - حسن الخلق:

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن من أحبكم إلي ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم عني يوم القيامة ، الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون»** قالوا: يا رسول الله قد علمنا "الثرثارون والمتشدون" فما المتفيهقون؟ قال: **«المتكبرون»** (3).

الثرثار: هو كثير الكلام تكلفاً.

والمتشدق: المتطاول على الناس بكلامه، ويتكلم بملء فيه تصافحاً وتعظيماً لكلامه.

والمتفيهق : أصله من الفهق، وهو الامتلاء، وهو الذى يملأ فمه بالكلام، ويتوسع فيه ويغرب به تكبراً واتفاعاً، وإظهاراً للفضيلة على غيره.

وروى الترمذي عن عبد الله بن المبارك رحمه الله في تفسير حسن الخلق قال: هو طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى(4).

٧ - حسن تربية البنات:

أخرج أبو يعلى في "مسنده" عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ من كن له ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، فاتقى الله وأقام عليهن كان معي في الجنة هكذا، وأومأ بالسبابة والوسطى(5).

قال ﷺ : **«من عال جارية دخلت أنا وهو الجنة كهاتين وأشار بإصبعيه»**.

ص ٥٦٨ - ٥٦٩ ك المناقب، باب فضل أصحاب رسول الله ومن بعدهم والمقدسي في النهي عن سب الأصحاب ٢/ب - ٣.

(١) رواه البخاري ك: الإيمان - رقم ١٧.

(٢) أحمد ٢٨٣/٤.

(٣) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

(٤) كتاب رياض الصالحين - كتاب المقدمات - باب حسن الخلق.

(٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٩٥ وفي صحيح مسلم وسنن الترمذي (٤ / ٢٨١) واللفظ له.

٨ - التقوى:

عنْ أبي أُمَامَةَ صُدَيَّ بْنِ عَجْلانَ الْباهِلِيِّ رضي اللَّهُ عنه قال: سَمِعْتُ رسول اللَّه ﷺ يَخْطُبُ في حَجَّةِ الْودَاع فَقَالَ: **«اتَّقُوا اللَّه ، وصَلُّوا خَمْسكُمْ ، وصُومُوا شَهْرَكُمْ ، وأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ ، وَأَطِيعُوا أُمَرَاءَكُمْ ، تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ»** (١).

٩ - المجاهدة:

عن أبي فراس ربيعة بن كعب الأسلمي خادم رسول الله ﷺ، ومن أهل الصفة رضي الله عنه قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ، فآتيه بوضوئه، وحاجته فقال: **«سلني)**، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: **«أوغير ذلك؟»** قلت: هو ذاك، قال: **«فأعني على نفسك بكثرة السجود»** (٢).

١٠ - كثرة طرق الخير:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين»**(٣) - وفي رواية : **«مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال: والله لأنحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم ، فأدخل الجنة»**.

وفي رواية لهما : **«بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق ، فأخره فشكره الله له ، فغفر له»** (٤).

١١ - فضل ضعفة المسلمين والفقراء:

عن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف ، لو أقسم على الله لأبره ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر»** - متفق عليه.

---

(١) رواه التِّرْمذيُّ، في آخر كتابِ الصلاةِ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح من كتاب رياض الصالحين - كتاب المقدمات - باب التقوى.

(٢) رواه مسلم من كتاب رياض الصالحين - كتاب المقدمات - باب المجاهدة.

(٣) رواه مسلم.

(٤) من كتاب رياض الصالحين - كتاب المقدمات - باب بيان كثرة طرق الخير.

العتل : الغليظ الجافي والجَوَّاظ بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء المعجمة: وهو الجموع المنوع، وقيل: الضخم المختال في مشيته، وقيل: القصير البطين [1].

١٢ - حق الزوج على المرأة:

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : **«أيما امرأة ماتت ، وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة»** - رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

من كتاب رياض الصالحين - كتاب المقدمات - باب حق الزوج على المرأة.

١٣ - بر الوالدين وصلة الأرحام:

وعن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار.

فقال النبي ﷺ : **«تعبد الله ، ولاتشرك به شيئًا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصل الرحم»** [2].

١٤ - الرجاء:

وعن عبادة بن الصامت، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : **«من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»** [3].

وفي رواية لمسلم: **«من شهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، حرم عليه النار»**.

١٥ - القناعة:

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«من تكفل لي أن لا يسأل الناس شيئاً ، وأتكفل له الجنة؟»** فقلت: أنا؛ فكان لا يسأل أحداً شيئاً[4].

---

(١) من كتاب رياض الصالحين - كتاب المقدمات - باب فضل ضعفة المسلمين والفقراء.

(٢) متفق عليه من كتاب رياض الصالحين - كتاب المقدمات - باب بر الوالدين وصلة الأرحام.

(٣) متفق عليه من كتاب رياض الصالحين - كتاب المقدمات - باب الرجاء.

(٤) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وفـي روايـة لمسـلم: **«من شـهد أن لا إلـه إلا الله ، وأن محمـداً رسـول الله ، حـرم عليـه النار»**.

من كتاب رياض الصالحين - كتاب المقدمات - باب القناعة بالكفاف والاقتصاد في المعيشة والإنفاق وذم السؤال من غير ضرورة.

١٦ - حسن الخلق:

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: **«تقوى الله وحسن الخلق»**.

وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، قال: **«الفم والفرج»** [١].

١٧ - الحلم والأناة والرفق:

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«ألا أخبركم بمن يحرم على النار – أو بمن تحرم عليه النار؟ – تحرم على كل قريب هين لين سهل»** [٢].

١٨ - الوالي العادل:

وعن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق ، ورجل رحيم رفيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال»** [٣].

١٩ - إفشاء السلام:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»**[٤].

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح من كتاب رياض الصالحين - كتاب المقدمات - باب حسن الخلق.

(٢) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

وعن أبي يوسف عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يا أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصِلوا الأرحام وصلّوا والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام»**(١).

٢٠ - الزكاة وفضلها :

عن أبي أيوب رضي الله عنه، أن رجلا قال للنبي ﷺ : أخبرني بعمل يدخلني الجنة قال: **«تعبد الله لا تشرك به شيئًا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصل الرحم»**(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن أعرابيًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته، دخلت الجنة قال: تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان قال: **«والذي نفسي بيده ، لا أزيد على هذا»** فلما ولى قال النبي ﷺ : **«من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»** (٣).

٢١ - فضل العلم تعلماً وتعليماً لله :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقًا إلى الجنة»** - رواه مسلم.

من كتاب رياض الصالحين - كتاب العلم - باب فضل العلم تعلما وتعليما لله.

٢٢ - عدم الكذب على الرسول محمد ﷺ :

وحكاه إمام الحرمين عن والده وأنه كان يقول في درسه كثيرا: " من كذب على رسول الله ﷺ عمدا كفر وأريق دمه! ".

وضعف إمام الحرمين هذا القول، وقال: إنه لم يره لأحد من الأصحاب وإنه هفوة عظيمة.

أنه لا يفرق في تحريم الكذب عليه بين ما كان في الأحكام، وما لا حكم فيه كالترغيب والترهيب والمواعظ وفى ذلك فكله حرام من أكبر الكبائر، وأقبح القبائح بإجماع المسلمين الذين يعتد بهم في الإجماع. خلافاً للكراهية المبتدعة في زعمهم

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح من كتاب رياض الصالحين - كتاب السلام - باب فضل السلام والأمر بإفشائه.

(٢) متفق عليه.

(٣) - متفق عليه من كتاب رياض الصالحين - كتاب الفضائل - باب تأكيد وجوب الزكاة وبيان فضلها وما يتعلق بها.

الباطل: أنه يجوز وضع الحديث في الترغيب والترهيب**!!** وتابعهم على هذا كثيرون من الجهلة الذين ينسبون أنفسهم إلى الزهد... وزعم بعضهم أن هذا كذب لـه - عليه الصلاة والسلام - لا كذب عليه**!!**. فخالفوا صريح هذه الأحاديث المتواترة، والأحاديث الصريحة المشهورة في إعظام شهادة الزور. خالفوا أهل الحل والتعقد وذلك من الدلائل القطعيات في تحريم الكذب على آحاد الناس، فكيف بمن قولـه شرع، وكلامه وحي؟

وفي الحديث: " من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين ".

وقال العلماء: ينبغي لمن أراد رواية حديث أن ينظر فإن كان صحيحاً أو حسناً، قال: قال رسول الله، وإن كان ضعيفا فلا يقل: قال، أو فعل، أو مر، أو نهى. بل يقول: " روى " أو يذكر " أو " يحكي " أو " بلغنا ". وإذا اشتبه عليه لفظ في حديث يقول: أو كما قال والله أعلم ".

" اللهم نسألك إيمانا دائما، وقلبا خاشعا، ولسانا صادقا ".

٢٣ - الذكر والحث عليه :

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ : **«ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟»** فقلت: بلى يا رسول الله، قال: **«لا حول ولا قوة إلا بالله»** [١].

ومع هذا كله قف واحذر!!!!!

احذر الفتنة، فأنت لم تصل لتقوى ولا صلاح ولا إيمان نبي الله آدم عليه السلام أبو البشر، ومن خلقه الله بيده وأسجد لـه ملائكته، وأول أنبيائه الكرام، فلما ابتلي بذلك النهي الرباني لم يصمد أمام تلك الفتنة، فهل بلغت مبلغه، حتى لا تخاف من الفتن، أو حتى هل قاربت من ذلك السمو والشرف والرفعة التي لا يصل إليها إلا من أراد الله لـه الرفعة من البشر، وغرّز الله كرامته بيده سبحانه..

ثم أقول لك إياك ثم إياك أن تتصور أنك شخص مختلف، عن من تلطَّخ بالشهوات والفتن، فما أنت إلا واحداً منهم، فانتزعك الله منها، وأكرمك بطاعته. فاهرب من الفتن هروب الصحيح من المجذوم، ولا تعتمد على إيمانك أو صلاحك فقد تخذل وتنتكس ولا حول ولا قوة إلا بالله..

---

(١) متفق عليه من كتاب رياض الصالحين - كتاب الأذكار - باب فضل الذكر والحث عليه.

ولكن اعتمد على الله في أن يكفيك الفتن.. وسأل الرحمن بكل تضرع وخضوع وفقر وحاجة ومسكنة أن ينقذك من هذه الفتن المتلاطمة، فليس العجب ممن هلك كيف هلك، ولكن العجب ممن نجى كيف نجى.. فلا يفتر لسانك عن الدعاء أن ينجيك الله، ولا يسكن قلبك من الخوف منها، وكن دائماً منتبهاً حريصاً مترقباً، فإن لك أعداء متربصين لا يغفلون حين تغفل، ولا يفترون حين تفتر.

فالحذر الحذر.. فمن الذي أخرجنا من الجنة دار النعيم إلى الدنيا دار الابتلاء والمحن، إنك أخي في هذه الدنيا في سفر إلى الله.. والهلكة أقرب إليك من النجاة. وإن تزودك من الأعمال الصالحات والتقوى، يجعلك في حصن ودرع واقٍ لك من سهام الفتن، فما الذي أنقذ يوسف عليه السلام من الفتنه الرهيبة العظيمة؟ إلا الإخلاص لله وقربه منه سبحانه وتعالى، وما الذي أخرج يونس بن متى من بطن الحوت؟ إلا تسبيحه وتنزيه لخالقه ومسويه.

وهل يا ترى سوف تنج أيها المؤمن من فك الفتن المفترس؟ الذي أفترس كثيراً ممن حولك، فتراهم صرع الشهوات والفتن، وقد يكون الدور عليك، فإما أن تسعى لإنقاذ نفسك وإعتاقها، أو سوف تهلك وتوبقها، فيا من يسعى للعصمة من الزلة قف عند حدود الله ولا تتعداها، ولا يغرنك تزيين الباطل من المبطلين لباطلهم، ولا بريقه ولمعانه، فظاهره الرحمة وباطنه العذاب..

فالجنة تنتظرك، وقد زينها الله لك، ولأمثالك من الصالحين، ومنازلك وزوجاتك فيها تحن إليك، فشمر عن ساعد الجد، حتى تتجاوز المحنة وتنال المنحة، وتسمع نداء الأمان، من ملائكة الرحمن، وهي تبشرك بروح وريحان ورب راضي غير غضبان.. والحمد لله والصلاة والسلام على النبي الكريم وعلى آله أجمعين.

تذكر ... لماذا ينقمون من حبيبي رسول الله؟!!!!:

- اليوم وإثر البعد الديني الواضح للمسلمين، وبرودة طقسهم حول دينهم، تجرأت الصحف الأوروبية من كل حدب وصوب، استهانة وإهانة لكل مسلم، على رسم رسول الإسلام، وسيد الأنام، عليه الصلاة والسلام، برسوم مشينة مهينة لا يرضاها مسلم أبي شامخ، يتطلع للجنة العلياء، ولقاء خاتم الأنبياء، حول الجنة الخضراء، قال تعالى:**{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً}**، فما عسى كل مسلم ومسلمة أن يفعل إزاء هذا الحدث الرهيب.

- أمة الإسلام: نحن اليوم نمر باختبار حقيقي، وامتحان رباني، ليميز الله الخبيث من الطيب، قال تعالى:**{ألم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ}**، الأمة اليوم تمر بمنحنيات خطيرة، وتجارب مريرة، ليبين المنافق من المسلم، والكاذب من الصادق، فبعد الرسوم الكاريكاتورية، والصور الكرتونية، لنبي الإنسانية، وهادي البشرية، تهجّم مذيع أمريكي بالاستهزاء والعنجهية، بصورة استفزازية، لمنظر حادث الحجيج، حول الجمرات، واصفاً المسلمين بالبهائم، كبرت كلمة خرجت من فيه، وقاتله الله من سفيه، هكذا هي أمم الكفر تصمد، وعلى الإسلام تتحد.
- فإن محمداً ﷺ كان بشراً من البشر ولم يكن ملكاً ولا مدعيًا للألوهية، والجانب البشرى فيه يعتبر ميزة كان ﷺ يعتني بها، وقد قال القرآن الكريم في ذلك:**{قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَرًا رَسُولاً}** (١) ومن ثم فإذا أصابه بعض الحزن أو الإحساس بمشاعر ما نسميه - في علوم عصرنا - بالإحباط أو الضيق فهذا أمر عادي لا غبار عليه؛ لأنه من أعراض بشريته ﷺ.
- الحق أن الصلاة على محمد ﷺ من ربه ومن المؤمنين ليست دليل حاجة، بل هي مظهر تكريم واعتزاز وتقدير له من الحق سبحانه، وتقديرًا له من أتباعه، وليست كما يزعم الظالمون لسد حاجته عند ربه؛ لأن ربه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.
- حسبُ النبي الأمي - الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة - أن يكون الكتاب الذي أُنزل عليه معجزًا لمشركي العرب وهم أهل الفصاحة والبلاغة؛ بل ومتحديًا أن يأتوا بمثله أو حتى بسورة من مثله. كفاه بهذا دليلاً على صدق رسالته وأن ما جاء به - كما قال بعض كبارهم - (ليس من سجع الكهان، ولا من الشعر، ولا من قول البشر).
- الظالمون لمحمد ﷺ يستندون في هذه المقولة إلى أكذوبة كانت قد تناقلتها بعض كتب التفسير من أنه ﷺ كان يقرأ في الصلاة بالناس سورة "النجم"، فلما وصل ﷺ إلى قوله تعالى:**{أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى}** (سورة النجم).

---

(١) سورة الإسراء: ٩٣.

- قصة الغرانيق باطلة عند أهل التحقيق، وقد استدلوا على بطلانها بالقرآن والسنة والمعقول؛ أما القرآن فمن وجوه: منها قوله تعالى:**{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ}** (سورة الحاقة) وقوله سبحانه:**{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى}** (سورة النجم)، وقوله سبحانه حكاية عن رسوله ﷺ :**{قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ}**(١). وأما بطلانها بالسنة فيقول الإمام البيهقي: روى الإمام البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم فسجد وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن وليس فيها حديث الغرانيق، وقد روى هذا الحديث من طرق كثيرة ليس فيها البتة حديث الغرانيق.
- الرسول ﷺ معصوم فيما يبلغ عن الله؛ لقوله تعالى:**{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى}**(٢) ولهذا قال تعالى:**{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ}**(٣) والأدلة في هذا المعنى متوافرة متكاثرة متواترة على أنه ﷺ معصوم فيما يبلغ عن ربه - عز وجل - لا يقع منه خلاف ذلك لا عمداً ولا سهواً. ولا يشكل على هذا ما ورد في قصة الغرانيق المشهورة - التي أخرجها الضياء في المختارة (٢٤٧) فهو إفك مفترى، وباطل مفتعل، والكلام في سورة الحج، وبيان حقيقة معناها له موضع آخر غير هذا، ولا يشكل عليه أيضاً كونه ﷺ ينسى الآية أحيانًا، فإن هذا ليس نسياناً مطبقاً مطلقاً، بمعنى أنه لا يتذكرها، كلا، بل هو قد قرأها وحفّظها أصحابه، ودونها الكُتّاب، ولكنها عزبت عنه تلك اللحظة فأسقطها، أو وقف يتذكرها، وهذه جِبلّة بشرية.
- ولهذا قال تعالى:**{سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنْسَى * إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى}**(٤). فهذا مما شاء الله، ومما شاء الله أن ينساه ﷺ. ما نسخت تلاوته من آي القرآن الكريم.

---

(١) سورة يونس: ١٥.
(٢) النجم: ٣ - ٤.
(٣) الحاقة: ٤٤ - ٤٧.
(٤) الأعلى: ٦ - ٧.

- بقيت حجة قاطعة نسوقها للدلالة على استحالة قصة الغرانيق هذه من حياة محمد ﷺ نفسه فهو منذ طفولته وصباه وشبابه لم يجرب عليه الكذب قط حتى سمي الأمين ولما يبلغ الخامسة والعشرين من عمره وكان صدقه أمراً مسلماً به عند الناس جميعاً حتى لقد سأل قريشاً يوماً بعد بعثه:
- أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل أكنتم مصَدِّقي؟
- فكان جوابهم: نعم أنت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذباً قط.
- فالرجل الذي عرف بالصدق في صلاته بالناس منذ نعومة أظافره إلى كهولته كيف يصدق إنسان أنه يقول على ربه ما لم يقل ويخشى الناس والله أحق أن يخشاه هذا أمر مستحيل يدرك استحالته الذين درسوا هذه النفوس القوية الممتازة التي تعرف الصلابة في الحق ولا تداجي لأي اعتبار وكيف ترى بقول محمد ﷺ : لو وضعت قريش الشمس في يمينه والقمر في شماله على أن يترك هذا الأمر أو يموت دونه ما فعل ثم يقول على الله ما لم يوح إليه ويقوله لينقض به أساس الدين الذي بعثه الله به هدى وبشرى للعالمين.
- في سيرته الشخصية ﷺ اشتهاره بالاستقامة والتعفف عن الفاحشة والتصريف الشائن الحرام للشهوة، رغم امتلاء المجتمع الجاهلي بشرائح من الزانيات اللاتي كانت لهن بيوت يستقبلن فيها الزناة ويضعن عليها " رايات " ليعرفها طلاب المتع المحرمة.
- ومع هذا كله - مع توفر أسباب الانحراف والسقوط فى الفاحشة فى مجتمع مكة - لم يُعرَف عن الرسول محمد ﷺ إلا التعفف والطهارة بين جميع قرنائه؛ ذلك لأن عين السماء كانت تحرسه وتصرف عنه كيد الشيطان.
- مرة أخرى نذكر بأن زواج الرسول ﷺ من زينب لم تكن وراءه أبدًا شهوة أو رغبة جنسية وإنما كان أمرًا من قدر الله وإرادته لإبطال عادة التبني من خلال تشريع يتردد صداه بأقوى قوة في المجتمع الجاهلي الذي كانت عادة التبني أصلاً من أصوله وتقليدًا مستقرًا فيه، فكان السبيل لأبطالها أن يتم التغيير في بيت النبوة وعلى يد الرسول نفسه ﷺ.
- إذا كنتم تعيبون النبي محمداً ﷺ أنه تزوج عائشة وهي صغيرة، فما رأيكم في أنبياء كتابكم المقدس الذي وصفهم بأنهم زناة ومجرمين كداود وحاشاه، وسراق كيعقوب وحاشاه، وعباد أوثان كسليمان وحاشاه إلخ؟! مع أن هذه الخطايا غير

مسقطة لنبوتهم كما تؤمنون...؟!

- أليس من العجيب إنكارهم على رسول الله ﷺ زواجه الشرعي من السيدة عائشة رضي الله عنها وهم يقبلون من كتابهم المقدس أن الأنبياء يمارسون زنى المحارم كالنبي لوط عليه السلام ويهوذا، ويزنون ويقتلون ليس فقط بدون وجه حق بل للوصول للزنى كقصة النبي داود عليه السلام وزوجة أوريا وأنهم أهل خمر كالنبي نوح والنبي لوط عليهما السلام فوق ذلك كله أنهم عبدة أوثان كالنبي سليمان عليه السلام الذي عبد الأوثان لأجل إرضاء زوجاته الوثنيات. كما في سفر الملوك.
- نقول لك ما قاله المسيح: (لماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك. وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها)[١] ألم يرد في كتابك المقدس أن الرب أمر نبيه (حزقيال) بأكل الخراء وهو البراز: (وتأكل كعكعاً من الشعير على الخرء الذي يخرج من الإنسان وتخبزه أمام عيونهم)[٢] العجب أنك تتكلم على نصح الرسول ﷺ للأعرابيين بشرب ألبان الإبل وأبوالها ولا تتكلم على أن الأعرابيين تم شفائهم فعلاً بهذه الألبان والأبوال ولم يبدوا اعتراضاً لهذا الأمر، فذكر الحديث: (حتى صلحت ابدانهم) وفي راوي: (فلما صحو أن الطب شاهد بصحة هذا الحديث وليس في الحديث إلزام للإنسان بشرب ألبان الإبل وأبوالها لأن الإنسان لا يؤمر بأكل ما تعافه نفسه ولا بشرب ما تعافه نفسه كما ثبت عن النبي ﷺ أنه أباح أكل الضب ولم يأكله، وقال: " لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه".
- الإصابة أو المرض أو السحر لا يتجاوز ذلك إلى تلقي الوحي عن الله سبحانه وتعالى ولا إلى البلاغ عن ربه إلى الناس لقيام الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع سلف الامة على عصمته ﷺ في تلقي الوحي وإبلاغه وسائر ما يتعلق بشؤون الدين. والذي وقع للرسول ﷺ من السحر هو نوع من المرض الذي يتعلق بالصفات والعوارض البشرية والذي لا علاقة له بالوحي وبالرسالة التي كلف بإبلاغها، لذلك يظن البعض أن ما أصاب الرسول ﷺ من السحر هو نقصاً وعيباً وليس الأمر كما يظنون لأن ما وقع له هو من جنس ما كان يعتريه من

---

(١) إنجيل لوقا (لوقا ٦: ٤١).
(٢) حزقيال ٤: ١٢ - ١٣.

الأعراض البشرية كأنواع الأمراض والآلام ونحو ذلك، فالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يعتريهم من ذلك ما يعتري البشر كما قال الله سبحانه وتعالى:**{قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ}**(١):

- في قصة سحر النبي عليه الصلاة والسلام الكثير من أدلة نبوته عليه الصلاة والسلام طبقاً للآتي:
- كيف عرف النبي عليه الصلاة والسلام أن الذي سحره هو لبيد بن الأعصم وأن السحر موجود في مكان كذا وكذا لو لم يكن نبياً؟، فالنبي عليه الصلاة والسلام هو الذي أرسل أصحابه ليستخرجوا السحر من المكان الذي وضع فيه، وقصة إخبار الملائكة لمحمد عليه الصلاة والسلام بموضع ومكان السحر لم يذكرها هؤلاء الضالون فهم انتقائيون في اختيار موادهم.
- لقد فك الرسول عليه الصلاة والسلام السحر بقراءة المعوذتين وهذا دليل على أن المعوذتين كلام الله عز وجل وأن محمداً نبي موحىً إليه. هذه القصة دليل على كذب المستشرقين عندما قالوا إن السنة النبوية قد وضعها أصحاب النبي ليثبتوا أنه نبي وأنه كامل في كل صفاته فلو كان كلامهم صحيحاً لكان هذا الحديث أول شيء يحذفه الصحابة من السنة لأنه ينقص من قدر النبي ﷺ على حد زعمهم طبعاً فقد أثبتنا الآن أن هذا الحديث يدل على نبوة محمد ﷺ.
- قال الله تعالى:**{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}**.
- يسيطر على العالم حجم فساد رهيب يوشك أن يدمر الأرض وما عليها ما لم تتح الفرصة لمبادئ وسنن الإسلام أن تأخذ طريقها لحماية الإنسان من شرور نفسه ثم لحماية الإنسانية كلها مما يهددها من الدمار الشامل.
- والفساد الذي أشير إليه هو فساد شامل: سياسي واجتماعي واقتصادي وأخلاقي وروحي تحمل المدنية الغربية وزره الأكبر.
- أما السياسة فى الإسلام فمن ناحيتي الغاية والوسيلة فهما معًا قائمتان على المشروعية والأخلاق والإنسانية.

---

(١) سورة إبراهيم: ١١.

- فرض الإسلام على المال زكاة لابد أن تؤدى في نهاية كل عام واعتبر هذه الزكاة الركن الثالث بين الأركان الخمسة للإسلام، كما أبيح قتال من يمنعونها كما حدث فى قتال أبى بكر لمانعى الزكاة باعتبارها حق المجتمع في أموال الأغنياء.
- هل الإسلام يحرّم الغنى أو يحرّم السعى لكسب الثروة والمزيد منها؟ وأقول: هذا أمر يرفضه الإسلام ولا يقره. فالله تعالى يأمر عباده بالسعى والكدح للحصول على الرزق والحصول على الغنى فى مثل قوله تعالى:**{فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ}** (١) وقوله ﷺ : **«نعم المال الصالح للرجل الصالح»** (٢).
- يمتاز الإسلام بحرصه على صيانة حرية الإنسان واحترامها إلى أبعد مدى بأنها العامل الأكبر فى أهلية هذا الإنسان لمهمة الخلافة عن الله فى الأرض. كما تقررها آيات القرآن الكريم.
- لم يأذن الإسلام للمسلمين بالجهاد إلا عندما توفرت دوافعه وأصبح القيام به ضرورة لحفظ الحياة، ودفع ما تعرض له المسلمون من مظالم وما فعله كفار مكة بمن دخلوا في الإسلام من التعذيب يعرفه التاريخ يحفظه طوال مسيرة الدعوة فى عهدها المكى الذى كان ثلاثة عشر عاماً من العذاب فى مناخ لم يكن يملك المسلمون فيه ما يحمون به أنفسهم وكان الرسول ﷺ يمرّ على بعضهم من (آل ياسر: عمار وأمه) وهم يعذبون فلا يملك إلا أن يقول لهم: " صبرا آل ياسر: موعدكم الجنة.
- وفى هذا أبلغ دليل على رفض الإسلام للعدوان على الأرواح والأعراض والأموال ورفضه لأي ترويع للآمنين، وهو ما يعني أيضًا أن الإسلام دين ينافي الإرهاب فى جوهره وفى تشريعاته، وإن الجهاد فيه إنما هو لغاية إنسانية تحمى المستضعفين من بطش الأقوياء ولا تعتدى أبداً على أحد، فإن أُعتدِى على المسلمين كان الجهاد واجبهم وكان حقهم المشروع الذى تعترف به كل الشرائع ويجمع عقلاء الإنسانية فى كل أنحاء الأرض على مشروعيته.

---

(١) الملك: ١٥.

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده من حديث عمرو بن العاص.

- يحصل من صلى على رسول الله ﷺ مرة واحدة على فضل عظيم وهو أن الله تعالى ينعم على هذا العبد بأن يعطيه عشر أضعاف ما فعل، مع اختلاف عظيم ألا وهو أن ذكر الله لعبده أعظم وأجل من ذكر العبد للنبي ﷺ والدليل على ذلك قول رسول الله ﷺ : **«من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا»** (١).
- إن الصلاة على النبي ﷺ أداء لأقل القليل من حقه علينا، ومهما فعلنا فلن نؤدي حقه علينا، ولكن الله سبحانه وتعالى رضي منا أن نصلي ونسلم عليه.
- ثم أقول لك: إياك ثم إياك أن تتصور أنك شخص مختلف، عن من تلطَّخ بالشهوات والفتن، فما أنت إلا واحدٌ منهم، فانتزعك الله منها، وأكرمك بطاعته. فاهرب من الفتن هروب الصحيح من المجذوم، ولا تعتمد على إيمانك أو صلاحك فقد تخذل وتنتكس ولا حول ولا قوة إلا بالله..
- ولكن اعتمد على الله في أن يكفيك الفتن.. وسأل الرحمن بكل تضرع وخضوع وفقر وحاجة ومسكنة أن ينقذك من هذه الفتن المتلاطمة، فليس العجب ممن هلك كيف هلك، ولكن العجب ممن نجى كيف نجى.. فلا يفتر لسانك عن الدعاء أن ينجيك الله، ولا يسكن قلبك من الخوف منها، وكن دائماً منتبهاً حريصاً مترقباً، فإن لك أعداء متربصون لا يغفلون حين تغفل، ولا يفترون حين تفتر.

* * * * *

(١) رواه مسلم وغيره.

خاتمة الكتاب:
إنه نبي الرحمة والمحبة والسلام

لقد شكلت شخصية محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، الرجل الذي اكتملت فيه كل الأخلاق الحميدة، وانتفت منه كل الأخلاق الذميمة، ولذلك خاطبنا الله بقوله: **{لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}**، والمطّلع على سيرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يدرك أنها كانت حقيقة تاريخية لا تجد الإنسانية غيره قدوة حسنة تقتدي بها، وهي تتلمس طريقها نحو عالم أكمل وأمثل، وحياة فُضلى. ومن الطبيعي ألا تجد الإنسانية مثلها الأعلى في شخصيات وهمية، وإلا فهي تضلّ طريقها المستقيم وتسير مقتدية بالخيال والأوهام، فمن حقنا إذاً أن نتخذ من سيرة النبي - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - نموذجاً لسلوكنا في حياتنا.

وحياة الرسول محمد ﷺ تكشف أمامنا المثل الأعلى في جميع أحوال الحياة؛ في السلم والحرب، في الحياة الزوجية، مع الأهل والأصحاب، في الإدارة والرئاسة والحكم والسياسة، في البلاغ والبيان، بل في كل أوجه الحياة. فالنبي محمد ﷺ هو المثل الكامل.

ولن تجد الإنسانية في غيره مثلاً حياً لها؛ فسيرة محمد ﷺ حقيقة تاريخية، يصدّقها التاريخ الصحيح ولا يتنكر لها، وهي سيرة جامعة محيطة بجميع أطوار الحياة وأحوالها وشؤونها، وهي سيرة متسلسلة لا تنقص شيئاً من حلقات الحياة، وهي أيضاً سيرة عملية قابلة للتطبيق، ذلك أن ما كان يدعو إليه محمد ﷺ في القرآن والحديث كان يحققه بسيرته أولاً، وهذا ما شهد به معاصروه، فقالت عائشة - رضي الله عنها - وقد سئلت عن أخلاقه ﷺ : «كان خلقه القرآن»، وهو صاحب القيم الإنسانية، ومعلم الحضارة الحقيقية، ونبي الرحمة والمحبة والسلام...

* * * * *

مائة خصلة انفرد بها ﷺ
عن بقية الأنبياء السابقين عليهم السلام

ما أكرمه الله تعالى به لذاته في الدنيا :

١- أخذ الله لـه العهد على جميع الأنبياء، ﷺ.

٢- كان عند أهل الكتاب علم تام به ﷺ.

٣- كان نبيا وآدم منجدل في طينته ﷺ.

٤- هو أول المسلمين ﷺ.

٥- هو خاتم النبيين ﷺ.

٦- هو نبي الإسلام ﷺ.

٧- هو أولى بالأنبياء من أممهم ﷺ.

٨- هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجه أمهاتهم ﷺ.

٩- كونه منة يمتن الله بها على عباده.

١٠- كونه خيرة الخلق، وسيد ولد آدم ﷺ.

١١- طاعته ومبايعته هي عين طاعة الله ومبايعته.

١٢- الإيمان به مقرون بالإيمان بالله تعالى.

١٣- هو رحمة للعالمين ﷺ.

١٤- هو أمنة لأمته ﷺ.

١٥- عموم رسالته ﷺ.

١٦- تكفل المولى بحفظه وعصمته ﷺ.

١٧- التكفل بحفظ دينه ﷺ.

١٨- القسم بحياته ﷺ.

١٩- القسم ببلده ﷺ.

٢٠- القسم لـه ﷺ.

٢١- لم يناده باسمه ﷺ.

٢٢- ذكر في أول من ذكر من الأنبياء.

٢٣- النهي عن مناداته باسمه ﷺ.

٢٤- لا يرفع صوت فوق صوته ﷺ.

٢٥- تقديم الصدقة بين يدي مناجاتهم لـه (ثم نسخ ذلك).

٢٦- جعله الله نورا ﷺ.

٢٧- فرض بعض شرعه في السماء ﷺ.

٢٨- تولى الإجابة عنه ﷺ.

٢٩- استمرار الصلاة عليه ﷺ.

٣٠- الإسراء والمعراج به ﷺ.

٣١- معجزاته ﷺ.

٣٢- غفر لـه ما تقدم من ذنبه وما تأخر ﷺ.

٣٣- تأخير دعوته المستجابة ليوم القيامة ﷺ.

٣٤- أعطي جوامع الكلم ﷺ.

٣٥- أعطي مفاتيح خزائن الأرض ﷺ.

٣٦- إسلام قرينه من الجن ﷺ.

٣٧- نصره بالرعب مسيرة شهر ﷺ.

٣٨- شهادة الله وملائكته لـه ﷺ.

٣٩- إمامته بالأنبياء في بيت المقدس ﷺ.

٤٠- قرنه خير قرون بني آدم ﷺ.

٤١- ما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة ﷺ.

٤٢- أعطي انشقاق القمر ﷺ.

٤٣- يرى من وراء ظهره ﷺ.

٤٤- رؤيته في المنام حق ﷺ.

٤٥- عرض الأنبياء مع أممهم عليه ﷺ.

٤٦- جعل خاتم النبوة بين كتفيه ﷺ.

٤٧- إطلاعه على المغيبات ﷺ.

ما أكرمه الله تعالى به في الآخرة:

٤٨- وصفه بالشهادة ﷺ.

٤٩- ما أعطي من الشفاعات ﷺ.

٥٠- هو أول من يبعث ﷺ.

٥١- هو إمام الأنبياء وخطيبهم ﷺ.

٥٢- كل الأنبياء تحت لوائه ﷺ.

٥٣- هو أول من يجوز على الصراط ﷺ.

٥٤- هو أول من يقرع باب الجنة ﷺ.

٥٥- هو أول من يدخل الجنة ﷺ.

٥٦- إعطاؤه الوسيلة والفضيلة ﷺ. (الوسيلة: أعلى منزلة في الجنة).

٥٧- إعطاؤه المقام المحمود ﷺ. (وهي الشفاعة العظمى).

٥٨- إعطاؤه الكوثر ﷺ. (وهو نهر في الجنة).

٥٩- إعطاؤه لواء الحمد ﷺ.

٦٠- يكون لـه كرسي عن يمين العرش ﷺ.

٦١- هو أكثر الأنبياء تبعاً ﷺ.

٦٢- هو سيد الأولين والآخرين يوم القيامة ﷺ.

٦٣- هو أول شافع ومشفع ﷺ.

٦٤- هو مبشر الناس يوم يفزع إليه الأنبياء ﷺ.

٦٥- ما يوحى إليه في سجوده تحت العرش مما لم يفتح على غيره من قبل ومن بعد ﷺ.

٦٦- منبره على حوضه ﷺ.

ما أكرمه الله به في أمته في الدنيا:

٦٧- جعلت خير الأمم.

٦٨- سماهم الله تعالى المسلمين، وخصهم بالإسلام.

٦٩- أكمل الله لها الدين، وأتم عليها النعمة.

٧٠- ما حطه الله لها عنها من الإصر والأغلال.

٧١- صلاة المسيح خلف إمام المسلمين.

٧٢- أحلت لها الغنائم.

٧٣- جعلت صفوفها كصفوف الملائكة.

٧٤- التيمم والصلاة على الأرض.

٧٥- خصهم بيوم الجمعة.

٧٦- خصهم بساعة الإجابة يوم الجمعة.

٧٧- خصهم بليلة القدر.

٧٨- هذه الأمة هي شهداء الله في الأرض.

٧٩- مثلها في الكتب السابقة (ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل).

٨٠- لن تهلك بجوع، ولا يسلط عليها عدو من غيرها فيستأصلها.

٨١- خصت بصلاة العشاء.

٨٢- تؤمن بجميع الأنبياء.

٨٣- حفظها من التنقص في حق ربها عز وجل.

٨٤- لا تزال طائفة منها على الحق منصورة.

ما أكرمه الله تعالى به في أمته في الآخرة:

٨٥- هي شاهدة للأنبياء على أممهم.

٨٦- هي أول أمة تجتاز الصراط.

٨٧- هي أول أمة تدخل الجنة، وهي محرمة على الناس حتى تدخلها.

٨٨- انفرادها بدخول الباب الأيمن من الجنة.

٨٩- سيفديها بغير من الأمم.

٩٠- تأتي غراً محجلين من آثار الوضوء.

٩١- هي أكثر أهل الجنة.

٩٢- سيرضي الله نبيه ﷺ فيها.

٩٣- زيادة الثواب مع قلة العمل.

٩٤- كلها تدخل الجنة إلا من أبى بمعصيته لله ورسوله للحديث الذي رواه البخاري.

٩٥- كثرة الشفاعات في أمته.

٩٦- تمني الكفار لو كانوا مسلمين.

٩٧- هم الآخرون في الدنيا السابقون يوم القيامة.

٩٨- دخول العدد الكثير منها الجنة بغير حساب.

٩٩- لها علامة تعرف بها ربها عز وجل وهو الساق.

١٠٠- فيها سادات أهل الجنة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين [١].

* * * * *

(١) المرجع كتاب /تذكير المسلمين باتباع سيد المرسلين .
المؤلف /عبد الله بن جار الله.

قصيدة من تأليف المؤلف

جعلها الله فى ميزان حسناته ونفع بها المسلمين... آمين.

كيف المقام يطيب عند لقائه :

حبيبي يا رسول الله ::: حبيبي يا بن عبد الله
حبيبي في الملا ذكره ::: حبيبي وامحمداه
وحبك في الحشا ساكن ::: وحبك ربنا في علاه
محمد يا حبيب الله ::: ذكرك والأذان في كل صلاة
فوق السحاب فوق السما ::: بل إنما إلى منتهاه
محمد يا رسول الله ::: يا نور يا رحمة مهداة
عظيم كريم رحيم ::: رؤوف ربنا رباه
شمائله كرامٌ من كرام ::: صبوح مليحٌ وجهه وبهاه
حبيبي يا رسول الله ::: محمد يا بن عبد الله
حبيبي لو علم الأنام بقدرك ::: بل إنما جهلوا وما بلغوا مداه
عذرا لجهلهمُ حبيبي ::: خرس لسان من هجا وهجاه
عذرا حبيبي لقد سكت الكلام ::: وشلت الأقدام والأقلام ما نطقت شفاه
يسب في وضح النهار محمداً ::: أين المحب وأين من يلقاه؟
يا طالب الفردوس هذا محمدٌ ::: ساقى الورى من كوثر ونداه
كيف المقام يطيب عند لقائه يوما ::: ليسئل أين من بالوطيس فداه
حبيبي يا رسول الله ::: حبيبي يا بن عبد الله

تم بحمد الله

* * * * *

الفهــرس

* * * * *